(٢)
٢

كتاب

شعراء النصرانيّة

بعد الاسلام

القسم الثاني

شعراء الدولة الامويّة

تأليف

الاب لويس شيخو اليسوعي

ظهر تباعاً في مجلة المشرق

طُبع

في المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيين

في بيروت

سنة ١٩٢٤

ابن ابي حيَّة بن الكاهن وهو سَلَمة اسحم بن عامر بن عامر بن ثعلبة بن عبدالله بن ذبيان ثمَّ اوصل نسبَهُ الى قُضاعة من اكبر قبائل العرب. وفي تاج العروس (١ : ٥١٣) دعا جدَّهُ «كُرَيْزاء» وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص ٤٣٤) ومثلهُ ابن دُريد في الاشتقاق (ص ٤٢٠) انهُ من بني عُذْرة احدى قبائل قضاعة. وجعل ابنُ دُرَيد ابا الحيَّة كاهناً ليس ابن الكاهن كما ورد في الاغاني

﴿اسمهُ واسرتهُ﴾ قيل انهُ دُعي بهُدْبة وهو اسم طائر وقيل انهُ من هُدْبة الثوب اي خَمَلهِ وطرَّتهِ. وكان اسم ابيهِ خَشْرَم والخشرم جماعة النحل واميرُها وكان من وجوه رهطهِ بني عامر. امَّا هدبة فكان معروفاً بالشجاعة والنجدة والجلادة والصبر والمروءة. وقال ابو الفرج: «وكان لهدبة ثلثة اخوة كلُّهم شاعر وهم حَوْط وسَيْحان والواسع. وأُمهم حيَّة بنت ابي بكر بن ابي حيَّة من رَهطهم الأَدْنَيْن وكانت شاعرةً ايضاً» وقد دعاها شارح الحماسة (ص ٢٣٤) باسم رَيْحانة. وكان لهدبة كذلك اختان تُدْعى الواحدة سلمى وهي زوجة زيادة بن زيد الذبياني من بني رَقاش الآتي ذكرهُ والاخرى فاطمة التي تغزَّل فيها زيادةُ فكانت سبب الشرّ بين القبيلتَيْن

﴿دينهُ﴾ كان هُدْبة نصرانيًّا كما يشهد عليهِ شارح الحماسة (ص ٢٣٥) حيث يدعوهُ زيادةُ هو ورهطَهُ بامَّة المسيح. ولا غرو فانهُ كان من قضاعة التي اثبتنا نصرانيَّتها في كتابنا النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة (ص ٢٩, ١٣٧, ٤٥٨) ونصرانيَّةَ فروعها كسَليح وجَرْم وبهراء وكلب. وكان هدبة من رَهْط بني عامر النصارى. ولعلَّ اسم الكاهن بين اجداده يدلُّ على كهنوت النصارى لا يُراد به الساحر

﴿اخبارهُ﴾ انَّ غاية ما اخبرهُ القدماء عن هدبة ما جرى بينهُ وبين صهرهِ زيادة ابن زيد من الخلاف والضغائن التي افضت بهِ الى قتل زيادة والى ما لحقهُ هو من القصاص بسببهِ فأُقيد بهِ على موجب سُنَن البادية وهي بئس السنن

امَّا تفاصيل هذه الرواية المشؤومة فقد وردت في عدَّة تآليف كالاغاني (٢١ : ٢٦٤ — ٢٧٠) وشرح الحماسة (٢٣٢—٢٣٦) وكامل المبرّد (٧٦٥—٧٦٨) وغيرهم مختصرها عنهم. روى ابو الفرج (ص ٢٦٥) عن عيسى بن اسمعيل: كان اوَّل ما هاج الحرب بين بني عامر بن عبدالله بن ذبيان وهم رهط هدبة وبين بني رَقاش وهم بنو

قرّة بن خِنْبِس بن عبدالله بن ذبيان وهم رهط زيادة بن زيد انَّ حوطاً بن خَشْرم اخا هدبة راهنَ زيادة بن زيد على جمَلَيْن من إبلهما وكان مَطْلَقُهما من الغاية على يوم وليلة وذلك في القيظ فتزوَّدوا المـاء في الرَّوايا والقِرَب . وكانت اخت حوط سلمى بنت خشرم تحت زيادة بن زيد فمالت مع اخيها على زوجها فوهَنت اوعية زيادة ففنيَ ماؤه قبل ماء صاحبِه ففي ذلك يقول زيادة :

قـد جعلَتْ نفسِيَ في أديمِ ... مُحرَّمِ الدِباغِ ذي هُزومِ (١
ثمَّ رَمَت في عُرُضِ الدَّيْمومِ ... في بارِحٍ من وَهَجِ السَّمومِ
عند اطّلاعِ وَهْجةِ النُّجومِ

وقال زيادةُ ايضاً :

قـد عَلمتْ سَلْمةُ بـالعَميسِ ... ليـلةَ مَرْمارٍ ومَرْمَريسِ (٢
أنَّ ابـا المِسْوَرِ ذو شريسِ ... يشفي صُداعَ الأبْلجِ الدِلَّيسِ (٣

(قال) فكان ذلك اوَّل ما أثبتَ الضغائن بينهما

ثمَّ انَّ هُدْبة وزيادة اصطحبا وهمـا مقبلان من الشام في رَكْبٍ من قومهما . فكانا يتعاقبان السَّوق بالابل وكانت مع هدبة اختهُ فاطمة فنزل زيادة وقال رجزًا اوَّلهُ : « عوجي علينا واَرْبَعي يا فاطماً » فغضب هدبة حين سمع زيادة يرتجز بأُختهِ فنزل وارتجز باخت زيادة وكان اسمها امّ الحازم وقيل امّ القاسم . فشتمهُ زيادةُ وسبَّهُ هدبة فصاح بهما القوم ووعظوها حتى امسك كلّ واحد منهما على ما في نفسهِ وهدبة اشدُّهما حنقاً لانهُ رأى انَّ زيادة رَجزَ باختهِ وهي تسمعُ واختُ زيادة غائبة لم تسمع رجزهُ فمضيا ولم يتحاوروا بكلمةٍ حتى رجعا الى عشائرهما

ثمَّ زاد حنقُ رهطِ هدبة اذ سمعوا أَذرع اخا زيادة يرجز بزُفَر عمّ هـدبة فلم يزالوا يترَصَّـدونهُ حتى خلَوْا وضربوهُ الحـدّ ضرباً مبرّحاً فراح بنو رقاش وقـد اضمروا الحرب

---

١) قال اليزيدي: المحرَّم الذي لم يُدبَغ. والهزُوم الشقوق
٢) المِسْوَر ابنُ زيادة فتكنَّى بهِ ابوهُ
٣) العميس موضع . ويروى: الخَميس والحميس. والمَرْمار والمرمريس الشدَّة والاختلاط

امّا زيادة وهُدبة فجعلا يتهاديان الاشعار ويتفاخران ويطلب كلّ واحد منهما العلوّ على صاحبهِ في شعرهِ . فممّا قالهُ زيادة قصيدة اوّلها :

أراكَ خليلًا قد عزمتَ التجنُّبا وقطّعتَ حاجاتِ الفؤادِ فأصحَبا

وفيها يقول متفاخرًا :

انا ابنُ رَقاشٍ وابنُ ثعلبةَ الذي بنى هاديًا يعلو الهَواديَ أغلبا
بنى العزُّ بُنيانًا لقومي فَاصبحُوا بأسيافهم عنهُ فأصبحَ مُصعَبا
فما إن ترى في الناس امًّا كأُمّنا ولا كأبينا حين ننسُبُهُ أبَا
أتمَّ وأنمى بالبنينَ الى العُلى وأكرمَ منّا في المناصب منصبا (١
ملَكْنا ولم نُملَكْ وقُدْنا ولم نُقَدْ كأنَّ لنا حقًّا على الناس ترْتَبا
بآيةِ أنّا لا نرى متوجّهًا من الناس يعلونا اذا ما تعصّبا
ولا مَلِكًا الّا اتّقانا ءاكبِهِ ولا سوقةً إلّا على الخَرْجِ أتْعبا
ملَكْنا الملوك واستبَحْنا حِماهمُ وكنّا لهم في الجاهليّةِ موكبا
نَدامى وأرْدافًا فلم ترَ سوقةً تُوازنُنا فاسْئَل ايادًا وتغلبا (٢

ولمّا لجّ الشرّ بين رهط هُدبة ورَهط زيادة قال قوم لزيادة لهُ : اهجُ هُدبة وقومهُ . فقال : اني لم ابسط لساني على قوم قطّ الّا جهدوا على تَبلي (ويروى : قَتلي)من شدّة هجائي ولكن انطلقوا لنضربهُ . فخرج زيادة في رهط قومهِ فيهم اخوهُ نفّاع يطلبون هُدبة فوجدوا الحيَّ خُلوفًا ووجدوا هدبة واباهُ خشرمًا فضربوهما بسيوفهم فاصاب خشرمًا شجّاتٌ في رأسهِ ووقع بذراع هدبة حزٌّ وضرب نفّاع برجلهِ ريحانة امّ هدبة فقال قائلهم :

شجَجْنا خَشْرمًا في الرأس سبعًا وخدّعْنا هُدَيْبةَ اذ هجانا
كذاك العبدُ انَ العبد يومًا اذا وَقّفْتَهُ بالسيف لانا

فاجابهُ هُدبة (من الوافر) :

وانَّ الدهرَ مؤتَنفٌ طويلٌ وشرُّ الخيلِ اقصرُها عنانا

---

١) ويروى : أوفى . . . في المناسبِ منسبا
٢) ويروى : فلم تك سوقةٌ . . فاسئل زيادًا

وليس اخو الحروب بمن اذا ما مرتْهُ الحربُ بعدَ العَصْب لانا

ثمَّ انَّ هدبة جمع رهطاً من قومهِ واصحابهِ فقصدوا لزيادةَ وكانت ريحانة ام هُدبة نهَتْهُ عن الخروج فلم يَنْتَهِ واتوهم ليلًا في وادٍ يقال لهُ خَشُوب وزيادةُ وابياتُهُ على ماء يُدعى سَخنة فمضوا حتى بيَّتوا زيادة فلمَّا غشَوْهُ جعل يرتجز ويقول وفي رجزه اشارة الى دين هدبة وقومهِ :

من اينَ جاءت عاير القُبوحِ لا مرحباً بأمَّة المسيحِ
لن تقبلوا العَقْل مع الفضوحِ ولن تُبيحوا الحيَّ في سَريحِ
حتى تَذوقوا خُدُبَ الصفيحِ (١

وجعل نفَّاع اخوهُ يرتجز ويقول :

اني اذا استخفى الجبانُ بالخَدَرْ وكان بالكفِّ شهابٌ كالشَرَرْ (٢
صَدْقُ القناة غير شعشاع العَذَرْ حمَّالُ ما حُمّلتُ من خيرٍ وشرّ

وهي طويلة ثمَّ التقى هُدبة وزيادة فضرب هدبة زيادةَ فأطنَّ داغضَةَ رجلهِ اي عَضَلتها فاعتمد على رمح وجعل يُذبّب بسيفهِ عن نفسهِ حتى غشيَهُ هدبة فصرعهُ وزعموا انَّ زيادة جدَعَ انفَ هدبة في تذبيبهِ عن نفسهِ وضرب القوم زيادةَ حتى ظنُّوا انهم قد اجهزوا عليهِ . ثمَّ اتوا منزل أدْرَع اخي زيادة فصوَّتوا بهِ فخرج عليهم فحاضرَهم ونجا منهم فقال هدبة :

وكانت شِفاء النفس ممَّا أصابها غداتئذٍ لو نلتُ بالسيفِ أدْرَعا
واقسمُ لو ادركتُهُ لكسوتُهُ حُساماً اذا ما خالطَ العظمَ أمْرعا

ثمَّ رجع الى زيادة فوجدهُ صريعاً بين النساء فضرب عاتقهُ بالسيف حتى خرجت الرئة من بين كتفيه. فانصرف الى اهلهِ فأخبرهم وشبَّت الحرب بين الحيَّين ونأى كلّ واحد منهما عن صاحبهِ

---

١) الخُدُب الضرب الشديد. ضربة خدباء ورجل اخدب اذا كان فيهِ هوَج
٢) قال الشارح : الخَدَر المكان المظلم فسمّي يوم الغيم اليوم الخدر

ثمَّ تنحّى هدبة مخافة السلطان واستعدى اصحابُ زيادة عليهِ والعاملُ على المدينة يومئذٍ سعيد بن العاص فارسل الى ابي نُمير عمّ هدبة واهلهِ فحبسهم بالمدينة . فلمَّا بلغ هدبة ذلك اقبلَ فأمكن من نفسهِ وتخلَّص عمَّهُ واهلهُ

﴿هدبة في الحبس﴾ امر سعيد بن العاص بهدبة الى الحبس فلمَّا دخلهُ قال (من الوافر) :

أَلا نَعقَ الغرابُ عليك ظُهرًا ... أَلا مِن فيك من ذاك الترابُ

يخبّرنا الغرابُ بان ستنأَى ... حبائبُنا فُقِدْتَ يا غرابُ

وقال ايضاً يذكر عرسهُ (من الطويل) :

ولمَّا دخلتُ السجنَ يا امَّ مالكٍ ... ذكرتُكِ والاطرافُ في حَلَقٍ سُمرِ

وعند سعيدٍ (١ غير أن لم أَبُحْ بهِ ... ذكرتُكِ انَّ الامر يُذكر بالامرِ

وقال ايضاً يعلل نفسهُ بالخلاص (وافر) :

عسى الكَرْبُ الذي امسيتُ فيهِ ... يكون وراءهُ فرجٌ قريبُ

فيأمنَ خائفٌ ويُفكَّ عانٍ ... ويأتي اهلَهُ النائي الغريبُ

وبقي هدبة في حبسهِ وسعيد بن العاص يكرهُ الحكم بين الحيَّين فرفع امرهما الى معاوية وبعث معهم بهُدْبة فوفد الى معاوية وَفْدُ بني رَقاش وفيهم عبد الرحمان بن زيد اخو القتيل . ووفد بني عامر وفيهم ابو جبر عمّ هدبة . فلمَّا صاروا بين يدي معاوية قال لهُ عبد الرحمان اخو زيادة : يا امير المؤمنين اشكو اليك مظلمتي وقتل اخي وترويع نسوتي . وتكلَّم ابو جبر كأنهُ يردُّ عليهِ فقال معاوية لهُدبة : أخبرني خبرَك . فقال هدبة : ان شئتَ أن اقصَّ عليك قصّتنا كلاماً او شعرًا فعلتُ . قال : أنشدني فعسى ان استغني عن قصصك بشعرك . فقال هدبة هذه القصيدة مرتجلًا بها

---

١) سعيد المذكور هنا رجلٌ كان حسن الثغر جدًّا فذكر بهِ ثغرَ زوجتهِ

ولمعبدٍ غناءٌ في بيتَيها الاوَّلين (من الطويل) :

أَلا يا لَقومي(١ للنوائب والدهرِ ... وللمرء يُرْدي نفسَهُ وهو لا يدري
وللأرض كم من صالحٍ قد تأَكَّمَتْ(٢ ... عليـهِ فوارتْـهُ بلمَّاعـةٍ قَفْرِ
فـلا تتَّقي ذا هيبةٍ لجـلالـهِ ... ولا ذا ضَياعٍ هنَّ يُترَكنَ للفقرِ

ومنها :

فلمَّـا رأيتُ انهـا هي ضربـةٌ ... من السيفِ او إغضاءُ عينٍ على وِترِ
عَمـدتُ لامرٍ لا يُعيّر والـدي ... خزَايتَـهُ ولا يُسَدُّ بهِ قبري (٣
وكم نَكْبةٍ لو انَّ أَدْنَى مُرورِهـا ... على الدهر ذلَّت عندها نُوَبُ الدهرِ
فان تكُ في اموالنا لا نَضِقْ بها ... ذِراعاً وان تُقسِر أَبَيْنا على القَسْرِ (٤
وان يكُ قتلٌ لا أَبا لك نَصْطَبرْ ... على القتْل انَّا في الحروب أُولو صَبْرِ
رُمينا فرامَيْنـا فصادَفَ رَمْيُنا ... مَنايا رجالٍ في كتابٍ وفي قَدْرِ
وانتَ اميرُ المؤمنينَ فما لنـا ... وراءكَ من مَعْدًى ولا عنك من قَصْرِ

فقال لهُ معاوية : اراك قد أقررت بقتل صاحبهم . قال : هو ذاك . فقال عبد الرحمان : أَقِدْني . فكره ذلك معاوية وضنَّ بهدبة عن القتـل فقال معاوية لعبد الرحمان : هل لزيادة ولد ؟ قال : نعم المِسْوَر وهو غلامٌ صغير لم يبلغ وانا عمُّهُ ووليُّ دم ابيهِ . فقال : «انك لا تؤمَن على اخذ الدِّية او قتْل الرجل بغير حقّ أَو ما عليك ان تشفي صدرك وتحرم غيرك والمِسْور احقُّ بدم ابيهِ اذا احتلم فان شاءَ قتَلَ وان شاء أَخذ العَقْل» . ثمَّ كتب الى سعيد في المدينة ان يحبس هدبةَ الى ان يبلغ ابن زيادة فضمَّنهُ السِجن

١) ويروى : لَقَومِ ٢) ويروى : قد تودَّأت وتلمَّأت

٣) ويروى : ولا تعير . الخَزاية الاستحياء . اي لا يأنف منهُ ولا يخزى

٤) ويروى : وان صبرٌ فنصبر للصبر

وتربّص بلوغ المِسْور بن زيادة فمكث في السجن ثلاث سنين وقيل ستًّا وقيل سبعاً . وقال هدبة في السجن اشعارًا كثيرة منها ما رُوي عنهُ ومنها ما ذهب . ولمَّا شخص هدبة الى المدينة فحُبس بها قالت أمُّهُ :

أيا إخوتي اهلَ المدينة أكرِموا اسيرَكُمُ انَّ الاسيرَ كريمُ
فرُبَّ كريمٍ قد قراهُ وضاقهُ ورُبَّ امورٍ كلُّهُنَّ عظيمُ
عصا جُلُّها يوماً عليهِ فراضَهُ من القوم عَيَّافٌ أَشَمُّ حليمُ

قال ابو الفرج : فأرسل هدبةُ عشيرتهُ الى عبد الرحمان في اوَّل سنةٍ فكلَّموهُ في قبول الدية فامتنع قائلًا :

أبعدَ الذي بالنَّعْفِ نعفِ كُوَيكبِ رهينةِ رمسٍ في تراب وجندلِ
أُذَكَّرُ بالبُقيا على من أصابني وبُقياي انّي جاهدٌ غيرُ مُؤتلِ

فرجعوا الى هدبة بالابيات فقال : لم يؤيسني بعد . فلمَّا كانت السنة الثالثة . بلغ المِسْور فارسل هُدبة الى عبد الرحمان من كلَّمهُ فأنصتَ حتى فرغوا ثمَّ قام مغضباً وانشأ يقول :

سأكذبُ اقواماً يقولون انني سآخذ مالًا من دمٍ انا واترُهْ
فاقسمُ لا انسى زيادةَ مرةً من الدهر الَّا ريثما انا ذاكرُهْ
وكان ابنُ امّي لم يُعَيَّر بسوءةٍ ولا دَنَسٍ جرَّبتُ فيما أعاشِرُهْ

وقال ايضاً :

يُعزّي عن زيادةَ كلُّ صاحٍ (١ خَليٍّ لا تأَوَّبُهُ الهمومُ
وكيف تجلُّد الادنَيْنَ عنهُ ولم يُقتَل بهِ الثارُ المُنيمُ
فلو كنتُ القتيلَ وكان حيًّا تجرَّدَ (٢ لا ألَفٌّ ولا سؤومُ
ولا جثَّامةٌ في الرحل مثلي ولا ضرعٌ اذا أمسى نؤومُ
ولا هيَّابةٌ بالليل نِكسٌ ولا وَرِعٌ اذا يلقى جَشُومُ
غشومٌ حين يبصر مُستقادًا وخيرُ الطالبي الوتر الغَشُومُ

ونهض فرجعوا الى المدينة فاخبروهُ الخبر فقال : الآن يئستُ منهُ . وقيل انَّ سعيد

١) ويروى : تعزَّى كلُّ مولًى ٢) ويروى : ولو كنتُ المصاب . . . لشمَّر

ابن العاص وعده ُ بمائة ناقة حمراء كدية هدبة فلم يقبل وقــال : ولو ملأتَ لي قبّتك هذه مالاً ما فديتُهُ لقولهِ (من البسيط) :

لَنَجْدعنَّ بايدينا أُنوفَــكُمُ ويذهبُ القتلُ فيما بيننا هدَرَا

فسلّمهُ اليهِ

قال شارح الحماسة (ص ٢٣٥) والمبرّد في الكامل (ص ٧٦٥) : فمكث هدبة في السجن ما شاء الله ان يمكث حتى ادرك المِسْور بن زيادة . وجعل عمّهُ عبد الرحمان بن زياد يقدم المدينةَ فيكلّمهُ القرشيُّون وغيرهم وكان اهل المدينة رقُّوا لهدبــة لوفائهِ وشعرهِ وانّهُ اوّل مصبور رأوهُ في المدينة بعد زمن النبي صلعم وأضعفوا لهُ (وقيل للمِسْور) الدِّيةَ حتى بلغت عشر دِيات . وكان ممَّن عرض عليهِ الديات الحسين بن عليّ ابن ابي طالب وعبدالله بن جعفر وعبدالله بن عمر بن الخطّاب وسعيد بن العاص وعمرو ابن عثمان بن عفّان ومروان بن الحكم وسائر القوم من قريش . فأبى الّا القوَد

وروى في الاغاني (٢١ : ٢٨٠) انَّ جميل بن معمر العُذْري دخل على هدبة السجن وهو محبوس بدم زيادة بن زيد واهدى لهُ بُردَيْن من ثيابهِ كساهُ ايَّاهما سعيد بن العاص وجاءهُ بنفقةٍ . فلمَّا دخل اليهِ عرض ذلك عليهِ وسالهُ ان يقبلَهُ منهُ . وكان جميل هجا قومهُ بني عامر فردَّ هديَّتهُ قائلًا : خُذْ بُرْديك ونفقتك فاليك عنّي . فخرج جميل فلمَّا صار في باب السجن خارجاً قال : اللهمَّ أغنِ عني أَجدَعَ بني عامر . (قال) وكانت بنو عامر قد قلّت فحالفت لإياد

﴿موت هدبة بن الخشرم﴾ قال ابو رياش في الحماسة (ص ٢٣٦) : فمات عبد الرحمان في تلك السنين قبل احتلام مِسْور بن زيادة . فلمَّا احتلم خرج بهِ في تلك الليلة الى المدينة . وفي الاغاني ٢١ : ٢٧١) ان عبد الرحمان لم يَمُت بعد قال : « وذهب عبد الرحمان بالمِسْوَر وقد بلغ الى والي المدينة سعيد بن العاص وقيل مروان بن الحكم فأخرج هُدبة » . وفي الحماسة : انَّ اخوان هُدْبة من قُريش ارسلوا اليهِ كفناً وحَنوطاً فأُخرج في سلطان الوليد بن عُتْبة بن ابي سفيان فقال هدبة (من الطويل) :

ألا عَلِّلاني قبــل نَوْحِ النوائحِ وقبلَ اطّلاعِ النفسِ بينَ الجوانحِ (١

(١) ويروى : قبل صدع الصوادع . ويروى : قبل ارتقاء النفس فوق الجوانح

وقبل غَدٍ يا ويل نفسي على غدٍ   اذا راح اصحابي ولستُ برائحِ (١

اذا راح اصحابي تُفيض عيونُهم   وغُودِرتُ في لَحْدٍ عليَّ صفائحي

يقولون هل أَصْلحتمْ لأَخيكمُ   وماالقبرُ في الارضِ الفضاءِ بصالحِ

وقال لمّا خرج الى القوم وفي قولهِ ما يدلُّ على الورع والتقى المسيحيّ (من الطويل) :

أَذَا العَرْشِ انّي لائذٌ بك عائذٌ   من النار ذو بَثٍّ اليك فقيرُ (٢

بغيضٌ اليَّ الظلمُ ما لم أُصبْ بهِ   من الظلم مَشعوفُ الفؤَادِ نفيرُ

واني وان قالوا اميرٌ مسلّطٌ   وحُجَّابُ ابوابٍ لهنَّ صريرُ (٣

لَأعلم انَّ الامر امرُك إن تَدِنْ   فربٌّ وان تَغْفِر فانتَ غَفورُ

وقال الرواة: فلمّا كان في الليلة التي قُتل في صباحها ارسل الى امرأته يستقدمها ليودّعها وكان يحبها وله منها ولدان. فلمّا اتته حادثها وبكى وبكت ولمّا قبَّلها سمعت قعقعة الحديد فاضطربت فتنحّى عنها قائلا (من الطويل) :

لقد زعمتْ امُّ الصبيّين انّني   أفزّ جناني وازدهتني المخاوفُ

وأَدنيتني حتى اذا ما جعلتني   لدى القلب اذ ذاك استقلّك راجفُ

فان شئتِ واللهِ انتهيتُ وانّني   لَأَنْ لا تَريني آخرَ الدهر خائفُ

رأت ساعديَّ غولٌ وتحت ثيابهِ   جآجئ يَدمى حدُّها والحراقفُ

وقيل ان هدبة بعث الى عائشة يقول لها: استغفري لي. فقالت: ان قُتلتَ استغفرتُ لك. قال المبرّد: ولمّا خرج بهِ ليُقاد بالحرة جعل ينشد الاشعار فقالت له حُبَّى المدنيَّة: ما رأيتُ قلباً أقسى منك أَتُنشد الاشعار وانت يُمضَى بك لتُقتَل وهذه خلفك كأنها

١) وقد روى صاحب الحماسة (ص٥٥٨) هذين البيتين لابي الطَّمحان شرقي بن حنظلة القيني

٢) ويروى: اني مسلم بك. ويروى: اني عائذٌ بك مؤمنٌ مُقرٌّ بزلّاتي اليك فقيرُ

٣) ويروى: اميرٌ ونابعٌ وحرّاسُ ابوابِ

ظبيٌ عطشان تولول (تعني امرأتَهُ) . فوقف ووقف الناس معهُ فأقبل على حُبَّى فقال (طويل) :

وجدتُ بها ما لم تَجِدْ أُمُّ واحدٍ ولا وَجْدَ حُبَّى بابن أُمِّ كِلابِ (١

وانّي طويلُ الساعدَيْن شَمَرْدَلٌ على ما اشتهَتْ من قوّةٍ وشَبابِ (٢

فانقمعت حبَّى داخلةً الى بيتها فأغلقت الباب في وجههِ . وقال في الاغاني : لمّا مُرَّ بهدبة على حُبَّى قالت لهُ : في سبيل اللهِ شبابُك وجَلَدُك وشعرُك وكَرمك فقال (من الطويل) :

تَعجّبُ حُبّى من أسيرٍ مُقيَّدٍ (٣ صليبِ العصا باقٍ على الرَّسفَانِ

فلا تَعجَبي منّي (٤ حليلةَ مالكٍ كذلك يأتي الدهرُ بالحدَثانِ

واخبروا انهُ لمّا خرج بهِ صاحب الشرطة ليُقتَل جعل الناس يتعرَّضون لهُ ويَخبرون صبرهُ ويستنشدونهُ . فلقيهُ عبدالرحمان بن حسَّان بن ثابت الانصاري فقال لهُ : أَنشدني يا هُدبة . فقال : أَعلى هذه الحال ؟ قال : نعم فانشدهُ (من الطويل) :

وما أَتصدّى للخليـــل وما أَرى مُريــدًا غِنى ذي الثروةِ المتقطِّبِ

وما أَتبعُ الأَلوَى المُــدَلِّي بودّهِ عليَّ ومـــا أَنأَى من المتقرّبِ

ولا أَتمنَّى (٥ الشرَّ والشرُّ تاركي ولكن متى أُحمَل على الشرّ أَركَبِ

ولستُ بِمِفْراحٍ اذا الدهرُ سرَّني (٦ ولا جازعٍ من صرفــهِ المتقلّبِ

وما يعرفُ الاقوامُ للــدهرِ حقَّهُ وما الدهرُ ممَّا يكرهون بمُعْتِبِ

---

١) ويروى : وما وجدَتْ وَجْدي بها امٌّ ٢) ويروى : رأتهُ طويل الساعدين . . . كما انتعشت . ويروى : كما انبعثت . فالشمَرْدل الحسَن الخَلق وقيل السريع

٣) ويروى : مكبَّل ٤) ويروى : منهُ

٥) ويروى : ما اتبغّى . ويروى : ولستُ بباغي ٦) ويروى : مسني

وللدهر في اهل الفتى وتِلادهِ ... نصيبٌ كحزّ الجازرِ المتشعّبِ
وحرّبني مولايَ حتى غَشِيتُهُ (١ ... متى ما يُحرِّبْكَ ابنُ عمّك تَحْرَبِ

ولمّا قُدِم نظر الى امرأتهِ وكانت من اجمل الناس فدخلتهُ غيرةٌ وقد كان جُدع في حربهم فقال (من الطويل) :

أَقِلّي عليَّ اللومَ يا أمَّ بَوْزَعا ... ولا تَعْجِبي ممّا أصاب فأَوجعا (٢
فإن يكُ أنفي بانَ منهُ جمالُهُ ... فما حسَبي في الصالحينَ بأَجدعا
وما حسَّنَتْ نفسي ليَ العجزَ مُذ بَدَتْ ... نَواجذُها يَمْجُجْنَ سُماً مُسَلَّعا
فلا تَنكحي إنْ فرّق الدهر بيننا ... أَغمَّ القفا والوجهِ ليس بأَنزعا
كليلًا سوى ما كان من حدّ ضِرْسهِ ... لدَى الزادِ مِبْطانَ العشيّاتِ اروعا (٣
ضَروباً بلحيَيْهِ على عَظمِ زَوْرهِ ... اذا الناسُ (٤ هَشُّوا للفَعالِ تقنّعا
أُصَيهِبَ لا يُرْضيك في الحيّ قاعداً ... اذا ما مشى او قال قولًا تَبلّتعا
وحُلّي بذي أُكْرومةٍ وحميّةٍ ... وصبرٍ اذا ما الدهر عَضَّ فأَفجعا (٥
وكوني حبيباً او لأَروعَ ماجدٍ ... اذا ضَنَّ أَعشاشُ الرجال تبرّعا (٦
وليس اخو الحرب الشديدةِ بالذي ... اذا زبنَتْهُ جاء (٧ للسِلْم أَخضعا
ولكن اخو الحرب الحديدُ سلاحُهُ ... اذا حمّلتْهُ فوق حالٍ تشجّعا
أخو الحرب لا ينآدُ للحرب مَتْنُهُ ... ولا يُظهر الشكوى اذا كان مُوجعا

١) ويروى : خشيتهُ
٢) ويروى : ولا تجزعي . . . وأوجعا ٣) ويروى : من جدّ ضَرْسهِ أُكَيبِدَ مبطان العشيّة . ويروى : أُعَيبِد مبطان الضحى ٤) ويروى : اذا القوم ٥) ويروى : عضَّ فاسرعا . . ويروى : فاوجعا ٦) ويروى : وكوني حنيناً . جاهدٍ . . . اوباش الرجال
٧) ويروى : اذا ربقَتْهُ كان

رَكوبٌ على أثباجها(١ متخوفٌ لعوراتها حتى اذا الثقلُ أضلعا

وختمها بقولهِ :

فانَّ التُّقى خيرُ المَتاعِ وانَّما نصيبُ الفتى من مالهِ ما تمتَّعا

فأدركهُ عبد الرحمان بن حسَّان فقال لهُ : يا هدبة تأمرني ان اتزوَّج هذه بعدك (يعني زوجتهُ وهي تمشي خلفهُ) . قال : نعم ان كنت من شرطها . قال : وما شرطُها . فكرَّر عليهِ الابيات . فمالت زوجتهُ الى جزَّار فاخذت شفرتهُ فجدَّعت بها أنفها وجاءتهُ تَدمى مجدَّعةً . فقالت : أتخاف ان يكون بعد هذا نكاح ؟ (قال) فرسف في قيودهِ وقال : الآن طاب الموت . وقيل انها فعلت ذلك بحضرة مروان وقالت لهُ : انَّ لهدبة عندي وديعةً فأمهلهُ حتى آتيهُ بها . فقال : اسرعي فانَّ الناس قد كثُروا . وكان جلس لهم بإزاء دارهِ فمضت الى السوق وانتهت الى قصَّاب وقالت : اعطني شفرتك وخذ هذين الدرهمين وانا اردُّها عليك . ففعل فقرُبت من حائط وارسلت ملحفتها على وجهها ثمَّ جدَّعت أنفها من اصلهِ وقطعت شفتيها ثمَّ ردَّت الشفرة واقبلت حتى دخلت بين الناس وقالت : يا هدبة اتراني متزوّجة بعد ما ترى . قال : لا . الآن طاب الموت

ثمَّ خرج يرسف في قيودهِ فاذا هو بابوَيه يتوقَّعان الثكل وهما بسوء حال فأقبل عليهما وقال معرباً عن رجائهِ بالآخرة (من الخفيف) :

أَبلِيَاني اليومَ صبرًا منكما انَّ حزناً إنْ بدا باديءُ شرٌ(٢

لا أُراني اليوم الَّا ميِّتاً (٣ انَّ بعد الموت دارَ المستقرّْ

إصبِرا اليوم فاني صابرٌ كلُّ حيٍّ لقضاء (١ وقدَرْ

قال في الاغاني : فدُفع هدبة الى عبد الرحمان اخي زيادة ليقتلهُ فاستأذنَ في ان

١) ويروى : وحوبٌ على اثناجها

٢) ويروى : انَّ حزناً فلكما اليوم يسرّ ٣) ويروى : ما اظنُّ الموتَ الَّا هيّناً

٤) ويروى : لفناء

يصلي ركعتين فأذن لهُ فصلاهما وخفَّف ثمَّ التفت الى من حضر فقال : لولا أن يُظنّ بي الجزَع لأطلتُهما فقد كنتُ محتاجاً الى إطالتهما. ثمَّ قال لأهلهِ انهُ بلغني انَّ القتيل يعقل ساعةً بعد سقوط رأسهِ فإنْ عقلتُ فاني قابضٌ رجليَّ وباسطها ثلاثاً. ففعل ذلك حين قُتل. وقال قبل ان يُقتَل (من الطويل) :

إن تقتلوني في الحديد فانَّني قتلتُ اخاكم مطلقاً لم يُقيَّدِ

فقال عبد الرحمان اخو زيادة: والله لا قتلتُهُ الّا مطلَقاً من وثاقهِ فأُطلق فقام اليهِ وهزَّ السيف ثمَّ قال :

لقد علمَتْ نفسي وانت تعلمُهْ لأقتلنَّ اليومَ من لا ارحمُهْ

ثمَّ قتلهُ. هذه رواية من لم يقل بموت عبد الرحمان. امَّا حمَّاد الرواية فقال انَّ الذي تولّى قتلَهُ المِسوَر دفع اليهِ عمُّهُ السيف وقال لهُ: قم فاقتل قاتل ابيك. وفي كامل المبرّد (ص ٧٦٧) انَّ هدبة قال لابن زيادة: أَثبتْ قدميك وأجدِ الضربةَ فاني ايتمتُكَ صغيرًا وراملتُ امَّك شابَّةً ... ما اجزعُ من الموت. وفي شرح الحماسة (ص ٢٣٦) : انهُ لمَّا برك للقتل قامت امرأة زيادة امّ المسوَر فسأَلت السيف ثم قالت لابنها: اضرب بابي انت وامّي. فضربهُ ضربةً أبانت رأسهُ. وفي الاغاني : فضربهُ ضربتين فقتلهُ بهما. ووثب رهطُ هُدبة فنحّوهُ عنهُ حتى دُفن. فقال واسع اخوهُ يرثيهِ (من البسيط) :

يا هُدْبَ ياخيرَ فتيان العشيرةِ مَنْ يُفجَعْ بمثلك في الدنيا فقد فُجِعا

الله يعلمُ أني لو خشيتُهمُ أَوْ اوجسَ القلبُ من خوفٍ لهم فزَعا(١)

لم يقتلوهُ ولم أُسلِمْ اخي لهمُ حتَّى نعيشَ جميعاً او نموتَ معا (٢)

﴿رتبتهُ بين الشعراء﴾ قال ابو الفرج في الاغاني (٢١ : ٢٦٤) «هدبة شاعر فصيح متقدّم من بادية الحجاز وكان شاعرًا راويةً كان يروي للحطيئة .. وكان جميل

١) ويروى : احسنَ القلب . ويروى : اوسعَ القلب . . . جزعا

٢) هذه الابيات تمثّل بها ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن عليّ بن ابي طالب لمَّا بلغهُ قتل اخيهِ محمَّد (الاغاني)

(ابن معمر) راوية هُدْبة » وقد افادنا ابن النديم في الفهرست (ص ٧٨ و ١٥٩) انَّ السكّري «عمل اشعار جماعة من الفحول» ذكر من جملتهم «هُدْبَةَ بن الخشرم» وصهرهُ «زيادة بن زيد» ولا بُدَّ ان يكون ديوانهما مفقودًا. ومما رُوي عن مروان بن ابي حفصة وعن حمّاد الراوية قولهما (الاغاني ٢٧٥) «كان هُدبة اشعر الناس منذ دخل السجن الى أَن أُقيد » وفي قولهِ هذا شاهد على ما قيل بانَّ اشعر الشعر ما أَنشدهُ صاحبهُ متجرّدًا عن الغايات مندفعاً اليهِ بعواطف غريزتهِ . وحدَّث مُصعَب الزبيري قال: «كنَّا بالمدينة اهل البيوتات اذا لم يكن عند احدنا خبرُ هُدبةَ وزيادةَ واشعارهما ازدريناهُ وكنَّا نرفع من قَدْر اخبارهما واشعارهما ونُعجَب بها » . وقد امكن القرَّاء ان يستدلُّوا على شعرهِ المطبوع في ما مرَّ من اخبارهِ وها نحن نضيف اليهِ ما وجدناهُ متفرّقًا في كتب الادباء لئلّا تأخذهُ يدُ الضياع . فمن ذلك ما رواهُ ابو تمّام في حماستهِ (من الوافر) :

إنّي من قُضاعةَ مَنْ يَكِدْها … أَكِدْهُ وهي منّي في أمانِ

ولستُ بشاعر السَّفساف فيهمْ … ولكن مِدْرَهُ الحَرْبِ العَوانِ (١

سأهجو مَنْ هجاهم من سِواهمْ … وأَعرِضُ منهمُ عمَّن هجاني

ومن جيّد شعرهِ قصيدتهُ البائيَّة التي قالها في الحبس جمعناها من كتب مختلفة كأمالي القالي (١ : ٧٢) والحماسة البصريّة (ص٣٧) وخزانة الادب (٤ : ٨٢—٨٣) (من الوافر) :

طَرِبْتَ وانت احياناً طَروبُ … وكيف وقد تعلّاك (٢ المشيبُ

يُجِدُّ النأيُ ذكرَكِ في فؤادي … اذا ذَهِلَتْ على النأيِ (٣ القلوبُ

يُؤَرّقني اكتئابُ ابي نُمَيرٍ (٤ … فقلبي من كآبتهِ كئيبُ

١) السَّفْساف ما لا خيرَ فيهِ من الافعال والاقوال . والمِدْرَه السيّد الذي يُدفَع بهِ الشرّ فيَنظم امور الحرب ٢) ويروى : تفشّاك ٣) ويروى : عن النأي

٤) قال اللخميّ : ابو نمير ابنُ عمّهِ كان مسجونًا معهُ . وقيل رجل من قرابتهِ كان يزورهُ في حبسهِ

فقلتُ لهُ هداكَ اللهُ مهلًا ... وخيرُ القولِ ذو اللُّبِّ اللبيبُ (١
عَسَى الكَرْبُ (٢ الذي أمسيتُ فيهِ ... يكونُ وراءَهُ فرَجٌ قريبُ
فيأمَنَ خائفٌ ويُفكَّ عانٍ ... ويأتي اهلَهُ الرجلُ الغريبُ
ألا ليتَ الرياحَ مُسخَّراتٌ ... بحاجتنا تباكِرُ (٣ او تؤوبُ
فتخبِرَنا الشَّمالُ اذا أتتنا ... وتُخبِرَ اهلَها (٤ عنَّا الجَنُوبُ
بأنَّا قد حَلَلْنا دارَ بَلْوى ... فتخطئُنا المنايا او تُصيبُ (٥
وقد عَلِمَتْ سُلَيمَى أنَّ عُودي ... على الحَدَثانِ ذو أيدٍ صَليبُ
وأنَّ خليقتي (٦ كرمٌ وأني ... اذا أبدَتْ نواجذَها الحروبُ
أُعِينُ على مكارِمِها وأغشَى ... مكارِهَها اذا كعَّ الهَيوبُ (٧
وقد ابقى الحوادثُ منك ركناً ... صليباً ما تؤيِّسُهُ الخطوبُ
واني في العظائمِ ذو غَناء ... وأُدعى للفَعال (٨ فأستجيبُ
وأني لا يخافُ الغدرَ جاري ... ولا يَخشَى غوائليَ القريبُ
وكم من صاحبٍ قد بانَ عنّي ... رُميت بفقدِهِ وهو الحبيبُ
فلم أُبدِ الذي تحنو ضُلوعي ... عليهِ وانّي لأَنا الكئيبُ
مخافةَ ان يَراني مُستكيناً ... عدوٌّ او يُساءُ بهِ قريبُ
ويَشمَتَ كاشحٌ ويَظُنَّ أني ... جَزوعٌ عند نائبةٍ تنوبُ

١) ويروى: ذو البَهج المصيبُ
٢) ويروى: الهمُّ
٣) ويروى: لحاجتنا تُراوح
٤) ويروى: فتُبلغنا الشمالُ اذا نأينا وتبلغ اهلنا
٥) ويروى: فانّا قد نزلنا . . . المنيّةُ
٦) ويروى: خلائقي
٧) ويروى: اذا هاب الهَيُوب
٨) ويروى: وادعى للسَّماح

فبَعْـدكَ سَدَّتِ الاعـداءُ طُرْقاً | اليَّ ورابَـني دهرٌ يُريبُ
وانكرتُ الزمـانَ وكلَّ اهلي | وهرَّتني لغَيبَتِـك الـكَليبُ
وكنتَ تُقطِّع الابصـار دوني | وان وغَرَتْ من الغيظِ القلوبُ
على انَّ المنيَّـة قـد تُوافَى | لوقتٍ والنوائبُ قـد تَنُوبُ
فان يكُ صدرُ هـذا اليومِ ولّى | فـانَّ غـدًا لنـاظرهِ قريبُ

وممَّا رواهُ لهدبة في الحماسة البحتريَّة (ع ٢٤) قولهُ (من الطويل) :

مشيتُ البَراحَ للرجال شبيبتي | الى ان عَـلَتْني كَبْرَةٌ بمَشيبِ
فلا تَفْغَروا افواهكم إنَّني شجاً | الى الحَلْقِ والأضراسِ غيرُ حبيبِ
لَعمريَ ما شَتْمي لكم ان شتمتُكم | بسِرٍّ ولا مَشْيي لكم بـدَبيبِ
ولا وُدُّكم عندي بعلْقِ مَضَنَّـةٍ | ولا شرُّكم عندي بجَـدٍّ مَهيبِ
فَمِلاّنَ عـاجَلْتم رياضـةَ مُصْعَبٍ | مُدِلٍّ عسيرِ الصُّلْب غيرِ رَكُوبِ
وقـاسيتُمُ غَرْباً يَمُـدُّ عِنـانَهُ | كغَرْبِ الفُراتِ جاشَ يومَ جَنُوبِ

ومن روايتهِ فيها (ع ٨٨١و١٣٨٨) (من الطويل) :

وبعضُ رجاء المرء ما ليس نائلًا | غَناءً وبعضُ الناسِ(١) أعفى وأرْوَحُ
وآخِرُ ما شيءٍ يَغُولُك والـذي | تقـادَمَ تنساهُ وان كان يَفْدَحُ

وقد روى ايضاً (ع ١٠٤) وكذلك في اصلاح المنطق(ص١٦٢)(من الطويل) :

وكَـذَّبَ قَولَ العائبينَ سَماحتي | وصبري اذ ما الامرُ عُضْرٌ فَأضجرا

---

١) ويروى : عناء وبعض اليأسِ

وانّي اذا مـا الموتُ لم يكُ دونهُ مَدى الشِبْر(١ أَحمي الأنفَ أن اتأخّرا

وفيها يقول :

وأبيضَ يُستَسقى الغَمامُ بوجهـهِ اذا اُختيرَ قالوا لم يَقُلْ مَنْ تَخَيَّرا

من الرافعينَ الهمَّ للذكر والعُلى اذا لم يَبُؤْ الّا الكريمُ ليُـذْكَرا

رُزِينـا فـلم نُعثِرْ لِوَقْعتهِ بنـا ولو كان في حيٍّ سِوانا لأَعثَرا

ومـا دهرُنا إلّا يكونُ أَصابنـا بنَفـلٍ ولكنّـا رُزِينـا لنَصْبِرا

وروى لهُ ايضاً (ع ١٣٦٧) في ذمّ المزح قولهُ (من الطويل) :

وربَّ كلامٍ قد جرى من مُمازحٍ فساقَ اليهِ سَهمَ حَتْفٍ فعجّـلا

فدَعْ عنكَ قُربَ المَزْحِ لا تَقرَبنَّهُ كفى بامرئٍ وعظاً اذا ما تكهّلا

ومن روايته ايضاً (ع ١٧٣) في استطابة الموت قولهُ (من الطويل) :

مَضى قُدُماً يَدعو الحياةَ عَنـاهُ ويدعو الوفاةَ الخُلدَ ثَبْتٌ مُواقِفُ

ومن البحر والقافية ما جاء في احد مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة يصف عفافـهُ (ص ٢٦) :

واني لَأُخلي للفتـاةِ فِراشَهـا وأُكثرُ هجرَ البيتِ والقلبُ آلِفُ(٢

حَذارى الرّدى اوخِشيَةً أن يَجُرَّني الى مَوقِفٍ أُرمى بهِ او أُقاذَفُ

ومما رواهُ لهُ ايضاً (ع ٥٣٧) (من الطويل) :

صَبورٌ على مكروهِ ما يَجشَمُ الفتى ومرٌّ اذا تُبغَى المَرارةُ مُمقِرُ

١) ويروى : قِدى الشبر . القيد والقاد والقِدَى القَدْر

٢) ويروى : وأَصرم ذات الدَّلّ والقلبُ والهُ . ويروى بعد هذا البيت :

يظَلُّ بهـا الهادي يقلّبُ طَرْفَـهُ من الهول يدعو وَيْلهُ وهو رعِفُ

وجاء لهُ في مبادئ اللغة للاسكافي قالهُ وهو سائر الى الموت (من الوافر) (ص ٥١) :

أَشدُّ قِبالَ نَعْلِي لا يراني عدوِّي للحوادث مستكينا

وفي كتاب مجموع اللفيف (Ms de Paris, 3388, ff. 168^r) لهدبة يصف ديكاً صاح في غير وقت الصبح فلمّا رأى الليل كفّ عن الصياح (من الطويل) :

ومستَجْذِلٍ يدعو الصباحَ وقد رأى عَرانِينَ مشهورٍ من الصبح أَبْلقا
الى غير هَيْجاء ضَحَتْ غير انهُ دجا فوقَهُ ليلُ التِّمامِ فأَطْرقا

ومما رواهُ ابو علي القالي في اماليهِ (٢ : ٢٠٦–٢٠٧) في وصيَّة عبدالله بن شدَّاد لابنهِ محمَّد قولهُ : « اي بُنَيَّ : اذا احببتَ فلا تُفرط واذا ابغضتَ فلا تُشطِط . . . وكن كما قال هدبة بن الخشرم العذري (من الطويل) :

وكُنْ مَعْقِلًا للحِلْم واصفَحْ عن الخَنا فانَّك راءٍ ما حَيِيتَ وسامعُ
وأَحْبِبْ اذا احببتَ حبًّا مُقارباً فانك لا تدري متى انت نازِعُ
وأَبْغِضْ اذا ابغَضْتَ بُغْضاً مُقارباً فانَّك لا تدري متى أنتَ راجعُ

فترى من هذه الامثلة ما طُبع عليهِ هدبة من البلاغة وجودة القريحة والتفنُّن في المعاني . وعسى ان يعثر احد الادباء على نسخة من ديوانهِ فيغني بنشرها آثار لغتنا القديمة

٢ موسى بن جابر

﴿ اصلهُ ونسبهُ ﴾ هو موسى بن جابر احد شعراء بني حَنيفة اهل اليمامة . روى صاحب الاغاني (١٠ : ١١٣) ان مِسْمع بن مالك قسم سائر بطون بكر بن وائل على جُذْمَيْن جذمٍ يقال لهُ الذُّهلان وجذمٍ يقال لهُ اللهازم فالذُّهلان بنو شيبان بن ثعلبة بن يشكر بن وائل وبنو ضبيعة بن ربيعة . واللهازم قيس بن ثعلبة وتيم بن

اللات بن ثعلبة بن عجل بن لجيم وعنترة بن اسد بن ربيعة . (قال)وقد دخل بنو قيس ابن عُكابة مع اخوتهم بني قيس بن ثعلبة . واما حنيفة فلم تدخل في شيء من هذا لانقطاعهم عن قومهم باليامة في وسط دار مُضر . وكانوا لا ينصرون بكرًا ولا يستنصرونهم . فلمَّا جاء الاسلام ونزل الناس مع بني حنيفة ومع بني عجل بن لُجَيم فتلَهزَموا ودخل معهم حلفاؤهم بنو مازن بن جدي بن مالك بن مصعب بن علي فصاروا جميعاً في اللهازم . وقال موسى بن جابر الحَنَفي السُّحَيمي بعد ذلك في الاسلام (من الطويل) :

وَجدْنا أَبانا كان حلَّ ببلدةٍ ... سوًى بين قَيسٍ قيسَ عيلانَ والفِزْرِ (١

برأيتهِ امَّا العدوُّ فحولنا ... مُطيفٌ بنا في مثل دائرةِ المُهْرِ

فلمَّا نأتْ عنا العشيرةُ كلُّها ... أَقَمْنا وحالَفْنا السيوفَ على الدهرِ (٢

فما أَسلمَتْنا بعدُ في يوم وَقْعةٍ ... ولا نحنُ أغمَدنا السيوفَ على وِتْرِ (٣

☼اهله وزمانه☼ لم يفدنا الكتبة شيئاً عن رهط موسى بن جابر . وقد نسبهُ في الاغاني الى سَحَيم وسُحَيم بطن من حنيفة . ودعاهُ ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٩٥٥) بالعُبَيدي ولعلَّ في قولهِ اشارة الى بني عُبيدة عشيرتهِ . وقال صاحب خزانة الادب (١ : ١٤٦) : "ويقال له ابن الفريعة وهي امهُ . وجاء لهُ في شعره ذكرُ ابن عمٍّ يدعى زيدًا وقيل اخوهُ» . وقد ذكر التبريزي في حماسة ابي تمام خالَيهِ مرداساً وعامرًا

١) سِوًى صفةٌ لبلدة اي متوسطة . والفزْر لقب لسعد بن زيد مناة . يريد حلَّ بين مُضَر والفزْر ونأى عن ربيعة لان قيساً والفزر من مضر ٢) ويروى : أَحمنا قال في خزانة الادب (١ : ١٤٧) يقول : «لمَّا خذلتْنا عشيرتُنا وهم ربيعة اكتفينا بأنفسنا فأقمنا بدار الحفاظ والصبر واتَّخذنا سيوفنا حلفاء على الدهر . وهذا مثلٌ ضربهُ لاستقلالهم فيما نهضوا فيـهِ بعَددهم وعُددهم وبلائهم وصبرهم واستغنائهم عن القاعدين»

٣) ويروى : عند يوم كريهةٍ ولا نحن اغضينا الجفون . . . قال شارح الحماسة (ص١٦) : «اي ما خذلتنا عشيرتنا في يوم حرب ولا نحن اغضينا جفوننا على وتر وحقد . يعني انهم ادركوا كل ثأر» وهذه الابيات رواها ابو تمَّام في الحماسة ليحيى بن منصور الحنفي وقد غلَّطهُ ابو رياش واثبتها لموسى بن جابر

ابني شمّاس بن لأي من بني انف الناقة وأمهما من بني العنبر فقال موسى يمدحهما (من الطويل) :

اذا ذُكر ابنا العنبريّةِ لم تَضِقْ ذِراعي وألقى بإستِهِ مَنْ أُفاخِرُ (١

هِلالان حمّالانِ في كلّ شَتْوَةٍ من الثِقل ما لا تستطيعُ الأَباعرُ (٢

امّا زمانهُ الذي عاش فيهِ موسى بن جابر ففي عهد اواخر الخلفاء الراشدين واوائل الدولة الاموّية كما يستدلّ على ذلك من بعض اقوالهِ

﴿دينهُ﴾ كانت النصرانيّة شائعة في بني حنيفة كما اثبتنا ذلك بشواهد عديدة في كتاب النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة (ص٧٢،١٢٩،١٤٩ الخ) وبقيتْ على دين النصرانيّة زمناً بعد الاسلام (ص٤٥٦). فلا عجب اذ وافق موسى قومهُ في دينهم. وصرّح صاحب خزانة الادب بنصرانيّتهِ حيث قال (١ : ١٤٦) : «ويقال كان نصرانيًّا»

﴿شعرهُ﴾ ذكر في الخزانة انهُ كان «احد شعراء بني حنيفة المكثرين» الّا انّ ما يُعرف من شعرهِ لايتجاوز بضعَ قِطَعٍ متفرّقة في كتب الادباء الاقدمين وفي المعاجم ما يدلُّ على انّهم كانوا يعوّلون عليهِ في فصاحة اللغة . وها نحن نروي ما عثرنا عليهِ من ابياتهِ . فمن ذلك ما ورد في حماسة ابي تمّام (١ : ١٥٧—١٥٨) يصف ترفّع نفسه (من الكامل) :

لا أشتهي يا قومِ الّا كارهاً بابَ الأمير ولا دفاعَ الحاجبِ (٣

ومنَ الرجالِ اسنّةٌ مذروبةٌ ومزنّدونَ حضورهم كالغائبِ (٤

١) اراد بابني العنبريّة خالَيْهِ مرداساً وعامراً ابني شمّاس وكانت امّهما من بني العنبر . يقول اذا ذُكر هذان الرجلان من اهلي لم يُعْيِني أمرُ من أُفاخِره بل اردُّه على عقبيهِ مُدبِراً

٢) اي انّ الممدوحَين مشتهران يتكلّفان في سنة الجدب والمحل وفي المغارم وقرى الضيوف اثقالاً ويصطنعان صنائع ما لو صارت اجراماً ووُزنت لعجزت عن النهوض بها الإبل مع صبرها على ثقل حمولها لانهُ يهلكها

٣) ويروى : الّا مكرهاً . يقول لا آتي بابَ الامراء ولا اتعرّض لدفاع الحجّاب الّا كارهاً

٤) ويروى : وشهودهم كالغائب . يقول انّ بين الناس من يشبهون برونقهم ونفاذهم الأسنّةَ المذروبة اي المحدّدة . ومنهم مزنّدون اي بُخلاء لا فائدة فيهم وسيّان حضورهم او غيبتهم . المزنّد مشتقّ من الزَنْد الذي يُضرب بهِ المثل في القلّة

منهم ليوثٌ لا تُرامُ وبعضُهم ... ممَّا قَمَشْتَ وضمَّ حبلُ الحاطبِ (١

وممَّا ورد في امالي القاليّ (٣: ٧٢-٧٣) ما حرفهُ قال: « كتب الحجّاج الى عبد الملك بن مروان أمرَ قطَريّ بن الفجاءة المازني (٢ . فكتب اليهِ عبدُ الملك: أُوصيك بما أوصى بهِ البكريُّ اخاهُ زيدًا . فلمَّا ورد الكتاب لم يدرِ الحجّاج ما اوصى بهِ البكريّ فقال لحاجبهِ: نادِ في الناس: مَنْ اخبر الاميرَ ما اوصى بهِ البكريُّ اخاهُ زيدًا فلهُ عشرة آلاف درهم (٣ . فقام اعرابيٌّ قد طالت إقامتُهُ وقال: انا اعرفُها . فأدخلهُ على الحجاج فقال: ما قالهُ البكريُّ لزيدٍ؟ . قال: هو موسى بن جابر الحنفيّ قال لابن عمهِ زيد هذه الابيات (من الطويل):

اقولُ لزَيْـدٍ لا تُتَرْتِرْ فـإنَّهم ... يرونَ المنايا دون قتلكَ او قتلي (٤

فان وضَعوا حرباً فضَعْها وإنْ أبَوْا ... فشُبَّ وَقُودَ الحربِ بالحطبِ الجَزْلِ (٥

فان عَضَّت الحربُ الضَّروسُ بنابها ... فعُرضَةُ نارِ الحربِ مِثْلُكَ اومِثْلي (٦

فقال الحجّاج: وابيك انَّها لهي وقد صَدَق اميرُ المؤمنين «عُرْضَةُ نار الحرب مثلي او مثلُهُ» ثمَّ قضى حاجتَهُ . وممَا رُوي لموسى ايضاً في الحماسة قولهُ (من الطويل):

---

١) ويروى: منهم أُسود اي منهم كالأُسود الكاسرة المنيعة ومنهم من تَقْمشُهُ اي تلمُّهُ وتجمعهُ في رزمةٍ واحدة كما يَضمُّ الحاطبُ رزمةَ حطَبهِ جامعًا بين الجيّد والرديء. يريد انهُ لا غناء عندهم

٢) وفي حماسة ابي تمَّام (ص ١٨٠) انَّ الحجَّاج كتب ذلك لمَّا خلَع عبد الرحمان بن الاشعث ابن قيس

٣) وفي الحماسة: قضيتُ حاجتَهُ

٤) وفي الحماسة: قلتُ لزيدٍ . ويروى: لا تُبَرْبِر . ولا تثَرْثِر . ولا تبزْبِزْ . وكلُّها بمعنى متقارب اي لا تكثر الكلام ولا تُقلقلْ فانهم لا يَصلون اليَّ واليك الَّا بعد ان نذيقهم كأس المنون . او يكون المعنى: انهم مستعدُّون لتضحيةِ نفوسهم لينالوا أرَبهم منك او مني

٥) في الحماسة روى هذا الشطر هكذا: فعُرْضَةُ عضِّ الحرب مثلك او مثلي . فبدلَهُ من ثاني شطر البيت التَّالي . يقول: ان سالَموا فسالِمْ وان أبَوا فأسعِرْ نار الحرب

٦) روى في الحماسة الشطر الاوَّل: وان وَضَعوا الحربَ العوان التي ترى فشُبَّ . . . الحرب الضَّروس الشديدة . والعوان التي قُوتل فيها مرَّةً بعد أُخرى . اي ان انشبت نار الحرب فعُدَّتها مثلك او مثلي . يقال: فلان عُرْضَةُ كذا اي مُطيق لهُ قادر عليهِ

ألم تَرَيا أنّي حميتُ حقيقتي وباشرتُ حدَّ الموتِ والموتُ دُونُها (١

وَجُدتُ بنفسٍ لا يُجادُ بمثلها وقلتُ أطمإنّي حين ساءَتْ ظنونُها

وما خيرُ مالٍ لا يفي الذمَّ رَبَّهُ بنفسِ امرئٍ في حقّها لا يُهينُها (٢

وروى ايضاً صاحب الحماسة لموسى (ص ١٨١ — ١٨٢) قولهُ يلوم قومهُ على قعودهم عن نصرتهِ واعتلالهم بالمعاذير الكاذبة (من الطويل) :

ذَهبتُم ولُذْتم بالأمير وقلتمُ تركْنا احاديثاً ولَحماً مُوَضَّعا (٣

فما زادَني الّا سَناءً ورِفعةً وما زادَكم في الناس الّا تَخضُّعا (٤

فما نفرَتْ جِنّي ولا فُلَّ مِبْرَدي ولا أصبحَتْ طَيْري من الخوف وُقَّعا (٥

وقال يهجو قومهُ لمّا خذَلوهُ (من الكامل) :

كانت حنيفَةُ لا أبا لكَ مُرَّةً عند اللقاء اسنَّةً لا تَنكُلُ (٦

فرأتْ حنيفَةُ ما رأَت أشياعُها والريحُ احياناً كذاكَ تَحوَّلُ (٧

---

١) الحقيقة ما يجب على الانسان حمايتُهُ . اي دافعتُ عنها حتى الموت . ودونُها بضمّ النون صفة اي حميتُها والموت قريبُ منها

٢) اي لا خير في مالٍ لا يصونُ صاحبَهُ من الذمّ

٣) قال شارح الحماسة : «يقول التجأتم الى الامير وقلتم تركْنا قوماً يقولون ولا يفعلون فهم كاللحم المُوَضَّع تتعلّق الأطماع بتناوُلِهِ وأخذهِ . وان رُويَت «تُرِكْنا» على البناء على المجهول كان المعنى ادعيتم علينا لمّا اردتم مفارقتنا وخُذلاننا وقُلتم تُرِكْنا احدوثةً للناس»

٤) قال : «اي فلم يَزِدْني قولكم الا ارتفاعَ محلٍّ ولم يَزِدْكم في الناس الا تذلُّلاً لانَّ من لا يصلح لعشيرتهِ لا يسكن اليهِ الناس البعداء

٥) قال : «يجوز انهُ يريد لم يَنخزل لمّا اتيتم واجبرتم اصحابي الذين هم كالجنّ ولا فُلَّ لساني الذي هو كالمبرد ولا ذُعِرَ جأشي فصار طيري واقعةً . يريد ذكاءهُ ونشاطَهُ . ويُشبّه الرجل النافذ في الامور بالجنّي والشيطان . ووقوع الطير كناية عن ضعفهِ »

٦) نكَلَ جبُن وضعف . ولا ابا لك تحضيض وليس بدعاء

٧) يقول اصبحت حنيفة بعد مآثرها في الحرب تتقلّب كبعض مشايعيها وأنصارها كما يعرض للريح التي تتقلّب احياناً

وروى ياقوت لموسى بن جابر (٤ : ٩٥٥) (من المتقارب) :

فلا يَغْرُرَنكَ فيما مَضى مُخيفُ قُرَيشٍ وأكثارُها
غداةَ علا عَرضَنا خالدٌ وسالتْ أباضٌ وهدّارُها

يريد محاربة خالد لمسيلمة الكذّاب في قرية الهدّار وبها كان مولدهُ ونَشأتهُ فقتلهُ خالد ودخل اهل قرى اليمامة في صُلح الهدّار . وأُباض وادٍ في اليمامة

وروى لهُ صاحب مجموعة المعاني في باب النجدة والبأس (ص٣٨) قولهُ (من الطويل) :

وانّا لوقّافون بالموقف الذي يُخافُ رَداهُ والنفوسُ تطلَّعُ
وانّا لنعطي المَشرفيَّة حقّها فتقطعُ في أيمانِنا وتُقطَّعُ

وفي حماسة البحتري (ص ٧١) روى قول موسى في ترك قطع الاخ القديم المستطرف (من مجزوء الكامل) :

لا كلُّ مُطرِف هوايَ ولا من طول صُحبة صاحبٍ أقلي

فهذا كلّ ما صبر على الدهر من شعر ذلك «الشاعر المُكثر» والله اعلم

وروى الجاحظ لابن جابر في كتاب الحيوان (٤ : ٩٣) قولهُ (من الرَّمل) :

طَردَ الأَروى فما تَقرَبُهُ ونفى الحيّاتِ عن بَيضِ الحَجَلْ

٣ شَمْعَلة التغلبيّ

﴿ اسمهُ ونسبهُ ﴾ هو شَمعَلة ويقال شَمعَل وقد فسّروهُ بالخفيف النشيط . والناقة الشمعلة النشيطة السريعة . والاصحّ على ما نرجح ان هذا الاسم اعجميّ كاسمعيل . وبه عرف شاعر آخر يُدعى شمعلة بن الاخضر الضبيّ . وامّا نسبتهُ فالشائع انهُ ابن فائد بن ابي حجوة بن خَيبَري من بني حَدَس بطن من بني لخم النصارى (اطلب الاشتقاق لابن دريد ص ٢٢٧) واختلف بعضهم في هذا النسب . قال ابن حبيب (الاغاني ١٠ : ٩٩) انهُ شَمعلة بن عامر بن عمرو بن بكر اخو بني فائد وهم رهط الفُرس . وسمّاه في مجموعة المعاني : شمعل بن الحُصَين التغلبيّ

﴿ زمانهُ ﴾ كان في اواسط عهد بني اميَّة اعني في اواخر القرن السابع واوائل القرن

الثامن في ايام عبد الملك بن مروان وابنَيْهِ الوليد بن عبد الملك وهشام كما سيتَّضح من اخباره

﴿مقامهُ ودينهُ﴾ كان شمعلة رئيساً لبني تغلب ذا قدر عظيم وفضل عميم وهيبة وجمال وبلاغة في المقال وشاعرًا ظريفاً وكان نصرانيًّا عريقاً في دينهِ كقومهِ التغلبيّين الذين ثبتوا بعد الاسلام على دينهم وكانوا يسكنون الجزيرة وعلى حدود الشام. وكان شمعلة بصفةِ رئاستهِ على بني تغلب يتردَّد على عاصمة الشام ويدخل على الخلفاء

﴿ استشهادهُ في سبيل دينهِ ﴾ قال شهاب الدين احمد بن يحيي المعروف بابن فضل الله الكاتب الدمشقي (المتوفَّى سنة ٧٤٨ هـ ١٣٤٨م) في كتابهِ مسالك الابصار في ممالك الانصار (من مخطوطات لندن Br. Mus., Ms, 575, p. 103-104) :

«شمعلة بن فائد ذو نخوةٍ دينيَّة، وحميَّةٍ جاهليَّة، وأَنفةٍ أساءَ فيها النيَّة، كان نصرانيًّا لهُ أُبَّهة بادية، وقدْر عظيم في البادية، يُشارُ اليهِ ويُسار، ويَغار لهُ من رآهُ من عاقبة البَوار، والمصير الى النار، فطالبَهُ هشام بن عبدالملك بالاسلام لما رأى من فضلهِ وجمالهِ، وما أَعجبَهُ من هيئتهِ وإضاءَة حالهِ، وأحبَّ لهُ الدخول في الدين، وأن يكونَ من المهتدين، فامتنع وأَبى، واتَّبع هواهُ ليكون لجهنَّمَ حطَبا، قال الله تعالى (سورة القصص ع ٥٦) : انَّك لا تهدي مَن احببتَ ولكنَّ الله يهدي من يشاء. فقال لهُ هشام: إن لم تفعل لَأُطعمنَّك لحمَك فقال شمعلة: « ولو قطعتني لَما أَسلمتُ على هذا الوجه. فلمَّا خلَّى عنهُ قال اعداؤهُ: اطعمَهُ هشامٌ لحمهُ. فقال شمعلة (من الطويل) :

أَمِنْ حَزَّةٍ في الفَخْذِ منّي تَباشرتْ عداي[1] ولا نَقْصٌ عليَّ ولا وِتْرُ

وانَّ اميرَ المؤْمنين وفعلَهُ لَكالدَّهْرِ لا عارٌ بما صنع الدهرُ

وقد روى المبرّد في الكامل هذا الخبر ونسبهُ الى عبد الملك بن مروان قال (ص٥٢٤) : «كلَّمَ شمعلُ التغلبيّ عبدَ الملك كلاماً لم يُرْضِهِ فرماهُ عبد الملك بالجُرْز فخدش وهُشم (ويروى: هُتِم) فقال شمعل (ثم روى البيتين هكذا) :

أَمِنْ جَذْبةٍ بالرِجل منّي تباشرتْ عُداتي فلا عيبٌ عليَّ ولا سُخْرُ

[1] جاء في الاصل: غذايَ. وهو تصحيف

فـانَّ اميرَ المؤمنينَ وسيفَـهُ   لَكالدّهْرِ لا عارٌ بما فعلَ الدهرُ

ويروى: أمِن خَدشةٍ. ورواهُ في مجموعة المعاني (ص١٠٤) : أمِن ضربة بالرِجْل. وفي كتاب الآداب لِسَنا الملك بن جعفر شمس الخلافة المتوفّى سنة ٦٠٨هـ(١٢١١م) في نسخة لُندن (ص ٢٢)ذَكَرَ الخبر كما ورد في كامل المبرّد وروى هنـاك : « أمن جذبةٍ بالرجل حين تبصَّرت .. وانَّ امير المؤمنين وفعلَهُ ... »

امّا في كتاب الاغاني (١٠ : ٩٩) فروى الخبر في مطاوي اخبار اعشى بني تغلب ونسب اليهِ البيتين على هذه الصورة قال : « قال ابن حبيب كان شمعلة بن عامر بن عمرو بن بكر اخو بني فسائد وهم رهط الفِرس نصرانيًا وكان ظريفاً. فدخل على بعض خلفاء بني اميّة فقال: أسلم يا شمعلة. قال : « لا والله لا أُسلم كارهاً ابدًا ولا أُسلم الّا طائعاً اذا شئتُ» فغضب وامر بهِ فقُطعت بَضعة من فخذهِ وشُوِيَت بالنار وأُطعِمَها. فقال أعشى بني تغلب في ذلك :

أَمِنْ جَذْوةٍ (١ بالفخذِ منك تباشرت   عِداكَ فلا عارٌ عليك ولا وِزْرُ

وانَّ أَمير المؤمنين وجَرْحَهُ   لَكالدهر لا عارٌ بما فعل الدهرُ

هذا ما رواهُ العرب. وقد ورد ذكر شمعلة في تاريخ ميخائيل الكبير البطريرك اليعقوبي من كتبة القرن الثاني عشر قال بعد ذكرهِ لاستشهاد رئيس آخر التغلبيين يدعى معاذًا قُتل لعدم جحوده دينهُ وهذا نصّهُ بالسريانيّة (٢ : ٤٥١—٤٥٢ ,ed. Chabot) وهو ينسب محنة شمعلة الى الخليفة الوليد بن عبد الملك ولعلّهُ هو الصواب :

ܘܫܡܥܠܐ ܡܗܝܡܢܐ ܡܢܗܘܢ ܕܛܝܝ̈ܐ ܐܡܪ ܠܗ ܘܠܝܕ: ܕܡܢ
ܕܪܫܐ ܕܛܝܝ̈ܐ ܐܝܟ ܒܗܠܝܢ ܟܕ ܐܢܬ ܠܟܠܗܘܢ ܕܥܪ̈ܒܝܐ
ܡܫܒܚ ܐܢܬ. ܐܠܐ ܟܦܪ ܒܡܫܝܚܐ ܘܐܡܠܟ. ܗܘ ܕܝܢ ܛܝܝܐ ܦܢܝ:
ܘܐܡܪ ܡܠܟܘܬܟ ܒܡܫܝܚܐ ܕܗܘ ܕܡܬܩܪܒ ܠܗ ܡܢ ܡܫܝܚܐ
ܠܒܪܐ (والصواب ܠܒܪܐ) ܐܝܬܘܗܝ. ܗܘ ܕܝܢ ܡܠܟܐ ܠܗ ܘܕܢ
ܘܫܡܥ ܐܝܟ ܕܠܒܗܘܢ ܕܛܝܝ̈ܐ ܐܝܟ ܕܐܡܪܐ ܦܢܝ ܐܠܐ ܕܠܟܠܐ

١) كذا في الاصل . والصواب حذوة بالحاء وهي قطعة اللحم

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وهذا تعريبهُ :

« قال الوليد للطوبوي شمعل احد التغلبيين : انك من حيث كونك رئيساً على العرب فانك توليهم جميعاً خزياً اذ تعبد الصليب فاخضع لمشيئتي وأسلم. فاجابهُ الطوبوي شمعلة : « انَّ مملكتك باسرها كالتراب بالنسبة الى ما وعدنا بهِ السيّد المسيح. وما يزيدني حرصاً على ديني انني رئيس على تغلب كما قلتَ فان جحدتُ ديني اخاف من ان اكون علّة لهلاك كثيرين». فلمَّا سمع الوليد كلامهُ امر بان يسحبوهُ على وجههِ ويخرجوهُ واقسم بانهُ سيطعمهُ لحمهُ. الَّا ان ذلك البطل لم يفشل لدى سماعهِ هذا الوعيد فامر الملك الظالم بان تُنتزَع من فخذهِ قطعة ثمَّ شووها بالنار ودحروها في فمهِ. وقد عاش بعد ذلك الشهيد البارّ وعلى جسمهِ اثر جرحهِ»

وقد روى ايضاً ابن العبري هذا الخبر في تاريخهِ الدنيوي الذي كتبهُ بالسريانيَّة ونشرهُ المرحوم الاب بيجان اللعازري بالحرف الكلداني في ليبسيك سنة ١٨٩٠ (ص ١١٥) ودونك تعريبهُ :

«كان شمعل رئيساً على بني تغلب العرب النصارى فقال لهُ الوليد : «بما انك رئيس على العرب فانك تشملهم بالعار اذ تسجد للصليب ومن ثمَّ افعل ما آمرُكَ به وأسلِمْ». فاجاب شمعل : «لا بل بما اني رئيسٌ على كلّ بني تغلب فلذلك اخاف ان اكون سبباً لهلاكهم جميعاً اذ اكفر انا فيكفرون هم بالمسيح» . فلمَّا سمع الوليد كلامهُ امر بان يسحبوهُ على وجههِ ويخرجوهُ وطردهُ مُقسماً بانهُ ان لم يُسْلم يطعمهُ لحمهُ. امَّا شمعل فلم يكترث لقولهِ فامر الوليد بان تُجزَّ من فخذهِ قطعةٌ فشواها بالنار وادخلها في فمهِ. واذ ثبت على هذا ايضاً طردهُ فبقي حيًّا وكان اثر جرحهِ يُرى في جسمهِ»

ومن ثم يترجَّح رأي هذين الكاتبين في نسبتهما الى الوليد فِعْلَهُ مع شمعلة وهما اعلم بامور النصارى من سواهما ولاسيما انَّ الوليد كان معروفاً بعاداتهِ للنصارى وقد قتل كثيرًا منهم في الجزيرة كما روى المؤرّخون من الروم والسريان . بل يقول عنهُ مؤرّخو العرب انهُ كان جبَّارًا ظالمًا

٤ اعشى بني تغلب

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ يُطلَق اسم الأعشى على نحوٍ من عشرين شاعراً كما ترى في المزهر للسيوطيّ (٢ : ٢٢٩—٢٣٠) وفي شرح شواهد المغني لهُ (ص ٨٦) وفي تاج العروس (١٠ : ٢٤٣ ٢٤٤). وقد كثر التخليط في تعريف اسمائهم وكُناهم وقبائلهم. وربَّما اكتفى الادباء باسم الاعشى دون زيادةٍ في التعريف. وانما اشهرُهم الاعشى المعروف بالاعشى الاكبر وهو ابو بصير الميمون بن قيس وهو جاهليّ(١). واسم الاعشى لقبٌ يُطلق على السيّئ البصر من العِشاء وهي ظلمة تعترض العين فلا تُبصر ليلًا.

واعشى بني تغلب قد اختلفوا في اسمهِ. جاء في الاغاني (١٠ : ٩٨): «قال ابو عمرو الشيباني اسمهُ ربيعة. وقال ابن حبيب: اسمهُ النعمان بن يحيي». وفي الحماسة البصريّة (١ : ٨٧) «هو ربيعة بن نجران» وفي محلّ آخر «هو نعمان بن نجوان التغلبيّ واسمهُ ربيعة». وفي المزهر للسيوطي (٢ : ٢٢٩): «الاعشى التغلبيّ اسمهُ نعمان بن نجران» وقال في التاج (٩ : ٣٤٤). «هو النعمان ويقال ابن جاوان وهو في الاراقم». امَّا نسبهُ فرفعهُ ابو الفرج في الاغاني الى نزار فقال: «النعمان بن عمرو (بن غنم) بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن افصى بن دعمي بن جديلة بن اسد بن ابي ربيعة ابن نزار». وكثيراً ما اشاروا اليهِ باسم «التغلبيّ» بلا زيادة

﴿زمانهُ وموطنهُ﴾ قال في الاغاني: «هو من شعراء الدولة الامويّة وساكني الشام اذا حضر واذا بَدا نزل في بلاد قومهِ بنواحي الموصل وديار ربيعة». ومن المعلوم انَّ ديار تغلب كانت في بلاد ما بين النهرين في جوار ديار بكر في جنوبيّها على ضفَّة الفرات الشماليّة من الرقَّة والرصافة الى جهات سنجار وانحاء الموصل. عاش في اواخر القرن الاوَّل ثمَّ اوائل الثاني للهجرة وفي النصف الاوَّل من القرن الثامن للمسيح في عهد الوليد بن عبد الملك وخلفهِ عُمَر بن عبد العزيز

﴿دينهُ﴾ صرَّح بهِ ايضاً صاحب الاغاني بقولهِ (١٠ : ٩٨): «وكان نصرانيًّا وعلى ذلك مات». ومثلهُ قال صاحب الحماسة البصريّة (١ : ٨٧): «وكان نصرانيًّا»

﴿اخبارهُ﴾ لم نعرف من اخبار اعشى بني تغلب الَّا النزر القليل. وانَّما يُستدَلّ

١) اطلب ترجمتهُ في كتابنا شعراء النصرانيّة في الجاهليّة (٣٥٧-٣٩٩)

من هذا القليل على علوّ مرتبتهِ . فمن ذلك انهُ حظي عند خلفاء بني امية وعند اعيان زمانهِ . روى ابو الفرج عن ابن حبيب وابي عمرو (١٠ : ٩٩) انَّ الوليد بن عبد الملك كان محسناً الى اعشى بني تغلب . وقد مدحَ مسلمةَ بن عبد الملك اخا الوليد وصاحب الغزوات الكثيرة المتوفى سنة ١٢٣ هـ (٧٤٢م) . وكذلك مدح بعض وجوه زمانهِ كمُدْرِك بن عبدالله الكنانيّ

﴿اخلاقهُ﴾ كان اعشى التغلبيّ ابيًّا فظّ الطباع ذا نخوة لا يرضى بالهوان فمن ذلك ما حدَّث بهِ محمَّد بن حبيب عن ابي عمرو الشيبانيّ (الاغاني ١٠ : ٩٨) قال : كان اعشى بني تغلب يُنادم الحرّ بن يوسف بن يحيي بن الحكم فشربا يوماً في بستان لهُ بالموصل فسكر الاعشى فنام في البستان ودعا الحرُّ بجواريهِ فدخلنَ عليهِ قبّتهُ واستيقظ الاعشى فاقبل ليدخل القبَّة فمانعهُ الخدم ودافعهم حتى كاد ان يهجم على الحرّ مع جواريهِ فلطمهُ خصيٌّ منهم . فخرج الاعشى الى قومهِ فقال لهم : لطمني الحرُّ فوثب معهُ رجلٌ من بني تغلب يقال لهُ ابن ادعج وهو شهاب بن همام بن ثعلبة بن ابي سعدة فاقتحما الحائط وهجيا على الحرّ حتى لطمهُ الاعشى ثم رجعا فقال الاعشى (من الوافر) :

كأنّيَ وابنَ أدعجَ اذ دخلْنا ... على قُرَشيّكَ الوَرِعِ الجَبَانِ
هِزَبْرا غابةٍ وَقَصا حمارًا ... فظَلَّا حولهُ يتناهشانِ
انا الجُشَميُّ من جُشَم بن بكرٍ ... عشيّةَ رُعْتُ وجهَكَ بالبَنانِ (١
فما يَسْطيعُ ذو مُلْكٍ عِقابي ... اذا اجترَمَتْ يدي وَجنَى لساني
عشيّةَ غابَ عنك بنو هشامٍ ... وعثمانُ أستُها وبنو أبانِ
تروحُ الى منازلنا قريشٌ ... وانتَ مُخيّمٌ بالزَّرَّقانِ (٢

والحرُّ المذكور هو الامير ابن يوسف بن يحيي بن الحكم بن ابي العاص بن امية من وجوه قريش واليهِ يُنسب نهر الحرّ بالموصل لانهُ حفرهُ (التاج) . وقد ولي مصر

١) اي لطمتُك . وقولهُ « انا جُشَميّ » اي مثلي يفعل ذلك بمثلك (الاغاني)

٢) (قال) الزَّرّقان قرية كانت للحرّ بسنجار

ثلاث سنين من قبل هشام سنة ١٠٥–١٠٨هـ (٧٢٣–٧٢٦م). وروى ايضاً ابن حبيب عن ابي عمرو قال (الاغاني ١٠ : ٩٩) : «وكان الوليد بن عبد الملك محسناً الى اعشى بني تغلب فلمّا ولي عُمر بن عبد العزيز الخلافة وفد اليهِ يمدحهُ فلم يعطهِ شيئاً وقال : «ما ارى للشعر في بيت المال حقًّا ولو كان لهم فيهِ حقٌ لما كان لك لأنّك امرؤٌ نصرانيٌّ» فانصرف الاعشى وهو يقول (الحماسة البصريّة ١ : ٨٧) (من الطويل) :

لَعَمري لقد عاش الوليدُ حياتَهُ إمامَ هُدًى لا مُستزادٌ ولا نَزْرُ

كأنَّ بني مَرْوانَ بعد وَليدِهم[1] جَلاميدُ لا تَنْدى[2] ولو بَلّها القَطْرُ

وكانوا أُناساً يُنْتَحَوْن فأصبحوا واكثرُ ما يُعطونك النظَرُ الشَّزْرُ

أَلم يكُ عذرًا ما فعلتم بشَمْعَلٍ وقد خاب من كانت أَمانيَّهُ القَدْرُ

وكائِنْ دفَعْنا عنكمُ من عظيمةٍ ولكن ابيتم لا وفاءٌ ولا شكرُ

فان تكفروا ما قد فعلتم فرُبَّما أُتيحَ لكم قَسْرًا بأسيافنا النَّصرُ

وشَمْعل المذكور هنا هو الشاعر الذي مرَّ وصفهُ الذي امر الخليفة الاموي بقَطع جذوةٍ من فخذهِ اذ لم يشأ ان يجحد دينهُ النصرانيّ (راجع الصفحة ١١٨–١٢٠ من العدد السابق) . وفي كتاب الاغاني يُنسب الى أعشى تغلب البيتان اللذان رويناهما هناك (ص ١٨٠)

وممّا انشده اعشى تغلب قولهُ يذكر وقائع جرت بين بني تغلب وبين شيبان وكان مالك بن مسمع رئيس بني بكر معاوناً في بعضها لبني شيبان فقعد عنهم فقال الاعشى في ذلك (من الطويل) :

بني أُمِّنا مهلًا فانَّ نفوسَنا تُميت عليكم عَتْبَها ومَصالَها

وترعى بلا جهلٍ قَرابة بينَنا وبينكمُ لمَّا قطعتم وِصالها

جَزى الله شيباناً وتَيماً مَلامةً جزاءَ المُسيءِ سعيَها وفِعالَها

[1] ويروى : بعد وفاتهِ [2] ويروى : ما يندى

أَبا مِسْمَعٍ مَنْ تُنْكِرِ الحقَّ نفسُهُ وتَعْجِزْ عن المعروفِ يَعْرِفْ ضَلالَها

أَأَوْقدتَ نار الحرب حتى اذا بَدا لِنفسِك ما تجني الحروبُ فَهالَها

نَزَعتَ وقد جرَّدتَها ذات منظرٍ قبيحٍ مَهينٍ حيثُ أَلقت حَلالَها

أَلَسْنا اذا ما الحربُ شُبَّ سعيرُها وكان سفيحُ المشرفيِّ صِلالَها

أَجارَتَنا حِلٌّ لكم ان تُنازِلوا مَحارِمَها وأَنْ تُجيزوا حَلالَها

كَذبتم يمينَ الله حتى تَعاوَروا صدورَ العوالي بينَنا ونِصالَها

وحتَّى ترى عينُ الذي كان شامتاً مَزاحفَ عقرى بيننا ومَجالَها

﴿شعر الاعشى التغلبيّ﴾ انَّ القليل ممَّا بقي من شعر الاعشى التغلبيّ ينبئ بحسن ذوقهِ ومتانة نظمهِ ما يجعلهُ اهلًا بشعراء زمانهِ المفلقين . وقد تغنَّى المغنُّون ببعض ما انتجتهُ قريحتهُ فمن ذلك ما روى لهُ صاحب الاغاني وهما البيتان التابعان (من الكامل) :

دارٌ لِقاتِلَة الغَرانق (١ ما بها غيرُ الوحوشِ خلَت لهُ وخَلا لَها

ظلَّت تُسائِلُ بالمُتيَّمِ ما بهِ (٢ وهي التي فعلَتْ بهِ أَفعالَها

قال : «الشعر لاعشى بني تغلب من قصيدةٍ يمدح بها مَسلمة بن عبد الملك ويهجو جريرًا ويُعين الاخطل عليهِ . وفيهِ صوت والغناء لعبدالله بن العبَّاس . . وقد بقي من القصيدة المذكورة بعض الابيات رُويت في ديوان الاخطل (ص ٣٢٠–٣٢١ من طبعة الاب انطون صالحاني) وفي الحماسة البصريّة (٢ : ١١٧) وهي هذه :

رحلَتْ أُمامَةُ للفِراقِ جِمالَها كَيما تَبينُ وما تُحِبُّ (٣ زِيالَها

هذا النهارَ بَدا لها من هَمِّها ما بالُها بالليلِ زال زوالُها

١) ويروى : لقانصة الغرانق ٢) ويروى : ما لهُ ٣) رَحَلَ الجمَلَ حطَّ عليهِ الرحل . ويروى : رحلت سلامة . ورحلت سُمَيَّةَ . ويروى : فما تُريد

الحُسنُ آلَفها ببيت ضَجيعها ... وتظَلُّ قاصِرَةً عليهِ ظِلالَها (١

ولَئن أُمامَةُ فارقت او بدَّلت ... وُدًّا بودّك ما صَرَمْتَ حبالَها

ولَئن أُمامَةُ ودَّعتك ولم تَخُنْ ... ما قد عَلمتَ لَتُدرِكنَّ وِصالَها

إربَعْ على دِمَنٍ تقادَم عهدُها ... بالجَوْف واستلَبَ الزمانُ حِلالَها(٢

كانت تُريك اذا نظرتَ أمامها ... مَجْرى السُّموطِ (٣ومرَّةً خلخالَها

دَعْ ما مضى منها فرُبَّ مُدامةٍ ... صهباءَ عاريةِ القَذى سَلْسالِها (٤

باكرتُها عند الصباح على نُجًى (٥ ... ووضعتُ غيرَ جِلالِها اثقالَها

صبَّحتُها غُرَّ الوجوهِ غرانقاً ... من تغلبَ الغَلْباءِ لا أسفالَها

إخسَأْ اليك جريرُ انَّا معشرٌ ... نِلْنا السماءَ (٦ نجومَها وهِلالَها

ما رامَنا مَلِكٌ يُقيمُ قناتَنا ... الَّا استبَحْنَا خيلَهُ ورِجالَها

وممَّا رواهُ الجاحظ في البيان والتبيين(١ : ٢١٥)لاعشى بني تغلب (٧ ومثلهُ امين الدولة محمَّد الافطسيّ في كتاب المجموع اللفيف(Ms de Paris, 3388, ff. 147v) قولهُ (من البسيط) :

ما ضرَّ غازِي نِزارٍ أن يُفارقَهُ ... كلبٌ وجَرْمٌ اذا ابناؤهُ اتَّفقوا

قالت قُضاعَةُ انَّا من ذوي يَمَنٍ ... اللهُ يعلمُ ما بَرُّوا (٨ ولا صَدَقوا

١) وفي الحماسة البصريَّة بعد هذا « ظلّت تسائل » البيت

٢) إربَع اي اعطِفْ وعُجْ . والجَوْف اسم مكان واصلهُ المطمئنّ من الارض . وبعد هذا البيتان اللذان فيهما الصوت «دارٌ لقاتلة . . . »ويروى : دِمَنٌ لقاتلة الغرانق . . الّا الوحوش » الغُرنوق طائر مائي ابيض يستعار للشاب الحَسَن . ويروى : بكرَتْ تسائل والحلال القوم النزول

٣) مجرى السُّموط اي موضع القلادة والعُنُق

٤) بالافواه . السلسال الليّنة

٥) النّجى جمع نَجوَة المرتفع من الارض ٦) ويروى : منَّا السماءَ ٧) وفي الاصل ابن ثعلبة . وهو غلط اصلحهُ الافطسي ٨) وفي نسخة باريس : وما برّ

يزدادُ لحمُ المناقي (١ في منـازلنا طِيباً اذا عزّ في اعدائنـا المَرَقُ
ومـا خطَبْنا الى قوم بنـاتِهمُ إلّا بـأَرْعَنَ في حافـاتهِ الخِرَقُ

واليهِ نسب ابن عبد ربّهِ في وصف يوم ذي قار الابيات التالية في العقـد الفريد (٣ : ١١٧) وفيها ابيات تُروى في معلّقة عنترة (من الكامل) :

ولقـد رأيتُ اخاكَ عمرًا مرّةً يَقْضي وضيعَتَهِ بذات العِجْرِمِ
في غمرة الموت التي لا تشتـكي غمَراتِهـا الابطـالُ غيرَ تَغَمْغُمِ
وكأنّمـا أَقـدامُهم وأَكُـفُّهم سِرْبٌ تَساقَطَ في خليجٍ مُفْعَمِ
لمَّا سمعتُ دُعاةَ مُرّةَ قد علا واتى ربيعةَ في العَجـاج الأَقتمِ
ومُحَـلِّمٌ يمشونَ تحت لِوائهم والموتُ تحت لواء آلِ مُحلِّمِ
لا يَصرِفون عن الوغى بوجوههم في كلّ سابغـةٍ كـلون العِظْلِمِ
ودعَتْ بنو امِّ الرقـاع فأَقبلوا عنـد اللِقـاءِ بكل شاكٍ مُعلَمِ
وسمعتُ يَشْـكُرَ تدّعي بحُبَيّبٍ تحت العَجاجةِ وهي تقطرُ بالدمِ
يمشونَ في الحلَقِ الجديد كما مشَتْ أُسْدُ العَرِينِ بيومِ نحسٍ مُظْـلِمِ
والجمعُ من ذُهْلٍ كأنّ زُهاءَهم جُرْبُ الجِمال يقودُها ابنـا قَشْعَمِ
والخيلُ من تحت العَجاج عَوابساً وعلى مَناسِجِهـا سحائبُ من دمِ

وقال في الجاهليّـة يشكو ضرائب ومكوس ملوك العرب (كتاب الحيوان للجاحظ ٦ : ٤٤) (من الطويل) :

أَلا تستحي منّـا ملوكٌ وتتّقي محـارِمَنا لا يبرأُ الدمُ بالدمِ

١) ويروى : لحمُ المنايا

وفي كلّ اسواقِ العراقِ إتاوةٌ وفي كلّ ما باعَ امرؤٌ مَكْسُ دِرْهم

وروى لهُ ايضاً (٥ : ١٦٩) في وصف القطا قال وهي أجود قصيـدةٍ قيلَت في القطا (من الطويل) :

ثلاثٌ مُزَوَّراتٍ يُجاذبُهـا القطا ترى الفرخَ في حافاتهـا يتحرَّقُ
يظلُّ بها فرخُ القطاة كأنَّهُ يتيمٌ يناجيهِ مواليهِ مُطرِقُ
بديْمومةٍ قـد بات فيها وعينُهُ على موتـهِ تُغْضي مِرارًا وتَرفقُ
شبيهٌ بلا شيءٍ هنـالك شخصُهُ يواريهِ قَنْـكٌ حولـهُ مُتفَلّقُ
لهُ مَحْجَرٌ نابٍ وعينٌ مريضةٌ وشِدقٌ بمثـل الزَّعفرانِ مُخلَّقُ
تُناجيهِ كحْلاءُ المَدامعِ حُرَّةٌ لها ذَنَبٌ ساجٍ وجيدٌ مطوَّقُ
سَماكيَّةٌ كُدْريَّةٌ عرعريَّةٌ شكاليَّةٌ عفراءُ سمراءُ سَمْلَقُ
اذا غادرَتْهُ تبتغي ما يُعيشُهُ كفاها رزاياها النجاءُ الهبنَّقُ
عدَتْ تستقي من منهلٍ ليس دونهُ مسيرةُ شهرٍ للقطا مُتعلَّقُ
لأزغبَ مطروحٍ بجوزِ تنوفةٍ تَلظَّى سَموماً قيظُهُ فهو أوْرَقُ
تراهُ اذا أمسى وقد كاد جِلدُهُ من الحَرّ عن أوصالهِ يتمزَّقُ
غدَتْ فاستقلَّت ثمَّ ولَّت مُغيرةً بها حين تَزْهاها الجناحانِ أوْلَقُ
تُيمِّمُ ضَحْضاحاً من الماءِ قد بدَتْ دعاميصُهُ في الماءِ أطحَلُ أطْرَقُ
فلمَّا أَتَتْهُ مُقْدَحِرًّا تقرَّبتْ تقرُّبَ مجنونٍ فتطفو وتغرقُ
تجرُّ وتُلقَى في سِقاءٍ كأنهُ من الحنظلِ العاميِّ جزءٌ مُفلَّقُ
فلمَّا ارتوتْ من مائها لم يكن لها اناةٌ وقد كادت من الرمي تبعقُ

طمَتْ طموةً صُعْدًا ومدَّت جِرانَها وطار كما طار السحابُ المحلِّقُ

هذا ما أمكنَنا جمعهُ من آثار ذلك الشاعر وكفى بهِ دليلًا على فضله

٥ أعشى بني ابي ربيعة

﴿اصلهُ ونسبهُ﴾ كان هذا الأعشى معاصرَ الأعشى تغلب يشبههُ في دينهِ وانتمائهِ الى الدولة الامويّة . اسمهُ عبدالله بن خارجة بن حبيب بن قيس بن عمرو بن حارثة بن ابي ربيعة بن ذهل بن شيبان . وقد عُرف باعشى ربيعة او اعشى بني ابي ربيعة . وابو ربيعة احد اجدادهِ عُرف بالمُزدلف قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢١٥) : « سُمّي المزدلف لانهُ قال لقومهِ وهو في حرب : ازدلِفوا قِيدَ رمحي اي اقتربوا . وينتمي الاعشى الى بني شيبان الذين ثبتوا مدَّةً على نصرانيَّتهم بعد الاسلام . وكنيتهُ ابو عبدالله وجاء في حماسة ابي تمَّام (٢ : ٧٧٣) : اعشى بني ربيعة من بطن منهم يقال لهم بنو أمامة . وامَّا السيوطي في المزهر (٢ : ٢٢٩) فانهُ زعم انَّ اسم اعشى بني ربيعة صالحُ بن خارجة

﴿اخبارهُ﴾ قال ابو الفرج في الاغاني (١٦ : ١٦٠) : « هو شاعر اسلاميّ (اي عاش بعد الجاهليَّة) من ساكني الكوفة وكان مروانيَّ المذهب شديد التعصُّب لبني اميَّة » . وقدم الاعشى الشام ودخل على الخلفاء الامويين في دمشق فمدحهم ونال صِلاتهم وقد تردَّد خصوصاً على عبد الملك بن مروان وعلى سليمان بن عبد الملك فعاش الى ايَّام الوليد بن عبد الملك

ومن اخبار اعشى بني ابي ربيعة مع عبد الملك ما اخبرهُ في الاغاني (١٦ : ١٦٣) قال : دخل اعشى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان فأنشدهُ قولهُ (من الوافر) :

رأيتُكَ أمسِ خيرَ بني مَعَدٍّ وانتَ اليومَ خيرٌ منكَ أمسِ
وانت غدًا تزيد الضِعفَ ضِعْفاً كذاك تزيد سادةُ عبدِ شمسِ

فقال لهُ : من ايّ بني ابي ربيعة انت ؟ (قال) فقلت لهُ : من بني أمامة . قال : فانَّ أمامة ولد رجلين قيساً وحارثة فاحدُهما نَجمَ والآخر خَمَلَ . (قال) فقلت : انا من ولد حارثة وهو الذي كانت بكر توَّجتهُ . (قال) فقام بمخصرةٍ في يدهِ فضربها في

بطني ثم قال: يا اخا بني ربيعة هَمُّوا ولم يفعلوا فاذا حدَّثتني فلا تكذبني. فجعلتُ لهُ عهدًا أَلَّا احدّث قرشيًا بكذب ابدًا

واخبر ايضاً ان اعشى دخل على عبدالله وهو يتردَّد في الخروج لمحاربة ابن الزُّبير ولا يجدّ فقال لهُ: يا امير المؤمنين ما لي اراك متلوّماً يُنهضك الحزم ويُقعدك العزم. وتُهمّ بالإقدام وتجنح الى الإحجام. انفُذْ لنصرتك وأَمضِ رأيك وتوجَّه الى عدوّك فجَدُّك مُقبل وجَدُّهُ مُدبر. واصحابهُ لهُ ماقتون ونحن لك محبّون. وكَلِمتُهم متفرّقة وكلمتُنا عليك مجتمعة والله ما تُؤتى من ضعفِ جنان ولا قلّة اعوان. ولا يثبّطك عنهُ ناصح ولا يحرّضك عليهِ غاشّ وقد قلت في ذلك ابياتاً. فقال: هاتِها فانك تنطق بلسانٍ وَدُود وقلب ناصح. فقلتُ (من الكامل):

آلُ الزُّبَيْر من الخِلافة كالتي عجِلَ النتاجُ بحَمْلها فَأَحالَها

او كالضِعافِ من الحُمولةِ حُمِّلَتْ ما لا تُطيق فضيَّعت احمالَها

قوموا اليهم لا تناموا عنهمُ كم للغُواةِ أَطلتمُ إمهالَها

انّ الخلافةَ فيكمُ لا فيهمُ ما زلتمُ أركانَها وثِمالَها

أَمسَوا على الخيرات قفلًا مُغلقاً فانهَضْ بيُمْنك فافتتحْ أقفالَها

فضحك عبد الملك وقال: «صدقت يا ابا عبدالله انّ أَبا خُبَيب (هذه كنية عبد الله ابن زُبير) اقفَل دون كلّ خيرٍ ولا نتأخر عن مناجزتهِ ان شاء الله ونستعين الله عليهِ وهو حسبنا ونعم الوكيل». وامر لهُ بصلةٍ سنيَّة

وروى العبّاس بن هشام عن ابيهِ قال: قدم اعشى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان فقال لهُ عبد الملك: ما الذي بقيَ منك؟ قال انا الذي اقول(١ (من الطويل):

وما انا في أَمري ولا في خصومتي بمهتَضَمٍ حقّي ولا قارعٍ سِنّي(٢

١) وفي حماسة ابي تمام (ص٧٧٣) ان عبد الملك قال لهُ: يا ابا المغيرة ما بقي من شعرك؟ فقال: يا امير المؤمنين لقد بقي منهُ وذهبَ على انّي الذي اقول. . .

٢) ويروى:

وما انا في حقّي ولا في خليقتي بمهتضمٍ حقّي ولا قارعٍ قرني

(قال) في حقي اي في ما استحقّ من الناس

ولا مُسلِمٍ مولايَ عند جِنايةٍ   ولا خائفٍ مولايَ من شرّ ما اجني (١

وانَّ فؤادًا بين جنبيَّ عالمٌ   بما ابصرتْ عيني وما سمعتْ أذني

وفضَّلني في الشعر واللُّبّ أنَّني   اقولُ على علمٍ واعرفُ ما اعني (٢

فاصبحتُ إن فضَّلتُ مروانَ وابنَهُ   على الناس قد فضَّلتُ خيرَ أبٍ وابنِ

فقال عبد الملك : من يلومني على هذا . وامر لهُ بعشرة آلاف درهم وعشرة تُخوت ثياب وعشر فرائض من الابل واقطعهُ الف جريب وقال لهُ : امضِ الى زيد الكاتب يكتب لك بها واجرى لهُ على ثلثين عبلًا فاتى زيدًا فقال لهُ : ائتني غدًا . فأتاهُ فجعل يردّدهُ فقال لهُ (من الرجز) :

يا زيدُ يا فداكَ كلُّ كاتبِ   في الناس بين حاضرٍ وغائبِ

هل لكَ في حقٍ عليك واجبِ   في مثلهِ يرغبُ كلُّ تاعب

وانت عفٌّ طيّبُ المكاسبِ   مُبرّأٌ من عيبِ كلِّ عائبِ

ولستَ .ان كفيتني وصاحبي   طول غُدوٍّ ورَواحٍ دائبِ

وسَدَّةُ الباب وعُنفُ الحاجبِ   من نعمةٍ اسديتَها بخائبِ

فأبطأ عليهِ زيد فاتى سفيان بن الابرد الكلبي فكلّمهُ سفيان فأبطأ عليهِ فعاد الى سفيان فقال لهُ (من البسيط) :

عُدْ اذ بدأتَ بحُسْنى فانت لها   ولا تكنْ من كلام الناس هيَّابا

واشفع شفاعة أنفٍ لم يكن ذَنَباً   فانّ من شُفعاء الناس أذنابا

---

١) ويروى : من شرّ ما جرى . ويروى : ما جنى . (قال) اي اذا جنى ابن عمّي جناية لم اخذلهُ ولكني ادفع عنهُ ولا الزمهُ جنايتي . وفي هذين البيتين غناء لابراهيم الموصلي

٢) ويروى : وفضّلني في القول . . من اعني

فاتى سفيان زيدًا الكاتب ولم يفارقه حتى قضى حاجتهُ . وذكر البلاذري في كتاب الاشراف (ص ٣٤٠ .éd. Ahlwardt, B^d XI) انَّ اعشى بني ابي ربيعة قال شعرًا يحث فيهِ عبد الملك على بَيْعة الوليد وخَلْع اخيهِ عبد العزيز (من المنسرح):

ابنُك أَولى بمُلكِ والدهِ ... وعَمُّهُ إِذْ عَصاكَ مُطَّرَحُ

ورّثتَ عثمانَ وابنَ حَربٍ ومَنْ ... وانَ وكلٌّ للهِ قد نَصَحوا

فعِشْ حميدًا واعمَلْ بسُنَّتهم ... تَكُنْ بخَيْرٍ واكدَحْ كما كَدَحوا

(قلنا) وهذه الابيات تُروى مع بعض اختلاف في الرواية لنابغة بني شيبان من جملة قصيدة طويلة (اطلب الصفحة ١٣٨—١٣٩)

ومما روى ابو فراس عن خداش (الاغاني ١٦ : ١٦٣ حماسة ابي تمَّام ٧٧٣) ان اعشى بني ربيعة دخل على سليمان بن عبد الملك وهو وليّ عهد فقال (من الطويل):

أَتينـا سُليمانَ الاميرَ نزورهُ ... وكان امرءًا يُحْبَى ويُكرَمُ زائِرُهْ

اذا كنتَ بالنَّجوى بهِ متفرِّدًا ... فلا الجودُ مُخْليهِ ولا البُخلُ حاضِرُهْ (١

كِلا شافعي سوءالهِ من ضميرهِ ... عن الجهل ناهيهِ وبالحِلْمِ آمِرُهْ (٢

فاعطاهُ واكرمهُ وامر كلَّ من كان بحضرتهِ من قومهِ ومواليـهِ بصلتهِ فوصلوهُ فخرج وقد ملأ يديهِ

وكان الاعشى في الكوفة لمَّا تولَّى الحجاج على العراق سنـة ٧٥ هـ فوجد منهُ الحجَّاج ما كرههُ . قال ابن حبيب (الاغاني ١٦ : ١٦٢) : «كان الحجَّاج قد جفا الاعشى واطَّرحهُ لحالة كانت عند بشر بن مروان . فلمَّا فرغ الحجَّاج من حرب الجماجم(٣ ذكر فتنة ابن الاشعث وجعل يوبخ اهل العراق ويؤنبهم فقال من حضر من اهل البصرة :

١) قال في الحماسة (٧٧٤) : النجوى المسارّة . يقول : اذا وقفتَ في خاطرهِ وانفردت بمناجاتهِ فالجود نُصب عينيهِ والبخل غائب عن همّهِ

٢) وفي الاغاني : «فلا شافعي» وهو تصحيف . (قال) جعل للسوءال شافعين وكلاهمـا ينهاهُ عن البخل ويأمرهُ بالبذل

٣) الجماجم مكان قرب الكوفة عنـدهُ كانت وقعة محمَّد ابن الاشعث مع الحجَّاج سنة ٨٢ هـ (٧٠١م) قيل انهُ دُعي بالجماجم لكثرة من قُتل بهِ فبُني من جماجمهم بناء

انَّ الريب والفتنة بدَأَا من اهل الكوفة وهم اوَّل من خلع الطاعة وجاهر بالمعصية . فقال اهل الكوفة : لا بل اهل البصرة اوَّل مَنْ اظهر المعصية مع جرير بن هميان السَّدوسي اذ جاء من الهند . واكثروا من ذلك فقام اعشى بني ابي ربيعة فقال : « أَصلَح الله الامير لا َبراءَ من ذنبٍ ولا ادّعاءَ على الله في عصمةٍ لاحد من المصرَيْن قد والله اجتهدوا جميعاً في قتالك فأبى الله الَّا نَصْرَكَ وذلك انهم جزعوا وصبرتَ وكفروا وشكرتَ وغفرتَ اذ قدرتَ فوَسعهم عفوُ الله وعفوك فنجوا فلولا ذلك لبادوا وهلكوا » . فسُرَّ الحجّاج بكلامهِ وقال له جميلًا وقال : تهيَّأ للوفادة الى امير المؤمنين حتى يسمع هذا منك كفاحاً

وحدَّث حمَّاد بن اسحاق عن ابيهِ قال (الاغاني١٦ : ١٦٢) : بلغ الحجَّاج ان اعشى بني ابي ربيعة رثى عبد الله بن الجارود(١) فغضب عليهِ فقال يعتذر اليهِ (من الطويل) :

أَبِيتُ كأَنّي من حِذار ابن يوسفٍ ... طريدُ دمٍ ضاقت عليهِ المَسالكُ
ولو غيرُ حجّاجٍ اراد ظُلامتي ... حمَتْني من الضيمِ السيوفُ الفواتكُ
وفِتْيانُ صدقٍ من ربيعةَ قَصْرةٍ ... اذا اختلفت يومَ اللقاء النيازكُ
يُحامون عن احسابهم بسيوفهم ... وارماحُهم واليومُ اسودُ حالكُ

فرضي عنهُ . وكان بين اهل الكوفة رجلٌ شهير بفضلهِ وكرمهِ وهو اسماء بن خارجة . اشتهر وفيهِ يقول عبدالله بن زبير يثني على جودهِ :

أَلم ترَ انَّ الجود أَرسل فانتقى ... حليفَ صفاء وانْتلى لا يزايلُهْ
تخيَّرَ اسماءَ بن حصنٍ فبُطّنت ... بفعلِ العَلا أَيمانُهُ وشمائلُهْ
ولا مَجد الَّا مجدُ اسماءَ فوقَهُ ... ولا جَرْيَ الَّا جَرْيُ اسماءَ فاضلُهْ
تراهُ اذا ما جئتَهُ متهلّلا ... كأنك تعطيهِ الذي انت نائلُهْ

---

١) عبدالله بن الجارود العبديّ من اهل البصرة خالَفَ الحجّاج بن يوسف والي العراق في امرٍ وتبعهُ وجوه الناس فاقتتلوا قتلاً شديدًا فقُتل ابن الجارود وجماعة من اصحابهِ سنة ٧٥هـ

ولو لم يكن في كفّهِ غيرُ روحهِ   لجادَ بها فليتَّقِ اللهَ سائلُهْ

وقد امتدح اعشى بني ابي ربيعة اسماء المذكور فأعطاهُ وكساهُ فقال (من الوافر) :

لَأَسماءُ بنِ خارجةَ بنِ حِصْنٍ   على عِبْءِ النوائبِ والغَرامَهْ

أَقلُّ تعلُّلاً يوماً وبُخلاً   على السُّؤَّال من كعب بن مامَهْ (١

ومَصْقَلةَ الذي يبتاعُ بَيْعاً   رَبيحاً فوق ناجيةَ بن سامهْ (٢

ومن شعرهِ ما رواهُ لهُ الطبري في تاريخهِ يذكر يوم ذي قار الذي انتصر فيهِ العرب على العجم (من الوافر) :

ونحنُ غداةَ ذي قارٍ أَقمْنَا   وقد شهدَ القبائلُ مُحلِبينا

وقد جاؤوا بها جَأْواءَ فَلْقاً   مُلَملَمةً كتائبُها طَحونا

لِيوم كريهةٍ حتى تجلّت   ظِلالُ دُجاهُ عنَّا مُصْلَتينا

فولَّوْنا الدوابرَ واتَّقَوْنا   بنعمانَ بن زُرْعةَ أَكتعينا

وذُدْنا عارضَ الأحرارِ وِرْدًا   كما وَرَدَ القَطا الثَمدَ المعينا

واعلم انَّ اعشى بني ابي ربيعة يُدعى ايضاً «اعشى شيبان» فيُنسَب الى هذا ما ينسبهُ آخرون الى ذاك فهذا الجاحظ في البيان والتبين (١ : ١٥١) قد نسب الى اعشى بني شيبان ما رواهُ في الاغاني والحماسة لاعشى بني ابي ربيعة . ومن ثمَّ نظنُّ انَّ ما ينسب في بعض التآليف لاعشى بني شيبان هو لاعشى بني ربيعة الشيباني كالذي جاء مثلًا في تاريخ الطبري (٢ : ١١٧٧) وفي كتاب انساب الاشراف البلاذري (ص ٢١٣) :

١) كعب بن مامه هو الايادي الذي اعطى في البرّية حصّتهُ من الماء رجلًا طلبها منهُ فمات هو عطشًا وضُرب المثل بجودهِ ٢) مصقلة هو مَصقلة بن هبيرة البكري (اطلب اخبارهُ في المشرق ١٤ [١٩١١] : ٨٢٨-٨٣٢) . وناجية قبيلة من العرب ينسبون الى ناجية بن سامة وقيل بل ناجية امهم . قال الكلبي : جعل الاعشى ناجية رجلا وهي امرأة لضرورة الشعر . والله اعلم

وهوَ في معنى مــا ذُكر سابقاً من اقوال اعشى بني ربيعة لعبــد الملك (من مجزوء الكامل) :

عرفتْ قريشٌ (١ كلُّهــا لبني ابي العاصِ الإمارَهْ
لِأَبَرّهــا وأحقّهــا عند المَشورةِ بالاِشارَهْ
المــانِعين (٢ لِمــا وَلُوا والنّافعين ذوي الضرارَهْ
وهمُ احقُّهمُ بهــا (٣ عند الحَلاوةِ والمرارَهْ

وفي حماسة البحتري (ع ٤٨٣) قولهُ في الشماتة وعاقبتها (من الوافر) :

اذا ما المرء غالتْهُ شَعُوبٌ فمــا للشّامتين بهِ خُلودُ
وريبُ الدهر بالانسانِ جمٌّ ولا تُنْجي من التّلفِ الجُدودُ

والى اعشى بني شيبان ينسَبُ ايضاً في بعض المخطوطات قولهُ في المقايسة بين امور الزمان (من السريع) :

يا ايهــا السائلُ عن مــا مضى من ريبِ هذا الزمنِ الــذاهبِ
ان كنت تبغي الــعلمَ او نحوَهُ او شاهــدًا يُخبر عن غــائبِ
اعــتَبرِ الارضَ باسمائهــا واعتبرِ الصــاحبَ بالصاحبِ

وكذلك يُنسب الى اعشى شيبان في كتاب الكتّاب للصولي (ص ١٧٧) قولهُ (من البسيط) :

يا عمرو أَقصدْ نواكَ اللهُ بالرَّشَدِ واَقْرِ السلام على الأَبقاء والقَصَدِ(٤
وبكِ عيشاً تولّى بعــد جــدّتهِ طابت أَصائلُــهُ في ذلــك البَلَــدِ

---

١) ويروى : عرفت أُمَيَّةُ ٢) ويروى : والتابعين

٣) ويروى : وهمُ احقُّ بإرثها

٤) ورد هذا البيت في اللسان (٢٢٢:٢٠) وفي التاج (٢٧٩:١٠) وروايتهما : يا عمرو أحسنْ . وروى في الصحاح : على الدَّأْفاء بالثَّمدِ . ويروى الزلفاء بالزاي . . على الأبقاء والثَّمدِ . قالوا : نواك الله اي حفظك وصحبك في سفرك

٦ مَرْقس الطائي

نضيف الى الاعشيَيْن التغلبيّ والشيبانيّ احدَ الطائيّين الذي عُرف في عهدهما وذكر في شعرهِ حرب الحروريّة في ايّام عليّ بن ابي طالب. ألا وهو مَرْقس الطائي. وكفى بأسمهِ دليلاً على نصرانيّتهِ

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ هو احد بني طيّ اليمنيين الذين تكرَّر ذكر تنصُّرهم (اطلب كتابنا النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة (ص ١٢١—١٢٢ و ١٣٢—١٣٣). اما اسم مَرْقُس هذا فذكرهُ في التاج (٤: ١٦٣) فقال: «مَرْقَس كمَقْعَد بفتح الميم والقاف ويقال بضمّ القاف مَرْقُس». (قلنا) وهذا الصواب وهو اسم نصرانيّ صريح وتعريب اسم الانجيليّ الشهير القديس مَرْقُس (١). (قال) «واسمهُ عبد الرحمان» (قلنا) وفي هذا دليل على انَّ النصارى كانوا يتَّخذون لهم اسمَين اسماً في العماد يدلُّ على نصرانيَّتهم واسماً آخر يُعرَفون به. وهكذا كان يفعل بزماننا ايضاً كثيرون من النصارى. وقال في التاج انَّ الصواب في اسمه «عبد الرحمان بن مرقُس» امَّا في الحماسة فقال «انّ اسمهُ عبد الرحمان ولقبهُ مرقس»

وقد ذكر المبرّد نسبهُ في الكامل (٥٦٣—٥٦٤) وابو تمّام في الحماسة (ص٢٩٧) قالا: «كان من طيّ واسمهُ عبد الرحمان احد بني معْن بن عتّود اخي بُحتر ثم احد حُيَيّ (ويروى حُيَي) بن مَعْن من بني طيّ كأبي زبيد السابق ذكرهُ وقد أجمع الكتبة كلهم بانهُ «شاعر طائي» لكنَّهم لم يرووا لهُ من الشعر الّا ابياتاً من الرجز اثبتها ابو تمّام في حماسته (ص ٥٦٣—٥٦٣) قالها في اقاء بني مَعْن الحَروريّة والحروريَّة قوم من الخوارج قاتلوا عليّ بن ابي طالب مع نَجْدة بن عامر الحنفي نُسبوا الى حَرُوراء قرية تبعد ميلَين عن الكوفة كانوا اجتمعوا فيها فقال مرقس يذكر قومهُ (من الرَّجز):

قد قارَعتْ مَعْنُ قِراعاً صُلْبا   قِراع قومٍ يُحسنون الضَّرْبا

---

١) ومن الشعراء النصارى الذين ذكرناهم سابقًا في «شعراء النصرانيّة» (ص ٢٨٢) المرقّش الاكبر. ولهُ ابن اخ يُعرف بالمرقّش الاصغر قالوا انهُ دُعي بذلك لبيت قالهُ:

الدارُ قفرٌ والرسومُ كما   رقّشَ في ظهر أديم قَلَمْ

ولعلّ الصواب انّ «المرقّش» صورةٌ اخرى لاسم «مرقس»

تَرَى مع الروعِ الغُلامَ الشَّطْبا اذا أحسَّ وَجعاً او كَرْبًا (١
دَنا فما يزدادُ إلّا قُرْباً تَمرُّسَ الجَرْباء لاقتْ جُرْبا (٢

هذا ما امكنَنَا الوقوف عليهِ من اخبار وشعر هذا الطائيّ اثبتناهُ هنا مع قلّتهِ

٧ نابغة بني شيبان

﴿ اسمهُ ونسبهُ ﴾ ذكرهُ ابو الفرج في الاغاني (٦ : ١٥١) فقال : « اسمهُ عبدالله ابن المخارق بن سليم بن حضيرة بن قيس بن سنان بن حمّاد بن جارية بن عمرو بن ابي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن عليّ بن ابي بكر بن وائل » ثمّ أوصلهُ بربيعة بن نزار . وقد وقع بعض اختلاف باسمهِ ونسبهِ . قال السيوطي في المزهر (٢ : ٢٢٩) عن ابن دريد « نابغة بني شيبان جمل بن سعدانة » (كذا) . ودعاهُ الزمخشري في الكشّاف (ص ٤١) : « النابغة الذهليّ » وفرق بينهُ وبين النابغة الشيباني الذي يدعوهُ « جمل بن سعد » . ودعاهُ صاحب مجموعة المعاني (ص ١٤٠) « عبيدالله بن مخارق » وسمّاهُ كثيرون « مخارق » . وجاء في تاج العروس (٦ : ٣٢) انهُ « عبدالله بن مخارق بن سليم بن حصرة (وفي ديوانهِ : خضرة) بن قيس بن شيبان (لا سنان كما ورد في الاغاني) بن حمّاد بن حارثة (لاجارية كما ذُكر في الاغاني . وروى في ديوانهِ : « بن حارث ») ولم يذكر « ذهلاً » في السلسلة

﴿ جنسهُ ودينهُ ﴾ قال في الاغاني : انهُ « شاعر بَدَوي » . كان يُقيم كما نظنّ في حدود الشام مع قومهِ بني شيبان ويتردَّد على مدنها . فهو يذكر في شعرهِ دمشق وبعلبك . امّا دينهُ فقال عنهُ ابو الفرج : « وكان فيما ارى نصرانيًّا لاني وجدتُهُ في شعرهِ يحلف بالانجيل وبالرهبان وبالأَيمان التي يحلف بها النصارى » . وكذلك قال الصفدي في الوافي بالوَفيات (Ms de Paris, 2432, f. 79) : « قيل انهُ كان نصرانيًّا » . ويدعوهُ عبد العزيز بن مروان (الاغاني ٦ : ١٥٢) « بابن النصرانيّة »

---

١) الشَّطْب السَّبْط العظام الخفيف اللحم . (قال) واكثر ما يستعملون هذا الوصف بالماء . يقولون فرسٌ شَطْبَة ٢) اي لا يتأخر عن الدنوّ من العدوّ بل يزداد مع الروع اقترابًا لمحاربتهِ . والتمرُّس التحكُّك . اي تمرُّس المِثْل بمثلهِ كالشاة الجرباء اذا لاقت مثلها

﴿زمانهُ واخبارهُ﴾ نبغ نابغة بني شيبان في اواخر القرن الاوَّل وفي القسم الاوَّل من القرن الثاني للهجرة اعني ختام القرن السابع وفي شطر من القرن الثامن للمسيح. قال صاحب الاغاني: « كان النابغة من شعراء الدولة الامويَّة وكان يفد الى الشام الى خلفاء بني اميَّة يمدحهم فيجزلون عطاءهُ ... ومدح عبدالملك بن مروان ومَنْ بعدهُ من ولدهِ »

ومن اخبارهِ مع عبدالملك (٦٥—٨٦ هـ = ٦٨٥—٧٠٥م) ما حدَّث بهِ العُمَري عن العُتْبي (الاغاني ٦: ١٥١) والصفدي في فوات الوفيات قالا: لمَّا همَّ عبدالملك بخلع اخيهِ عبد العزيز وتولية الوليد ابنهِ العهدَ وكان نابغة بني شيبان منقطعاً الى عبدالملك دخل اليهِ في يوم حَفْل والناس حواليهِ وولدهُ قدَّامهُ فمثَلَ بين يديهِ وانشدهُ قصيدة طويلة رواها جامع ديوانهِ واقتطف منها ابو الفرج والصفديّ بعضها هذا اوَّلها (من المنسرح):

اشتقْتَ وانهلَّ دمعُ عينك إذْ اضحى قِفارًا من اهلهِ (١ طَلَحُ
بسابسٌ دارُها ومَعدِنُها تُمسي خلاءً وما بها شَبَحُ
كأنَّهُ لم يكن بها احدٌ فالقلبُ من قَلْب مَنْ نأى قَرِحُ

ثم انتقل من وصف الاطلال الى ابتعادهِ عنها راكباً ناقتهُ السريعة فبلغت بهِ الى الممدوح فقال وهو يذكر انتصار عبدالملك على ابن الزبير ويحضُّهُ على تولية ابنهِ الوليد بعدهُ:

فكم ورَدْنا من منهلٍ أَبدٍ اعذبَ ما تستقي بهِ المُتُحُ
آمِلُ فضلًا من سيبِ منتجعٍ اياهُ ينوي الثناءُ والمِدَحُ
أَزَحْتَ عنَّا آلَ الزُّبَيْر ولو كانوا هم المالكين ما صَلَحوا (٢
تسوسُ اهلَ الإسلامِ عُمْلَتُهم (٣ وانت عند الرحمان منتصحُ
إن تَلقَ بَلْوى فانت مُصطبرٌ (٤ وان تلاقِ النُّعمى فلا فَرِحُ

١) وفي ديوانهِ: اشقتَ... من خلَّتي ٢) وفي الديوان: ولو كان امام سواك ما صلحوا ٣) العُمْلة والعمَلة أجر العمل ٤) وفي الديوان: فصابرٌ أُنُفٌ

ترمي بعيني أروى على شرفٍ ... لم يودهِ عائر ولا لَمحوا(١
تبينُ فيهِ عُنقُ الأعاصي كما ... يبينُ يوماً للناظر الصُبحُ
آلُ ابي العاص اهلُ مأثرةٍ ... غُرٌّ عِتاقٌ بالخير قد نفحوا(٢
خيرُ قريشٍ وهم أفاضلُها ... في الجدّ جدٌّ وان هُم مَزَحوا
أرحبُها ذَرعاً وأخبرُها ... انتم(٣اذا القومُ في الوغى كَلَحوا
امَّا قريشٌ فانت وازعُها (٤ ... تكفُّ من شغبهم اذا طَمَحوا
حفظتَ ما ضيَّعوا وزَندهمُ ... أوريتَ إنْ أصلدوا وان قدَحوا(٥
مناقبُ الخير انت وارثُها ... والحمدُ ذُخر تُغلَى بهِ الرِبحُ
آليتُ جُهداً وصادقٌ قسَمي ... بربِّ عبدٍ تجنُّهُ الكِرَحُ(٦
يظلُّ يتلو الانجيلَ يدرسهُ ... من خشيةِ الله قلبُهُ طَفِحُ(٧
لابنكَ أولى بملكِ والدهِ ... وعمُّهُ ان عصاك مُطَّرَحُ (٨
داؤدُ عدلٌ فاحكُمْ بسيرتهِ ... وآل مَروانَ كانوا قد نصَحوا (٩
فهم خيارٌ فاعمَلْ بسُنَّتهم ... وأحيَ بخيرٍ واكدَحْ كما كَدَحوا

راجع ما قلنا في ما رُوي من هذه الابيات لاعشى بني ربيعة(ص ١٣٢)

(قال)فتبسَّم عبدالملك ولم يتكلّم في ذلك بإقرار ولا دَفع فعلم الناس انَّ رأيَهُ خَلعُ عبدالعزيز. وبلغ عبدَ العزيز قولُ النابغة فقال: لقد ادخَلَ ابنُ النصرانيَّة نفسهُ

١) وفي الديوان: لعينَيْ أَقنى .. لم يودهِ عائدُ ولا لحِحُ ٢) روى الصفدي: قد لقحوا ٣) وفي الديوان: واصبرها صبراً ٤) وفي الاغاني: فانت وارثُها. تكفُّ عن صعبهم ٥) وفي الديوان: إذ اصلدوا وقد قدحوا
٦) وفي الاغاني تصفَّح هذا الشطر فرواهُ: لربِّ عبدالله ينتصحوا. ورواهُ الصفدي: بربِّهِ عبدالله ينتصحُ. والكِرَح جمع كرْح وهو الدير وبيت الراهب ٧) وفي الديوان: فهو يتلو. قلبهُ فضحُ. وروى الصفدي: وقلبهُ قَرِحُ. وفي البيت شاهد على نصرانيَّة الشاعر
٨) وفي الاغاني: ونجمُ من قد عصاك ٩) وفي الاغاني: ثمّ ابنُ حرب فانَّهم نصحوا

مدخلًا ضيّقاً واوردها مَوْرِدًا خَطِرًا وبالله عليّ لئن ظفرتُ به لأخضبنّ قدمهُ بدمهِ

وفي السنة ١٠١هـ(٧٢٠م) تولّى الخلافة يزيد بن عبدالملك فارسل اخاهُ مسيلمة لمحاربة يزيد بن المهلّب وكان الخليفة ناقماً عليهِ وهو قد فرَّ من سجن سَلَفِهِ عمر بن عبد العزيز وخرج مع آل المهلّب وتفاقم امرهُ فغلبهُ مسيلمة وقطع رأسهُ وارسلهُ الى يزيد اخيهِ سنة ١٠٢ (٧٢١م) فدخل النابغة الشيباني عليهِ وانشدهُ قصيدةً في تهنئتهِ بالفتح رواها جامع ديوانهِ وهي تزيد عن مئة بيت واختار منها صاحب الاغاني وصاحب الحماسة البصريَّة وغيرهما بعض ابياتها . اولها (من الوافر) :

أَلا طالَ التنظُّرُ والثواءُ وجاءَ الصيفُ وانكشفَ الغطاءُ

وليس يُقيمُ ذو شَجَنٍ مقيمٌ ولا يمضي اذا ابتُغي المَضاءُ (١

طِوالَ الدَّهر إلَّا في كتابٍ ومِقْدارٍ يوافقُهُ القَضاءُ (٢

فما يُعْطَى الحريصُ غِنًى لِحِرْصٍ وقد يُنْمَى لذي الجودِ الثَّراءُ

وفي هذه القصيدة حِكَمٌ جليلة يروي الادباء ابياتاً منها يتمثَّلون بها كقولهِ :

غِنَى نفسٍ اذا استغنَتْ غَناءٌ وفقرُ النفس ما عَمِرَتْ شَقاءُ

اذا اُستحيا الفتى ونَشا بِحِلْمٍ وسار الحيُّ خالفَهُ السَّناءُ

وليس يَوَدّ ذو ولدٍ ومالٍ خفيفَ الحِلْم ليس لهُ حَياءُ

وَمَنْ يكُ حَيّاً لم يلقَ بؤساً يُنِخْ يوماً بعَقْوتهِ البَلاءُ (٣

تَعاوَرُهُ بناتُ الدهر حتى تُثلِّمَهُ كما انثلَمَ الإناءُ

وكلُّ شديدةٍ نزَلَتْ بحيٍّ سيأتي بعد شدَّتها الرَّخاءُ

---

١) وفي الديوان : اذا ابتمآ (كذا) ٢) وفي التاج(١٠ : ٢٩٦)بمقدارٍ (قال) : والقضاءُ الحكمُ الفصل وأداء الدين ٣) روى في الحماسة البصريَّة (١ : ٢٤٠) : ومن يكُ سالمًا . ويروى : ومن يكُ ذا حيًا . ويروى : «بحرمتهِ» بدل عقوتهِ

فقل للمتّقي عَرْضَ المنايا(١ … توقَّ فليس يَنفعك اتّقاءُ
ولا تبك المصاب فايُّ حيٍّ … اذا ما ماتَ يُحييهِ البكاءُ
وقُلْ للنفس: مَنْ تُبْقي المنايا؟ … فكلُّ الناس ليسَ لهم بقاءُ
تَعزَّيْ بالأسى في كلِّ حيٍّ … فذلك حين ينفعها العَزاءُ
ستَفنى الراسياتُ وكلُّ نفسٍ … ومالٍ سوف يبلغُهُ الفناءُ
يُعمَّرُ ذو الزمانةِ وهو كَلٌّ … على الادنى وليس لهُ غَناءُ
ويَرْدَى المرءُ وهو عميدُ حيٍّ … ولو فادَوْهُ ما قُبِلَ الفداءُ
اذا حانت منيّتُهُ وأوصى … فليس لنفسهِ منها وقاءُ
وكلُّ أُخوَّةٍ في الله تَبقى … وليس يدومُ في الدنيا إخاءُ
أَصِبْ ذا الحلْم منك بسجْل وُدٍّ … وصِلْهُ لا يكن منك الجَفاءُ
ولا تَصلِ السفيهَ ولا تُجبْهُ … فانَّ وصالَهُ داءٌ عَياءُ (٢
وانَّ فراقَهُ في كلِّ امرٍ … وَصرْمُ حبالِ(٣ خلّتهِ شِفاءُ
وضيفَكَ ما عمرْتَ فلا تُهِنْهُ … وآثِرْهُ وان قلَّ العَشاءُ
ولا تجعلْ طعامَ الليلِ ذُخرًا … حِذارَ غدٍ لكلِّ غدٍ غِذاءُ
وكلُّ جراحةٍ تُؤْسى فتبرا … ولا يَبرا اذا جرَحَ الهجاءُ
يؤثّر في القلوب لهُ كلومٌ … كداء الموتِ ليس لهُ دواءُ
من الشعراء أكْفاءٌ فحولٌ … وفرّاثون إنْ نَطقوا أساءوا

١) وفي ديوانه: حَدث المنايا ٢) كذا في حماسة البحتري (ع ٣٢٢) وفي الديوان: فانّ وصال ذي الخزيات داءٌ . الخزية العيب ٣) وفي حماسة البحتري: وقطعُ حبال

فهل شِعْرانِ شعرُ غِناً وحُكْمٍ وشعرٌ لا يَهيجَ بهِ سَواءُ

فان يكُ شاعرٌ يَعْوي فاني وجدتُ الكلب يقتُلُهُ العوَاءُ

وفيها يقول يمدح يزيد :

أَؤُمُّ فتًى من الاعياص مَلْكاً أَغَرَّ كأَنَّ غُرَّتَهُ ضِياءُ

لِأَسْمِعَهُ غريبَ الشعر مَدْحاً وأُثني حيث يَتَّصلُ الثناءُ (١

يزيدُ الخيرِ وهو يزيدُ خيراً وينمي كلّما ابتُغِيَ النَّماءُ

الى الشُّمِّ الشَّمارخ من قُرَيشٍ تَحوَّبَ عن ذوائبها العَماءُ (٢

قريشٌ تبتغي المعروف قِدْماً وليس كما بنَيْتَ لها بناءُ

فَضَضْتَ كتائبَ الازديِّ فضاً بكَبْشك حين لَفَّهما اللقاءُ (٣

وعادتُهُ اذا لاقى كباشاً فناطَحهُنَّ قتلٌ واحتواءُ

أبدتَ عدوَّهم وعفوتَ عفوًا به حُقِنَتْ من الناسِ الدماءُ

سَمَكْتَ لهم بإذنِ الله ملكاً كما سُمِكَتْ على الارضِ السماءُ

واحيَيْتَ العطاءَ وكان مَيْتاً ولا والله ما يَحمي العطاءُ

ففي كلِّ القبائل من مَعدٍّ ومن يَمنٍ له ايضاً حِباءُ

وَصَلْتَ اخاكَ وهو وليُّ عهدٍ وعند الله في الصلة الجزاءُ

نُرَجّي ان تكون لنا إماماً وفي مُلك الوليد لنا الرجاء (٤

هشامٌ والوليدُ وكلُّ نفسٍ تريد لك الفناء لك الفداءُ (٥

١) وفي الديوان: غريب الشعر غرا . حيث ينتضلُ ٢) قال ويروى: يجوبُ على دوائبها العماء . والعماء السحاب الرقيق ٣) يريد يزيد بن المهلب . ويروى: بكبشك وهو بغيتهُ اللقاءُ ٤) اراد الوليد ابن الخليفة يرجو لهُ الخلافة بعد ابيهِ بنبذ حقوق اخوي الخليفة هشام والوليد ابني عبد الملك ٥) في الاغاني: تريد لك الفناء (كذا)

وانت ابنُ الخلائفِ من قُريشٍ نَموْكَ وفي عَداوتهم إباءُ
إمامُ الناس لا ضَرْعٌ صغيرٌ ولا قَحْمٌ يُثلِّمُهُ الزَّكاءُ
على الأَعياص عندك حين تُغْفِي لممتدحٍ من الثمَن الغَلاءُ
ومحتبطين من بلدٍ بعيدٍ عَبأْتَ لهم سِجالكَ حين جاؤوا
كشفتَ الفقرَ والإقتار عنهم فنالوا الخير وانكشفَ الغطاءُ
فعيصُكَ خيرُ عيص في قريشٍ وهم من كلّ سَيِّئاتٍ بَرَاءُ
أولاك السابقونَ بكل خيرٍ اذا كَذَبَ المسبِّقةَ البِطاءُ

وقد روى البحتري في حماسته (ع ١٢٢٤) بيتين من هذه القصيدة لم نجدهما في الديوان وهما :

وكائِنْ قد تراهُ يُسِرُّ أمرًا عليهِ من سريرتهِ لِوَاءُ
ومُظهرٍ عارفٍ ومُسِرِّ سوءٍ وما يَمحو سريرتَهُ الرِئاءُ

قال ابو الفرج (٦ : ١٥٢) : فامر لهُ (يزيد) بمائة ناقة من نَعَم بني كَلْب وأن تُوقَر لهُ بُرًّا وزبيباً وكساهُ واجزل صِلَتهُ

(قال) ووفد النابغة الى هشام لما وليَ الخلافة (١٠٥—١٢٥هـ = ٧٢٤—٧٤٣م) فلمّا رآهُ زجرهُ وشتمهُ ثمّ قال : الستَ القائل :

هشامٌ والوليدُ وكلُّ نفسٍ تريد لك الغَناءَ لكَ الفداءُ

أَخرجوهُ عني والله لا يرزأني شيئاً ابدًا . وحرمهُ ولم يزل أيامهُ طريدًا حتى ولي الوليد بن يزيد (١٢٥—١٢٦ هـ = ٧٤٣—٧٤٤ م) فوفد اليهِ ومدحهُ مدائح كثيرة فأجزل صِلتهُ

وممّا اخبرهُ في الاغاني (٦ : ١٥٣) انَّ ابا كامل مولى الوليد بن يزيد غنَّى يوماً بحضرتهِ ابياتاً في مديح الخمرة فسأل الوليد عن قائل هذا الشعر فقيل نابغة بني شيبان

فامر باحضارهِ فاحضرهُ فاستنشدهُ القصيدة فانشدهُ ايَّاها وظنَّ انَّ فيها مدحاً لهُ فاذا هو يفتخر بقومهِ ويمدحهم فقال لهُ الوليد: لو سَعَدَ جدُّك لكانت مديحاً فينا لا في بني شيبان ولسنا نُخليك على ذلك من حظّ. ووصلهُ وانصرف. واوَّل هذه القصيدة (من الرمل):

حلَّ قلبي من سُلَيمى نَبْلُها اذ رمَتْني بسِهامٍ لم تَطِشْ

وفيها وصفُ الخمرة:

ايُّها الساقي سقَتْكَ مُزْنَةٌ (١ من ربيعٍ ذي أهاضِيبَ وطَشْ
إمدَحِ الكأسَ ومَن أعمَلها واهجُ قوماً قتَلُونا بالعَطَشْ
انّما الكأسُ ربيعٌ باكرٌ فاذا ما غابَ عنَّا لم نَعِشْ (٢
وكأنَّ الشَّرْبَ قومٌ مُوِّتوا مَن يَقُم منهم لأمرٍ يرتعشْ
خُرُسُ الأَلسُنِ ممَّا نالهمَ بين مصدوعٍ وصاحٍ مُنْتَعِشْ (٣
من حُمَيَّا قَرْقَفٍ حُصّيَّةٍ قهوةٍ حَوليَّةٍ لم تَمْتَحِشْ (٤
ينفعُ المزكومَ منها ريحُها ثمَّ تشفي داءَهُ ان لم تَنِشّ (٥
كلَّ من يشربُها يألفُها يُنفق الاموالَ فيها كلَّ هَشّ

وفيها يقول مفتخرًا بقومهِ بني شيبان:

---

١) وفي الديوان: سقتْهُ مزنةٌ ٢) في هذين البيتين غناء لابي كامل قال في الاغاني: «ولحنُهُ المختار من خفيف الثقيل الثاني بالوسطى وهو الذي تسمّيهِ الناس اليوم الماخوري ٣) وفي الديوان: ممّا صاجم. وفي الاغاني: بين مصروعٍ ٤) الحُصَيَّة اي الشبيهة بالحصّ وهو الزعفران. ولم تمتحش لم تصها النار ٥) وفي الاغاني: تنفي داءهُ. قال في الديوان: لم تَنِش من النَّشْوة. وفي قولهِ نظر. لان النَّشْوة من نَشَا نَشْوا اي سكر. ونشَّ هنا مضاعف يقال نشَّ النبيذ اذا غلى وذهب ماؤهُ

وبنو شيبـانَ حولي عُصَبٌ منهمُ غُلْبٌ وليسوا بالقُمُش (١

ورَدوا المَجْد وكانوا اهلَـهُ فرَوُوا والمجدُ عافٍ لم يُنَش (٢

وترى الجُرْدَ لـدى أبياتهم كرِبابٍ بين صَلْصال وجَش (٣

فبها يَحْوون اموال العـدى ويصيدون عليها كلَّ وَحْش

دَمِيَتْ أكفالُها من طعنهم بالرُّدَيْنيَّات والخيـلِ النُّجُش

نُنْهِل الخَطّيَّ من اعدائنا ثمّ نفري الهامَ إن لم تفتَرِش (٤

ذاك قولي وثنـائي وهمُ اهلُ ودّي خالصاً في غير غِش

فسَلُوا شيبانَ ان فارقتُهم يوم يمشون الى قبري بنَعْش

هل غَشِينا مَحْرماً من قومنا او جزَينا جازياً فُحْشاً بفُحْش

ما احسن هذا الختام وفيهِ دليل واضح على نصرانيَّة شيبان العاملين بوصيَّـة السيد المسيح وامره بمحبَّة الاعداء

قال ابو الفرج (٦ : ١٥٤) وممّا يُغَنَّى فيهِ من شعر نابغـة شيبان وذكر يونس انَّ فيهِ لحناً آخر لابن عائشة . والقصيدة في ديوان النابغة تُنيف على ستين بيتاً اختار منهـا في الاغاني ثانية وننتقي منها ما يلي (من مجزوء الرمل) :

ذرَفَتْ عيني دموعاً من رُسومٍ بحَفِيرِ

مُوحِشاتٍ طامساتٍ مثـل آيات الزَّبُورِ

غَيَّرَتْهـا في سُفورٍ مرُّ ايَّام الـدهورِ

١) وفي الديوان : حولي منهم خَلَفٌ . والقُمُش الرعانف ٢) ويروى : والجودُ عافٍ . لم يُنَش اي لم يُنَل ولم ينقص ٣) وفي الديوان : وترى الخيل . . . كلَّ جرداء وشاحيٌ همش ٤) اي نسقي في الحرب رماحَنا الخطّيَّة من دماء اعدائنا ثمَّ نقطع رؤوسهم ان لم تخضع لنا

جادَها كلُّ مُلِثٍّ ذي اهاضِيبَ مَطيرِ
واذا النَّكباء هاجت لَعِبتْ فيها بِمُورِ
وجَنُوبٌ وشَمالٌ وصَباً بعد الدَّبُورِ
قد اذاعَتْ برسومٍ لا تَبينُ لِبَصيرِ
بُدِلَ الرَّبعُ وحوشاً من كبيرٍ وصغيرِ
ذاك من بعد حِلالٍ وأنيسٍ وعُمورِ
وهِجانٍ وقِيانٍ وقِبابٍ كالقصورِ
وخُيولٍ أرِنَاتٍ من إناثٍ وذكورِ
وسَماحيجَ سراعٍ مثلَ عُقْبانٍ كُسورِ
وحِسانٍ آنساتٍ وعَذارى في خُدورِ
قاصراتٍ ناعماتٍ في نعيمٍ وسرورِ
ليس من يذكُرُ هذا يا لَقومٍ بصَبُورِ
وكهولٍ قد أراهم كخضاريمِ البُحورِ
ورجالٍ لم يَشيبوا وشَباب كالصقورِ
كم تَرى فيهم نَديّاً من رئيسٍ كالاميرِ
ذي عَطاءٍ وغَناءٍ مُحْسنٍ نَسْجَ الامورِ
قائدٍ جيشاً لُهاماً عند حلٍّ ومَسيرِ
لَجِباً يُسْمِعُ رِزّاً عند طعنٍ ونفيرِ

فـاذا تَنْدو شبـاباً　　كلٌّ ميمونٍ هَصُورِ
ركبوا كلَّ عَانْدَى　　ذي أفانينَ صَبُورِ
فـاذا لاقوا اسودًا　　أوعدَتْ أسدًا بزِيرِ
طاعَنوا بعد رِمـاءٍ　　وِضرابٍ بالذكورِ
ومن النـاسِ غنيٌّ　　ذو سَوامٍ وقُـدورِ
ووسيطٌ في زَمـاعٍ　　ذو معـاشٍ وفقيرِ
كلُّ باغي الخير يوماً　　راكبُ الهَولِ الكبيرِ

﴿شعرهُ﴾ استحقَّ عبدالله بن مخارق الشيبـاني ان يدعوهُ قومهُ نابغةً لجودة شعرهِ الجامع بين المتانة والانسجام . وديوانهُ قد نجا من آفات الـدهر منهُ نسخةٌ في مكتبة مصر المعروفة سابقاً بالخديويَّة عنها نُقلت نسخة مكتبتنا الشرقيَّة . وهي تتألَّف من ٤٦ صحيفة اعني ٩٢ صفحة وفي الصفحة ١٥ بيتاً ومجموع قصائد الديوان عشرون عدًّا . على انَّ هذه النسخة سقيمة لا بُدَّ من نسخةٍ ثانية لإصلاح ما وقع فيها من التصحيف والتحريف . وهـا نحن نروي منها بعض المقاطيع التي تشهد لقائلهـا بالذكاء والقريحة الشعريَّة . وقد وجدنا في كتب الادباء ابياتاً ومقاطيع ليست في هذا الديوان فنروي منها ما نرى من ايرادهِ فائدةً . فمن شعر النابغة الشيباني المختار قصيدتهُ البائيَّة في مديح يزيد بن عبدالملك اوَّلها (من البسيط) :

بان الخَليطُ فشَطُّوا بالرَّعـابيبِ　　وهنَّ يُؤْبَنَّ بعـد الُحسن بالطِيبِ
فهيَّجوا الشوقَ اذ خَفَّتْ نَعامتُهم　　وأورثوا القلبَ صَدْعاًغيرَ مَشْعوبِ

وهي طويلة منها قولهُ في كوارث الدهر :

ما يَطْلُبِ الدهرُ تُدْرِكْهُ مَخـالبُهُ　　والدهرُ بالوِتْرِ ناجٍ غيرُ مغلوبِ

يُبْلِي الشبابَ فيَنفي الشيبُ بَهْجَتَهُ ... والدهرُ ذو العُوصِ يأتي بالاعاجيبِ

هل من أُناسٍ أُولي مجدٍ ومأْثُرَةٍ ... إلَّا يَشُدُّ عليهم شَدَّةَ الذيبِ

حتى يُصيبَ على عهدٍ خِيارَهُمُ ... بالنافذاتِ من النَّبْلِ المَصايِيبِ

انّي وجدتُ سهامَ الموتِ مَعْدِنُها ... بكل حَتْمٍ من الآجال مكتوبِ

والدهرُ حالانِ همٌّ بعدَهُ فرَحٌ ... وفَرْحةٌ بعدها همٌّ بتغييبِ

من يَلْقَ بَلْوى يَنَلْهُ بعدَها فرَجٌ ... والناس من بين ذي رَوْحٍ ومَكْروبِ

وبينِ داعٍ الى رُشْدٍ صحابَتَهُ ... وبينِ غادٍ وذي مالٍ ومحروبِ

والعيشُ طِبْيانِ طِبْيٌ ثَرٌّ حالِبُهُ ... وطِبْيُ جَدّاءَ ذاوٍ غيرُ مَحْلوبِ

ومن حِكَمِها المصيبة :

عاتِبْ أخاكَ ولا تُكْثِرْ مَلامَتَهُ ... وزُرْ صديقَكَ رِسْلًا بعد تَغْييبِ

وان عُنيتَ بمعروفٍ فقُلْ حسناً ... ولا تَهُنْ عن ذوي ضِغْنٍ لتهييبِ

لا تحمَدَنَّ امرءًا (١ حتى تجرّبَهُ ... ولا تَذُمَّنَّهُ من غيرِ تجريبِ

انَّ الغلامَ مطيعٌ مَن يؤدّبُهُ ... ولا يُطيعُك ذو شَيْبٍ لتأديبِ

ومنها في مدح يزيد :

وان رحلتَ الى مَلْكٍ لتمدحَهُ ... فأرْحَلْ بشِعْرٍ نقيٍّ غيرِ مَخْشوبِ

وامدَحْ يزيد ولا تَذْهَبْ بمِدْحتِهِ ... وقُدْ اوائلَها قَوْدًا بتشبيبِ

انَّ الخليفةَ فرعٌ حين تَنسُبُهُ ... من الأعاصرِ هَيْجا غيرِ مَنْسوبِ

يَنْميهِ حَرْبٌ ومَرْوانٌ وأصلُهما ... الى جراثيمِ مجدٍ غيرِ مأشوبِ

١) ويروى : لا تمدحنَّ فتى

نَماكَ أربعةٌ كانوا ائمّتنا فكان مُلكُك حقّاً ليس بالحُوبِ (١

اعطاكَ مُلكاً وتقوًى انت سائلُهُ بعد الفضائل مَن أوخى الى الثُّوبِ (٢

أَبلجُ كالبَدْر عالي الهمّ مختلِفٌ يُنْمى الى الأَبْطحيّات المصاعيبِ

بحرٌ نمتْهُ بُحورٌ غيرُ ساجيةٍ تلك المخاصيبُ ابناءُ المخاصيبِ

قومٌ بمكّةَ في بطحائها وُلِدوا ابناءُ مكّةَ ليسوا بالأعاريبِ

الاكثرونَ اذا ما سال مَوْجُهمُ بكل أَصْيَدَ سامي الطَّرْف هَبْهوبِ (٣

والضاربون من الابطال هامَهُمُ ضرباً طِلِخْفاً وَهَكاً غَيْرَ تَذْبيبِ (٤

انت ابن عاتكةَ الميمونِ طائرُها امِّ الملوك بني العزّ المناجيبِ

اذا الملوك جرت يوماً لمكْرُمةٍ جَرْيَ المحاضيرِ حُثَّتْ بالكلاليبِ

جريتَ جَرْيَ عتيقٍ لم يكن وَكِلًا بَذِّ العَناجيجِ سبقاً غيرَ مضروبِ

ومن قصائده الغرّاء داليّتهُ الشهيرة التي اوّلها (من الوافر) :

أَتَصْرِمُ أَم تُواصِلُك النَّجُودُ (٥ وليس لها وإن وصلَتْك جُودُ

وفيها يقول في وصف حدثان الدهر :

وعَوْضُ الدهر بالانسانِ جَمٌّ فما للشامتين بهِ خُلودُ

وكلٌّ مُنعَّمٍ واخي شقاءٍ ومُثْرٍ والمُقِلُّ معاً يَبيدُ

اذا ما ليلةٌ مرّتْ ويومٌ أَتى يومٌ وليلتُهُ جديدُ

---

١) الحوب الإثم ٢) الثُّوب النحل ٣) الهبهوب الخفيف
٤) الطلخف والطلِخْف الشديد . وَهَكّهُ هَدّهُ
٥) النجود المرأة العاقلة النبيلة

أَباد الأَوَّلين وكلَّ قِرْنٍ وعادًا مثل ما بادت ثَمُودُ
ولا يُنجي من الآجالِ ارضٌ يُحَلُّ بها ولا القَصْرُ المَشيدُ
ولا يُحْيي الجبانَ حِذارُ موتٍ ويَبلغُ عُمْرَهُ البَطَلُ النَّجيدُ

ومنها في مدح التقى ومصاحبة الأَخيار :

ولستُ ارى السعادةَ جَمْعَ مالٍ ولكنَّ التقيَّ هو السعيدُ
وتقوى الله خيرُ الزادِ ذُخْرًا وعند الله للأَتقى مَزيدُ
فصاحِبْ كلَّ أَروعَ دَهْثَميٍّ (١ ولا يَصْحَبْكَ ذو الجَهْلِ البَليدُ
يرى ما نال غُنْماً كلَّ يومٍ صَفاةٌ حين تَخْبُرهُ صَليدُ
وشرُّ مُصاحِبٍ خَلْفٌ قَمِيٌّ ونِعْمَ الصاحبُ الخُلقُ السديدُ

ومن هجائها :

فما بالي وبالُ بني لَكاعٍ عليَّ لهم اذا شَبِعوا فَديدُ
اذا ما غبتُ عنهمُ أَوْعدوني وايُّ الناسِ يقتُلهُ الوَعيدُ
متى ما يسمعوا رِزّي يدينوا (٢ كما دانت لسيّدها اليهودُ
كأَنّهمُ لقد جَثِموا وذَلّوا مخافةَ أَن أُجدِّعَهم سُجودُ
بَهَرْتُهمُ وأَفحمَ ناطِقوهم كما بَهَرَ المُحَمَّلَةَ الصَّعودُ (٣

ومن فخرها قولهُ في بني شيبان :

---

١) الدهثميّ السَّهل الخُلُق الليّن العريكة
٢) الرِزّ الصوت الخفيف تسمعهُ من بعيد
٣) شبّه اعداءهُ بالابل الموقورة تكلُّ صعودًا . ويروى : وأُفحمُ ناطقيهم

نفى عني العـدوَّ قُرَاسِياتٌ (١ قُروم من بني شَيبـانَ صِيـدُ
فمنهم حين تَنْتطِح النواحي اذا اُذْكِرَ المـآثِرُ والعَديـدُ
فمَقرونٌ وحـارثـةُ بنُ عمروٍ هما الفرعـانِ مجدُهما تليـدُ (٢
وَبِسْطـامٌ تَغمَّـطَ والمُثنَّى بهِ قُضَّتْ من الفُرْس الجُنودُ (٣
وعَوْفُ (٤ المأْثُرَاتِ وكلِّ عهدٍ وَفيٌّ حين تُنْتَقَـضُ العهودُ
وذو المـأْنى ابو حربِ بنِ عَوْفٍ مَعاذَتُهُ تُفَـكُّ بهـا القُيودُ (٥
وكان الحَوْفزانُ شِهـابَ حربٍ رئيسَ النـاس مُتَّبَعـاً يقودُ (٦
وفَكّـاكُ العُنـاة ابو ثُبَيْتٍ يزيدُ بعدَهُ منّـا يزيـدُ (٧
وعُدَّ أبا الوَجيهـةِ في نُجومٍ نجومُ حِمَّةٌ تلـك السعودُ (٨
قَبيصَةُ وابنُ ذي الجَدَّين فيهم (٩ وأَشْرسُ والمُحَيَّةُ (١٠ والشَّريدُ (١١
وعمروٌ والأَغَنُّ عميـدُ حيٍّ وكلٌّ في أَرُومتهِ عَميدُ (١٢

---

١) القُراسيات الابل الشديدة الضخمة شبَّه بها قومَهُ ٢) هما مفروق من بني ابي ربيعة وحارثة بن عمرو بن ابي ربيعة الشيباني ذو التاج كان على بكر بن وائل يوم أُوارة حين قاتلوا المنذر بن ماء السماء ٣) هو بسطام ذو الجدَّين. والمثنَّى هو ابن حارثة الشيباني
٤) عوف من بني هند ٥) جاء في اصل الديوان: المأنى الانتظار. والمأنى جدّ الأناة والحلم. معاذَتهُ اي كان الرجل اذا أَثرَهُ قال: عُذتُ بفلان وابو حرب هو ابن عوف من بني هند ٦) هو الحوفزان بن شريك واسمهُ الحارث. وابوهُ شريك بن مطَر بن معن بن زائدة كان اكبر الناس عند المنذر (الاشتقاق لابن دريد)
٧) ابو ثُبَيْت هو يزيد بن مسهر من بني همام بن مرّة. ويزيد ابو حوشب ابنهُ
٨) ابو الوجيهة ركضة بن ركضة بن النعمن وهو من بني سعيد بن همام بن قبيصة بن ابي ربيعة ٩) قال ابن الاثير في المرصَّع (ص ٧٠): « ذو الجدَّين هو قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيباني وهو والد بسطام بن قيس سُمّي بهِ لانهُ كان أَسَرَ اسيرًا لهُ فداءٌ كبير فقال رجلٌ: انهُ لذو جَدّ في الأَسر اي حظٍّ فقال آخر: انهُ لذو جَدَّين
١٠) وأشرس من بني هند. والمحيَّة من بني ربيعة ١١) الشريد من بني مرَّة بن همام وهو خالد بن السفاحة من بني مرَّة ١٢) الأغنّ احد بني حارثة بن وهل ابو حماس بن زيد بن خُلَيد احد بني الورثة

وسادَ ابنُ القُرَيمِ وكان قَرْماً ... أخا حربٍ يُشَبُّ لها الوَقُودُ (١

وَحَمَّالُ المِئينَ ابو حِماسٍ ... اناب بها اذا ضَلِعَ اللَّهيدُ

وجادَ ابنُ الحُصَيْن وكان بحرًا ... والمِزْهازُ عند الجَهْد جُودُ (٢

ومَصْقَلَةُ الذي أجدى وأعطى ... لهُ من مَدِّ عافيةٍ وُرودُ (٣

بهِ عُتِقَ السَّبايا بعد رِقٍّ ... اذا أبطَتْ فكَّكَهُمُ الوُفودُ

جلودُهُمُ من العَثَراتِ مُلْسٌ ... نقيَّاتٌ اذا دَنِسَ الجُلودُ

أولئك أُسرتي سأذودُ عنهم ... اذا ما خامَ عنهم مَن يَذودُ

بغُرٍّ من قَوافٍ نافِذاتٍ ... جَوارِحَ في الصُّدورِ لها خُدودُ

فخيرُ الشعرِ أكرمُهُ رجالاً ... وشرُّ الشعرِ ما نَطَقَ العبيدُ

وللنابغة من قصيدة يذكر فيها الخالق عزَّ وجلَّ ويحضُّ الانسان على الصلاح (من الطويل) :

وتُعجِبُني اللذَّاتُ ثم تَعوجُني ... وتَسْتُرني عنها من الله ساترُ

فقلتُ وقد مرَّت حتوفٌ بأهلها ... ألا ليس شيءٌ غيرَ ربّيَ غابرُ

هو الباطنُ الربُّ اللطيفُ مكانُهُ ... وأوَّلُ شيءٍ ربُّنا ثمَّ آخِرُ

كريمٌ حليمٌ لا يُعَقَّبُ حكمُهُ ... كثيرُ ايادي الخير للذنبِ غافرُ

يُقيم حَصادَ الزرع بعد ارتباعهِ ... فتفنى قرونٌ وهو للزرع آبرُ

ومن يُعنَى بالأخبار عن مَن يَرُومُها ... فانّي بما قد قلتُ في الشعرِ خابِرُ

---

١) ابن القريم من بني تَيْم بن شيبان وهو سلَمة بن ثامة

٢) هو عمرو بن الحصين احد الاحلاف من بني عمرو بن همام. والمزهاز من بني ابن همَّام

٣) مصقلة من بني ثعلبة بن شيبان. عافٍ وعافية من عفوتُهُ واعتفيتهُ اذا اتيتَهُ

أَلا ايُّها الانسانُ هل انت عاملٌ   فانّك بعد الموت لا بُدَّ ناشِرُ
أَلم ترَ انَّ الخير والشرَّ فتنَةٌ   ذخائرُ تجري بهنَّ ذخائرُ
ومن يَعملِ الخيرات اويَحْظَ خالياً   يُجازَ بها ايَّام تُبلَى السرائرُ
وجدتُ الثَّرا ثمَّ المُصيباتِ كُلَّها   يجيءُ بها بعد الإلهِ المقادِرُ
فإنْ عُسرةٌ يوماً اضرَّت بأهلها   أَتتْ بعدَهامن غيرشكٍّ مياسرُ(١
ونازلِ دارٍ لا يُريد فِراقها   ستُظْعنهُ عمَّا يريدُ الجرائرُ
ومن يُنصِفِ الأَقوامَ ماكان قاضياً   وكلُّ امرئٍ لا يُنْصفُ الناسَ جائرُ(٢
ويُعْذَرُ ذو الذّنبِ المُقِرُّ بذَنبهِ   وليس لمن يُغضي على الذنبِ عاذِرُ(٣

ومن جيّد شعر النابغة لاميَّتهُ التي مدح فيها يزيد اوَّلها (من الخفيف) :

أَذِنَ اليومُ جيرتي بارتحالِ   وبِبَيْنٍ مودّعٍ وارتحالِ

وهي طويلة ومن حكمها قولهُ :

يا بُنَيَّ أستمعْ فذا وعظُ شيخٍ   عَجَمَ الدهرَ في السّنينَ الطوالِ
كلُّ عيشٍ ولذَّةٍ ونعيمٍ   وحياةٍ تُودي كفَيْءِ الظِلالِ
كفَّني الحلمُ والمشيبُ وعقلي   ونهى الله عن سبيلِ الضلالِ
وأرى الفقْرَ والغِنى بيد الله م وَحتْفَ النفوسِ في الآجالِ
ليس ماءٌ يَرْوَى بهِ مُعتَفوهُ   واتِناً لا يَغُورُ كالأَوشالِ
قد يغيضُ الفتى كما يَنقُصُ البَدْ   رُ وكلٌّ يصيرُ كالمُستحالِ
فمُحاقٌ هذا وهذا كسيرٌ   بعد ما كان ناشئاً كالهلالِ
ليس يُغني عنهُ النسيجُ ولا البُرْ   جُ ولا مُشفقٌ كريمُ الفعالِ

١) ويروى: اتت بعدها عمًّا وَعدنا المياسرُ   ٢) ويروى: لم يأتِ قاضيا . . . لا ينصفُ اللهَ   ٣) هذه رواية حماسة البحتري. وفي الديوان: و يُعذر ذو الدين الطلوب بدينهِ وليس لامرٍ يظلم الناس عاذرُ

ليس حيٌّ يبقى وان بلغ الـكَبْرَ ةَ إلّا مَصيرُهُ لـلزَّوالِ
إن تَمُتْ أنفسُ الانام فـانَّ اللهَ يبقى وصـالحَ الاعمالِ
كلُّ ساعٍ يسعى لِيُدْرك شيئاً سوف يأتي بسَعْيـهِ ذا الجَلالِ
فهمُ بين فـائزٍ نال خيرًا وشقيٍ اصـابَهُ بنِكـالِ
انَّ مَنْ يركبُ الـفواحش سِرًّا حين يخـلو بسرّهِ غيرُ خـالِ
كيف يَخْـلو وعنـدهُ كاتباهُ شاهـداهُ وربُّهُ ذو المِحـالِ (١
فاتّقِ اللهَ مـا استطعتَ وأحْسِنْ انَّ تقْوى الإلـهِ خيرُ الخِـلالِ

ومنها في مديح يزيد بن عبدالملك الخليفة:

تبتغي من يزيدَ فضلَ يديهِ اريحيًّا فرْعاً سمينَ الفَعالِ
حَكَمِيًّا بين الأعاصي وحربٍ (٢ أبطحيٌّ الأعمـام والاخوالِ
امُّـهُ مَلْكـةٌ نَمَتْهـا ملوكٌ وهي اهل الإكرام والإجلال
تلـك امُّ كَسَتْ يزيدَ بهـاءً او جمـالًا يَبُذُّ كلَّ جمـال
وابوهُ عبـدُ المليـك نمـاهُ زادَ طَوْلًا على الملوك الطِوالِ
فهو مَلْـكٌ نَمَتْهُ ايضاً ملوكٌ خيرُ من يَحْتذي رِقاقَ النِعال
حالفَ المجد عَبْشَمِيًّا إمـاماً حلَّ دارًا بها تـكونُ المَعالي
أُعطِيَ الحِلْمَ والعَفـافَ معَ الجُو دِ ورأيـاً يفوقُ رأيَ الرجالِ
وحباهُ المليـكُ تقْوًى وبرًّا وهو من سُوسِ ناسكٍ وفِحـالِ
يقطَعُ الليلَ آهَـةً وانتحـاباً وابتهـالًا لله ايَّ ابتهـالِ
تارةً راكعـاً وطورًا سجودًا ذا دموعٍ تَنْهَـلُّ ايَّ انهـلالِ
عادلٌ مُقْسِطٌ وميزانُ حقٍّ لم يَحِفْ في قضـائهِ للمَوالي

١) ذو المحال اي شديد العقوبة. ويروى: ذو الجلال. وأراد بالكاتبين ملاكين صالح وطالح يراقبان الانسان لتدوين اعمالهِ الحسنة والسيئة او هما ناكر ونكير ٢) هم اجداد بني امية

مُوفياً بالعهودِ من خَشيـةِ الله م ومن يُعْفِهِ يَكُنْ غيرَ قالِ
مُحْسنٌ مُجْمِلٌ تقيٌّ قويٌّ وهو اهلُ الاحسانِ والاجمالِ
وهو إن يَعفُهُ فِئامٌ شعوبٌ يبتدي المُعتَفين قبل السؤالِ
ويَذُدْ عنهم الخَلالةَ منهُ بسِجالٍ تَغدو أمامَ سجالِ

وقال في الخليفة عمر بن عبد العزيز (من الخفيف) :

نحو عبدِ العزيز ما تَطْعَمُ النَّو مَ ومنها بعد الرَّواح البُكورُ
وهُوَ الثالثُ الخليفةُ لله م امامٌ للمؤمنين اميرُ
ان ارادوا التُّقَى بهِ فتَقيٌّ او ارادوا عدلًا فليس يجورُ
ولدتْهُ الملوكُ مَلْكاً هُماماً فهو بدرٌ غمَّ النجومَ مُنيرُ
حَكَمِيًّا يُراحُ للمجد فَرْعاً موفياً بالعُهود حين يُجيرُ
معشرٌ مَعْدِنُ الخلافةِ فيهم بدؤها منهمُ وفيهم تَحُورُ
لا يرومنّ مُلْكَهم آدميٌّ انّ من رامَ ملكَهم مغرورُ
إبنَ أمِّ البنين انت فتى النا سِ وانتَ الموفَّقُ المأجورُ

ومن مديحهِ للخليفة الوليد (من الكامل) :

تنوي وتنتجعُ الوليدَ خليفةً يُعفى بذلك جُهْدُها وجَمامُها
ملكٌ اغرُّ نما الملكِ كفُّهُ خيرُ العطاء بدورُها وسَوامُها
تَندى اذا بَخُلَ الاكفُّ ولا تُرى تعلو براجمَ كفِّهِ إبهامُها
وهو الذي يُمسي ويُصبحُ مُحسناً شتّى لهُ نِعَمٌ جَدًّا إنعامُها

واذا قريشٌ سابَقَتْك سبقْتها بقديمٍ أُولاها وانت قِوامُها
واذا قناة المجدِ حاوَلَ اخذَها فبطول بَسْطتهِ يُبَدُّ جِسامُها
انت الذي بعد الإله هديتَها ان خاطَرَتْكَ بالقداحِ قوامُها
فورثتَ قائدها وفُزْتَ بقِدْحها وخصمتَ لُدًّا لم تَهُلْكَ خصامُها

قد سبق ما رويناهُ عن ابي الفرج الاصفهاني في نصرانيَّة النابغة الشيباني على انَّ في ديوانهِ قصيدةً تدلُّ على انهُ ارتدَّ للاسلام وذلك في قصيدة فائيَّة قالها في مديح الوليد . ومن المحتمل ان الوليد جذبهُ بالوعد او بالوعيد الى جحود دينهِ ولنا في تاريخهِ ما يُثبت تشدُّدهُ على النصارى والله اعلم . وهذه بعض ابيات تلك القصيدة (من البسيط) :

انَّ الوليدَ اميرَ المؤمنين لهُ حقٌّ من الله تفضيلٌ وتشريفُ
خليفةٌ لم يَزل يجري على مَهَلٍ اغرُّ تَنمي بهِ البِيضُ الغطاريفُ
لا يُخمِدُ الحربَ إلّاريْثَ يوقدُها في كلّ فجٍّ لهُ خيلٌ مَسانيفُ
يحوي سبيًا فيُعطيها ويقسمها ومن عطيّتهِ الجُرْدُ السراعيفُ
اخزى طَرَنْدَةَ منهُ وابلٌ بَرَدٌ وعسكرٌ لم تَفُزْهُ العُزّلُ الجُوفُ(١
مازالُمسلمةُ(٢الميمونُ يَحصُرها وركنُها بثقال الصخرِ مقذوفُ
وقد احاطت بها ابطالُ ذي لَجبٍ كما أحاط برأسِ النَّخلة الليفُ
حتّى علَوْا سُورَها من كلّ ناحيةٍ وحانَ مَنْ كان فيها وهو ملهوفُ
فاهلُها بين مقتولٍ ومُستَلَبٍ ومنها موثَقٌ في القِدِّ مكتوفُ

١) قال في الديوان : « طَرَنْد ملك الروم » والصواب ان طرندة مدينة كانت على ثلث مراحل من مَلَطية . والجُوف جمع أجْوف وهو من لا عقل لهُ ٢) هو مسلمة بن عبدالملك

يا ايها الاجدعُ الباكي لمسلكهم هل بأسُ رَبّكَ عن مَن نام مصروف
تدعو النصارى لنا بالنصر ضاحيةً والله يعلمُ ما تخفي الشراسيفُ
قلّعتَ بيعتهم عن جوفِ مسجدنا فصخرُها عن جديدِ الارض منسوفُ(١
كانت اذا قام اهلُ الدين فابتهلوا باتت تجاوبنا فيها الأساقيفُ
فاليوم فيهِ صلاةُ الحقّ ظاهرةٌ وصادقٌ من كتاب الله معروفُ
فيهِ الزّبَرْجدُ والياقوتُ مؤتلفٌ والكأسُ والذهبُ العِقيانُ مرصوفُ
ترى تهاويلَهُ من نحو قُبلتنا يلوحُ فيهِ من الالوان تشويفُ
يكادُ يُعشي بصيرَ القوم زِبرِجُهُ حتى يكادَ سوادُ العين مطروفُ
وفضّةٌ تُعجبُ الرائينَ بهجتُها كرينُها فوق اعلاهنَّ معطوفُ
وقبّةٌ لا تكادُ الطيرُ تبلغُها أعلى محاريبها بالساج مسقوفُ
لها مصابيحُ فيها الزيتُ من ذهبٍ يُضيء من نورها لُبنانُ والسِيفُ
فكلّ أفنائهِ والله زيّنهُ مُبطّنٌ برخام الشام محفوفُ
في سُرّة الارض(٢ مشدودٌ جوانبهُ وقد أحاط بهِ الانهارُ والريفُ
فيهِ المثاني وآياتٌ مفصّلَةٌ فيهنّ من رَتَبٍ وعدٌ وتخويفُ
تمّت قصيدة حقٍّ غير ذي كذبٍ في حوكها من كلام الشعر تأليفُ
قوّمتُ منها فلا زيغٌ ولا أوَدٌ كما اقام قنا الخطّيِّ تثقيفُ

١) يشير الى ما فعلهُ الوليد اذ اغتصب نصارى دمشق على كنيستهم الكبرى فحوّلها جامعاً (الجامع الاموي)
٢) سُرّة الارض اي جوفها . ويروى : سُترة

فهذا الوصف الجميل للجامع الاموي كما اصلحهُ الوليد وجمَّلهُ بضروب المحاسن الهندسيَّة من اقدم وادقّ ما انشدهُ فيهِ احد الشعراء المعاصرين . ومما قالهُ في سيرهِ في انحاء الشام (من الوافر) :

أرِقتُ وصاحِبيَّ بِمَلْبَكٍ وأرَّقني الهمومُ مع التشكّي

ومنها في رسوم الدار واطلالها :

وكم مِن دونها من خَرقٍ تيهٍ ومن رَمْلٍ ومن جبَلٍ ودَكِّ
غَشيتُ لها رسوماً دارساتٍ بأسفَلَ أملَحٍ من دون أركِ
تُغيّرها الرياحُ وكلُّ غَيثٍ لهُ حَبكٌ رُواءٌ بَعدَ حبكِ
وقفتُ بها ودمعُ العين يجري تحادُرَ لؤلؤٍ من وَهْيِ سِلكِ
ومَن يَسَلِ الرسومَ فلا تُجِبْهُ يَحِنَّ كما حننتُ بها ويبكي

ومن حِكَمِهِ ايضاً ما ورد في اوَّل قصيدة ديوانه التي بدؤُها (من الطويل) :

أرِقتُ وشرُّ الداء همٌّ مؤرِّقُ كأني اسيرٌ جانَبَ النومَ مُوثَقُ

وفيها يقول ويؤخذ منهُ انَّ نابغة بني شيبان هو المدعو بالنابغة البكريّ :

وقال العدوُّ والصديقُ كِلاهما لنابغَةَ البكريِّ شعرٌ مُصدَّقُ
فأحكَمُ ألبابِ الرجالِ ذوو التُّقى وكلُّ أمرىءٍ لا يتَّقي اللهَ احمقُ
وللناسِ أهواءٌ وشتَّى همومُهم تُجمَّعُ احياناً وحيناً تُفرَّقُ
وزرعٌ وكلُّ الزرعِ يُشبِهُ أصلَهُ همُ وُلِدوا شتَّى مَليسٌ ومُخمَقُ
فذو الصوتِ لا يجني عليهِ لسانُهُ وذو الحِلم مَهدِيٌّ وذو الجَهلِ أخرَقُ
ولستُ وان سُرَّ الاعالي بهالكٍ وليس يُنجّيني من الموتِ مُشفِقُ

ومن قولهِ في بلايا الدهر (من الطويل) :

مَا النَّاسُ الّا في رِماقٍ وصالحٍ ... وما الدهرُ الّا خِلفةٌ ودُهورُ

مَراتبُ إمَّا البؤسُ منها فزائلٌ ... وكلُّ نعيمٍ في الحياةِ غُرورُ

فذو الشرِّ لا يبقى ولا الخيرُ دائمٌ ... وكلُّ زمانٍ بالرجالِ عَثُورُ

متى يَختلفْ يومٌ عليك وليلةٌ ... يَلُحْ منهما في عارضَيْكَ قَتيرُ

جديدانِ يُبْلَى فيهما كلُّ صالحٍ ... حَثيثانِ هذا رائحٌ وبَكُورُ

وأعلمُ أنْ لا شيءَ يبقى مؤمَّلًا ... خلا أنَّ وجهَ اللهِ ليس يبورُ

وكلُّ امرئٍ ان صحَّ او طال عمرُهُ ... الى ميتةٍ لا بُدَّ سوف يصيرُ

يؤمّلُ في الايّام ما ليس مُدركاً ... وليس لهُ من ان يَنالَ خفيرُ

وكائِنْ ترى من كاملِ العقلِ يُزدرَى ... ومن ناقصِ المعقولِ وهو جَهِيرُ(١

ومنهم قصيرٌ رامَ مجدًا فنالَهُ ... وآخرُ هَيْقٌ في الحِفاظِ قصيرُ

ومن طالبٍ حقًّا بفُحْشٍ يفوتُهُ ... ويُدركُهُ بالحقِّ وهو سَتيرُ

ومن اقوالهِ ايضاً في الدهر وحدثانهِ (من البسيط) :

كم من مؤمّلِ شيءٍ ليس يُدرِكُهُ ... والمرءُ يُزْري بهِ في دهرهِ الأَمَلُ

يرجو الثراءَ ويرجو الخُلدَ مجتهدًا(٢ ... ودونَ ما يُرتجى الاقدارُ والأَجَلُ

والدهرُ يُبلي الفتى حتى يُغيّرَهُ ... كما تَغيَّرُ بعد الجِدَّةِ السَّمَلُ

كلُّ المصائبِ ان جلَّتْ وان عَظُمت ... الّا المصيبةَ في دينِ الفتى جَلَلُ

ومنها في مدح مسلمة بن عبد الملك بن مروان :

---

١) رواهُ في حماسة البحتري (ع ٦٨٦) : وهو طريرُ

٢) كذا روى البحتريّ في حماستهِ (ع ١٦٦) وفي الديوان : ذو املٍ

يَنوونَ مُسلمةَ الفيَّاضَ نائلُهُ وكَعْبُهُ في يَفاعِ المجد معتدِلُ
صُلبُ القَناةِ ربأً والحزمُ شيمَتُهُ فليسَ في امرهِ وَهْنٌ ولا هَزَلُ
قضاؤهُ مستقيمٌ غيرُ ذي عِوَجِ فليس في حكمهِ حَيفٌ ولا مَيَلُ
القائلُ الفَصْلُ والميمونُ طائرُهُ فليس في قولهِ هَذْرٌ ولا خطَلُ
لا ينقُضُ الامرَ إلّا ريثَ يُبرِمُهُ وليس يَثنيهِ عن أمرِ التُّقى كَسَلُ
انّ الذين هم يرمون صخرتَهُ لن يبلغوهُ وان عزّوا وان كَمُلوا
لن يُدرِكوكَ ولم يَلحقْكَ سُوؤهمُ حتى يُوَلَّجَ سُمَّ الإبرةِ الجملُ(١)

ومن قصائده المستحسنة فائيَّتهُ التي اوّلها (من البسيط) :

بانَ السَّفاء(٢) وأودى الجهلُ والسَّرَفُ وفي التُّقى بعد إفراط الفتى خَلَفُ
وقد كَساني شيباً قد غنيتُ بهِ مرُّ الليالي مع الأيَّام تختلفُ
قالت ليَ النفسُ سرًّا اذ خلوتُ بها والنفسُ صادقةٌ لو انّها تَقِفُ
انَّ الشبابَ جنونٌ شَرْخُ باطلهِ يقيمُ غضًّا زماناً ثمَّ ينكشفُ
ذَرِ الشبابَ فلا تتبع لذاذتَهُ انَّ الذي يتبعُ اللذَّاتِ مُقترِفُ
من يَعلُهُ الشيبُ لم يُحدِثْ لهُ عِظَةً فذاكَ من سُوسِهِ الإفراطُ والعَنَفُ
فلا تَهابَنَّ أسفارًا وإن بَعُدَتْ إن هابها عاجزٌ في عُودِهِ قَصَفُ
قد يَرجِعُ المرء لا تُرجى سلامتُهُ وقد يُصيب طويلَ القِعدَةِ التَّلَفُ

وممَّا يروى لنابغة بني شيبان عبدالله بن مخارق (في حماسة البحتري ع ١٢٧٦) ولم نجدهُ في ديوانهِ قولهُ في سكوتهِ عن جواب الجاهل (من الطويل) :

سأمنعُ نفسي رَفْدَ كلِّ بخيلِ وأحبِسُ نُطقي عن جوابِ جهولِ

---

١) هو تشبيه مستعارٌ من الانجيل

٢) قال الانباري في الاضداد (ص ٦٥٩) : السَّفاء الخفَّة والطيش ممدود

فانَّ الجهولَ لا يُرَدُّ كلامُهُ وليس سبيلُ الجاهلين سَبيلي

وروى لهُ ايضاً البحتري (ع ٢٥٣ و ٨١١) يوصي بمؤاخاة الصالحين والابتعاد عن ذوي النميمة (من الوافر) :

عليك بكلّ ذي حسَبٍ ودينٍ فانَّهمُ همُ اهلُ الوفاءِ
وإنْ خُيِّرتَ بينهمُ فلاصِقْ باهلِ العقلِ منهمْ والحياءِ
فانَّ العقلَ ليس لهُ اذا ما تفاضَلَتِ الفضائلُ من كِفاءِ
ولا تَثِقَنَّ بالنمَّامِ فيما حَباكَ من النصيحةِ في الخَلاءِ
وأَيْقِنْ أَنَّ ما أُفضِي اليهِ من الأسرارِ مُنكشِفُ الغطاءِ

وقال الدينوري في تاريخهِ المعنون بالاخبار الطوال (ed. Guirgas, p. 197) :

« كتب معاوية الى عليّ : انَّما مَثَلي ومثل عثمان كما قال مخارق (من الطويل) :

فمهما تَسَلْ عن نصرِيَ السَّيدَ لا تَجِدْ لدى الحربِ بيتَ السَّيدِ عندي مُذَمَّما

فكتب اليهِ عليّ : اني عارضٌ عليك ما عرض مُخارق على بني فالج قال (من الطويل) :

يا راكباً إمَّا عرضتَ فبلِّغَنْ بني فالجٍ حيثُ استقرَّ قرارُها
هَلمُّوا الينا لا تكونوا كأنَّكمْ بَلاقعُ ارضٍ طارَ عنها غبارُها
سُلَيمُ بنُ منصورٍ أُناسٌ أَعِزَّةٌ وأرضُهمُ ارضٌ كثيرٌ وَبارُها

وكذلك روى لهُ في اللسان في مادَّة غمى (٢٠ : ٢١٨) قولهُ ممَّا لا ذكر لهُ في ديوانهِ يصف ما في شعرهِ من الهجو الحادّ (من الوافر) :

وقافيةٍ كأنَّ السُّمَّ فيها وليس سليمُها ابداً بنامي
صرفتُ بها لسانَ القومِ عنكُم فخَرَّتْ للسنابكِ والحَوامي

(قال) النامي الناجي . وروى لهُ ياقوت في معجم البلدان (١ : ٧٤٢ و٣ : ٦١) وفي المشترك ص ٦٦) قولهُ (من البسيط) :

أرى البَنانةَ أَقْوَتْ بعدَ ساكِنها فذا سُدَيرٍ وأقوى منهمُ أُقُرُ

(قال) البنانة ارضٌ من بلاد غطفان . والبنانة ايضاء ماء لبني جَذيمة . والسُدَيْر موضع في ديار غطفان وقيل قاع بين البصرة والكوفة . وأُقُرُ جبل

٨ حُنَين الحيري الشاعر المغنّي

﴿تعريفهُ ودينهُ﴾ قال ابو الفرج في الاغاني (٢ : ١٢٠) : « حُنَيْن بن بلُّوع الحيري مختلَفٌ في نسبهِ فقيل انهُ من العِباديّين وقيل انهُ من بني الحرث بن كعب وقيل انهُ من قوم بقوا من جديس وطسم فنزلوا في بني الحرث بن كعب فعُدُّوا فيهم . ويكنّى ابا كعب وكان شاعرًا مغنّياً فحلاً من فحول المغنّين ولهُ صنعة فاضلة متقدّمة وكان يسكن الحيرة ويكري الجمال الى الشام وغيرها وكان نصرانيًّا » (١

وقال صاحب مسالك الابصار (Ms du Caire, 336-337) في فصلهِ الذي خصَّهُ بمشاهير اهل الموسيقى : « حُنَيْن الحيري مُطرِب لا يرتفع اليهِ رأس مُطرِق ، ولا ينتفع معهُ املُ متشوّق ، من سُراة اهل الغناء ، وبُراة الطرب للعناء ، يكاد سامعهُ يخرُج من إهابهِ ، ويُحرَق بالتهابهِ ، ما حرَّك عودَهُ الَّا فهم ، ولا بِنْتَ شفتهِ الَّا في نعَم ، لو سمعهُ جبلٌ لتحرَّك ، او دخل في أذن سوقةٍ لظنَّ انهُ قد تملَّك »

﴿اخبارهُ﴾ لحنين الحيري النجفيّ العباديّ اخبار كثيرة تولَّى جمعها اسحاق بن ابرهيم الموصلي في كتاب دعاهُ « اخبار حنين الحيري » ذكرهُ ابن النديم في الفهرست (ص١٤١) وذكر ايضاً كتاباً آخر مثلهُ (ص١٤٨) لابي أيوب المدائنيّ يُستدَلُّ بهما على مقام حنين . واليهِ تُنسب الحُنَيْنيَّات التي ورد ذكرها في شعر دعبل الخزاعي في هجوهِ لابرهيم بن المهديّ المغني الشهير وكان البعض بايعوهُ بالخلافة فأتاهُ قومٌ ينتجعون عطاءَه وهو لا يستطيع ان يرفدهم بشيء . فقال دعبل يهجو ابرهيم :

يا معشر الاجناد لا تقنطوا	وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تُعطَون حُنَيْنيَّةً	يلتذُّها الأمردُ والاشمطُ
والمَعْبديَّاتُ لقوَّادكم	لا تدخلُ الكيس ولا تُربطُ
وهكذا يُرزقُ قوَّادَهُ	خليفةٌ مُصحفُهُ البربَطُ

قالوا الحُنَينيَّات اغاني منسوبة الى حنين النجفيّ العباديّ المغني الشهير . والمَعبديّات

١) اطلب المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة Jour. As., 1872², 425-433

منسوبة الى مَعبَد المغنّي والبربط آلة تشبهُ العود فارسيّ معرَّب (نزهة الجليس ١: ٢٦٧—٢٦٨)

سبق قول ابي الفرج انَّ حنيناً كان شاعرًا ومغنّياً. امَّا شعرهُ فلم يبقَ منهُ الَّا القليل. وامَّا غناؤهُ فكثير وله الاصوات المتعدّدة التي ذكرها في الاغاني في اماكن عديدة منها. وربَّما كان يتغنّى بشعرهِ وهو القائل يصف الحيرة ومنزلهُ فيها قال (من المنسرح):

انا حنينٌ ومَنْزلي النَّجَفُ (١ وما نديمي الَّا الفتى القَصِفُ
أَقرعُ بالكاس ثَغرَ باطيةٍ (٢ مُترَعةٍ تارةً وأَغترفُ
من قهوةٍ باكرَ التّجارُ بها بيتَ يهودٍ قرارُها الخزَفُ
والعيشُ غَضٌّ ومنزلي خَصِبٌ لم تَغذُني شقوةٌ ولا عَنَفُ (٣

فالشعر والغناء كلاهما لحنين

ومن اخبار حنين ما رواهُ عنهُ حمَّاد الراوية قال (الاغاني ٢: ١٢٢): قرأتُ على ابي عن المدائني قال: كان حنين غلاماً يحمل الفاكهة بالحيرة وكان لطيفاً في عمل التحيّات. فكان اذا حمل الرياحين الى بيوت الفتيان ومياسير اهل الكوفة واصحاب القيان والمتطربين الى الحيرة ورأوا رشاقتهُ وحسن قدّهِ وحلاوتهُ وخفّة روحهِ استحلوهُ واقام عندهم وخفَّ لهم. فكان يسمع الغناء ويشتهيهِ ويُصغي اليهِ ويستمعهُ ويطيل الاصغاء اليهِ فلا يكاد ينتفع بهِ في شيء اذا سمعهُ حتى شدا منهُ اصواتاً فأسمعها الناس وكان مطبوعاً حسن الصوت واشتهوا غناءهُ والاستماع منهُ وعِشرتهُ وشُهر بالغناء وسهر فيه وبلغ منهُ كثيرًا. ثمَّ رحل الى عمر بن داود الوادي والى حكَم الوادي واخذ منهما وغنّى لنفسهِ في اشعار الناس فاجاد الصنعة واحكمها ولم يكن بالعراق غيرهُ فاستولى عليهِ في عصرهِ

وجاء في اخبار حنين لابي ايوب المدائني. انَّ ابن محرز احد كبار المغنّين قدِم وقتئذٍ الكوفة وبها الامير بشير بن مروان وقد بلغهُ انهُ يشرب الشراب ويسمع الغناء فصادفهُ قد خرج الى البصرة وبلغ خبرُهُ حنينَ بن بلُّوع فتلطَّف لهُ حتى دعاهُ

---

١) روى البكري في معجم ما استعجم: وداريَ النجفُ

٢) ويروى: اقرعُ بالكاس بطنَ باطيةٍ ٣) ويروى: فالعيش غضٌّ... لم يغزني

فغنّاهُ ابن محرز لحناً من جيّد الاغاني فسمع حنين شيئاً هالَهُ وحيَّرهُ فخشي ان يعرفهُ الناس فيستحلونهُ ويستولي على البلد فيسقط هو فقال لابن محرز : كم مَنَّتْك نفسك من العراق . قال : الفَ دينار . فقال : فهذه خمسمائة دينار حاصلة عاجلة ونفقتُك في عَوْدتك وبداءتك ودَع العراق وامضِ مُصاحَباً حيث جئتَ واحلفْ انك لا تعود للعراق . (قال) وكان ابن محرز صغير الهمّة لا يحبّ عِشرة الملوك ولا يؤثر على الخلوة شيئاً فاخذها وانصرف

وقد اخبر حمّاد الراوية عن حنين (الاغاني ٢ : ١٢١) انَّ هشام بن عبد الملك حجَّ مع عديلهِ الابرش الكلبيّ فوقف لهُ حنين بظهر الكوفة معهُ عودهُ وزامرٌ لهُ وعليهِ قلنسوة طويلة . فلمّا مرَّ بهِ هشام عرض لهُ فقال : من هذا ؟ فقيلَ لهُ : حنين . فأمر بهِ فحُمل في محمل على جمل وعديلُهُ زامرُهُ وسيَّرهُ امامهُ وهو يتغنّى (من مجزوّ الوافر) :

أَمِنْ سَلْمى بظَهْر الكو فةِ الآياتُ والطَلَلُ
يلوحُ كما تلوحُ على جفونِ الصَّيقَلِ الخَلَلُ

(قال) فلم يزل هشام يستعيدُ الصوت حتى نزل من النجف فامر لهُ بمائتي دينار وللزامر بمائة

واخبر اسحاق الموصلي (الاغاني ٢ : ١٢٢—١٢٣) انَّ والي العراق خالد بن عبدالله القسري حرَّم الغناء بالعراق في ايّامهِ . ثمَّ أذِنَ للناس يوماً في الدخول عليهِ فدخل حنين ومعهُ عودهُ تحت ثيابهِ فقال : أصلَحَ الله الامير كانت لي صناعة أعودُ بها على عيالي حرَّمها الامير فاضرَّ بي وبهم . فقال : وما صناعتك ؟ فكشف عن عودهِ وقال : هذا . فقال : غنِّ . فحرَّك اوتارهُ وغنّى (في شعر عدي بن زيد العبادي) :

أيها الشامتُ المعيِّرُ بالدهرِ أأنت المُبرَّأُ الموفورُ
ام لديكَ العهدُ الوثيق من الايّام بل انت جاهل مغرورُ
مَنْ رأيتَ المنونَ خلّدْنَ ام مَنْ ذا عليهِ من ان يُضامَ خفيرُ

(قال) فبكى خالد وقال : « قد اذنتُ لك وحدك خاصّةً فلا تجالسنَّ سفيهاً ولا معربداً » . فكان اذا دُعي قال : أفيكم سفيه او معربد ؟ فاذا قيل لهُ : لا . دخل

ومن ظريف ما رُوي عن الشعبيّ انهُ قال (الاغاني ٢ : ١٢٣) : لمّا ولي بشر بن

مروان الكوفة كنتُ على مظالمه فأتيتُهُ عشيَّةً وحاجبُهُ أعيَن صاحب «حمّام أعيَن» جالسٌ فقلتُ : « أعلِمْهُ وخلاكَ ذمٌّ فقد حدثَ امرٌ لا بُدَّ لي من انهائه اليه » وكان لا يجلس بالشعبيّ . فقال : لا ولكن اكتُبْ ما حاجتك في رقعةٍ حتى أوصلها اليه . فكتبتُ رقعةً فما لبث ان خرج التوقيع على ظهرها : ليس الشعبيّ ممَّن يُحتشَم منهُ . فأذن لي فقال : ادخل . فدخلتُ فاذا بشر بن مروان عليه غِلالة رقيقة صفراء ومُلاءَة تقوم قياماً من شدَّة الصِقال وعلى رأسه اكليل من رَيحان وعلى يمينه عِكرمة بن ربعيّ وعلى يساره خالد ابن عتَّاب بن ورقاء واذا بين يديه حُنين بن بلُّوع معهُ عودُهُ . فسلَّمتُ فردَّ عليَّ السلام ورحَّب وقرَّب ثمَّ قال : يا ابا عمروٍ لو كان غيرك لم آذن لهُ على هـذه الحال . فقلتُ : أصلح الله الامير عندي لك السترُ لكلّ ما ارى منك والدخول معك فيما لا يَجمُل والشكر على مـا توليني . فقال : كـذاك الظنُّ بك . ثمَّ التفتُّ الى حنين وعودُهُ في حِجره وعليه قَباء خشك شوى (وقـال اسحاق : خشكون) ومِنَشَّة حمراء وخُفَّان مكعَّبان فسلَّم عليَّ فقلتُ لهُ : كيف انت يا ابا كعب ؟ فقال : بخيرٍ ابا عمرو . فقلتُ : أحزِق الزير وأرخِ البمّ . ففعل وضرب فاجاد . فقال بشر لاصحابه : تلومونني على ان آذن لهُ في كلّ حال . ثمَّ اقبل عليَّ فقال : ابا عمروٍ ومن اين وقعَ لـك حَزق الزير ؟ فقلتُ : ظننتُ انَّ الامر هناك . قال : فانّ الامر كما ظننتَ هناك كلهُ . ثمَّ قال : فمن اين تعرف حنيناً ؟ فقلتُ : هذا بَطَّةُ أعراسنا فكيف لا أعرفهُ . فضحك وغنى حنين فاجاد فطرب الامير وامر لهُ بجائزة ثمَّ ودَّعتُهُ وذلك بعد ان ذكرتُ لهُ ما جئتُ فيه فامر لي بعشرة آلاف درهم وعشرة اثواب فقمتُ مع الخادم حتى قبضتُ ذلك منهُ وانصرفت

وقد جرى لحنين مع اهل حمص فصلٌ مضحك اخبر به فقال (الاغاني ٢ : ١٢٣) : خرجتُ الى حمص التمس الكسبَ بها وأرتاد مَنْ استفيدُ منهُ شيئاً . فسألتُ عن الفتيان واين يجتمعون فقيل لي : عليك بالحمَّامات فانهم يجتمعون بها اذا أصبحوا . فجئتُ الى احدها فدخلتُ فاذا فيها جماعة منهم فأَنِستُ وانبسطتُ واخبرتهم انّي غريب ثم خرجوا وخرجتُ معهم فذهبوا بي الى منزل احدهم . فلمَّا قعدنا أُتينا بالطعام فاكلنا وأُتينـا بالشراب فشربنا فقلتُ لهم : هل لكم في مغنٍّ يغنّيكم ؟ قالوا : ومن لنا بذلـك ؟ قلتُ : انا لكم . هاتوا عوداً . فأُتيتُ به فابتدأتُ في هنيَّات ابي عُباد مَعْبَد . فكأَنَّمـا غنَّيتُ للحيطان لا فكِهوا لغنائي ولا سُرُّوا به . فقلتُ : ثَقُلَ عليهم غناء معبد لكثرة

عملهِ وشدَّتهِ وصعوبة مذهبهِ . فأخذتُ في غناء القريض فاذا هو عنـدهم كلا شيء. وغنَّيتُ خفائف ابن سُريج واهزاج حكَم والاغاني التي لي واجتهدتُ في ان يفهموا فلم يتحرَّك من القوم احد وجعلوا يقولون: ليتَ ابا مُنبّه قد جاءنا . فقلتُ في نفسي : أرى انّي سأفتضح اليوم بابي منبّه فضيحةً لم يفتضح بهـا احد قطّ مثلها . فبينما نحن كذلك اذ جاء ابو منبّه واذا هو شيخ عليهِ خفَّان احمران كـأنَّهُ جمّال فوثبوا جميعاً اليهِ وسلَّموا عليهِ وقالوا : يا ابا منبّه ابطأتَ علينا . وقدّموا لهُ الطعام وسقوهُ اقداحاً وخنَستُ انا حتى صرتُ كلا شيء. خوفاً منهُ . فاخذ العود ثمَّ اندفع يغني :

طَربَ البحرُ فاعبري يا سفينه ... لا تشقِّي على رجـال المدينه

واقبلَ القوم يصفّقون ويطربون ويشربون . ثمّ اخذ في نحو هـذا من الغناء . فقلتُ في نفسي : انتم ها هنا لئن اصبحتُ سالمًا لا أمسيتُ في هذه البلدة . فلمّا اصبحتُ شددتُ رحلي على ناقتي واحتقبتُ رَكوةً من شراب ورحلتُ متوجّهاً الى الحيرة وقلتُ (من الخفيف) :

ليت شِعري متى تَخُبُّ بيَ النـا ... قـةُ بين السَّدير والصِّنّينِ

مُحقِبـاً رَكوةً وخبزَ رقـاقٍ ... وبُـقولًا وقطعـةً من نُونِ

لستُ ابغي زادًا سواها من الشا ... مِ وحسبي عُـلالـةٌ تكفيني

فـاذا أُبتُ سالمًا قلتُ سُحقاً ... وبِعـادًا لمعشرٍ فـارقوني

وقد استطرد صاحب الاغاني(٢ : ١٢٥)فروى فصلًا في ذكر الحيرة واهلها ننقلهُ هنا عنهُ قال: كان بعض ولاة الكوفة يذمُّ الحيرة في ايّام بني اميّة فقال لهُ رجلٌ من اهلها وكان عاقلًا ظريفاً : أتعيبُ بلدةً بها يُضرَب المثل في الجاهليّة والاسلام. قال : وبماذا تُمدَح؟ قال : «بصحّة هوائها وطيب مائها ونزهة ظاهرها تصلحُ للخُفّ والظِلف. سهلٌ وجبل ، وبادية وبستـان ، وبرٌّ وبحر ، محلُّ المـلوك ومزارهم ، ومسكنهم ومثواهم ، وقد قدِمتَها اصلحك الله مُخِفًّا فرجعتَ مُثقَلًا ودَرتَها مُقـلًّا فأصارتك مُكثرًا» . قال : وكيف تعرِف ما وصفتَها بهِ من الفضل ؟ . قلتُ : بان تصير اليَّ ثمّ ادعُ ما شئتَ من لذّات العيش فوالله لا اجوز بك الحيرة فيه . قال : فأصنعْ لنا صنيعاً وأخرج من قولك . قلتُ : أفعل . فصنع لهم طعاماً واطعمهم من خبزها وسمكها وما

صِيدَ من وحشها من ظباء ونعام وارانب وحُبارى وسقاهم ماءها في قِلالها وخمرَها في آنيتها واجلسهم على رَقْها وكان يتّخذ بها من الفرش اشياء ظريفة ولم يستخدم لهم حُرًّا ولا عبدًا الّا من مولّديها ومولّداتها من خدَم ووصائف كأنهم اللؤلؤ لغتُهم لغةُ اهلها ثمَّ غنّاهم حنين واصحـابهُ في شعر عدي بن زيد شاعرهم واعشى همـدان لم يتجاوزهما وحيّاهم برياحينها ونقّلهم على خمرها وقد شربوا بفواكهها ثمَّ قال لهُ : هل رأيتَني استعنتُ على شيء مما رأيتَ واكلتَ وشربت وافترشتَ وشممتَ وسمعت بغير ما في الحيرة؟ . قال : لا والله ولقد احسنتَ صفة بلدك ونصرتَهُ فاحسنتَ نُصرتَهُ والخروج مما قد تضمّنتهُ فبارك الله لكم في بلدكم

وبقي حنين يتردّد في البلاد الى ايّام شيخوختهِ : حدَّث شيخ من المكيّين يقـال لهُ شريس قال : انّا لبالأَبطح (في مكّة) ايّام الموسم نشتري ونبيع اذ اقبـلَ شيخٌ ابيض الرأس واللحية على بغلة شهباء ما ندري أهو اشدُّ بياضاً ام بغلتهُ ام ثيابهُ فقال : ابن بيت ابي موسى ؟ فأشرنا لهُ الى الحائط فمضى حتى انتهى الى الظـلّ من بيت ابي موسى ثمَّ استقبَلَنا ببغلتهِ ووجههِ ثمَّ اندفع يغنّي في شعرِ الكُثَيّر :

أَسعـديني بدمعـةٍ أَسرابِ من دموعٍ كثيرةِ التَّسكابِ

(قال) ثمَّ صرف الرجلُ بغلتهُ وذهب فتبعناهُ حتى ادركناهُ فسألناهُ من هو . فقال : « انا حنين بن بلوع وانا رجل جمّال اكري الابل » ثمَّ مضى

وقد اخبر ابرهيم بن المهـدي (الاغاني ٢ : ١٢٥—١٢٦) بخبر سمعهُ من حفيـد حنين قال : كنتُ مع الرشيد في السنة التي نزل فيها على عون العبادي فأتاني عون بابنِ ابنِ حنين بن بلوع وهو شيخ فغنّاني عدّة اصوات لجدّهِ فما استحسنتُها لان الشيخ كان مشوَّه الخَلْق طنّ الغناء قليل الحـلاوة الّا انهُ كان لا يفارق عمود الصوت ابدًا حتى يَفرغ منهُ فغنّاني صوتَ ابن سُرَيج (في قول عنترة) :

فتركتُهُ جَزَرَ السباع يَنُشْنَهُ مـا بين قُلَّةِ رأسهِ والمعصمِ

فما اذكرُ اني سمعتهُ من احدٍ قطّ احسن مّما سمعتُهُ منهُ فقلتُ : لقد احسنتَ في هذا الصوت وما هو من اغاني جَدّك ولا من اغاني بلدك واني لأَعجبُ من ذلـك . فقال لي الشيخ : والصليبِ والقربان ما صُنع هذا الصوت الّا في منزلنا وفي سَرداب جدّي ولقد كاد ان يأتي على نَفْس عمّي . فسألتهُ عن الخبر في ذلك فقال : حدّثني ابي

انَّ عبيدالله بن سريج قدم الحيرة ومعهُ ثلثمائة دينار التي بها متزلنـا في ولاية بشر بن مروان الكوفة وقال : انا رجل من اهـل الحجاز من اهل مكّة بلغني طيبُ الحيرة وجودة خمرها وحسن غنائك في هذا الشعر (من الوافر) :

حَنَتْني حانياتُ الـدهر حتَّى كأنّي خاتـلٌ يدنو لصَيـدِ
قريبُ الخطوِ يَحسبُ من رآني ولستُ مقيَّدًا أنّي بقيـدِ

فخرجتُ بهذه الدنانير لأنفقها معك ونتعاشر حتى تنفد وأنصرف الى متزلي . فسألهُ جدّي عن اسمهِ ونسبهِ فغيَّرهما وانتمى الى بني مخزوم فأخذ جدّي المال منـهُ وقال : «موفَّرٌ مالُكَ عليك والك عندنا كلّ ما يحتاج اليهِ مثلُك ما نشطتَ للمقام عندنا فاذا دعتك نفسك الى بلدك جهَّزناك اليهم ورددْنا عليك مالك وأخلفنا ما انفقتهُ عليك ان جئتَنا» . وأسكنَهُ دارًا كان ينفرد فيها فمكث عندنا شهرين لا يعلم جـدّي ولا احد من اهلنا انهُ يغني حتى انصرف جدّي من دار بشر بن مروان في يومٍ صـائف مع قيام الظَّهيرة فصـار الى باب الدار التي كان انزل ابنَ سريج بهـا فوجدهُ مغلقًا فارتاب بذلك ودقَّ الباب فلم يُفتح لهُ ولم يُجبْهُ احد فصـار الى منازل الحرَم فلم يجد فيها بنتَهُ ولا جواريها ورأى ما بين الدار التي فيها الحرم ودار ابن سريج مفتوحًا فانتضى سيفهُ ودخل الدار ليقتل ابنتَهُ . فلمَّا دخلها رأى ابنتهُ وجواريهـا وقوفًا على باب السرداب وهنَّ يومئنَ اليهِ بالسكوت وتخفيف الوطء . فلم يلتفت الى اشارتهنَّ لِما تداخلَهُ الى ان سمع ترنُّم ابن سريج بهذا الصوت فألقى السيف من يدهِ وصاح بهِ وقد عرفهُ من غير ان يكون رآهُ ولكن بالنعت والحِذق : « ابا يحيى جُعلتُ فداءك اتيتَنا بثلثمائة دينار لتُنفقها عندنا في حيرتنا فوحقّ المسيح لا خرجتَ منها الّا ومعـك ثلثمائة دينار وثلثمائة دينار وثلثمائة دينار سوى ما جئتَ بهِ معك» . ثمّ دخل اليهِ فعانقَهُ ورحَّب بهِ ولقيَهُ بخلاف ما كان يلقاهُ بهِ وسألهُ عن هذا الصوت فاخبرهُ انهُ صاغهُ في ذلك الوقت فصار معهُ الى بشر بن مروان فوصلـهُ بعشرة آلاف درهم اوَّل مرَّة ثمَّ وصلهُ بعد ذلك بمثلها . فلمَّا اراد الخروج ردّ عليهِ جدّي مالهُ وجهَّزهُ ووصلهُ بمقـدار نفقتهِ التي انفقها من مكّة الى الحيرة ورجع ابن سريج الى اهلهِ وقـد اخذ جميعُ من كان في دارنا منهُ هذا الصوت

وقال اسحاق الموصلي (الاغاني ٢ : ١٢٥) : لم يكن بالحيرة مذكور في الغناء سوى

حنين الّا نفرًا من السدريّين (١ يقال لهم عباديس وزيد بن الطليس وزيد بن كعب ومالك بن حمة وكانوا يغنّون غناء الحيرة بين الهزج والنّصب وهو الى النصب اقربُ ولم يَذرَوا منهُ شيئاً لسقوطهِ وانهُ ليس منّ اغاني الفحول وما سمعنا نحن لاحد من هؤلاء خبرًا الّا لمالك بن حمة . وقال اسحاق (الاغاني ٢ : ١٢١) قيل لحنين: انت تغنّي منذ خمسين سنةً ما تركتَ لكريمٍ مالًا ولا دارًا ولا عقارًا الّا اتيتَ عليهِ . فقال: بأبي انتم انّما هي أنفاسي أقسمها بين الناس أفتلومونني ان أغلي بها الثمن

وقال وكيع في خبرهِ عن اسحاق : عاش حنين بن بلوع مائة سنة وسبع سنين وكان يقال انهُ من جديس . (قال)وقيل ايضاً انهُ من لخم وكان هو يزعم انهُ عباديّ واخوالهُ من بني الحرث بن كعب

امّا سبب موتهِ فما حدَّث بهِ حفيدهُ عُبَيد قال (الاغاني ٢ :١٢٧) : كان المغنّون في عصر جدّي اربعة نفر ثلاثة بالحجاز وهو وحدهُ بالعراق والذين بالحجاز ابن سُريج والغريض ومعبد فكان يبلغهم انَّ جدّي حنيناً قد غنى في هذا الشعر (وهو لعدي ابن زيد) :

هلّا بكيتَ على الشبابِ الذاهبِ	وكففتَ عن ذمّ المشيب الآيبِ
هذا وربّ مُسوِّفين سقيتُهم	من خمر بابلَ لذّةً للشاربِ
بكروا عليّ بسحرةٍ فصبحتُهم	من ذات كَرْنيبٍ كقعب الحالبِ
بزجاجةٍ ملءُ اليدين كانها	قنديلُ صبحٍ في كنيسة راهبِ

(قال) فاجتمعوا فتذاكروا امر جدّي وقالوا: ما في الدنيا اهل صناعةٍ شرٌّ منّا لنا اخٌ بالعراق ونحن بالحجاز لا نزورهُ ولا نستزيرهُ . فكتبوا اليهِ ووجّهوا لهُ نفقةً وكتبوا يقولون: نحن ثلاثة وانتَ وحدك وانت أَولى بزيارتنا . فشخَصَ اليهم . فلمّا كان على مرحلةٍ من المدينة بلغهم خبرهُ فخرجوا يتلقَّونهُ فلم يُرَ يوم كان اكثر حشرًا ولا جمعاً من يومئذٍ .ودخلوا فلمّا صاروا في بعض الطريق قال لهم مَعْبد: صِيروا اليَّ . فقال لهُ ابن سريج : ان كان لك من الشرف والمروءة مثل ما لمولاتي سُكَيْنة بنت الحسين (بن ابي طالب) عطفْنا اليك . فقال: ما لي من ذلك شيء . وعدلوا الى منزل سكينة . فلمّا دخلوا اليها أذِنت للناس إذناً عامًّا فغصّت الدار بهم وصعدوا

١) السدريّون قومٌ من العلويّين

فوق السطح وامرت لهم بالاطعمة فاكلوا منها ثمَّ انهم سألوا جدّي حنيناً ان يغنّيهم صوتهُ الذي اوّلهُ «هلّا بكيت على الشباب الذاهب» فغنّاهم ايّاهُ بعد ان قال لهم: ابدأُوا انتم. فقالوا: ما كنّا لنتقدَّمك ولا نغني قبلك حتى نسمع هذا الصوت. فغنّاهم ايّاهُ وكان من احسن الناس صوتاً فازدحم الناس على السطح وكثروا ليسمعوهُ فسقط الرواق على من تحتَهُ فسلموا جميعاً وأُخرجوا اصحّاء. ومات حنين تحت الهدم فقالت سُكينة عليها السلام: لقد كدَّر علينا حنينٌ سرورَنا انتظرناهُ مدَّة طويلة كأنّا والله كنّا نسوقهُ الى منيّتهِ

وقد ورد في اخبار حنين بن اسحاق المتطبّب (طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ١ : ١٨٩) نقلًا عن كتاب اللهو والملاهي للسرخسيّ انَّهُ قال: وافاني في بعض الليالي ايَّامَ المتوكل رسلٌ من دار الخليفة يطلبونني ويقولون: الخليفة يريدك. ثمَّ وافت بعدهم طائفة ثمَّ وافاني زَرافة فاخرجني من فراشي ومضى بي ركضاً حتى ادخلني الى الخليفة فقال: يا سيّدي هوذا حنين. (قال) فقال: ادفعوا الى زرافة ما ضمنّا لهُ. (قال) فدُفع اليهِ ثلاثون الف درهم ثمَّ أقبل عليَّ فقال: انا جائع فما ترى في العشاء؟ فقلتُ لهُ في ذلك قولًا. فلمّا فرغ من اكلهِ سألتُ عن الخبر فقيل لي انَّ مغنّياً غنّاهُ صوتاً فسألهُ لمن هو فقال: لحنين بن بلّوع العبادي فامر زرافةَ بإحضار حنين بن بلوع العبادي فقال لهُ: يا امير المؤمنين لا اعرفهُ. فقال: لا بُدَّ منهُ وان احضرتهُ فلك ثلاثون الف درهم. (قال) فاحضرني ونسي المتوكل السبب بما كان في رأسهِ من النبيذ وحضرتُ وقد جاع فاشرتُ عليهِ بان يقطع النبيذ ويتعشَّى وينام ففعل

٩ الاخطل التغلبيّ

ليس بين شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام شاعر بلغ مبلغ الاخطل التغلبيّ بجودة شعرهِ ومتانتهِ وغزارتهِ وتفنُّنهِ. وقد اتَّفق على ذلك كلّ ارباب النقد على اختلاف نزعاتهم وادیانهم ومواطنهم. فلا يَسَعنا ان نضرب صفحاً عنهُ في ذكرنا لشعراء النصرانيَّة في عهد بني اميَّة وهو شاعرُهم غير منازَع يفتخرون بهِ ويحلُّونهُ محلَّ ندمائهم واعزَّ اصدقائهم ويجيزون لهُ ما لا يجيزونهُ لسواهُ من اصحابهم

على انّ احد اخوتنا حضرة الاب انطون صالحاني قد شُغف بهِ وبشعرهِ منذ ثلثين سنةً فلم يدع كبيرةً ولا صغيرةً من اموره الّا كشف عنها القناع استنادًا الى ثلث نسخ من ديوانهِ والى ما ورد من اخبارهِ المتفرّقة في عشرات من تآليف الادباء. وهو لا يزال يكدُّ ذهنهُ ويسهر جفنهُ ليلتقط ما لعلّهُ فاتهُ من آثارهِ ويُعدُّ فهارسهُ التي ستكلّل طبعة ديوانهِ بتاجٍ من الكمال لا نظنُّ ان شاعرًا آخر اصاب مثلهُ. وعليهِ لم يبقَ لنا الّا ان نغرف من هذا البحر الطامي ونستخرج بعض درارّيهِ لنصوغ لشاعرنا قلادةً صغيرة محيلين قرّاءنا الى ما جمعهُ رصيفنا المفضال

﴿اصل الاخطل ونسبهُ وصباه﴾ هو ابو مالك غياث بن غوث من قبيلة غَنم ابن تغلب. كان مولدهُ في اواسط القرن السابع للميلاد نحو السنة ٦٤٠م. ولد في الجزيرة اي ما بين النهرين حيث كانت منازل تغلب في جهات الرقّة والرصافة. وكان ابوهُ غوث من وجوه قومهِ وامّهُ ليلى تُعرف بامّ كعب وكانت تحبّهُ وتُعنى بأمرهِ. وكان الولد اشهب الشعر لطيف المنظر فعلّقتْ على صدرهِ صليباً لم ينزعهُ عن صدرهِ حتى في ايّام كهولتهِ وعند دخولهِ على الخلفاء فعُرف لذلك بذي الصليب

ما كاد الولد يبلغ اشدَّهُ حتى ظهرتِ فيهِ ملامح النجابة والذكاء ولعلّهُ تفقَّه في اصول القراءة والكتابة على بعض كهنة قومهِ. وما يلوح من بعض اعمالهِ في صباهُ انّهُ كان فَرِهاً جريئاً سليط اللسان لا يهاب سطوة اكبر منهُ فلقّبوهُ بالاخطل اي السفيه. وسَمِع الشعر من بعض مواطنيهِ فتنبَّه اليهِ ذهنهُ ووجد في قريحتهِ شحذًا لقَرْبهِ فقالهُ وهو غلام مترعرع

﴿دينهُ﴾ ولد الاخطل نصرانيًا وتلقَّن مبادئ دينهِ في حداثتهِ وثبت عليهِ في مدى حياتهِ. والمرجَّح انهُ كان على مذهب اليعقوبيَّة الذي كان شاع في قبائل البادية. وكان الاخطل يجاهر بدينهِ لا يعمل فيهِ الحياء البشري. والدليل عليهِ دخولهُ على الخلفاء والصليب على صدرهِ لا يخجل من حَمْلهِ علانيةً. كما انَّ هجاء اقرانهِ الشعراء ولاسيَّما جرير لم يؤثّر فيهِ من هذا القبيل. ولمَّا عَرض عليهِ الخليفة عبد الملك ان يدين بالاسلام أبى ونجا منهُ بأبيات هزليَّة. وسمعهُ هشام بن عبد الملك ينشد في قصيدتهِ اللاميَّة قولهُ :

واذا افتقرتَ الى الذخائرِ لم تجِدْ ذُخرًا يكونُ كصالح الاعمالِ

فقال لهُ : هنيئاً لك يا ابا مالك هذا الاسلام . فقال لهُ : يا امير المؤمنين مــا زلتُ مسلماً في ديني . ولمَّا دعاهُ بعضهم في الكوفة الى دخول مسجد بني رؤاس ليصلّي وكان مؤذّنهم نادى بالصلاة قال (من الوافر) :

أُصلّي حيثُ تُدرِكني صَلاتي وليس البِرُّ عنــد بني رؤاسِ

وربَّما قرَّعوهُ بالكفر فكان لا يكترث لشتمهم . وعلى خلاف ذلك كان يرضخ لاوامر رؤسائهِ النصارى ويتقرَّب اليهم في اسرار دينهِ فكان «يقوم بين يدي قسّيسهِ لأَخذ القربان» كما بكّتهُ عليهِ جرير بعد قولهِ (من الطويل) :

وانّي لَقوّامٌ مَقــاوِمَ لم يكن جريرٌ ولا مولى جريرٍ يقومُهــا

بل كان مع إبائهِ وعزّة نفسهِ لا يستنكف من تأديب رؤسائهِ لهُ كما اخبر عنهُ في الاغاني ابو الفرج عن احد الرواة انــهُ رأى القسَّ في الجزيرة وقد قبض بلحيــة الاخطل وضربهُ بعصاهُ وهو يصيء كما يصيء الفرخ فقال لهُ : اين هذا ممَّا كنتَ فيــهِ بالكوفة . فقال لا فضَّ فوهُ : يا ابن اخي اذا جاء الدين ذَلَلنا (الديوان٣٣٧)

واعجبُ منهُ ما رواهُ هناك ايضاً اسحاق بن عبدالله بن الحارث بن نون عن تذلُّلهِ في دمشق لقسّيسهِ وفي طبقات الجمحي (ص١٤٤) لاسقفهِ قال (الاغاني ٧ : ١٨٢–١٨٣) :

«قدمتُ الشام وانا شابٌ مع ابي فكنتُ اطوف في كنائسها ومساجدهــا فدخلتُ كنيسة دمشق واذا الاخطل محبوس فجعلتُ انظر اليهِ فسأل عني فأُخبر بنسبي فقال : يا فتى انك لَرجلٌ شريف واني اسألك حاجةً . فقلتُ : حاجتُك مقضيَّة . قال : انَّ القسَّ حبسني ها هنــا فتُكلّمهُ ليُخلّي عني . فاتيتُ القسَّ فانتسبتُ لهُ فرحَّب وعظَّم . قلتُ : انَّ لي اليــك حاجةً . قال : مــا حاجتك . قلتُ : الاخطل تخلي عنهُ . قال : «اعيذُك بالله من هذا . مثلُك لا يتكلَّم فيــهِ فاسقٌ يشتمُ اعراض الناس ويهجوهم» . فلم ازل اتطلب اليهِ حتى مضى معي متَّكئاً على عصاهُ فوقف وجعل يهدّدهُ ورفع عليهِ عصاه وقال : «يا عدوَّ الله أتعود تشتمُ الناس وتهجوهم وتقذف المحصَّنات» وهو يتضرَّع اليهِ ويقول : «لستُ بعائد ولا افعل» ويستخذي لهُ . (قال) فقلتُ لهُ : «يا ابا مالك الناس يهابونك والخليفة يكرمك وقَدْرُك في الناس قَدْرُك وانت تخضع لهذا هذا الخضوع وتستخذي لــهُ . (قال) فجعل يقول لي : انَّهُ الدين انَّهُ الدين»

وآثار الدين في شعر الاخطل قليــلة سواء كان السبب ضيــاع بعض شعرهِ ام بالاحرى لعدم وجودهِ داعياً لوصف الدين . وفي ديوانهِ انهُ كان يحلف بالانجيل والقربان . وفي شعرهِ اشارات واستعارات منقولة عن عادات النصارى ومعتقداتهم وقد تكرَّر

فيهِ ذكر الانبياء والجنَّة والخلود . وقلَّما تجد قصيدةً بين قصائدهِ الَّا دلَّت على تديُّنه ان لم تدلّ على نصرانيَّتهِ

﴿ اتّصال الاخطل بالخلفاء ﴾ تنقَّل الاخطل في البلاد مع قبيلتهِ تغلب الرُّحل فسكن البادية المجاورة للفرات عند قومهِ بني مالك وعاش مدّة في الحيرة حتى قال عنهُ في الاغاني (٧ : ١٧٠) انهُ «كان نصرانيًا من اهل الحيرة» وقد مرَّ لنا ذكر مرورهِ بالكوفة . ثمَّ نمى خبرهُ الى الخلفاء بني اميَّة فرحل اليهم الى دمشق فما لبث ان حظي عندهم اوفر حظوى لمَّا سمعوا انشادهُ واختبروا جودة قريحتهِ وغزارة مادَّتهِ ورسوخ قدمهِ في صناعة الشعر وابتكارهِ للمعاني البليغة وصوغها في الطف ديباجة من اللفظ . وقد مدح خلفاء الامويين مباشرةً بيزيد بن معاوية ثم نظم القصائد الطنَّانة في عبد الملك بن مروان وفي هشام والوليد ابني عبد الملك فأُولع الخلفاء بشعرهِ وحملَهم تفضيلهم لهُ على غيرهِ الى ان دعوهُ بشاعر بني أُميَّة واكرموهُ ايّ اكرام واغزروا عليهِ صِلاتهم بل حدا بهم حبُّهم لهُ انَّهم اتَّخذوهُ كنديهم ولم يؤاخذوهُ بشربهِ الخمر . وكان عبد الملك خصوصًا معجبًا بهِ اخبر ابو عمرو (الاغاني ٧ : ١٧٧—١٧٨) قال : لقد كان الاخطل يجيء وعليهِ جبَّةُ خزّ وحرزُ خزّ في عنقهِ سلسلة ذهب تنفضُ لحيتهُ خمرًا حتى يدخل على عبد الملك بن مروان بغير اذن . فلمَّا انشدهُ قصيدتهُ الرائيَّة التي اوَّلها (من البسيط) :

خفَّ القَطينُ فراحوا منك او بَكَروا وأزعجَتْهم نوًى في صَرْفِها غِيَرُ

قال عبد الملك لغلامهِ : خذ بيدهِ يا غلام فأَخرِجهُ ثمَّ ألقِ عليهِ من الخلع ما يغمرهُ وأَحسِن جائزتهُ . ثمَّ قال : انَّ لكل قوم شاعرًا وانَّ شاعر بني اميَّة الاخطل

وفي الاغاني (٧ : ١٧٥) نكتةٌ هزليَّة رواها قبل انشادهِ القصيدة السابقة قال :

« دخل الاخطل على عبد الملك بن مروان فاستنشدهُ فقال : قد يَبِسَ حلقي فمُرْ مَن يسقيني . فقال : اسقوهُ ماء . فقال : شرابُ الحمار وهو عندنا كثير . فقال : فاسقوهُ لبنًا . قال : عن اللبن فُطِمْتُ . قال : فاسقوهُ عسلاً . قال : شراب المريض . قال : فتُريد ماذا ؟ . قال : خمرًا يا امير المؤمنين . قال : او عَهِدتَني اسقي الخمر لا أُمَّ لك لولا حُرمتُكَ بنا لفعلتُ بك وفعلتُ . فخرج فلقي فرَّاشًا لعبد الملك فقال : ويلك انَّ امير المؤمنين استنشدني وقد صَحِلَ صوتي فاسقني شربة خمرٍ . فسقاه فقال : أعدِلْهُ بآخر . فسقاهُ آخر . فقال : تركتَهما يعتركان في بطني . اسقِني ثالثًا .

فسقاهُ ثالثاً فقال : تركتني امشي على واحدة أعدِلْ مَيْلي برابع . فسقاهُ رابعاً فدخل على عبدالملك فانشدهُ »

قال الاصمعيّ فلمَّا انشدهُ قصيدتهُ « خفَّ القطينُ » جعلتُ أرى عبد الملك يتطاولُ لها ثم قال : ويحك يا اخطل أتُريد ان اكتب الى الآفاق انك اشعرُ العرب ؟ قال : اكتفي بقول امير المؤمنين . وامر لهُ بجفنة كانت بين يديهِ فمُلئت دراهم والقى عليهِ خلعاً وخرج بهِ مولى لعبد الملك على الناس يقول : هذا شاعر امير المؤمنين هذا اشعرُ العرب

وكما تفرَّد الاخطل بمديح بني اميَّة قد برَّز ايضاً في مديح كبار دولتهم واعيان زمانهِ كبشر بن مروان والحجَّاج بن يوسف وعِكرِمة الفيَّاض ومَصقلة بن هبيرة وهمَّام بن مُطرِّف ويزيد بن المهلَّب وكثيرين غيرهم . وكانوا كلهم يفضّلون مديحهُ على كلّ نفيس ثمين

جاء في وفيات الاعيان لابن خلكان (٢ : ٣٥٠—٣٥١) وفي تحفة المجالس للسيوطي (ص ٢٠٢) وغيرهما انَّ الحجَّاج بن يوسف حبس يزيد بن المهلَّب (والي خراسان) لبقايا كانت عليهِ من خراج خراسان وأقسمَ ليَستأدي منهُ كلَّ يوم مائة الف درهم . فبينما هو يوماً وقد اختلى فيهِ اذ دخل عليهِ الاخطل فأنشدَهُ (من الطويل) :

أبا خالدٍ ضاعت خراسانُ بعدكم وقال ذوو الحاجاتِ اين يَزيدُ

وما قطَرَتْ بالريّ بعدك قَطرةٌ ولا اُخضرَّ بالمَرْوَيْنِ بعدك عُودُ

وما للسرير بعد مُلْكك بهجةٌ ولا لجوادٍ بعد جودِكَ جودُ

فقال : يا غُلام أعطهِ المائة الف درهم وانا اصبرُ على عذاب الحجَّاج ولا أُخيب الاخطل . فبلغ الحجَّاج فقال : للهِ درُّ ابن المهلَّب لو كان تاركاً للسخاء لتركهُ وهو يتوقَّع الموت فعفى عنهُ وخلَّى سبيلَهُ (١

(١) اطلب ديوان الاخطل (ص ٣٨١—٣٨٢) وراجع ما ورد هناك في نسبة هذه الابيات لغير الاخطل

﴿ رُتبة الاخطل بين الشعراء ﴾ اذا ما جمعنا ما حكَمَ بهِ ارباب اللغة واصحاب النقد الصحيح عن شعر الاخطل لاتّضح لنا انهُ بلغ رتبةَ اكبر شعراء العرب وكلُّهم ينظمهُ بين فحولهم الاوَّلين. وكفى بهِ فخرًا ان ابا عَمرو بن العلاء جعلهُ في عهد الاسلام شبيهاً بالنابغة الذبيانيّ في الجاهليَّة ويفضِّلهُ لصحَّة شعرهِ . وقد قال عنهُ (الاغاني ٧ : ١٧٤—١٧٥) : « لو ادرك الاخطل يوماً واحدًا من الجاهليَّة لَمَا فضَّلتُ عليهِ احدًا » . ومثلهُ ابو عبيدة كان يقول : «شعراء الاسلام الاخطل ثمَّ جرير ثمَّ الفرزدق. . والاخطل اشبه بالجاهليَّة واشدُّهم أسرَ شعرٍ واقلُّهم سقطاً » . وروى ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص ٣٠١) لمَسْلَمة بن عبد الملك انهُ شبَّهُ الاخطل وجريرًا والفرزدق بثلثة افراس تجري في حَلْبة السباق فقال : انَّ الاخطل سابقٌ ابدًا في كلّ حالاتهِ بخلاف جرير والفرزدق اللذين يتقدَّمان حيناً ويتخلَّفان حيناً آخر. وقد خصُّوا الاخطل بالتقدُّم في الوصف والفخر ومدحوا هَجْوهُ فقالوا : انهُ كان اخبث الشعراء هجاءً في عَفافٍ من الفُحش. والفحش كثير في شعر جرير والفرزدق. وسُئل حمَّاد الراوية عن الاخطل فقال : « ما تسألوني عن رجل قد حبَّب شعرهُ اليَّ النصرانيَّة » . ثمَّ قال : اشعر العرب شيخا وائلٍ : الاعشى في الجاهليَّة وهو صنَّاجة العرب. والاخطل في الاسلام »

ولمَّا كان الفضل ما اقرَّت بهِ الاعداء يحسن بنا هنا ان نروي ما اخبر بهِ نوح بن جرير (الاغاني ٧ : ١٧٢) قال : بينا انا آكل مع ابي يوماً وفي فيهِ لقمة وفي يدهِ اخرى فقلتُ : يا ابتِ انت اشعر ام الاخطل ؟ فجَرِضَ بلقمتهِ التي في فيهِ ورمى بالتي في يدهِ وقال : «يا بُنيَّ لقد سررتني وسُؤْتني فامَّا سرورك ايَّاي فتَعَهُّدك لي مثل هذا وسؤالك عنهُ . وامَّا ما سؤتني بهِ فذكرُك رجلًا قد مات . يا بُني ادركتُ الاخطل ولهُ نابٌ واحد ولو ادركتهُ ولهُ نابانِ لأكلني . ولكنَّني أُعِنتُ عليهِ بكفر (يريد نصرانيَّتهُ) وكبر سنّ »

﴿ اخبار الاخطل في حروب قومهِ ﴾ لمَّا توفي يزيد بن معاوية الخليفة الامويّ سنة ٦٤ (٦٨٣م) اعتزل ابنهُ معاوية الثاني بعد مئة يوم وبايع الناسُ عبد الله بن الزبير في المدينة امَّا اهل الشام فبايعوا مروان بن الحكم فكان ذلك سبباً لحرب عوانٍ وقعت بين الخليفتين كان فيها النصر لمروان على خصمهِ في مَرْج راهطٍ قريباً من دمشق . وكان التغلبيُّون يناصرون مروان بخلاف القيسيين الذين حاربوا مع عبد الله

ابن الزبير . فثبتت العداوة مدّةً بين القبيلتين ووقعت عدّة وقائع بينهما كان الظفر فيها سِجالًا لاحدى القبيلتين وكان الاخطل يحارب القيسيين مع تغلب ولهُ في وصف تلك الحروب قصائد يصف ويلاتها ويذكر فظائع قيس ورؤسائهم كزُفَر بن الحارث وعُمَير بن الحُباب والجحّاف . وفي احد ايّام هذه الحروب في يوم البِشر قُتل ابو الاخطل غياث وقيل بل هو ابنهُ ابو غياث ووقع الاخطل في أسر الاعداء قال ياقوت في معجم البلدان (١ : ٦٣١—٦٣٢) : « أُسِر الاخطل وعليهِ عباءة فظنّوهُ عبدًا وسُئل فقال : انا عبد . فخلّي سبيلهُ فخشي ان يُعرَف فيُقتل فرمى نفسهُ في جبّ من جبابهم فلم يزل فيهِ حتى انصرف القوم فنجا . وعظم قَدْر التغلبيّين في اعين بني اميّة وحملوا ديات القوم . على انَّ الاخطل فارَتْ في قلبهِ فائرة الغضب اذ بلغهُ يوماً بعد صلح القبائل انَّ عبد الملك استنزل زُفر بن الحارث من قصرهِ في قرقيسيا وأقعدهُ معهُ في سريرهِ . فدخل عليه ابن ذي الكلاع وكان قومهُ حاربوا مع تغلب وبني اميّة فلمّا رأى زفر على السرير بكى فقال لهُ عبد الملك : ما يبكيك فقال : يا امير المؤمنين وكيف لا ابكي وسيف هذا يقطر من دماء قومي في طاعتهم لك وخلافهِ عليك ثمّ هو معك على السرير وانا على الارض . قال : اني لم أُجلسهُ معي لانهُ اكرمُ عليَّ منك ولكن لسانهُ لساني وحديثهُ يعجبني . فقال الاخطل لمّا أُخبر بذلك : أَما والله لأَقومنَّ في ذلك مقاماً لم يَقُمهُ ابن ذي كلاع ثم دخل على عبد الملك فلمّا ملأَ عينهُ منهُ قال (من الوافر) :

وكأسٍ مثلِ عينِ الديكِ صِرْفٍ تُنَسّي الشاربين لها العقولا
اذا شرِب الفتى منها ثلثاً بغير الماء حاول ان يَطولا
مَشى قُرَشيّةً لا عَيْبَ فيها وأَرخى من مآزرهِ الفُضولا

فقال لهُ عبد الملك : ما أَخرَج هذا منك يا ابا مالك الّا خطّةٌ (خَلَّة؟) في رأسك قال : أَجل يا امير المؤمنين حين تُجلس عدوَّ الله هذا معك على السرير وهو القائل بالأَمس :

لعمري لقد أبقَتْ وقيعةُ راهطٍ لمروانَ صدعاً بيننا متنائيا

فلا صُلحَ حتى تَنحَطَ الخيلُ بالقنا وتثأرُ من نسوان كلب نسائيا

فقد ينبُت المرعى على دِمَن الثرى وتبقى حزازاتُ النفوس كما هيا

(قال) فقبض عبد الملك رجلهُ ثمَّ ضرب بها صَدْر زُفَر فقلبَهُ عن السَّرير. وقال: أذهبَ اللهُ حزازات تلك الصدور . فقال : انشدُك الله يا امير المؤمنين والعهدَ الذي اعطيتني. فكان زُفَر يقول : ما ايقنت بالموت قطّ الّا تلك الساعة حين قال الاخطل ما قال (الاغاني ٧ : ١٧٦-١٧٧)

﴿ موت الاخطل ﴾ قال حضرة ناشر ديوان الاخطل (ص ٣٧١) : انَّ الاخطل عمّر عمرًا طويلًا حتى قيل عنهُ انهُ «شيخ قد تحطَّم الاغاني (٧ : ١٧٢) وانهُ « دخل بين جرير والفرزدق في آخر امرهما وقد أَسنَّ ونفَدَ اكثر عمره » (الاغاني ٧ : ٣٨) ووُصف بانهُ «رجل ابيض الرأس واللحية (الاغاني ٩ : ١٦٩) فاستنتج حضرتهُ من هذه الادلّة ان الاخطل يكون توفّي نحو السنة ٦٩٢ هـ اي ٧١٠ للمسيح . قال حضرتهُ : « الّا انَّ شوكتهُ في الشعر لم تنكسر بل بقيت حادَّةً نافذةً يرشدك الى ذلك قصائد دريّة نظم جواهرها في آخر حياته . وكانت وفاتهُ في خلافة الوليد بن عبد الملك ولهُ فيه عدّة قصائد امتدحهُ بها»

وروى صاحب الاغاني (٧ : ٦) انَّ الوليد بن عبد الملك قال لجرير : فما تقول في الاخطل ؟ قال : ما أخرجَ لسانُ ابن النصرانيَّة ما في صدره من الشعر حتى مات » . واخبر ايضاً (٧ : ١٨٠) انهُ لمّا حضرت الاخطلَ الوفاةُ قيل لهُ : يا ابا مالك ألا توصي فقال (من المتقارب) :

أُوصي الفرزدقَ عند المَماتِ بأُمّ جريرٍ وأَعيارِها

وزار القبورَ ابو مالكٍ برَغم العُداةِ وأَوتارِها

﴿ ديوان الاخطل ﴾ روى ابن الاعرابي في كتاب الفهرست لابن النديم (ص ٧٨ و ١٥٧) انَّ ابا سعيد الحسن المعروف بالسكّري « عَمِلَ شعر الاخطل وجوّدهُ » اي ضبطهُ ونظّمهُ . وانّما كانت نُسخ هذا الديوان اعزَّ من بيض الأَنوق . ولقد كان يُعرف منها الى السنة ١٨٨٧ نسخة وحيدة قديمة في بطرسبورج كان يصعب الاطّلاع

عليها . ففي السنة ١٨٨٧ اهـدى الى مكتبتنا الشرقيَّة احدُ الاصحـاب عدَّةً من المخطوطات التي كان الحلبيّ الشهير والاديب البارع رزق الله حسُّون نسخَهـا بخطّهِ الجميل نسخاً بديعاً على ورق صقيل مزيَّن الاطراف بنقوش صناعيَّة رائعة . فكان من جملتها نسخة من ديوان الاخطل منقولة عن نسخة بطرسبورج . فنبَّهَ وجودها خاطر حضرة الاب صالحاني واستفزَّتهُ النخوة لنشرها كأثر فريـد في جنسهِ . ثمَّ كتب لناظر مكتبة بطرسبورج المستشرق الطيّب الذكر البارون فون روزِنْ فتلطَّف وقابل النسخة الحسُّونيَّة على الاصل الذي ترى منهُ مثالًا في صدر طبعتنا . فتحفَّز الاب الغيور بعد ذلك للعمل ونشر الديوان بأهبـة علميَّة مستوفية ضاعفت قيمتهُ فبلغ مع حواشيهِ وملحوظاتـهِ المتنوّعة ٤٠٠ صفحة في اربعة اقسام . هذا فضلًا عن طبعهِ البديع الذي قلَّما يُشبهُ كتاب آخر في مطبوعات الشرق والغرب

ولمَّا كانت السنة ١٩٠٥ توفَّق حضرة الاب انستاس الكرملي المرسل في بغداد فوجـد نسخة مخطوطة من ديوان الاخطل في دار السلام . فتمكَّن متولّي طبع الديوان من اقتنائها بهمَّة الاب الكرملي فنشرها بتصوير النور وطبع الحجر لما فيهـا من الزيادات والروايات والشروح التي لا توجد في نسخة بطرسبورج ودلَّ على كلّ ذلك بتذييلات وفهارس متقنة . فجاء هذا الاثر طرفةً جديدة تضاف الى السابقة

وبعد ذلك بسنتين أطلع جنـاب الدكتور الايطالي والمستشرق اوجينيوس غريفيني الاب صالحاني على نسخة ثالثة وُجدت في اليمن ذات فوائد جمَّة فرضي ان ينشرها في مطبعتنا كتتمَّة للنسختين السابقتين . وقد عُلّق عليها ايضاً كثير من التعليقات المفيدة والفهارس المدقّقة مع المقدّمات المتنوّعة . فزاد اقبال العلماء على هذا الديوان الجميل

ثمَّ بلغ حضرة الابانَ في الاستانة العليَّة في المكتبة المعروفة بالعموميَّة (ع ٥٤٧) نسخةً فريدة قديمة جدًّا بخطّ يقرب من الخط الكوفي من نقـائض جرير والاخطل فيها عدَّة قصائد ليست في نسخ الديوان او هي اتمّ منها . فلم يصبر عنها حتى تجشَّم السفر الى عاصمة الدولة والحربُ على وشك الانتشاب فاستنسخها واعدَّها للطبع في بُهرة الحرب فما كادت تحطّ اوزارَها حتى باشر بنشرها فجاءت اثرًا رابعاً لا يقلّ

ثمنهُ عن الآثار المتقدّمة كما شرحنا ذلك في مقالة انتقاديّة في المشرق (٢٠:[١٩٢٢]: ١٤٤-١٤٨)

ويُضاف الى المطبوعات السابقة ملحقٌ على ديوان الاخطل «يحتوي زيادة ايضاح في الشرح وتصحيح اغلاط ومقابلات وفهارس للاعلام والالفاظ اللغويّة ظهر منهُ قسمهُ الاول في ١٠٧ صفحات دقيقة الحروف وسيظهر عمّا قريب ان شاء الله قسمهُ الثاني الاخير . جازى الله اوفر جزاء القائم بهذا العمل الذي تنوء تحت عبئهِ مناكب الفحول

﴿ نخبة من شعرهِ ﴾ انّنا لو حاولنا ان نختار شيئاً من ديوان الاخطل اصابنا ما اصاب تلك الاعرابيّة التي سُئلت عن ايّ اولادها احبُّ اليها والافضل لديها فكانت اذا ذكرت الواحد منهم بعد الآخر قالت انّهُ الاحبُّ اليها والافضل حتى انتهت الى قولها بعد حَيرتها : انّهم كالحلقة المُفرَغة لا يُدرَى اين طرفاها . فكذلك اذا اعتبرنا قصائد الاخطل وجدنا كلّاً منها جديرة بالذكر لمحاسنها . على انّنا في آخر امرنا اضطرّنا ضيق المجال ان نُثبت نُتفاً قليلة من شعرهِ نجعلها كمثال في كل باب

﴿ اقوال الاخطل في الوصف ﴾ للشاعر التغلبي في هذا المعنى اقوال جميلة من الشعر الحرّ حتى قيل عنهُ انهُ فاق على سواهُ من الشعراء بالوصف فلهُ في الزهد (الديوان ١٧٦-١٧٧) (من الطويل) :

أعاذِلَتَيَّ اليومَ وَيْحكما مَهْلَا ... وكُفَّا الأذى عنّي ولا تُكثِرا عَذْلا

ذَراني تَجُدْ كفّي بمالي فانّني ... سأُصبحُ لا أسطيعُ جُودًا ولا بُخلا

اذا وضعوا فوق الضريحِ جنادلًا ... عليَّ وخلّيتُ المَطيّةَ والرّحلا

وأبكيتُ من عِتْبانَ كلَّ كريمةٍ ... على فاجعٍ قامت مشقّقةً عُطْلا (١)

مُدَمّيةً حُرًّا من الوجهِ حاسرًا ... كأن لم تَمُتْ قبلي غلاماً ولا كَهْلا

١) عتبان قوم من بني تغلب . والفاجع امرأتهُ الثكلى . والمشقّقة التي تشقّ ثيابها حزنًا . والعطل المجرّدة من الحلى

وقد كُنتُ فيما قد بنى ليَ حافري … اعاليَـهُ تَوًّا واسفلَـهُ دَحـلَا (١)

فـلا انا مجتـازٌ اذا مـا نزلتُـهُ … ولا انا لاقٍ ما ثوَيتُ بهِ أهـلا

وقد قسَّموا مالي وأضحت حلائلي … قد استبدلتْ غيري ببهجتها بَعْلَا

أعاذِلَ انَّ النفس في كفّ مالكٍ … اذا ما دعا يوماً اجابت لهُ الرُّسْلَا

ذَرِيني فـلا مالي يَرُدُّ منيَّتي … وما إن أرى حيًّا على نفسهِ قُفْلا (٢)

وليس بَخيلُ النفس بالمال خالدًا … ولا من جوادٍ فاْعلمي مَيّتٍ هَزْلا

أَلا رُبَّ مَنْ يَخْشَى نوائبَ قومهِ … وريبُ المنـايا سابقاتٌ بهِ الفِعْلا

ويا رُبَّ غـادٍ وهو يُرجى إيابُهُ … وسوفَ يلاقي دون أوبتـهِ شُغلا

وقد اشتهر وصفهُ الفرات عند فيضانهِ (٩٦—٩٧) شبَّه بهِ كرم الخليفة يزيد بن معاوية (من الطويل) :

وما مُزبِدٌ يَعلو جزائرَ حـامرٍ … يَشُقُّ اليهـا خَيْزُراناً وغَرْقَدا (٣)

تحرَّز منهُ اهلُ عانةَ بعدَما … كسا سُورَها الأعلى غُثاءٌ مُنضَّدا (٤)

يُقَمّصُ بالمـلَّاح حتى يَشُفَّهُ … م الحِذارُ وان كان المُشيحَ المعوَّدا (٥)

بِمُطَّرِدِ الآذِيِّ جَوْنٍ كـأنَّمـا … زَفا بالقراقيرِ النَّعامَ المُطرَّدا (٦)

١) يقول ان حافر قبري قد بناهُ توًّا اي منصوب البِناء ودحلًا اي كالسراب تحت الارض

٢) اي يجعل لنفسه قفلًا ايصونها من الموت

٣) ويروى: جلاميد حامر. وحامر ناحية بين منبج والرقَّة على شاطئ الفرات. والغرقد كبير العوسج

٤) عانة قرية على الفرات. والغثاء ما يقذفهُ النهر من الزَّبد ونفايات النبات والاوراق. والمنضَّد المتراكم

٥) يقمّص بالملاح اي يوقع اضطرابًا في السفينة حتى يُخيف الملّاح من سَوْرتهِ وان كان مشيحًا اي حاذقًا في تدبير السفن

٦) المطَّرد المتتابع. والآذيّ الموج والجون الابيض المُزبد. وزفا حثّ. اي يدفع الفرات بامواجهِ المتوالية المزبدة سفينة الملّاح المُشبهة بشراعها الابيض طير النعام الناشر جناحيهِ عند

طرده

كأنَّ بناتِ الماء في حَجَراتِهِ ... أَباريقُ اهدَتْها ديافُ لصَرْخدا(١

بأَجودَ سَيْباً من يزيدَ اذا غدَتْ ... بِهِ بُخْتُهُ يَحمِلْنَ مُلكاً وسُودَدا(٢

وكم اجاد الاخطل بوصف صيد ثور الوحش فلهُ فيهِ كلُّ حسنة كقولهِ (٢٦٠—٢٦٢) يشبّه ناقتهُ بعد طول سيرها بضمور الثور (من البسيط) :

كأنّها بعد ضمّ السَّير جَبْلَتَها ... من وَحْشِ غَزَّةَ مَوْشيُّ الشَّوى لَهَقُ(٣

باتت لهُ ليلةٌ هاجَتْ بَوارِحُها ... ومُرْزِمٌ من سَحاب العَيْنِ يأْتَلِقُ(٤

يلوذُ ليلتَهُ منها بغَرْقَدَةٍ ... والغصنُ يَنعطِفُ فوق المَتْنِ والورَقُ(٥

باتَ الى جانبٍ منها يكفّنُهُ ... ليلٌ طويلٌ وقلبٌ خائفٌ أَرِقُ(٦

فالقَطرُ كاللُّؤلؤِ المَنثُورِ يَنفُضُهُ ... اذا اقْشَعَرَّ بِهِ سِرْبالُهُ اللَثِقُ(٧

حتى اذا كاد ضوءُ الصُّبحِ يَفضَحُهُ ... وكاد عنهُ سوادُ اللَيلِ يَنطلِقُ

هاجتْ لهُ ذُبَّلٌ مُسْحٌ جواعِرُها ... كأنّما هنَّ من نَبْعيَّةٍ شِقَقُ(٨

فظَلَّ يَهْوي الى أَمرٍ يُساق لهُ ... وأَتبعَتْهُ كلابُ الحيّ تستَبِقُ(٩

---

١) بنات الماء الطير . والحَجَرات نواحي النهر. شبَّه الطير بأباريق من الخمر يرسلها اهل دياف الى اهل صَرْخد وهما قريتان في حوران ٢) البُخت الابل الخراسانيَّة

٣) يقول انَّ ناقتهُ بعد ان اضمر السَّير جَبْلَتها اي بدَنها اشبهت ثور وحشٍ يُرى في انحاء غزَّة. وجلدُ شواهُ اي قوائمُهُ. مَوْشيّ اي شبيه بالوشي . واللَّهَق واللَّهِق الشديد البياض

٤) البوارح الرياح الشديدة ثمَّ استعار للسحاب عيناً . مُرزم اي أُسمع صوت الرعد حيناً وتأتلق اي تبرق حيناً آخر ٥) اي يأوي ليلتهُ تحت غَرْقدة اي عوسجة كبيرة بينما يتزل على جسمهِ منها نقط المطر التي تقطر عليهِ من اغصان الغرقدة واوراقها ٦) منها اي من الغرقدة. يكفّنهُ يقلّبهُ ذات اليمين وذات الشمال لطول الليل وخوفهِ من الريح والمطر. وهو أرِقٌ اي ساهر يقظان ٧) سرباله جلدهُ. واللَّثق المبتلّ ٨) هاجت لهُ اي ثارت كلابٌ ذُبَّل اي ضامرة . مُسْح جواعرُها اي دقيقة المؤخَّر تشبه بضمورها القسيّ المتَّخذة من شجرة النَّبع ٩) يهوي الى امرٍ يساق لهُ اي يهبط سائرًا الى موتهِ

يُفَرّجُ الموتَ عنـهُ قد تَحَضَّرهُ ... وكِدْنَ يَلحَقْنَهُ او قد دَنا اللَّحَقُ (١

لمّا لَحِقْنَ بهِ أنحى بمِغْوَلـهِ ... يَملا فرائصَها من طعنهِ العَلَقُ (٢

فكرَّ ذو حربـةٍ يحمي حقيقتَهُ ... اذا نحا لِكُلاها الرَّوْقُ يَمتَرِقُ (٣

فهُنَّ من بينِ متروكٍ بـهِ رَمَقٌ ... صرعى وآخر لم يُترَكْ بهِ رَمَقُ (٤

ومن اوصافهِ قولهُ (ص ٣—٤) في خمر بَيْسان من قرى فلسطين (من الطويل):

وجاؤوا بِبَيْسانيَّةٍ هيَ بعـد ما ... يَعُلُّ بهـا الساقي أَلَذُّ وأَسْهَلُ (٥

فصَبُّوا عُقارًا في الإناء كأنّهـا ... اذا لَمَحوها جُذْوَةٌ تتـأَكَّلُ (٦

تمرُّ بها الأيدي سَنيحاً وبارحاً ... وتوضَع بِٱللّهُمَّ حيِّ وتُحمَلُ (٧

وتُوقَفُ أحيـاناً فيَفصِلُ بينَنـا ... سَماعُ مُغَنٍّ او شِواءٌ مُرَعْبَلُ (٨

فلذَّت لِمُرتاحٍ وطـابت لشاربٍ ... وراجعَني منها مِراحٌ وأَخيَلُ (٩

فمـا لَبَّثَتْنا نَشوةٌ لَحِقَتْ بنـا ... تَوابِعُها ممّا نُعَلُّ ونُنهَـلُ (١٠

---

١) فرَّجهُ ابعدهُ . تحضَّرَهُ اي شعر بحضورهِ . اللَّحَق الإدراك

٢) انحى اليها بمِغْوَلهِ اي قصد الكلاب بقرنهِ . والعَلَق الدم

٣) اراد بحربته قرنهُ . وكذلك الرَّوْق القرن اي كرَّ الثور دفاعاً عن نفسهِ وحِماه وقصد كُلاها اي جلد صدورها فامترقها وخرَّقها

٤) هي اي الكلاب وقع بعضها صريعاً مُدنفاً وبعضها ميتاً . الرَّمق بقيَّة الحياة

٥) اي انَّ هذه الخمر أطيب اذا كرَّر الساقي سَكْبها فيَعُلُّ بها الشاربين اي يسقيهم ثانيةً

٦) العُقار الخمر العتيقة . شبَّهَها في انائها بشعلة من النار المتَّقدة

٧) اي تتناولها الايدي تارة من اليمين وتارة من الشمال . ويُذكر عليها اسمُ الله عند رَفْعها ووَضْعها

٨) اي لا يتوقَّفون عن شربها الَّا لسماع الغناء او لأكل قِطَع من اللحم المشويّ رَعْبل اللَّحمَ قطَّعهُ لينضج على النار

٩) المِراح النشاط . والأخْيَل كالخُيَلاء العُجب والكبر

١٠) النشوة السكر . والنَّهَل اوَّل الشرب والعَلَل ثانيهِ

فدَبَّتْ دبيباً في العِظام كأنَّها دبيبُ نِمالٍ في نقاً يتهيَّلُ (١

ومثلهُ ظرافةً وصفهُ (ص٣٢١) للثمل السكران (من الطويل) :

شربْنا فَمِتْنا مِيتةً جاهليَّةً مضى اهلها لم يعرفوا ما مُحمَّدُ (٢
ثلثةَ ايَّامٍ فلمَّا تنبَّهتْ حُشاشاتُ انفاسٍ أتتنا تَرَدَّدُ (٣
حَيِينا حياةً لم تكن من قيامةٍ علينا ولا حَشْرٍ أتاناهُ مَوْعِدُ (٤
حياةَ مِراضٍ حولَهم بعد ما صَحَوْا من الناس شتَّى عاذلون وعُوَّدُ (٥
وقُلنا لِسَاقينا عليك فَعُدْ بنا الى مثلها بالأمسِ فالعَوْدُ أحمَدُ
فجاء بها كأنَّما في إنائهِ بها الكوكبُ المِرّيخُ تَصفُو وتُزْبِدُ (٦
تفوحُ بماءٍ يُشْبهُ الطيبَ طيبُهُ اذا ما تعاطت كأسَها من يدٍ يدُ
تُميتُ وتُحْيي بعد موتٍ وموتُها لذيذٌ ومَحْياها ألَذُّ وأحمدُ

﴿الفخر﴾ وللاخطل في الفخر (ص٣٠٧) قولهُ يذكر قومهُ (من الطويل) :

ولكن لنا بَرُّ العراقِ وبَحْرُهُ وحيثُ تَرَى القُرْقُورَ في الماءِ يسبَحُ
اذا ابتدَرَ الناسُ السِجالَ وجدتَّنا لنا مِقْدحا مجدٍ وللناس مِقْدَحُ (٧

١) شبَّهَ فعل الخمرة في العظام بحركات النمل في نقًا يتهيَّل اي في كثيبٍ من الرمل ينْهار ويتحدَّر ٢) يقول شربنا الخمر فسكرنا وكان السكر اشبه بالموت . وذلك على سُنَّة العرب في الجاهليَّة اذ لم يبلغهم تحريم محمَّد للخمر . ويروى : خلا انَّنا في موتنا ليس نُلْحَدُ ٣) يريد خُمار الخمر ونشوتها اي دام فيهم ثلثة ايَّام الى ان تردَّدت اليهم بقيَّة حياةٍ فصحَوْا منها ٤) يقول ان الحياة التي عادت الينا ليست كالحياة التي سيحيا بها البشر يوم القيامة اذ يُحشرون من قبورهم ٥) يريد انَّ تلك الحياة بقي فيها اثر سكرهم فوجدوا حولهم لمَّا صحَوا قوماً يعودونهم كمراض وقوماً يلومونهم لسكرهم
٦) شبَّهها في إنائها بالسيَّارة المرّيخ التي يضرب لونها الى الحُمرة
٧) اي اذا فاخرَنا الناس وجدوا سهمنا من المجد ضِعفَ سهمهم ونصيبهم

وانَّا لَمَمْدودونَ مـا بين مَنْبِجٍ فَغافِ عُمـانٍ فالحِمى ليَ أفيحُ (١

ولهُ ايضاً (ص ١٧٨) في الفخر قولهُ (من الطويل):

وانّي لَمِنْ عَلْيـاءِ تَغْلِبِ وائلٍ لَأَطْولُهـا بيتاً وأَثبتُهـا أصلا

انا الجُشَميُّ الرَّحْبُ في الحيّ منزلًا اذا احتلَّ مَضهودٌ بِمُضْنيةٍ هَزْلا (٢

وعمَّايَ نِعْمَ المرءُ عمرٌو ومالـكٌ وثعلبَةُ المُولي بِمَنْظورةٍ فَضْلَا (٣

وقـد عَلِمت أفنـاءُ تغلب أنّني نُضارٌ ولم أَنْبُتْ بقَرْقرةٍ أَثْـلا (٤

وأَنّيَ يوماً لا مُضِيعٌ ذِمارَها ولا مُفْلِتي هاجٍ هجا تَغْلباً بُطْـلا

ومن فخرهِ (٢٤٩—٢٥٠) استقبالُهُ الضيف في ليلةٍ شاتية (من الطويل):

ومُسْتَنْبِحٍ بعـدَ الهدوّ دعوتُهُ بصَوْتيَ فاستَمْشى بنِضْوٍ تَرَغَّمـا (٥

فجـاءَ وقـد بلَّتْ عليهِ ثيابَـهُ سحابَةُ مُسْوَدٍّ من الليـل أَظْلما

وفي ليلةٍ لا يَنْبحُ الـكلبُ ضيفَها اذا نُبِّـه المَبْلودُ فيهـا تغَمْغما (٦

فلمَّا اضاءَتْهُ لنا النارُ وأُصطلى اضاءَت هِجَفّاً مُوحِشاً قد تهشَّما (٧

---

١) اي نحكم على البلاد الممتدَّة بين مدينة مَنْبِج الى انحـاء عمان وخصَّ عمان بالغاف وهي شجرة مُشْوكة تكثر فيها . ثمَّ قال ان حمانا أَفيح اي اوسع واوفر

٢) المضهود الطريد المقهور . والمُضنية المُصيبة المُنهكة للقوى . يقول اذا التجأ الى منزلي بئيسٌ وجد عندي منزلًا رحباً ٣) جُشَم وعمرو ومالك وثعلبة كلهم من اجداد الاخطل في سلسلة نسبهِ الى تغلب ٤) افناء تغلب احياؤها . النُّضار الشجر الصلب العود بخلاف الأَثْل اي شجرة الطرفاء يكون خشبُها خوَّارًا اذا نبت في قرقرة اي ارض ليّنة مطمئنَّة ٥) المستنبح الطارق ليلًا الصارخ ليستهدي بنبح الكلاب الى مكان الحيّ . والهدوّ اوَّل الليل اذ هـدأَ الناس . واستمشى طلب موضع النار وهو مقبلٌ على ناقةٍ نضْو اي مهزولة لتعبها وهي تترغَّم اي تُردّد رغاءها ضعيفًا

٦) وصف شدَّة تلك الليلة التي يجمد لبردها الكلب فلا ينبح واذا نُبّه النائم بَلَدَ في مكانهِ ولصق متغمغماً اي يُسمع صوتاً ضعيفاً ٧) يقول لمَّا انارت نارنا وجه ضيفنا وجدناهُ هجفّاً اي غليظًا جافياً . وموحشاً اي بائتاً في القفر مع الوحش

فنبَّهْتُ سعدًا بعد نومٍ لطارقٍ ... اتانا ضئيلًا صوتُهُ حين سلَّما (١

فقلتُ لهم هاتوا ذخيرةَ مالكٍ ... وان كان قد لاقى لَبوساً ومَطْعما (٢

فقال ألا لا تَجشِمُوها وانما ... تَنَحْنَحَ دونَ المُكْرَعاتِ لِتُجْشَما (٣

واني لَحلَّالٌ بيَ الحقُّ اتّقي ... اذا نزلَ الاضيافُ ان أتجهَّما (٤

اذا لم تَذُدْ ألبانُها عن لحومها ... حلَبْنا لهم منها بأسيافنا دما (٥

﴿المديح﴾ هي قصائد المديح التي قرَّبت الاخطل من الخلفاء فرفعوا قدرهُ وخصُّوهُ بالطافهم. منها قصيدتهُ الرائيَّة في مدح عبد الملك بن مروان (ص ٩٨—١١٢) وفيها يقول (من البسيط):

الى امرئٍ لا تُعَدّينا نَوافلُهُ (٦ ... أظْفرَهُ اللهُ فليهنأْ لهُ الظفَرُ

الخائضِ الغَمْرَ والميمونِ طائرُهُ ... خليفةِ اللهِ يُستَسقَى بهِ المطَرُ

والهمُّ بعد نجيِّ النَّفس يَبعَثُهُ ... بالحزم والاصمعانِ القلبُ والحذَرُ (٧

والمستمرُّ بهِ امرُ الجميعِ فما ... يَغْتَرُّهُ بعد توكيدٍ لهُ غَرَرُ (٨

وما الفراتُ اذا جاشَتْ حوالِبُهُ ... في حافتَيهِ وفي اوساطِهِ العُشَرُ (٩

---

١) سعد غلام الاخطل يدعوهُ لخدمة ضيفهِ الطارق ليلاً الخافت الصوت

٢) ذخيرة مالك اي ناقة ادَّخرها لابنهِ مالك . يُريد ان يُتحف بها ضيفَهُ

٣) يقول انَّ الضيف قال: لا تتكلَّفوا مثل هذه الضحيَّة لكنَّهُ تحنحنح اي ردَّ ذلك وامتنع ظاهرًا عن تضحية المُكرَعات وهي الابل وهو يرغبُ باطنًا بان تُهدَى لهُ

٤) يقول اذا حلَّ بي الضيف وجب عليَّ حقُّهُ واحذر ان استقبلهُ بوجه عبوس

٥) اي اذا امتنعت الابل عن إدرار لبنها عقرناها ليشرب ضيفُنا دمها

٦) اي لا تفوتُنا هباتهُ ٧) اي اذا بعثَتْهُ نفسهُ الى امرٍ جليل اهتمَّ بهِ وساعدَه على القيام بهِ حزمُهُ وذكاء قلبهِ وفطنتهِ. والأصمع الذكيّ من كلّ شيء ٨) اي انَّ الجميع ثابتون على ولائهِ. فلا تفاجئهُ بعد ذلك مَهلكةٌ. اغترَّهُ حلَّ بهِ بغتةً. والغَرَر الفاجئة

٩) حوالبهُ اي امواجهُ. ويروى: غَواربُهُ. والعُشَر كبار شجر العضاه

ذَعذَعَتْهُ رياحُ الصيفِ واضطربَتْ فوقَ الجآجِىءِ من آذِيّهِ غُدُرُ (١

مستَحنِفرٌ من جبال الروم يَستُرُهُ منها اكافيفُ فيها دونَها زَوَرُ (٢

يوماً بأجودَ منهُ حين تسألُهُ ولا بأجهرَ منهُ حين يُجتَهَرُ (٣

ومن مديحهِ المستحسن قولهُ (ص ٢٤٣—٢٤٦) في احد اعيان قومهِ همَّام بن مُطرّف التغلبيّ (من الطويل):

فتى الناسِ همّامٌ وموضعُ بيتهِ برابيةٍ يعلو الروابيَ طُولُها

فلو كان همّامٌ من الجنّ أصبحَتْ سُجودًا لهُ جنُّ البلادِ وغُولُها

نمَتْهُ الذُّرى من مالكٍ وتعطّفَتْ عليهِ الروابي فرعُها وأُصولُها

أَجادت بهِ ساداتُها فترغّبَتْ لأَخلاقهِ أَمجادُها وحَفيلُها (٤

سَبوقٌ لغايات الحِفاظِ اذا جرى ووهّابُ اعناقِ المِئينَ حَمُولُها (٥

ودَفّاعُ ضَيمٍ لا يُسامُ دَنيّةً وقطّاعُ أَقرانِ الامورِ وَصُولُها (٦

وأَخّاذُ أَقصى الحقّ لا مُتهضَّمٌ اخوهُ ولا هَشٌّ القَناةِ رَذيلُها (٧

أَغرُّ أَريبٌ ليس يُنقَضُ عهدُهُ ولا شاهدًا مغبونةً يَستقيلُها (٨

---

١) ذعذعَتْهُ فرّقَتْهُ. وآذيُّهُ امواجهُ. والجآجئ صدور السفن الجارية على الفرات. والغُدُر جمع غدير ٢) المُستحنفر السّريع الجري. اكافيف الجبال قِممُها وتلالها. والزّوَر المَيْل ٣) الجَهير الجسيم الرائع. واجتهرتُهُ اذا امجبَك حسنُهُ

٤) اي رَغب الناس كلُّهم في خيرهِ. والحفيل الجمع الكثير اي الجمهور

٥) قال شارح الديوان: الغاية الأَمَد. والحِفاظ ما وجب عليه ان يحفظَهُ. واعناق المئين جماعتُها فيقول هو حمول لما يُحمَّل ٦) القَرَن الحبل يريد انّ لهُ القطعُ والوَصْل والامر والنهي ٧) هشّ القناة اي رخوها. ويروى: ذَبُولُها ٨) في الديوان انّ شاهدًا منصوبة على الحاليَّة اي لا يشهد خُطّةَ غَبْنٍ ومكر. يَستقيلُها اي تستوجب ان يستغفر ظالمَهُ لاجلها

جوادٌ اذا ما أَمحَلَ الناسُ مُمْرِعٌ كريمٌ لِجَوْعاتِ الشتاءِ قَتولُها (١

اذا نائباتُ الدهرِ شَقَّت عليهمِ كفاهم أذاها فاستُخِفَّ ثقيلُها (٢

يُهينُ وراء الحيِّ نفساً كريمةً لكَبَّةِ موتٍ ليس يُودَى قتيلُها (٣

ويعلمُ انَّ المرءَ ليس بخالدٍ وأنَّ منايا الناسِ يَسعى دليلُها

فإن عاش همَّامٌ لنا فهو رحمةٌ من الله لم تُنْفَس علينا فُضولُها (٤

وان مات لم تَستبدلِ الارضُ مثلَهُ لأَخْذِ نصيبٍ او لامرٍ يعولُها (٥

وللاخطل مديحٌ جليل في مَصْقلة بن هُبَيرة الشيباني(١٤٣)قد ذكرهُ سابقاً حضرة الاب صالحاني في المشرق (١٤ [١٩١١] : ٨٣٨–٨٤١) ورجَّح نصرانيَّة مصقلةَ استنادًا الى ما رواهُ الطبري في تاريخهِ(١ : ٣٤٣٤–٣٤٣٨)ومنهُ قولهُ (من البسيط):

دَعِ المُغَمَّرَ لا تسأَلْ بمَصْرَعِهِ واسأَلْ بمَصْقَلَةَ البكريِّ ما فعلا (٦

بمُتْلِفٍ ومُفيدٍ لا يَمُنُّ ولا تُهلِكُهُ النفسُ فيما فاتَهُ عَذَلا (٧

جَزْلِ العطاءِ واقوامٌ اذا سُئلوا يُعطونَ نَزْرًا كما تَستوكفُ الوَشَلا (٨

وفارسٍ غيرِ وَقَّافٍ برَايتهِ يومَ الكريهةِ حتى يُعمِلَ الأَسَلا (٩

---

١) أَمحَلَ الناس أقحطوا. ومُمرِعٌ ذو خصب ونعمة. وقَتُولها اي مُزيلُها ببطائهِ

٢) شقَّتْ صَعُبت. واستُخِفَّ اي وُجد خفيفًا

٣) وراء الحيّ اي دونَهُ. والكبَّة الدفعة في القتال. واودى هلك. يقول انهُ يخاطرُ بحياتهِ في سبيل قومهِ ويعرّض بنفسهِ لميتةٍ تخلّد ذكر صاحبها ٤) اي عيشتهُ نعمة من الله لم يبخل الله علينا بفضلها ٥) لأَمرٍ يعولُها اي يعمُّها. ويجوز يغولها اي يدهمها ويهلكها

٦) المغمَّر الذي فَضَلَهُ غيرُهُ. اراد بهِ القعقاع الذهليّ. واسأل بهِ كاسأل عنهُ

٧) لا تُهلكه النفس اي لا تبكّتهُ ولا تلومهُ عن كثرة ما بذلَهُ جودًا وكرمًا

٨) استوكفَهُ استمطرهُ. والوَشَل الماء القليل. شبَّه عطاء غيرهِ بالماء القليل وعطاء الممدوح بالوفرة والكثرة ٩) اي اذا نزل الى ميدان الوغى ونشر رايتهُ في يوم الحرب لا يزال يتقدَّم حتَّى يطعن العدوّ بأسلهِ اي رمحهِ

﴿الهجو﴾ كما امتاز الاخطل بالوصف والفخر والمديح كذلك صوَّب الى اعدائهِ سهام الهجاء . وقد رأيتَ في اخبارهِ انَّ القسيس والاسقف قد عاقباهُ على تعرُّضهِ لقذف الناس وانَّما هجاء الاخطل مع حدَّتهِ كان مع عَفاف لا تكاد تجد لهُ بيتاً بذياً ماجناً اللهمَّ الَّا ما ندر على خلاف قِرنَيهِ جرير والفرزدق فانَّ ديوانهما مشحون بضروب الالفاظ البذيَّة والعبارات المستقبحة القذعة . فمن هجاء الاخطل قولهُ (ص ٣٠٥) لعشيرة زهير بن جُندَب (من الطويل) :

لَعمرُكَ انَّا من زُهَيرِ بن جُندَبٍ لَدانونَ لو أنَّ القَرابةَ تَنفَعُ
فأمَّا إناءُ الخيرِ منهم ففارغٌ وامَّا اناءُ الشرِّ منهم فمُترَعُ

ومثلهُ قولهُ في المسمَّى ابا مروان (ص ٣٠٤) يهجوهُ لبُخلهِ (من الطويل) :

كأنَّ ابا مَروان يُنزَعُ ضِرسُهُ اذا القومُ قالوا مَتِّعونا بدِرهَمِ

واوقعُ منهُ قولهُ في بني اسد (ص ٣١٥–٣١٧) وخصَّ منهم خنجرًا (من الطويل) :

بنو أسدٍ رِجلانِ رِجلٌ تَذَبذَبَتْ ورِجلٌ اضافَتها الينا التَّراتِرُ (١
فما الدينَ حاوَلتم ولكن دَعاكمُ الى الدينِ جوعٌ لا يُغمِّضُ ساهرُ (٢
بني اسدٍ لا تذكروا الفخرَ بينكم فانتمْ لئامُ الناسِ بادٍ وحاضِرُ
بني اسدٍ لا تذكروا المجدَ والعُلى فانَّكمُ في السوقِ كُذْبٌ فواجرُ (٣

وقال يخاطب خنجرًا :

أَخَنجرُ قد اخزَيتَ قومَك بالتي رَمَتك فُوَيقَ الحاجِبَينِ السنابرُ (٤

١) تذبذبت اي تقلَّبت وذهبت الى غيرنا . والتراتر الشدائد

٢) كان بنو اسد بن خزيمة نصارى فأسلم بعضهم (اطلب كتابنا النصرانية وآدابها بين عرب الجاهليَّة ص ١٢٦، ١٢٨، ١٤٩)

٣) كُذْب مخفَّف كُذُب جمع كَذُوب . ويروى : كذب سامرُ

٤) يشير الى جُرح اصابهُ في جبينهِ في بعض المناوشات . رماهُ بهِ السنابر اي بنو امّ سَنبَر من بني نصر بن قُعَين

فلو كنتَ ذا عِزٍّ منعتَ ببعضهِ جبينَك أنْ تَدمى عليهِ البصائرُ
فأبدِ لمن لاقيتَ وجهَكَ واعترِفْ بشنعاءَ للذِّبَّان فيها مصايرُ (١
أمِنْ عَوَزِ الأسماءِ سُمِّيتَ خنجرًا وشرُّ سِلاحِ المسلمينَ الخناجرُ
ولو كنتَ ابصرتَ القنابلَ والقنا وهَبْوَةَ يومٍ هيَّجَتْها الحوافِرُ
برابيةِ الخابورِ ما أقرنَتْ لنا خُزَيمَةُ اذ سارت جميعاً وعامِرُ
فما لك في حَيَّيْ خُزَيمةَ من حصًى وما لك في قيسِ بن عَيلانَ ناصِرُ

﴿الإغراء﴾ للاخطل فيهِ اقوالٌ أَحدُّ من السهام كفى منها مثلًا قولهُ (ص١٠٥—١٠٦) للخليفة عبد الملك يحذِّرهُ من زُفَر بن الحارث الكِلابي احد انصار ابن زُبير في محاربة بني اميَّة فقال (من البسيط) :

بني أُمَيَّةَ انّي ناصحٌ لكمُ فلا يَبيتَنَّ فيكم آمناً زُفَرُ
واتَّخذوهُ عدوًّا انَّ شاهِدَهُ وما تغيَّبَ من اخلاقهِ دَعَرُ (٢
انَّ الضغينةَ تَلْقاها وان قَدُمَتْ كالعَرِّ يكمُنُ حيناً ثمَّ ينتشرُ (٣

﴿النسيب﴾ وقد عرف الاخطل النسيب اللطيف فاجاد فيهِ كما في سواهُ قال (ص ٢١١—٢١٢) في مطلع قصيدتهِ التي مدح فيها عكرمة الفيَّاض (من الطويل) :

ألا يا اْسلَمي يا امَّ بِشْرٍ على الهَجْرِ وعن عَهدكِ الماضي لهُ قِدَمُ الدهرِ
لياليَ نلهو بالشباب الذي خلا بمُرْتَجَّةِ الأردافِ طيِّبةِ النَشْرِ

١) المَصير الموقع . يقول لا تستر تلك الشجّة الشنيعة التي يتراكم عليها الذُّباب ويلزمها
٢) الدَعَر الفساد اي انَّ خارجهُ كباطنهِ دغلٌ وفساد .
٣) العَرّ الجَرَب . يريد انَّ ضغينة قلبهِ مها كمنَت فانَّها ستفشو وتنتشر

أَسيلةُ مَجْرى الدمعِ خفَّاقةُ الحَشا ... من الهِيفِ مِبْرَافُ التَّرائبِ والنَّحْرِ (١

وتَبْسِمِ عن أَلْمى شَتيتٍ نباتُهُ ... لذيذٍ اذا جادت بهِ واضحُ الثَّغْرِ (٢

من الجازئاتِ الحُورِ مطلَبُ سِرّها ... كبَيْضِ الأَنُوقِ المستكنَّةِ في الوكرِ (٣

واني واياها اذا ما لقيتُها ... لكالماءِ من صَوْبِ الغَمامةِ والخمرِ

ولهُ في وصف غادةٍ (ص ٣٢٣) (من الكامل):

ما روضةٌ خضراءُ أَزهر نَوْرُها ... بالقَهْر بين شقائقٍ ورمالِ (٤

بَهِجَ الربيعُ لها فجادَ نباتُها ... ونمتْ بأَسْحَمَ (٥ وابلٍ هطَّالِ

حتَّى اذا التفَّ النباتُ كأَنَّهُ ... لونُ الزَّخارفِ زُيّنتْ بصِقالِ

نفَتِ الصَّبا عنها الجَهامَ وأَشرقتْ ... للشمسِ غِبَّ دُجُنَّةٍ وطِلالِ (٦

يوماً بأَملحَ منكِ بهجةَ منطقٍ ... بين العشيِّ وساعةِ الآصالِ

حسناً ولا بأَلذَّ منكِ وقد صغتْ ... بعضُ النجومِ وبعضهنَّ توالي (٧

﴿الحِكَم﴾ ولا يخلو ديوان الاخطل من الاقوال الحكميَّة والامثال الصائبة كقولهِ (٢٥٨) (من الطويل):

---

١) الاسيلة الصقيلة الخدَّين. خفَّاقة الحشا اي ضامرة الحشا. والهيف جمع هَيفاء. والترائب جمع تريبة موضع القلادة ٢) اللمى اللثة التي تضربُ الى السواد. اراد بالشتيت الاسنان غير المتراصَّة المتراكبة ٣) شبهها بالجازئات جمع جازئة وهي الظبية ووصفها بالعفاف والتحصُّن ٤) القهر اسافل الحجاز ممَّا يلي نجدًا. والشقائق جمع شقيقة وهي الفُرْجة بين جبلين تنبت العشب ٥) الاسحم السحاب المظلم لامتلائه ماء ٦) الجهام السحاب الذي اراق ماءهُ. وغبَّ دُجُنَّةٍ اي بعد ظلامها. والدُّجُنَّة الغيم الريَّان المظلم. والطلال جمع طَلّ وهو المطر الضعيف. وصف الروضة وحسنها عند شروق الشمس عليها بعد ان رُوِيت من مياه الامطار ٧) يقال صغَت النجوم اذا مالت للغروب. وتوالي النجوم اواخرها

وانَّ امرءًا لا ينثني عن غَوَايةٍ اذا ما اشتهتْها نفسُهُ لَجَهُولُ

وكقولهِ (الديوان ٥٥) (من الكامل) :

وصاحبِ صَبْوةٍ صاحبتُ حيناً فتُبْت اليومَ من جَهْلٍ وتابا

ونفسُ المرء تَرْصُدُها المنايا وتَحْدُرُ حولهُ حتى يُصَابا

إذا أَمَرَتْ بهِ أَلْقَتْ عليهِ أحدَّ سِلاحِها ظُفرًا ونابا

وأعلمُ أنَّني عمَّا قليلٍ ستكسوني جنادِلَ او ترابا

وقولهِ (٧٣) (من البسيط) :

اليومَ أُجهِدُ نفسي ما وَسِعْتُ لكم وهل تُكَلَّفُ نفسٌ فوقَ ما تَسَعُ

وقولهِ (١٤٣) (من البسيط) :

وبينما المرءُ مغبوطٌ بمأمَنهِ اذ خانَهُ الدهرُ عمَّا كان فانتقَلا

وقوله (١٥٨) وهو مسك الختام (من الكامل) :

والناسُ هَمُّهمُ الحياةُ ولا أرى طولَ الحياةِ يزيدُ غيرَ خَبالِ

واذا افتقرتَ الى الذخائرِ لم تَجِدْ ذُخرًا يكونُ كصالحِ الأعمالِ

فنكتفي بهذا القليل علَّهُ يبعث في قلوب القرَّاء الرغبة لدرس شعر الاخطل ومعرفة خواصّهِ ولاسيَّما انَّ حضرة متولّي طبعه قد قرَّبهُ منهم بتوفير الاسباب لاقتباس منافعهِ الجمَّة

١٠ القطامي التَّغْلبي

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ قال عبدالله بن سلَّام الجُمَحيّ في كتابهِ طبقات الشعراء

(éd. Hell,121) : اسمهُ عُمَير بن شُيَيم بن عمرو احد بني بكر بن حُبَيب بن عمرو بن غَنم بن تَغلِب » والقُطامي بفتح القاف وضمّها لقبٌ غلب عليهِ وهو اسم من اسماء الصَّقر معناه المحدِّد البصر الى الصيد لقولهِ (من الرَّجز) :

يَصُكُّهنَّ جانباً فجانبا صَكَّ القُطاميِّ القَطا القَواربا

وقد لُقِّب ايضاً بلقب آخر فدُعي بصريع الغواني لقولهِ (من الطويل) :

صريعُ غوانٍ راقَهنَّ ورُقنَهُ لَدُنْ شَبَّ حتى شاب سودُ الذوائبِ

والقطاميّ من الأَراقم والاراقمُ احياء من تغلب يجمعهم هذا الاسم وهم ستّة جُشم ومالك وعمرو وثعلبة ومعاوية والحرث . قيل لهم ذلك امّا من الرَّقم اي الكثير لعددهم وامّا تشبيهاً بالأَراقم اي الحيات لشبه عيونهم بها . وقد افتخر القطاميّ بنسبتهِ اليهم فقال (من الوافر) :

ويَرْفِدُني الأَراقِمُ خيرَ رِفْدٍ وشيبانُ بنُ ثعلبةَ القُرومُ

والقطاميّ ابن اخت الاخطل التغلبي الشهير السابق ذكرهُ

وللقطامي التغلبي سميَّان شاعران مثلهُ الّا انّهما اقلّ شهرةً ذكرهما الآمديُّ في كتابه المختلف والمؤتلف وكلاهما كان في زمانهِ في عهد بني اميَّة : احدهما القطامي الضَّبعي من ضبيعة بن ربيعة بن نزار كان ابوهُ من اصحاب خالد القسري والي الكوفة . والآخر القطاميّ الكلبي واسمهُ الحصين وهو ابو الشرقيّ الوليد بن القطامي

﴿دينهُ﴾ قال ابو الفرج الاصبهاني في الاغاني (٢٠ : ١١٨) : وكان (القطاميّ) نصرانيًّا وهو شاعر اسلاميّ . فقولهُ « كان نصرانيًّا » يثبتهُ : اوّلاً نسبهُ الى تغلب القبيلة المتحمّسة في دينها حتى ايّام بني عبّاس . وثانياً قرابتهُ الى الاخطل الراسخ في دينهِ النصراني كما رأيت والقطاميّ ابنُ اختهِ . وثالثاً افتخارهُ بقومهِ وبحروبها ومآثرها ما يدلُّ على مجاراتهِ لهذيها . رابعاً ولا يخلو شعر القطامي من اشارات الى التوراة والكتب النصرانيَّة (اطلب كتابنا النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة (ص ٢٦٣ و٢٧١)

امَّا قول صاحب الاغاني انهُ «شاعر اسلامي» فليس معناهُ انهُ صار مسلماً بل انهُ عاش في الاسلام ولم يبلغ عهد الجاهليَّة كالمخضرَمين. ولعلَّ هذا الذي خدع ابن عساكر في تاريخ دمشق فقال عن القطامي «كان نصرانيًّا فأسلم» وهو اوَّل من قال بذلك وابن عساكر من كتَبة القرن السادس للهجرة (توفّي سنة ٥٧٢ هـ) وعنهُ اخذ الذين قالوا باسلام القطاميّ كعبد القادر البغدادي (في الخزانة ١ : ٣٩٣) وصاحب معاهد التنصيص . وقد جنح الى ذلك ايضاً المستشرق الالماني «بَرْث» (Barth) الذي نشر ديوانهُ فعَدَّهُ من المسلمين مستشهدًا بابن عساكر . وليس في نسخ ديوان القطامي ما يؤيّدهُ في ذكر نسبهِ الّا انَّ بعض النسَّاخ زاد ذلك على هامش نسخة مصر مستندًا الى ابن عساكر . امَّا ما ورد في بعض ابيات القطامي من مدح الاسلام والمسلمين فيمكن حَمْلهُ على المجاملة كما ترى في شعر الاخطل

﴿اخبارهُ﴾ لا يُعرف الّا القليل من اخبار القطاميّ أزهر في القسم الثاني من القرن السابع في ايَّام الامويين بعد معاوية وكان معاصرًا للاخطل وهو اصغر منهُ سنًّا فعاش زمناً بعدهُ ولم يبلغ عهد بني عباس . وللقطامي ذكرٌ في حروب قومهِ التي جرت لهم مع القيسيين ومرَّ وصفها في ترجمة الاخطل (اطلب الصفحتين ١٧٥-١٧٦) . ومن ايَّام تلك الحرب يوم ماكِسين ويقال لهُ ايضاً يوم القناطرة . وماكسين قرية لبني تغلب على شاطئ الفُرات تبعد عن رأس العين مسيرة يوم جنوباً وبها حَمَّةٌ . قال البكري في معجم ما استعجم (ص ٥٣٣) : «وبهذه القرية لَقي عُمَير بن الُحباب بني تغلب حين غزاهم فاقتتلوا عند قنطرة القرية وهي اوَّل قرية تراجعوا فيها فقُتل فيها من تغلب زهاء خمسمائة وكان رئيسُهم ورئيس من معهم من النَّمر وبكر شُعَيثَ بن مُلَيل» . امّا في الاغاني (٢٠ : ١٢٨) فيقول انَّ «رئيس تغلب يومئذٍ عبدُالله بن شُرَيح بن مرَّة . . فقُتل وقُتل اخوهُ» . قال : «وأُسر القطاميّ الشاعر وأُخذت إبلُهُ فاصاب عُمَيرٌ واصحابهُ شيئاً كثيرًا من النعم . . . ولمَّا أُسر القطامي أتى زُفَر بن الحرث بقرقيسيا فخلَّى سبيلَهُ وردَّ عليهِ مائة ناقة كما ذكر ادهم بن عمران العبديّ» فنظم القطامي القصائد في مديح زفر كما سترى

ولم يتَّصل القطاميُ بالخلفاء كمواطنهِ الاخطل وانَّما بلغ شعرهُ عبد الملك بن مروان فاثنى على جودة قريحتهِ . وليس في اخبارهِ ما يدلُّ على تقرُّبهِ من الخلفاء على

انهُ جاء في نسخة مصر انَّ القطاميّ قال في مديح عبد الملك قصيدتهُ الرائيَّة التي اوَّلها (من الوافر) :

أَمِنْ طَرَبٍ بكيتَ وذكرِ أَهلٍ ... وللطَرَبِ المُتاحِ لك أَدّكارُ

ولا بُدَّ انَّها أَصابت موقعاً لدى عبد الملك وهي عامرة الابيات الَّا انَّنا لم نجد في اخبار القطاميّ ما يُشير الى دخولهِ على هذا الخليفة ونَيْلهِ سوابغهُ . وفيها يقول ونعم القول :

اميرُ المؤمنين هُدًى ونورٌ ... كما جَلّى دُجى الظُلَمِ النَهارُ

قريعُ بني أُميَّة من قريشٍ ... همُ السِرُّ المهذَّبُ والنُضارُ

وعبدُ المَلكِ لمنقراء طَعْمٌ ... وحِرْزٌ ليس مَعقِلهُ يُضارُ

وقد حملَ الخلافةَ ثمَّ حلَّتْ ... بها عند أبْنِ مروانَ القَرارُ

امَّا اخصّ مديحهِ فهو في زفر الكلابي وفي بعض الاعيان كعبد الواحد بن سليمان وهو ابن عم عبد الملك وكأسماء بن خارجة الفزاريّ

❊شعرهُ وديوانهُ❊ القطاميّ يعدّ بين الشعراء المُقلّين . وقد نظمهُ الجُمَحيّ في كتاب طبقات الشعراء (ص ١٢١—١٢٢) في جملة شعراء الطبقة الثانية في الاسلام وذكرهُ مع خُداش بن بشر المعروف بالبعَيث الدارمي وكُثَيِّر بن عبدالرحمان الخزاعيّ وغَيلان الشهير بذي الرُّمَّة

وقد وصف قدماء العرب القطاميَّ بالشاعر الفحل واستحسنوا شعرهُ . قال الجمحي في طبقات الشعراء (ص١٢١) : كان القطامي شاعرًا فحلًا رقيق الحواشي حُلو الشعر والاخطل أبعد منهُ ذكرًا وامتن شعرًا . وقال ابو هلال (حماسة ابي تمام ص١٧٠) : وكان القطامي فحلًا رقيق الحواشي كثير الامثال . وقال ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء (ص٤٥٣) : وكان (القطامي) حسن التشبيب رقيقهُ . وقال ابو البركات محمَّد الغزّي العامري في كتابهِ تقريب المعاهد في شرح الشواهد (نسخة مكتبتنا الشرقيَّة ص٦١) :

هو شاعر اسلاميّ مُقلّ فحلٌ مجيد

وجاء في الاغاني (٢٠ : ١١٨) عن الشَّعْبيّ قال : قال عبد الملك بن مروان وانا حاضر للاخطل : يا أخطل أتحبّ انّ لك بشعرك شعرَ شاعرٍ من العرب؟ قال : اللهمَّ لا إلّا شاعرًا منّا مُغْدَف القناع خامل الذكر حديث السنّ إن يكن في احدٍ خيرٌ فيكون فيهِ ولوددتُ انّي سبقتهُ الى قولهِ (من البسيط) :

يَقْتُلْنَنَا بحديثٍ ليس يَعلَمُهُ مَن يَتَّقينَ ولا مكنونُهُ بادِ
فهنَّ يَنْبُذْنَ من قولٍ يُصِبْنَ بهِ مواقعَ الماء من ذي الغُلَّةِ الصادي

امّا ديوانهُ فقد صبر على كوارث الزمان . فقد ذكرهُ الحاج خليفة في كشف الظنون (٣ : ٣٠٢) وقد تصفَّح هناك اسمهُ « بالقدامي عمير بن سيم » (كذا) . وفي طبعة الاستانة (ص٥١٩) «عمرو بن سليم» . وفي كلاهما تذكر سنة وفاتهِ في ١٠١ﻫ الموافقة للسنة ٧١٩ م . وديوان القطامي شرحهُ كما يُروى في عرض ديوانهِ ابو سعيد الحسن السكّري . ومنهُ نسختان الواحدة في برلين (Ahlwardt, VI, p. 548) كُتبت سنة ٣٦٤ ﻫ (٩٧٤م) وقابلها ابو علي المرزوقي . والاخرى في المكتبة الخديويّة تاريخها ١٦ ربيع الآخر سنة ٥٨٢ (١١٨٦ م) وعنها نقلت نسخة مكتبتنا الشرقيَّة

وقد دخلت من شعر القطامي قصيدتهُ اللاميَّة في جمهرة شعراء العرب فنظمها هناك ابو زيد القرشي في جملة المَشوبات (طبعة مصر ١٥١) ارادوا بها القصائد ذات المعاني المختلطة

وقد اهتمّ بنشر النسخة البرلينيَّة المرحوم المستشرق بَرْت (G. Barth) طبعها سنة ١٩٠٢ في ليدن ونقلها الى الالمانيَّة وعلّق عليها عدّة ملحوظات مع روايات شتى وجدها في نسخة مصر وفي مخطوطات ومطبوعات الادباء . وها نحن ننقل نُتَفًا منها ونضيف اليها ما وقفنا عليهِ في ابحاثنا الخاصّة عن هذا الشاعر في بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة والمطبوعات الحديثة

﴿منتخبات من شعر القطامي﴾ من اجود شعر القطامي لاميّتهُ المعروفة بالمَشوبة . وقد ذكر في الاغاني (٢٠ : ١٩) ما كان الباعث لنظمها قال : قال ابو عمرو بن العلاء : اوَّل ما حرَّك من القطامي ورفع من ذكرهِ انهُ قدم في خلافة الوليد بن عبد الملك دمشق ليمدحهُ فقيل لهُ انهُ بخيل لا يُعطي الشعراء . وقيل بل قَدِمها في خلافة عُمر

ابن‌عبد العزيز فقيل لهُ انَّ الشعر لا ينفُقُ عند هذا ولا يُعطي شيئاً . وهذا عبد الواحد ابن سليمان(١ فأمدحهُ . وكان عبد الواحد ابن‌عمّ الخليفة عبد الملك بن مروان فمدحهُ بقصيدتهِ اللاميَّة التي اوّلها (من البسيط) :

انّا مُحَيّوكَ فاسلَمْ ايُّها الطَّلَلُ   وان بَلِيتَ وانْ طالت بك الطِّيَلُ

فقال لهُ : كم أمّلتَ من امير المؤمنين . قال : أمّلتُ من امير المؤمنين ان يعطيني ثلاثين ناقة . فقال : قد امرتُ لك بخمسين ناقة موقرة بُرًّا وتمرًا وثياباً . ثم امر بدفع ذلك اليهِ . وفيها يقول مادحاً لعبد الواحد ولقريش :

أَهلَ المدينة لا يَحزُنْكَ شأنهمُ   اذا تَخطّأَ عبدَ الواحد الأَجلُ

امّا قريشٌ فلن تلقاهُمُ أبدًا   إلّا وهم خيرُ من يَحفَى ويَنتعلُ

الّا وهم جبلُ اللهِ الذي قَصُرَتْ   عنهُ الجبالُ فما ساوى بهِ جَبَلُ

همُ الملوكُ وابناءُ الملوكِ لهم   والآخذون بهِ والساسةُ الأُوَلُ

وفي هذه اللاميَّة يقول متمثلا :

والعيشُ لا عيشَ الّا ما تَقَرُّ بهِ   عينٌ ولا حالَ الّا سوف تنتقلُ

والناسُ مَنْ يَلقَ خيرًا قائلونَ بهِ   ما يشتهي ولِأُمّ المُخطئِ الهَبَلُ

قد يُدرِكُ المتأنّي بعضَ حاجتهِ   وقد يكون مع المستعجلِ الزَّللُ

وزاد في الحماسة البصريّة بيتاً لم يُروَ في الديوان :

وربّما فاتَ قوماً بعضُ أمرِهمُ   منَ التأنّي وكان الحَزْمُ لو عجلوا

امّا في الاغاني (٢٠ : ١٢٠) فلهذا البيت رواية اخرى عن لسان رجل كان يديم الاسفار سافر الى الشام ومعهُ اعرابيّ فتمثل ببيت القطامي « قد يدرك الخ » فقال : ما

١) وفي معجم البلدان لياقوت (٤ : ٤٨٩) يدعوهُ عبد الواحد بن الحارث بن الحكم

زاد قائل هذا الشعر على ان يثبّط الناس عن الحزم فهلّا قال بعد بيتهِ هذا :

وربّما ضرَّ بعضَ الناس بُطؤُهمُ　　وكان خيرًا لهم لو أنّهم عجلوا

ولهُ في زفر بن الحرث الكلابي الذي اطلق سبيلهُ من الاسر قصائد عامرة الابيات . اشهرها عينيّتهُ التي افتتحها بقولهِ يخاطب ضباعة ابنة زفر (من الوافر) :

قِفي قبلَ التفرّقِ يا ضُباعا　　ولا يكُ مَوْقِفٌ منكِ الوَداعا
قِفي فادي أسيرَكِ انَّ قومي　　وقومَكِ لا أرى لهمُ اجتماعا
أَلَمْ يَحزُنْكِ أنَّ جبالَ قيسٍ　　وتَغْلِبَ قد تبايَنَتِ انْقطاعا
أَلم يحزنكِ انَّ ابنَيْ نزارٍ　　أسالا من دمائهما التِّلاعا

ومنها في شكر زُفر على تخلية سبيلهِ وانعامهِ عليهِ بمائة ناقة :

أَكُفْرًا بعد ردِّ الموتِ عنّي　　وبعد عَطائِكَ المائةَ الرِّتاعا (١)
إذَن لهلكتُ لو كانت صِغارٌ　　من الاخلاقِ تُبْتَدَعُ ابتداعا (٢)
فلم أرَ مُنعِمينَ أقلَّ مَنًّا　　واكرمَ عندما اصطنعوا اصطناعا
من البِيض الوجوهِ بني نُفَيْلٍ　　أَبَتْ أخلاقُهم الّا اتّساعا (٣)
بني القَرْمِ الذي عَلِمَتْ مَعَدٌّ　　تفرَّعَ قومُها سَعَةً وَباعا

وقد مدحهُ ايضاً بداليّتهِ التي يقول فيها (من البسيط) :

من مُبلغٌ زُفَرَ القيسيَّ مِدْحَتَهُ　　من القطاميِّ قولًا غيرَ إفْنادِ (٤)

١) اكفرًا اي أأجزيك كفرًا . والرتاع الراتعة في المرعى . ويروى : الرباعا اي التي تُنْتَج في الربيع

٢) ابتدَعَ الشيء استحدثَهُ اي لو ابتدعتَ فيَّ اموراً صعاباً لهلكتُ

٣) بنو نُفَيل بن عمرو بن كلاب رهط زُفَر الممدوح

٤) غير إفْناد اي لا كذب فيهِ

انّي وإن كان قومي ليس بينهمُ وبين قومكَ إلّا ضربةُ الهادي (١

مُثنٍ عليك بما اَستَبقَيتَ معرفتي وقد تعرَّضَ مني مقتلٌ بادِ (٢

فلن أُثيبَكَ بالنَّعماء مشتمةً ولن أُبدِّلَ إحساناً بإفسادِ

فإن هجوتُكَ ما تمَّتْ مكارمتي وان مدحتُ فقد أحسنتَ إصفادي (٣

اذ الفوارسُ من قيس بشِكَّتهم حولي شهودٌ وما قولي بشهّادِ (٤

اذ يَعتريكَ رجالٌ يسألون دمي ولو أَطعتَهمُ أبكيتَ عُوّادي

فقد عصيتَهمُ والحربُ مُقبلةٌ لا بل قدحتَ زناداً غيرَ صلّادِ (٥

والصِيدُ آلُ نُفيلٍ خيرُ قومِهمُ عند الشتاء اذا ما ضُنَّ بالزادِ (٦

المانعونَ غداةَ الروعِ جاءَهمُ بالمَشرَفيَّةِ من ماضٍ ومُنآدِ (٧

ايامَ قومي مكاني مُنصِبٌ لهمُ ولا يظنّون إلّا انني رادي (٨

فأنتاشني لكَ من غبراءَ مظلمةٍ حبلٌ تضمَّنَ إصداري وايرادي (٩

فان قدَرتُ على خيرٍ جزَيتُ بهِ والله يجعلُ اقواماً بمِرصادِ

قال الجمحيّ: لمّا سمع زفر هذا البيت قال: لا أقدرَكَ الله على ذلك. وقال يمدح زفر ايضاً (من الرجز):

---

١) الهادي العنق اي قطع الرؤوس

٢) استبقيت معرفتي اي استبقيتني لمعرفتك ايّاي اذ ظهر مني ما يستوجب قتلي

٣) الإصفاد العطيّة ٤) الشكة السلاح ٥) يقال صَلَدَ الزند اذ لم يخرج نارًا ٦) الصيد الاشراف جمع أَصيَد. وضنَّ بالزاد بخل بهِ

٧) المشرفيّة السيف. والماضي المستقيم والمُنآد المعوَّج

٨) يقال أَنصبَهُ اذا آلمهُ واوجعهُ. ويروى: مُنصِتٌ لهم. والرادي الهالك

٩) انتاشني تداركني الغبراء الارض. ويروى: من عمًا. ثمَّ شبَّه مخلّصه بحبلٍ مدَّهُ الله اليه فتشبَّث بهِ ونجا

يا زُفَرُ بنَ الحارثِ ابنِ الاكرمِ قد كُنتَ في الحيّ قديمَ المَقْدَمِ (١
اذ أَحجَم القومُ ولمّا تُحجِمِ انكَ وابنَيك حفِظتُمْ مَحرَمي (٢
وحقَنَ اللهُ بكفَّيك دَمي من بعد ما ذَبَّ لساني وفمي (٣
والرمحُ يهتزّ اهتزازَ المِحْجَمِ (٤ من بعد ما اختلّ السنانُ مِعصَمي
أنقَذتَني من بطلٍ مُعمَّمِ والخيلِ تحت العارضِ المسوَّمِ (٥
وتغلبُ يدعونَ يا لَلأَرْقَمِ (٦

ومن امثالهِ وحكمهِ قولهُ من قصيدة (من الكامل) :

فأَرى المعيشةَ انما هي ساعةً فرحٌ وساعةُ كُرْبةٍ وتحَنُّقِ
وأَرى المنيّةَ للرجالِ حبائلًا شَرَكاً يُعادُ بهِ لمن لم يَعلَقِ
واذا أَصابك والحوادثُ جمّةٌ حَدَثٌ حداكَ الى أَخيك الأَوثَقِ
فهمُ الرجالُ وكلُّ ذلك منهمُ تَجِدنَّ في رُحبٍ وفي متضيَّقِ
انّ الرجالَ اذا طلبت نوالَهُمْ منهم خليلُ مَلاذَةٍ وتملُّقِ
واخو مُكارَمةٍ على عِلّاتهِ فوجدتُ خيرَهُمُ خليلَ المَصْدَقِ

وروى في الاغاني (٢٠ : ١٢٠) منها بيتاً لم يُرو في الديوان

ليت الهمومَ عن الفؤادِ تفرَّجتْ وجلا التكلُّمُ للّسانِ المُطلَقِ

وقد أنشد الشعبيّ هذه الابيات عند الخليفة عبد الملك بن مروان فاستحسنها

١) ويروى: في الحرب كريم المقدم ٢) ويروى: انت وابناك صُنتم محرمي
٣) ذبّ حفّ وذبل ٤) المحجم آلة الحجّام التي تمصّ الدمّ
٥) المعمّم السيّد صاحب العمامة . والخيل المسوَّم الممتاز بعلامته
٦) يا للارقم يريد الاراقم قوم التغلبيين يدعون بعضهم بعضاً

عبد الملك وقال: أن ثكِلَت القطاميَّ امهُ هذا والله الشعر

ولهُ في الوصف اقوال حسنة منها قولهُ في عجوز من بني محارب نزل عندها ضيفاً فبات بأسوإ ليلة فقال فيها من قصيدةٍ (من الطويل):

وإنّي وان كان المسافرُ نازلاً ... وان كان ذا حقٍّ على الناس واجبِ

ولا بُدَّ أنَّ الضيفَ مُخبرُ ما رأى ... مُخَبِّرُ اهلٍ او مُخَبِّرُ صاحبِ

سأُخبرُ بالأَنباء عن امّ منزلٍ ... تضيَّفتُها بين العُذَيبِ فراسبِ (١

تَقَنَّعتُ في طَلٍّ وريحٍ تلفُّني ... وفي طِرمِساءٍ غيرِ ذاتِ كواكبِ (٢

الى حَيزَبونٍ توقِدُ النارَ بعدما ... تلفَّعتِ الظلماءَ من كلّ جانبِ (٣

تصلّى بها بَردَ الشتاء ولم تكن ... تخالُ وميضَ النارِ يبدو لراكبِ (٤

فما راعها إلّا بُغامُ مطيَّةٍ ... تُريحُ بمحسورٍ من الصَّوتِ لاغبِ (٥

فسلَّمتُ والتسليمُ ليس يسرُّها ... ولكنَّهُ حقٌّ على كلّ جانبِ (٦

فردَّت سلاماً كارهاً ثمَّ اعرضَت ... كما انحاشتِ الافعى مخافةَ ضاربِ (٧

فقلتُ لها لا تَفعلي ذا براكبٍ ... اتاكِ مُصيبٍ ما أصابَ فذاهبِ (٨

فلمَّا تنازعنا الحديثَ سألتُها ... مَنِ الحيُّ قالت معشرٌ من مُحاربِ

---

١) العُذَيب نهر في جهات الكوفة وراسب موضع قريب منهُ . ويروى: لَأُخبِرَكَ الانباء

٢) تقنَّع تلفَّف بالثوب . الطلُّ المطر الخفيف والندى . والطرمساء الليلة المظلمة

٣) الحيزبون العجوز المسنّة . وتلفَّعهُ التحفَهُ

٤) تصلّى البردَ قاسى شدَّتهُ . ويروى: برد العشاء . ويروى ذات العشاء

٥) بغامُ المطيَّة صوت الابل وحنينُها . وتريح بمحسور اي تُخرج نفَسَها الضعيف . واللاغب المُعيي

٦) الجانب الغريب

٧) انحاشت تقبَّضت . ويروى: انحازت

٨) مُصيب ما اصاب اي يكتفي بما يصيبهُ من الضيافة

مِن المُشترين القِدَّ ممَّا تراهمُ   جياعاً وريفُ الناسِ ليس بناضِبِ (١

فلمَّا بدا حِرمانُها الضيفَ لم يكن   عليَّ مناخُ السُّوءِ ضربةَ لازبِ (٢

أَلا انَّما نيرانُ قيسٍ اذا اشتَوَوْا   لطارقِ ليلٍ مثلُ نارِ الحُباحبِ (٣

ولهُ في الحماسة قولهُ (حماسة ابي تمَّام ص ١٧٠) :

مَن تَكُنِ الحضارةُ اعجبَتْهُ   فايُّ رجالِ باديَةٍ ترانا (٤

ومَنْ ربَطَ الجِحاشَ فانَّ فينا   قَناً سُلُباً وأفراساً حِسانا (٥

وكُنَّ اذا أغرْنَ على جَنابٍ   وأعوزَهُنَّ نَهْبٌ حيث كانا

أغرْنَ من الضِّباب على حُلولٍ   وضَبَّةَ إنَّهُ مَنْ حانَ حانا (٦

وأحياناً على بَكْرٍ اخينا   اذا ما لم نَجِدْ الَّا اخانا (٧

واستحسن ابن قتيبة للقطامي قولهُ في التشبيب (من البسيط) :

وفي الخدورِ غماماتٌ يَرُقْنَ لنا   حتى تصيَّدْنَنا من كلّ مُصطادِ (٨

---

١) اشتواهُ اتخذهُ شواءً . والقدّ اناء من جلد . وريفُ الناس ارضهُمْ المخصبة . والناضب الغائر . اي انَّ الذي نزل عندكِ نالهُ البرد والجوع وهو ضيف لناس مخصبين

٢) اي لم اجد في ضيافتها امرًا موجباً لابقى عندها مع حرمانها فولّيتُ ذاهباً

٣) يريد انَّ نارهم لا يَصطلي بها ضيف يأتيهم ليلاً فهي كنار الحباحِب اي الدوّيبة المعروفة بسراج الليل   ٤) يقول انَّنا ولو كنَّا من اهل البادية فلسنا دون اهل الحضر

٥) يقول انَّ غيرنا يَربطون الحُمُر لاشغالهم وامَّا نحن فغُزاةٌ لنا الرماح السُّلُب اي الطويلة او السالبة للنفوس والخيل المسوَّمة اي المرعيَّة او المُعلمة

٦) يقول هذه الخيل وارباها اذا حملَتْ على جنابٍ اي ناحيةٍ واحتاجت الى غنائم في اي مكان وجدَتها تُغير على الاباعد من العرب كقبائل الضباب وهي اربعة ضبَّة وضُبَيْب وحِسْل وحُسَيْل . والحُلول الحيّ الذين يحلُّون في محلّ واحد . وحان اتى وقتُهُ

٧) بكر قبيلة شقيقة لتغلب . يقول اذا لم يجدوا مطلوبهم عند الاباعد عطفوا على الاقارب ولو كانوا اخوانهم   ٨) الغمامة السحابة كنَّى بها عن المحصَّنات بالخدور

يَقْتُلْنَنا بحديثٍ ليس يعلَمُهُ مَنْ يتَّقِينَ ولا مكنونُهُ بادِ
فهنَّ يَنبِذْنَ من قولٍ يُصِبْنَ بهِ مَواقِعَ الماء من ذي الغُلَّةِ الصادي

هذه طرفة من ديوان القطامي نُضيف اليها بعض المقاطيع لم نجدها في الديوان. فمن ذلك ما رواهُ ابن سلّام في طبقات الشعراء (ص١٢٢) يمدح بهِ اسماء بن خارجة وهي تروى لغيرهِ فقال (من الوافر) :

اذا ماتَ ابنُ خارجةَ بنِ حِصْنٍ فلا مَطَرَتْ على الارض السَّماءُ
ولا رَجعَ البريدُ بغُنْمِ خيرٍ ولا حمَلَتْ على الطُّهْر النساءُ

وروى لهُ في الحماسة البصريَّة (نسخة مكتبتنا الشرقيَّة ١ : ٢٠) قولَهُ يذكر يوم ذي قار الذي غلب فيهِ العرب جيوش كسرى قال (من الطويل) :

وانْ نوى الداعي بسَيْبَانَ(١) زعزعَتْ رماحٌ وجاشت من جوانبها القِدْرُ
همُ يومَ ذي قارٍ اناخوا فجالَدوا كتائبَ كسرى بعد ما وَقَدَ الجمْرُ

وروى ايضاً في الحماسة البصريَّة (ص١٣٠) قولهُ يمدح بني دارم (من الطويل) :

جزى اللهُ خيرًا والجزاءُ بكفّهِ بني دارم عن كلّ جانٍ وغارمِ
همُ حملوا رَحْلي وأدَّوْا أمانتي اليَّ وردُّوا فيَّ رِيشَ القوادمِ
ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ قدورَهم على المال امثالَ السنين الحواطمِ
وأَنَّ مَواريثَ الأُولى يَرِثونهم كنوزُ المعالي لا كنوزُ الدراهمِ
وما ضرَّ منسوباً ابوهُ وامُّهُ الى دارمٍ أَن لا يكون لهاشمِ

ومن حكمهِ قولهُ في فضل الاكتساب باليأس على الطمع . (الحماسة البصريَّة ٢ : ٨) (من الطويل) :

---

١) سيبان جبل ما وراء وادي القرى (ياقوت ٣ : ٢٠٨)

أرى البأسَ أدنى للرَّشاد وانَّما دَنا العيُّ للانسان من حيثُ يطمعُ
فدَعْ اكثرَ الأَطْماع عنك فانَّهـا تضرُّ وانَّ البـأس لا زالَ ينفعُ

وفي الحماسة البصريَّة ايضاً(٢ : ٢١٦)بيتان من قصيدتهِ المذكورة في ديوانهِ(تحت العدد XXI ص ٦١) التي اوَّلها (من الوافر) :

مَنْ يكُ ارعاهُ الحِمى أَخوَاتُـهُ فما ليَ من اختٍ عوانٍ ولا بِكْرِ

امَّا البيتان ففي وصف الناقة لم يُرويا هناك وهما :

اذا بركَتْ خرَّتْ على ثَفِناتها مجافيةً صُلْباً كقَنطرةِ الجِسْرِ
كأنَّ يَدَيْها حين تجري ضُفورُها طريدانِ والرِجلان طالبَتا وِتْرِ

١١ كعْب بن جُعَيْل التغلبيّ

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ ويقال : ابن جُعَل قال ابن سلّام في طبقات الشعراء (ص١٢٩) : «هو كَعب بن جُعَيل بن قُمَيْر التغلبي» . وفصَّل الطبري في تاريخهِ (١ : ٢٤٩٧) نسبهُ فقال : «كَعب بن جُعَيل بن عجرة بن قُمَيْر بن ثَعلبة بن عوف بن مالك بن بكر بن حُبَيب بن عمرو بن غُنم بن تغلب بن وائل» . وجاء مثل ذلك في خزانة الادب لعبد القادر البغدادي(١ : ٤٥٨)الَّا انهُ قدَّم قُمَيْرًا على عَجرة . ثمَّ قال : «ولكعب هذا اخٌ يقال لهُ عُمَيْر بن جُعَل بالتصغير» وقد دعاهُ ابن قتيبة في الشعر والشعراء «عَميرَة بن جُعَيل» . وهو غير عَميرة بن جُعَل الذي ورد ذكرهُ في المفضّليات(ed. Lyall ص٥٢١—٥١٨) وقد روينا شعرهُ في شعراء النصرانيَّة (ص١٩٥) فهذا قد جاء هناك نسبهُ انهُ «عَميرة بن جُعَل بن عمرو بن مالك بن الحرث بن حُبَيب بن عمرو بن غَنم بن تغلب بن وائل» ومثلهُ في خزانة الادب(١ : ٤٥٩)ثمَّ قال : هو شاعر جاهليّ . وكانت امُّ كعب وعميرة تدعى ليلى وهي من تغلب ايضاً

﴿ زمانهُ ﴾ عاش كَعب بن جُعَيل في ايَّام الخلفاء الراشدين وبلغ عهد الدولـة

الامويَّة ذلك ما يستدلّ بهِ من شعرهِ واخبارهِ كما سترى . الّا انّهُ كان مُسِنًّا في ايَّام معاوية وابنهِ يزيد وبلغ الى زمن عبد الملك عرفهُ الاخطل شيخاً في ذلك الوقت

﴿دينهُ﴾ لا نشكّ في نصرانيَّة كعب بن جُعيل وهو من تغلب القبيلة النصرانيَّة وشاعرها كمواطنَيهِ القطاميّ والاخطل . وكان مكرَّماً في قومهِ النصارى المتصمين في دينهم . وانما يقال عنهُ انهُ شاعر اسلاميّ كما قيل عن القطاميّ بمعنى كونهِ لم ينبَغْ في عهد الجاهليَّة واشتهر في زمن الاسلام . وليس في اخبارهِ وشعرهِ مـا يُشعر بتغييرهِ لدينهِ سوى كلمةٍ سيأتي ذكرها رواها الرواة على صُوَر مختلفة لا يُبنى عليها برهان

﴿اخبارهُ﴾ لا يُعرف من اخبار كَعْب إلّا ما رواهُ عنـهُ الكتبة استطرادًا . روى صاحب الاغاني (٧ : ١٧٠) عن يعقوب بن السكّيت « انَّ كعب بن جُعَيل كان شاعر تغلب وكان لا يأتي منهم قوماً الّا اكرموهُ وضربوا لهُ قُبَّةً حتى انهُ كان تُمَدُّ لهُ حبال بين وتدَين فتُملأ لهُ غنماً . فاتى في مالـك بن جُشَم ففعلوا ذلك بهِ . فجـاء الاخطل وهو غلام فأخرج الغنم وطردها فسبَّهُ عُتْبة بن الزعـل (ويروى: الوغل) وردَّ الغنم الى مواضعها فعاد الاخطل وأخرجها وكعب ينظر اليهِ فقال : « انَّ غلامكم هذا لأَخطل » والاخطل السفيه فقال الاخطل فيهِ :

سُمّيتَ كعباً بشرِّ العظام ... وكان ابوكَ يُسَمَّى الجُعَـلْ

وانَّ مكانَكَ من وائل ... مكانُ القُرادِ من استِ الجَمَلْ

فقال كعب : قد كنتُ اقول لا يقهرني الّا رجلٌ لهُ ذكرٌ ونبأ ولقـد اعددتُ هذين البيتين لأَن أَهجى بهما منذ كذا وكذا فغلب عليهما هذا الغلام

وروى القحذميّ خبر الاخطل على غير صورة قـال (الاغاني) : «وقع بين ابنَي جُعَيل (كعب وعميرة) وامّهما درء من كلام فادخلوا الاخطل بينهم فقال الاخطل :

لَعَمرُكَ انّني وابنَي جُعَيلٍ ... وأُمَّهما لإِستـارٍ لئيمِ

فقال ابن جُعيل : يا غلام انَّ هذا لَخطَلٌ من رأيك ولولا انَّ امّي سَمِيَّةُ أُمِّـك لتركتُ أُمّك يحدو بها الركبان . فسُمّي الاخطل بذلك وكان اسم امّهما وامّ الاخطل ليلى » :

وزاد ابن الكلبي عن قوم من تغلب في قصَّـة كعب بن جُعَيل والاخطل مـا حرفهُ (الاغاني) : «وكان الاخطل يومئذٍ يُغَرْزِمُ (والغَرْزمة الابتداء بقول الشعر) فقال

لهُ ابوهُ : أَبِغَرْزَمتك(١ تريد ان تُقاوم ابن جُعَيْل ? ضربهُ (قال) وجاء ابن جُعَيل على تَفِئة ذلك فقال : مَن صاحب الكلام ? فقال ابوه : لا تحفَل بهِ فانهُ غلام اخطل . . . فانصرف كعب ولجّ الهجاء بينهما »

وروى في الاغاني ايضاً (٤ : ١٣٠—١٣٢) انَّ النابغة الجعديّ كان شاعرًا متقدّماً وكان مُغَلَّباً ما هاجى قطّ الَّا غُلب . هاجى اوسَ بن مَغراء وليلى الاخيليَّةَ وكعبَ بن جُعيل فغلبوهُ جميعاً . وممَّا رواهُ من ردود كعب عليهِ قولهُ (من البسيط) :

انّي لَقاضٍ قضاءً سوفَ يتبَعُهُ مَنْ أَمَّ قصدًا ولم يَعْدِل الى أَوَدِ
فصلًا من القَوْل تأْتَمُّ القُضاةُ بهِ ولا أَجورُ ولا ابغي على أَحدِ
«سادت»بنوعامرٍ سَعْدًا وشاعِرَها كما «تَسود» بنو عبسٍ بني أَسَدِ

وقد اتَّصل كعب بن جُعَيْل في ايَّام معاوية بابنهِ يزيد . اخبر ابن سلَّام في طبقات الشعراء (ص ١٠٨) وقد سبق في روايتهِ هذه ابا الفرج الاصفهاني وغيرَهُ من الرواة وهو قد توفي بالبصرة سنة ٢٣١ ه (٨٤٦ م) قال : كان عبد الرحمان بن حسَّان ويزيد ابن معاوية يتقاولان فاستعلاهُ ابنُ حسَّان فقال يزيد لكعب بن جُعَيْل : أَجِبْهُ عنهُ وأَهْجُهُ . فقال : والله ما تلتقي شفتايَ بهجاء الانصار ولكن ادلُّك على الشاعر الفاجر الماهر فتًى منَّا يقال لهُ الغوث نصراني (يريد الاخطل) فهجاهم بابياتٍ شهيرة لا حاجة الى ذكرها

وهذا الخبر عن كعب قد رواهُ في الاغاني (١٤ : ١٢٢) على وجه آخر قال انَّ يزيد بلغهُ ان عبد الرحمان شبَّب برملة اختهِ بنت امير المؤمنين معاوية فقال لكعب : اهجُ الانصار . فقال : أَفرَقُ من امير المؤمنين ولكن ادلُّك على الشاعر الكافر الماهر الاخطل

ورواهُ المبرّد في الكامل (ص ١٠١) بما يُشعر بإسلام كعب فروى عنهُ انهُ قال ليَزيد : « أأَهجو الانصار أَرادّي انت الى الكفر بعد الاسلام (ويروى : بعد الشرك) ولكن ادلُّك على غلامٍ من الحيّ نصرانيّ كأَنَّ لسانَهُ لسانُ ثور يعني الاخطل الخ

فترى من اضطراب هذه الروايات انهُ لا يجوز ان نقرّر الإسلام لكعب دون بيّنةٍ واضحة ودليل قاطع

١) الغرزمة اوَّل ما ينظمهُ الشاعر من الشعر الركيك

ومن اخبار كعب بن جُعَيل انهُ حارب مع قومهِ في يوم صِفّين وكان مواليًا لبني اميَّة كالاخطل وسائر عرب الشام في محاربتهم لعليٍّ . ولكعب في اليوم السابق لتلك الوقيعة رجزٌ رواهُ الدينوري في الاخبار الطوال (ص ١٩٢) :

أصبحتِ الأُمَّةُ في أمرٍ عَجَبْ والمُلك مجموعٌ غدًا لمن غلَبْ
اقولُ قولًا صادقاً غيرَ كَذِبْ انَّ غدًا تهلكُ اعلامُ العرَبْ
غدًا نُلاقي ربَّنا فنَحتَسِبْ

وقال ايضاً يصف الفريقَين اهلَ العراق مع علي واهل الشام مع معاوية وهذه الابيات كتبها معاوية وارسلها الى عليّ بن ابي طالب لَمَّا خيَّرهُ برسولهِ بين البَيعة او الحرب (الكامل للمبرّد ١٨٤ والدينوري ١٧٠ ووقعة صفّين) (من المتقارب) :

أرى الشأمَ تكرَهُ مُلكَ العراقِ (١ واهلُ العراقِ لهم كارهونا
وكلٌّ لصاحبهِ مُبغِضٌ يَرى كلَّ ما كان من ذاك دِينا
إذا ما رمَونا رَميناهُمُ ودِنّاهمُ مثلَ ما يَقرِضونا (٢
وقالوا عليٌّ إمامٌ لنا فقُلْنا رَضينا ابنَ هِندٍ رَضِينا (٣
وقالوا نَرى ان تَدينوا لهُ فقلنا لهم لا نَرى ان نَدينا (٤
ومن دونِ ذلك خرطُ القَتادِ وضربٌ وطعنٌ يُقرُّ العيونا (٥
وكلٌّ يُسرُّ بما عندهُ يَرَى غثَّ ما في يدَيهِ سَمينا
وما في عليٍّ لِمُستَعتِبٍ مقالٌ سوى ضَمّهِ المُحدثينا (٦

١) ويروى : اهل العراقِ
٢) ويروى في الكامل : يُقرِضونا
٣) هند امُّ معاوية
٤) ويروى البيت :
وقلنا نرى ان تدينوا لنا فقالوا ألا لا نرى ان نَدينا
٥) ويروى : يفضّ الشؤونا
٦) وروى ابن عبدربّهِ : لمستحدثٍ . . سوى عصمة المحدثينا

وايثارِهِ اليومَ أهلَ الذنوب ورَفْعِ القصاصِ عن القاتلينا (١
اذا سِيلَ عنهُ زوَى وَجهُهُ (٢ وعمَّى الجوابَ عن السائلينا
فليس بِراضٍ ولا ساخطٍ ولا في النُّهاةِ ولا الآمرينا
ولا هو سَاءٍ ولا سَرَّهُ ولا بُدَّ من بعضِ ذا ان يكُونا(٣

وجاء في الكامل للمبرّد (ص١٨٧) وفي الاخبار الطوال للدينوري (ص١٧٠—١٨١) انَّ عليًا لما قرأ هذه الابيات قال للنجاشيّ : أجِبْ. فقال (من المتقارب) :

دَعَنَّ مُعاوِيَ ما لن يكونا فقد حَقَّقَ اللهُ ما تَحْذرونا
اتاكم عليٌّ باهل العراقِ وأهلِ الحجاز فما تصنعونا
على كلِّ جَرْداءَ خَيْفانَةٍ وأشعَثَ هِندٍ تَسُرُّ العيونا
عليها فوارسُ تَحْسَبُهمْ كأُسدِ العرينِ حَمَيْنَ العَرينا
يرَوْن الطِّعانَ خِلالَ العَجاجِ وضَرْبَ القَوانِسِ في النَّقْعِ دِينا
همُ هزَموا الجَمْعَ جمعَ الزُّبَيرِ وطَلْحَةَ والمَعْشَرَ النَّاكثينا
وقالوا يميناً على حَلْفَةٍ لَنُهْدي الى الشامِ حرباً زَبُونا
تُشيبُ النواصيَ قَبْلَ المَشيبِ وتُلْقي الحوامِلُ منها الجَنينا
فان يكرَهُ القومُ مُلكَ العراقِ فقِدْماً رَضِينا الذي تكرهونا (٤

١) وفيهِ : وايثارِهِ لاهالي الذنوب . قال ابن عبد ربّه في العقد (٢ : ٢٧١) اخذ كعب هذا المعنى من قول حسّان بن ثابت لعليّ : انك تقول « ما قتلتُ عثمان ولكن خذلتُهُ ولم آمرْ بهِ ولكن لم أنْهَ عنهُ » فالخاذل شريك القاتل والساكت شريك القاتل

٢) ويروى : حدا شبهةً . وسِيلَ مخفَّفة سُئِلَ ٣) ويروى : من بعد ذا . روى ابن عبد ربهِ :

ولا هو ساءٍ ولا سَرَّهُ ولا آمن بعض ذا ان يكونا

٤) ويروى : وان تكرهوا الملك ملك العراق فقد رضي القومُ ما تكرهونا

فقولوا لكعبٍ أخي وائلٍ ومَنْ جعَلَ الغَثَّ يوماً سَمينا
جعلتُمْ عليـاً واشياعَـهُ نظيرَ ابن هندٍ أما تَستحونا

وقد روى البلاذري في كتاب الاشراف(١(ص٢١٢)البيتين الآتيين لكعب في مدح عبد الملك بن مروان (من الوافر) :

أميرُ المؤمنين هُدًى ونُورٌ كما جَلَى دُجى الظُّلَم النهارُ
قريعُ بني أُميَّةَ من قُريشٍ همُ السِرُّ المهذَّبُ والنُّضارُ

وقد سبق في اخبار القطاميّ (ص٢٧) انَّ هذين البيتين من جملة قصيدة منسوبة الى القطاميّ رويناهما هنا لعظم شأن راويهما

واتّصل كَعب بن جُعَيل بسعيد بن العاص بن ابي أُحيحَة بن سعيد بن العاص وكان امير الكوفة لعثمان وكان فصيحاً خطيباً قُتل في غزوهِ اطبرستان سنة ٣٠هـ (٦٥١م) واخبر في الاغاني انَّ كعباً نزل عليه في المدينة. وقد امتدحهُ بشعرهِ وذكر الطبريّ في تاريخهِ (١ : ٢٨٣٨) قولهُ (من الطويل) :

فنِعْمَ الفتى اذ جالَ جِيلانُ دونهُ واذ هبَطوا من دَسْتَبَى ثمّ أَبهرا (٢
تعلَّمْ سعيدَ الخَيْر أنَّ مطيَّتي اذا هبَطَتْ أَشفقتْ من أن تُعقَّرا
كأَنَّك يوم الشِعْبِ ليثُ خفيَّةٍ تَجرَّدَ (٣من ليثِ العَرينِ وأَصحرا

وروى الجُمَحيّ في طبقاتهِ (ص ٧٥–٧٦) انَّ الفرزدق لمَّا هرب من زياد بن ابيهِ في أيّام معاوية الى المدينة فاستجار سعيد بن العاص فاجارهُ فمدحهُ الفرزدق وكان الحطيئة وكعب حاضرَين. فقال الحطيئة : هذا والله الشعر لا ما تُعلَّـلُ بهِ منذ اليوم

---

١) اطاب Anonyme arabische Chronik, *ed. Ahlwardt*

٢) جيلان حيّ من عبد القيس . ودَسْتَبى كورة بين الريّ وهمذان في العجم . وأَبهر مدينة في نواحي اصبهان

٣) يوم الشِعب من ايّام العرب ذكره الفرزدق . ويروى : تجرَّد

أيها الامير فقال: كعب بن جُعَيل فضّلهُ على نفسك ولا تفضّلهُ على غيرك. فقال: بلى افضّلهُ على نفسي وعلى غيره ادركتَ مَن قبلك وسبقتَ مَن بَعْدك . وروى الطبري في تاريخهِ (٢ : ١٠٧) هذا الخبر على وجه آخر فقال: «انَّ كعباً لمّا سمع شعر الفرزدق قال: هذه والله الرؤيا التي رأيتُ البارحة. قال سعيد: وما رأيت ؟ قال رأيت كأني امشي في سكّة من سكك المدينة. فاذا انا بابن قِتْرَة في جُحْر (اي حُفرةٍ) فكأنهُ اراد ان يتناولني فاتّقيتُهُ (قال) فقام الحطيئة فشقّ ما بين رَجُلين حتى تجاوز اليَّ (١ فقال: قُلْ ما شئتَ فقد ادركتَ من مضى ولا يُدْرِكك من بقي. وقال لسعيد: هذا والله الشعر لا يعلّل بهِ منذ اليوم (٢»

﴿شعر كعب وطبقتهُ﴾ قد اخذ الضياع ديوان شعر كعب بن جُعَيل. امّا طبقتهُ فهي على قول ابن سلّام (ص ١٢٩) الطبقة الثالثة من الشعراء الإسلاميين يريد انهُ من الذين لم يشتهروا في الجاهليّة وقالوا الشعر بعد الاسلام ونظمهُ في جملة الشعراء عمرو بن احمر الباهليّ وسُحَيم بن وَثيل الرياحيّ ثمَّ اليَرْبوعي وأَوْس بن مَغْراء القُرَيعي ثم السعديّ. ثمْ قال: «وكعب بن جُعَيل شاعر مُفلق قديم في اوّل الاسلام». وهو يُدعى في كامل المبرّد (ص ١٨٧) شاعر اهل الشام. وقد ذكر لهُ القدماء ابياتاً متفرّقة نروي ما عثرنا عليهِ منها كقولهُ يمدح قوماً (شرح المقامات للشريشي ٢ : ٨٦) (من الكامل) :

لا يَنكُتون الارضَ عند سؤالهم لِتَطَلُّبِ العِلّاتِ بالعِيدانِ
بل يبسطون وُجوهَهم فترى لهم عند السؤالِ احسنَ الالوانِ

ولهُ في الرثاء قولهُ في عبيد الله بن عُمر بن الخطّاب لمّا قُتل في صفّين (سنة ٣٧ هـ ٦٥٧ م) وقد رواهُ الطبري (١ : ٣٣١٥) وياقوت (٣ : ٤٠٣) وكتاب وقعة صفّين (٢١٣ و٢٦٦) (من الطويل) :

أَلَا انّما تبكي العيونُ لفارسٍ بِصِفّين أَجلَت خيلُهُ وهو واقِفُ

---

١) وفي الاغاني (٢١ : ١٩٦) ما بين رِجليهِ حتّى تجاوزها
٢) وفي الاغاني (٢١ : ١٩٧) : لا ما كُنّا نُعلّل بهِ انفسنا منذ اليوم

يُبَدِّلُ من أسماء أسيافَ وائلٍ ... وكان فتًى (١ لو أخطأَتهُ المَتالفُ

تركنَ عُبَيد الله بالقاع مُسلَباً ... تَمُجُّ دماً منهُ العروقُ النوازفُ (٢

يَنُوءُ وتَعلوهُ شآبيبُ من دمٍ ... كما لاحَ في جيبِ القميصِ الكتائفُ (٣

دعاهنَّ فاستَسمعْنَ من اينَ صوتُهُ ... وأقبلنَ شتَّى والعيونُ ذَوارفُ

يُحَلِّلنَ عنهُ زُرَّ دِرعٍ حصينةٍ ... ويُبدِينَ عنهُ بعدهنَّ مَعارفُ

وقد صبرَتْ حول ابن عمِّ محمَّدٍ ... لدى الموتِ (٤ شهباءُ المَبارِكِ شارِفُ

فما برحوا حتى رأى اللهُ صبرَهم ... حتى أُتيحَتْ بالأكُفِّ المصاحِفُ

بمَرْجٍ ترى الراياتِ فيهِ كأنَّها ... اذا اجتَنَحتْ للطَّعنِ طيرٌ عوا كفُ

جزى اللهُ قتلانا بصِفِّينَ خيرَ ما ... جَزاهُ عِباداً غادرَتها المواقفُ (٥

ألا انَّ شرَّ الناسِ في الناسِ كلّهم ... بنو أسدٍ اني لِما قلتُ عارفُ

وحالتْ تميمٌ بعدَها ورِبابُها ... وخالفَتِ الجَعْداءُ فيمن يخالِفُ

معاويَ لا تنهَضْ بغير وثيقةٍ ... فانك بعدَ اليوم بالذلِّ آسِفُ

وقال في خزانة الادب (١ : ٤٥٨) : ولكعب هذا اخ يقال لهُ عُمَير بن جُعَيل وهو شاعرٌ ايضاً وهو القائل يهجو قومَهُ (من الطويل) :

كَسا اللهُ حَيَّيْ تَغلبَ ابنَةِ وائلٍ ... مِنَ اللُّؤْمِ اظفاراً بطيئاً نُصولُها

---

١) ويروى : تبدّل . . وكان فتى ٢) ويروى : مسلماً . ومسنداً يمجّ نجيماً . وفي الدينوري : تمجّ دم الخرق العروقُ الذوارِفُ . ويروى : تمجّ دماً منهُ . وتمجّ دماهُ والعروق نوازف

٣) ويروى : يبوءُ ويعلوهُ سآبيبُ . . . ويروى : وتغشاهُ . . . اللفائف

٤) ويروى : ابن عمّ نبيّنا من الموت

٥) وروى ياقوت : بصفّين ما جزا عباداً لهُ اذ غودروا في المزاحف (كذا)

قال ثمّ ندم فقال (من الطويل) :

نَدِمتُ على شَتمِي العشيرةَ بعدما مضَتْ وٱستَتَبَّتْ للرُّواة مذاهِبُهْ

فاصبحتُ لا أَسطيعُ ردًّا لِمَا مضى كما لا يَرُدُّ الدَّرَّ في الضرع حالبُهْ(١

امّا الجمحيّ فانّهُ يروي هذه الابيات في طبقات الشعراء (ص ١٢٩) لكعب وقد اضاف اليها قولهُ(من الطويل) :

مُعاويَ أَنصِفْ تغلبَ ابنَةَ وائلٍ من الناس او دَعْها وحيًّا تُضارِبُهْ

قليلٌ على بابِ الاميرِ لُبانَتي اذا رابَني بابُ الاميرِ وحاجِبُهْ

ولمَّا تَدَارَوا في تُرَاثِ محمَّدٍ سمَتْ بابنِ هندٍ في قُريشٍ مَضارِبُهْ

(قلنا) انَّ في هذه الابيات نظرًا . فعلى قول صاحب خزانة الادب (١ : ٤٥٨) انَّ البيت الذي قيل في هجاء تغلب «كسا الله حيَّيْ تغلب . البيتِ» هو لعُمَيرة اخي كعب ابن جُعَيل المترجَم هنا . ثمّ ذكر (ص ٤٥٩) شاعرًا آخر سمّاهُ عَمِيرة بن جعل وذكر نسبَهُ وقال عنهُ انهُ «شاعر جاهليّ» على انّنا رأينا هذا البيت عينهُ في المفضَّليات (ص ٥١٨) في مقدّمة خمسة ابيات ونسبتهُ هناك ليست لاخي كعب بن جُعَيل بل لعميرة بن جُعَل بن عمرو الشاعر الجاهليّ . وقد اثبتنا نحن هذه الابيات في شعراء النصرانيَّة (ص ١٩٥) لذلك الشاعر الجاهليّ مع ابيات أُخرى نونيَّة رواها لهُ صاحب المفضَّليَّات (ص ٥٢٠—٥٢٢) وذكر منها في خزانة الادب ثلاثة ابيات . فترى ما وقع من الاضطراب في الروايات لسبب اتّفاق الاسماء .

وروي ايضاً لكعب في الحماسة البصريَّة في باب الرثاء (١ : ٢١٠) (من الطويل) :

برابية الثَّرثار (٢ قبرٌ ترابهُ يَضُمُّ الغمامَ الجودَ والشمسَ والبدرا

رأتْ تَغلبُ العَلياءُ عند مُصابهِ عيونَ الأعادي نحوأعينها خُزْرا

١) ويروى : واصبحتُ لا اسطيعُ دفعًا لما مضى . . .

٢) الثرثار وادٍ عظيم في الجزيرة لبني تغلب يصبُّ ماؤهُ في دجلة

وودَّتْ نجومُ الجود يومَ حملْنهُ على النَّعش لو كانت بأجمعها قبرَا
مُنافَسةً منها عليهِ وضَنَّةً على الترب ان تمحو المآثر والفخرا
وما بَخلَتْ عيناي بالدَّمع بعدهُ على هالكٍ الّا ذكرتُ لها عَمْرا(١

وروى لهُ ايضاً يهجو المُغيرة بن شعبة (٢: ١٨٢) (٢ (من الطويل) :

اذا راح في قُوهيَّةٍ(٣ فتأزّرا فقلتُ أَلا يَستَنُّ في لبنٍ مَخضِ
وتَحْسَبُهُ إن قامَ للمشي قاعداً لقلّة مِقْياسيْهِ في الطول والعَرْضِ
فأقسمتُ لو حُزّتْ من استِكَ بضعةٌ لَما انكسرت من قرب بعضك من بعضِ
فيا خلقةَ الشيطان أَقْصِرْ فانّما رأيتُكَ أهلًا للعَداوةِ والبُغضِ

وفي معجم البلدان لياقوت (٢ : ٣٧٨) وفي تاريخ الطبري (١ : ٧٤٩) بيتٌ فرد لكعب التغلبي يذكر غزوة الملك تبّع الحميري للعراق قال (من الرمل) :

وغزانا تُبَّعٌ من حميرٍ نزلَ الحيرةَ في أَهلِ عدَنْ

والبيت تصحّف في الطبري فرواهُ مكسورًا

وغزا تُبَّــع في حمير حتى نزل الحيرة من ارض عدَنْ

وقد يروى لهُ ايضاً في شواهد سيبويهِ (من الرمل) :

صَعْــدَةٌ نابتــةٌ في حائرٍ أينما الرّيحُ تُميّلْها تَمِلْ

قال الصَعْدة القناة المستوية . والحائر المكان المطمئنّ . شبَّه امرأةً في تمايلها بهذه القناة . ويلي هذا البيت اربعة ابيات غزليّة (خزانة الادب ١ : ٤٥٧) نضرب عنهــا الصفح

---

١) نظنّ انهُ يريد عمرًا بن سعيد بن العاص المعروف بالاشدق قتلهُ عبد الملك بن مروان سنة ٦٩ هـ (٦٨٨ م)

٢) كان المغيرة واليًا على الكوفة وفيها توفي بالطاعون سنة ٥٠ هـ (٦٧٠م)

٣) القوهيّة الثياب البيض المنسوجة في قُوهستان كورة من العجم

١٢ العُدَيْل بن الفَرْخ

﴿نسبُهُ﴾ هو العُدَيل بن الفَرْخ (وروى في الاغاني « الفَرَج» وهو تصحيف) بن معن بن الاسود بن ربيعة بن عِجْل البكريّ . وقال في تاج العروس : «وفي بعض النسخ «العديّ بلا لام وهو صحيح » فيكون اسمهُ عديًّا وكان يلقَّب بالعبَّاب . قال في الاغاني (٢٠ : ١١) : «وكان لهُ ثمانية اخوة واُمهم جميعاً امرأة من بني شيبان منهم أسود وكان شاعرًا فارساً وسَوادة وشَمْلة (وقيل سلمة) والحرث وكان يقال لامهم دَرْمنا »

﴿دينهُ﴾ كان العديل من قبيلة عجل الثابتة على نصرانيَّتها حتى بعد الاسلام فقال الأُبَيرد يهجوهم :

بنو عِجْلٍ أَذَلُّ من المطايا ومن لَحْم الجَزُورِ على الثُمامِ
يُحَيًّا المُسلمون اذا تلاقَوْا وعِجْلٌ ما يُحَيًّا بالسلامِ

وكذلك بنو شيبان الذين منهم كانت أُمهُ . وفي ترجمتِهِ انَّهُ هرب من الحجَّاج الى بلد الروم ولجأ الى قيصر . ولولا نصرانيَّتهُ لما فعل

﴿اخبارهُ﴾ جاء في الاغاني (٢٠ : ١٢) ما نصُّهُ : « كان للعُدَيل واخوتهِ ابن عمّ يُسمّى عمرًا فتزوَّج بنت عمّ لهم بغير امرهم فغضبوا ورصدوهُ ليضربوهُ . فخرج عمرٌو ومعهُ عبدٌ لهُ يُسمَّى دابغاً فوثب العُدَيل واخوتهُ فاخذوا سيوفهم فقالت أُمهم : اني اعوذُ باللهِ من شرّكم . فقال لها ابنها اسود : وايُّ شيءٍ تخافين علينا فوالله لو حملنا اسيافنا على هذا الحَنْو حَنْو قَراقر لما قاموا لنا . فانطلَقوا حتى لَقُوا عمرًا . فلمَّا رآهم ذُعر منهم وناشدَهم فأبوا فحمل عليهِ سوادةُ فضرب عمرًا ضربةً بالسيف وضربهُ عمرو فقطع رجلهُ فقال سوادة (من الوافر) :

أَلا مَنْ يشتري رِجْلًا برجلٍ تَأَبَّى للقيام فلا تقومُ

وقال عمرو لدابغ : إضرب فانت حرّ . فحمل دابغ فقتل منهم رجلًا وحمل عمرٌو فقتل آخر وتداولاهم فقتلا منهم اربعة وضرب العُدَيلَ على رأسهِ . ثم تفرَّقوا وهرب

دابغ حتى اتى الشام فداوى رَبَضَةُ بن النعمان الشيباني للعُدَيل ضربتهُ ومكث مدّة. ثمّ خرج العديل بعد ذلك حاجًّا فقيل لهُ انّ دابغًا قد جاء حاجًّا وهو يرتحل فيأخذ طريق الشام وقد اكترى. فجعل عُدَيل عليهِ الرَّصد حتى اذا خرج دابغ ركب العُدَيل راحلتهُ وهو ملتثم وانطلق يتبعهُ حتى لقيَه خلف الركّاب يحدو بشعر العديل ويقول (من الرجز) :

يا دارَ سلمى أقفرَتْ من ذي قارْ   هل فيكِ يا قِفارَ الدار من عارْ
وقد كُسينَ عرَقاً مثلَ القارْ   يَخرجنْ من تحت خِلالِ الأَوْبارْ

فلحِقَهُ العُدَيل فحبس عليهِ بعيرهُ وهو لا يعرفهُ ويسير رويدًا ودابغ يمشي رويدًا وتقدّمت إبله فذهبت وانّما يريد ان يباعدهُ عنها بوادي حنين. ثمّ قال العُدَيل والله لقد استرخى حقَب رحلي أنزل فأغيّر الرحل فتُعينني. فنزل وغيَّر الرحل وجعل دابغ يعينهُ حتى اذا شدّ الرحل اخرج العُدَيل سيفهُ فضربهُ حتى برد ثمّ ركب راحلتهُ فنجا وانشأ يقول (من الطويل) :

أَلم تَرَني جَلَّلتُ بالسيفِ دابغاً   وان كان ثأرًا لم يُصِبْهُ غليلي
بوادي حُنَينٍ ليلةَ البدرِ رُعْتُهُ   بأبيضَ من ماء الحديدِ صَقيلِ
وقلتُ لهم هذا الطريقُ أَمامكم   ولم آلُ اذ صاروا لهم بدليلِ

وفي ذلك يقول جرثومة العنَزي الجلّاني:

ان امرءًا يهجو الكرام ولم يَنَلْ   من الثأرِ إلّا دابغاً لَلَئيمُ
اتطلبُ في جُلّانَ وِترًا ترومهُ   وفاتَكَ بالأَوتار شرٌّ غريمُ

يجيب على ما هجا بهِ العديلُ قومهُ حيث قال :

أَهاجي بني جُلّانَ اذ لم يكُن لها   حديثٌ ولا في الاوّلين قديمُ

قالوا واستعدى مولى دابغ على العديل الحجّاجَ بن يوسف وطالبهُ بالقَوَد فيهِ

فهرب العُدَيل الى بلد الروم. فلمّا صار الى بلد الروم لجأ الى القيصر فأمّنَهُ فقال في الحجّاج (من الطويل) :

أخوّفُ بالحجّاج حتى كأنّما ... يُحرِّكُ عظمٌ في الفؤادِ مَهيضُ

ودونَ يدِ الحجّاج من ان تنالَني ... بساطٌ لأيدي الناعجاتِ عَريضُ

مَهامِهُ اشباهٌ كأنَّ سَرابَها ... مُلاءٌ بأيدي الغاسلات رَحيضُ

فبلغ شعرُهُ الحجّاجَ فكتب الى قيصر: لَتبعثنَّ بهِ او لأغزيَنَّك جيشاً اوَّلُهُ عندك وآخرُهُ عندي. فبعث بهِ قيصر الى الحجّاج

(قال) فخرج العديل يريد الحجّاج فلمّا صار الى بابهِ حجبَهُ الحاجب فوثب عليهِ العُدَيل وقال: انّهُ لن يدخل على الامير بعدَ رجالات قريش اكبرُ منّي ولا أَولى بهذا الباب. فنازَعَهُ الحاجب الكلام فأحفَظَهُ وانصرف العُديل عن باب الحجّاج الى يزيد بن المهلّب فلمّا دخل اليهِ انشأ يقول (من الطويل) :

لَئنْ أَرْتَجَ الحجّاجُ بالبُخْل بابَهُ ... فبابُ الفتى الازديِّ بالعُرْف يُفتَحُ

فتًى لا يبالي الدهرَ ما قلَّ مالُهُ ... اذا جعلَتْ ايدي المكارمِ تَسنَحُ

يداهُ يدٌ بالعُرْفِ تَنهَبُ ما حوَتْ ... وأخرى على الأعداء تَسطو وتَجرَحُ

اذا ما اتاهُ المُرمِلون تيقَّنوا ... بأنَّ الغنى فيهم وَشيكاً سيَسْرَحُ

أَقام على العافِين حُرّاسَ بابهِ ... يُنادونَهم والحرُّ بالحُرّ يَفرَحُ

هَلُمُّوا الى سَيبِ الامير وعُرْفهِ ... فانَّ عطاياهُ على الناس تُنفَحُ

وليس كعِلْجٍ من ثمودٍ بكفّهِ ... من الجود والمعروفِ حَزْمٌ مطرَّحُ

فقال لهُ يزيد: عرَّضتَ بنا وخاطرتَ بدمك. وبالله لا يصل اليك وانت في حيزي. فامر لهُ بخمسين الف درهم وامر لهُ بافراس وقال لهُ: الحَقْ بعَلياءِ نجدٍ واحذَر

ان تَلحقك حبائلُ الحجَّاج او تحتجنك محاجنهُ . وابعث اليَّ في كلّ عام فلك عليَّ مثل هذا . فارتحلَ . وبلغ الحجَّاج خبرهُ فأحفظهُ ذلك على يزيد وطلب العديل ففاتهُ فاستاق ابلَهُ واحرق بيتهُ وسلب امرأتهُ وبناتهِ واخذ حُليهنَّ . فقال العديل (من الطويل) :

سَلَبْتَ بناتي حُليَهنَّ فلم تَدَعْ سِوارًا ولا طوقًا على النَّحرِ مُذهبا

وما عزَّ في الآذانِ حتى كأنَّما تُعطَّلُ بالبيضِ الاوانسِ رَبْربا

عَواطلُ لا إن ترى بخدودها قُسامَةَ عُتْقٍ او بَنانًا مُخضَّبا

فَكَكْتَ البُرينَ عن خِدالٍ كأنَّها برادي غيلٍ ماؤُهُ قد تَنضَّبا

من الدُّرِّ والياقوتِ عن كل حرَّةٍ ترى سَمطها بين الجُمانِ مثقَّبا

دَعونَ اميرَ المؤمنين فلم يُجبْ دعاءً ولم يُسمعن امًّا ولا أَبا

قال ابو عمرو الشيباني (الاغاني ٢٠: ١٣) : « ألحَّ الحجَّاج في طلب العُدَيل لفظَتْهُ الارض ونبا به كلُّ مكان هرب اليهِ . فاتى بكر بن وائل وهم يومئذٍ بادُون جمعٌ منهم بنو شيبان وبنو عجل وبنو يشكر فشكا اليهم امرَهُ وقال لهم : انا مقتولٌ أفتسلموني هكذا وانتم اعزُّ العرب؟ . قالوا : لا واللهِ ولكنَّ الحجَّاج لا يُراغَمُ ونحن نستوهبك منهُ . فإن اجابَنا فقد كُفيتَ وان حادَنا في امرك منعناك وسألنا امير المؤمنين ان يَهبك لنا . فاقام فيهم واجتمعت وجوهُ بكر بن وائل الى الحجَّاج فقالوا لهُ : ايُّها الامير انَّنا قد جَنَينا جميعنا عليك جنايةً لا يُغفَر مثلُها ونحن قد استَسْلَمنا وألقينا بايدينا اليك فإمَّا وهبتَ فأهلُ ذلك انت وإمَّا عاقبتَ فكُنتَ المسلَّط المالك العادل . فتبسَّم وقال : قد عفوتُ عن كل جرم الَّا الفاسق العُدَيل . فقاموا على ارجلهم فقالوا : مثلُك ايُّها الامير لا يستثني على اهل طاعتهِ واوليائهِ في شيء . فان رأيتَ ان لا تكدِّر مِنَنك باستثناء وان تَهبَ لنا العُديل في اوَّل من تَهبَ . قال : قد فعلتُ فهاتوه قبَّحهُ الله . فأتوهُ بهِ . فلمَّا وقف بين يديهِ انشأ (من الطويل) :

ها أنا ذا ضاقت بيَ الارضُ كلُّها اليكَ وقد جوَّلتُ كلَّ مكانِ
فلو كنتُ في نَهْلانَ اوشُعْبَتَيْ أَجا لَخِلْتُكَ إلّا أَن تَصُدَّ تراني

فقال لهُ الحجّاج :أَنشِدْني قولَكَ :

ودون يدِ الحجّاج من أَنْ تنالني (البيت)

فقال: لم أَقُلْ هذا ايُّها الامير ولكني قلتُ (من الطويل) :

اذا ذُكر الحجّاجُ أَضمرتُ خيفةً لها بين أَحناء الضلوعِ نفيضُ

فتبسَّم الحجّاج وقال: أَولى لك فخلّى سبيلهُ وعفا عنهُ وفرض لهُ وتحمَّل ديةَ دابغ في مالهِ . ومما أَنشدهُ ليسترضي الحجّاج عند قدومهِ العراق قولهُ (من الطويل) :

دَعُوا الجُبنَ يا أهل العراق فإِنَّما يُهانُ ويُسْبَى كلُّ من لا يُقاتلُ
لقد جرَّد الحجّاجُ للحقِّ سيفَهُ أَلَا فاْستقيموا لا يَميلَنَّ مائلُ
وخافوهُ حتى القوم بين ضُلوعهم كنَزْوِ القَطا ضُمَّتْ عليهِ الحبائلُ
وأَصبحَ كالبازي يُقلّبُ طَرْفَهُ على مرقبٍ والطيرُ منهُ رواحلُ

﴿زمانهُ وشعرهُ﴾ اشتهر العُدَيل في زمن الدولة الامويّة والمروانيَّة وهو من رَهط ابي النجم العِجْلي . وكان شاعرًا مُقِلًّا الَّا انّ شعرهُ حسن مطبوع . ولهُ في المديح اقوال مشهورة منها لاميَّتهُ في الحجّاج لينال الصفح عن هجائهِ فقال (من الطويل) :

فلو كنتُ في سَلْمى أَجا وشِعابها لكان لحجّاجٍ عليَّ دليلُ (١
بَنى قُبَّةَ الإسلام حتى كأنَّما هدى الناسَ من بعد الضلال رسولُ
اذا جارَ حكمُ الناسِ أَلجأَ حكمَهُ الى اللهِ قاضٍ بالكتاب عَقُولُ

١) يريد جبال طيء في نجد . ويروى : عليَّ سبيلُ

خليلُ اميرِ المؤمنين وسيفُهُ لكلّ إمامٍ صاحبٌ وخليلُ(١

بهِ نصرَ اللهُ الخليفةَ منهمُ(٢ وثبَّت ملكاً كاد عنهُ يزولُ

فانت كسيفِ اللهِ في الارض خالدٍ(٣ تَصولُ بعَوْنِ اللهِ حين تصولُ

وجازيتَ اصحابَ البلاء بلاءهم فما منهمُ عماً تُحبُّ نَكُولُ

وصلتَ بمُرَّانِ العراقِ فأصبحت مَناكبُها للوَطْء وهي ذَلولُ

أذَقتَ الحِمامَ ابنَيْ عُبادٍ فاصبحوا بمنزلِ موهونِ الجناح ثَكولُ

ومن قَطَريٍّ نلتَ ذاكَ وحولَهُ كتائبُ من رجَّالةٍ وخُيولُ(٤

اذا ما أتت بابَ ابنِ يوسفَ ناقتي أتت خيرَ منزولٍ بهِ ونَزيلِ(٥

وما خفتُ شيئاً غير ربّيَ وحدهُ اذا ما انتحَيْتُ النفس كيف اقولُ

ترى الثَّقَلَيْنِ الجِنّ والإنس اصبحا على طاعةِ الحجَّاج حين يصولُ

وروى ابو تمّام في الحماسة لعُدَيْل العجلي قولهُ في الفخر وقيل انها لابي الأَخيل العجلي (من الطويل) :

ألا يا اسلَمي ذاتَ الدَّماليجِ والعقدِ وذاتَ الثنايا الغُرّ والفاحمِ الجَعْدِ(٦

وذاتَ اللِّثاتِ الحُمّ والعارضِ الذي بهِ أبرقَتْ عَمْدًا بأبيضَ كالشَّهْدِ(٧

---

١) ويروى : مصطفى وخليلُ

٢) ويروى : الإمام عليهم ٣) تلميح الى خالد بن الوليد الملقَّب بسيف الله

٤) ابنا عباد والقطري بن الفجاءة ممَّن خرجوا على دولة الامويّين ظفرا بهم الحجَّاج

٥) في هذا البيت الاقواء

٦) الدماليج جمع دُمْلوج وهو العَضُد . والفاحم الشعر الاسود

٧) اللثات مغارز الاسنان . والحُمّ جمع أحَمّ اي اسود ويروى : الحُوّ من الحُوَّة اي السُّمْرة . والعارض الناب

كأنّ ثناياها اغتبقنَ مُدامةً ثوَتْ حِججاً في رأسِ ذي قُنَّةٍ فَرْدِ (١

جرى بفَريقِ العامريَّة غُدْوَةً شواحِجُ سودٌ ما تُعيد وما تُبدي

اذا ما نَعَقْنَ قلتُ هذا فراقُها وان هنَّ لم يَنْعِقْنَ سَكَّنَ من وجدي

لعلّ الذي قاد النَّوى أن يَرُدَّها الينا فقد يُدْني البعيدَ من البُعْدِ

وعلّ النوى في الدار تجمعُ بيننا وهل يُجمَع السيفان ويحك في غِمدِ (٢

لعمري لقد مرَّت بيَ الطيرُ آنفاً بما لم يكن إذ مرَّتِ الطيرُ من بُدّ (٣

ظَلَلتُ أساقي الموتَ إخوتيَ الأُولى ابوهمُ ابي عند المزاحةِ والجِدِّ (٤

كلانا ينادي يا نِزارُ وبيننا قَناً من قنا الخَطّيِّ اومن قنا الهندِ

قُرومٌ تَسامى من نِزارٍ عليهمُ مُضاعَفةٌ من نَسْجِ داوُود والسُّغْدِ (٥

اذا ما حملْنا حملةً مَثَلوا لنا بمُرْهَفَةٍ تُذْري السواعدَ من صُعْدِ (٦

وان نحنُ نازلْناهمُ بصوارمٍ رَدَوْا في سرابيلِ الحديدِ كما نَرْدي

كفى حَزَناً أن لا أزالَ أرى القنا تَمجُّ نجيعاً من ذِراعي ومن عَضُدي (٧

لعمري لئن رمتُ الخروجَ عليهمِ بقَيْسٍ على قيسٍ وعَوْفٍ على سَعْدِ

وضَيَّعتُ عمرًا والربابَ ودارماً وعَمْرَ بن أُدٍّ كيف اصبرُ عن أُدِّ

---

١) الاغتباق شُرب العشيّ . ثمَّ وصف تلك الخمرة بانها معتّقة في الدنان

٢) هذه الابيات الاربعة ليست في النسخة المطبوعة وهي في نسخة خطيّة قديمة في مكتبتنا الشرقيّة

٣) يشير الى عادة العرب في مراقبة الطير فيتيمّنون بها ويتشاءمون

٤) ويروى اساقي العمّ . وساقاهُ شاركهُ في سقيهِ

٥) ينسب العرب اصطناع الدروع للنبي داود ولاهل بلاد السُّغْد . ويروى : والسُّدِّ

٦) المرهفة السيوف المرقّقة . وتذري تسقط . ومن صُعْد اي من اعلى

٧) اراد بالذراع والعضد قومَهُ الذين يبطش بهم على اعدائهِ

لكنتُ كمُهريقِ الذي في سِقائهِ لرَقراق آلٍ فوقَ رابيةٍ صَلْدِ(١
كمرضعةٍ اولادَ أُخرى وضيَّعتْ بني بطنها هذا الضَّلالُ عن القصدِ(٢
فأُوصيكما يا ابنَيْ نزارٍ فتابعا وصيةَ مُفضي النُّصحِ والصِدْقِ والوُدِّ
ولا تَعلَمنَّ الحربُ في الهام هامتي ولا تَرمِ بالنَّبْلِ وَيْحكما بعدي(٣
أما تَرْهبانِ النار في أبنَي أبيكما ولا تَرْجوانِ اللهَ في جَنَّةِ الخُلْدِ(٤
وإني وان عاديتُهم وَجَفَوتُهم لَتأْلمُ ممَّا عضَّ أكبادَهم كِبْدي
فانَّ أبي عندَ الحِفاظِ أبوهمُ وخالُهم خالي وَجدُّهمُ جدّي
فما تُرْبُ أثْرَى لو جمعت تُرَابَها بأكْثَرَ مِنْ إبْنَيْ نزارٍ على العَدِّ(٥
هما كَنَفا الارضِ اللَّذا لو ترَعْزعا ترَعزعَ ما بينَ الجَنُوب الى السَّدِّ
رِمَاحُهُمُ في الطولِ مثلُ رماحِنا وهم مثلُنا قدُّ السُّيور من الجلدِ(٦

وروى لهُ ابن عبد ربّهِ في العقد الفريد قولهُ يذكر يوم ذي قار وحضور بني شيبان وعجل فيهِ (من البسيط) :

ما أوْقدَ الناسُ من نارٍ لمَكْرُمةٍ إلّا اصطَلَيْنا وكنّا موقدي نارِ

١) يقول لو شئتُ ان اخرج على من عاداني لأثرتُ حربًا اهليّةً تضرُّ ولا تنفع ورقراق الآل تموُّج السرّ

٢) شبّهَ فعلهُ وعدم فائدتهِ بطير النعامة التي تذهل عن بيضها وتجثم على بيض غيرها يُضرَب بحماقتها المثل

٣) ويروى: فلا تُعلمنَّ الحربَ. وخصَّص هامتَهُ وهو يريد شخصهِ

٤) هذا قول صريح في اعتقاد الشاعر لعقاب الآخرة وثوابها

٥) الأثري كالثرى هي الارض اصلها اللذانِ فحذف النون

٦) كَنَفا الارض ناحيتاها . واللذا

وما يَعُدُّون من يوم سمعتَ بهِ للناسِ أفضلَ من يومٍ بذي قارِ
جئنا بأسلابهم والخيلُ عابسةٌ لمّا استلبنا(١ لِكِسرى كلَّ أسوارِ

ومن جيّد شعر العُدَيل قصيدتهُ اللاميَّة التي يمدح فيها قبائل وائل ويذكر دفاعهم عنهُ ويفتخر بهم فقال (الاغاني ٢٠ : ١٤—١٦) (من الكامل) :

صَرَمَ الغواني واستراحَ عواذلي وصحوتُ بعدَ صبابةٍ وتمايُلِ
وذكرتُ يوم لوى عُنَيق(٢ نسوةً يَخطرْنَ بين أكِلَّةٍ ومراجلِ
لَعِبَ النعيمُ بهنَّ في أطلالهِ(٣ حتى لَبِسْنَ زمانَ عيشٍ غافلِ
يأخُذنَ زينتهنَّ أحسنَ ما ترى واذا عطِلْنَ فهنَّ غيرُ عواطلِ
واذا خبأْنَ خدودَهنَّ أرَيْنني(٤ حدَقَ المَها وأخذنَ سهمَ القاتلِ
ورمينني(٥ لا يستترنَ بجُنَّةٍ الّا الصِّبا وعلمنَ اين مَقاتلي
يَلبَسنَ أرديةَ الشبابِ لأهلها ويَجُرُّ باطِلُهنَّ حبلَ الباطلِ (٦
بَيضِ الأنوقِ بكَسرِهنَّ ومَن يُرِدْ بيضَ الأنوقِ فوكرُها بمعاقلِ(٧
وراكَ اهلكَ منهمُ ورأيتَهم بفروعِ أرعنَ فوقها متطاولِ
واذا سألتَ ابنَيْ نزارٍ بيَّنا مجدي ومنزلتي من ابنَيْ وائلِ
حدَبَتْ بنو بكرٍ عليَّ وفيهمُ لهمُ المكارمُ بالعديدِ الكاملِ(٨
خطَروا ورائي بالقَنا وتجمّعتْ منهم قبائلُ أردفوا بقبائلِ

١) ويروى : يوم استلبْنا
٢) لوى عُنَيق مكان بعينهِ . ويروى : لوى عَتيق ٣) ويروى : في اظلاله
٤) كذا روى الحصريّ في زهر الآداب (١ : ٨٤) . وفي الاغاني : واذا جنان خدودهنَّ أرَيْننا . وهو تصحيف ٥) روى الحصريّ : يرميننا
٦) روى الحصريّ : ذيل الباطل . وقد غنَّى ابن سريج بالابيات الاربعة السابقة
٧) يشير الى المثل : اعزُّ من بيض الأنوق
٨) وفي الاصل : والعديدُ الكاملُ

انّ الفوارس من لُجَيمٍ لم تزَلْ فيهم مَهابةُ كلّ ابيضَ فاعلِ
مُتَعَمّمٍ بالتاج يسجدُ حولَهُ من آل هَوْذَةَ للمكارم حاملِ (١
او رهطِ حَنْظَلَةَ الذين رماحهم سُمُّ الفوارسِ حَتْفُ موتٍ عاجلِ
قومٌ اذا شهروا السيوفَ رأوا لها حقًّا ولم يكُ سَلُّها للباطلِ
ولئنْ فَخَرْتُ بهم لِمثلِ قديمهمْ بُسِطَ المفاخِرُ لِلِّسانِ القائلِ
اولادُ ثعلبَةَ الذين لِمثلهمْ حِلْمُ الحليمِ ورَدُّ جهلِ الجاهلِ
ولِمَجْدِ يَشكُرَ صورةٌ عادِيَّةٌ وأبٌ اذا ذكروهُ ليس بخاملِ
وبنو الفِزارِ اذا عددتَ صَنيعَهم وَضَحَ القديمُ لهم بكلّ محافلِ
واذا فَخَرْتَ بتَغْلِبَ ابْنةِ وائلٍ فاذكُرْ مكارمَ مِن نَدًى وأوائلِ
ولتغلبَ الغَلْباءِ عِزٌّ بَيِّنٌ عادِيَّةٌ ويزيدُ فوقَ الكاهِلِ
تَسطو على النّعمانِ وابنِ مُحرِّقٍ وابنَيْ قَطامِ بعِزَّةٍ وتَناوُلِ
بالمُقْرَباتِ يَبِتْنَ حولَ رِحالِهِمْ كالقِدّ بين أَجِلَّةٍ وصَواهِلِ
اولادُ أعوَجَ والصَّريحِ (٢ كأنّها عِقْبانُ يومِ دُجُنَّةٍ وتَخايُلِ
يَلْقُطْنَ بعد أزُومِهنّ على الشَّبا عَلَقَ الشَّكيمِ بألْسُنٍ وجحافلِ
قومٌ همُ قتلوا ابنَ هِندٍ عَنوةً (٣ وقَنا الرماحِ تَذودُ وِرْدَ الناهِلِ

---

١) يشير الى هَوْذة بن عليّ سيّد بني حنيفة النصراني المعروف بذي التاج (اطلب كتاب النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة ص ٤٦٣)

٢) اعوج والصريح فرسان من الخيل الاصيلة يضرب العرب بكرمهما المثل

٣) قتل عمرو بن كلثوم التغلبيّ ملكَ الحيرة عمرَ بن هند

منهم ابو حَنَشٍ وكان بكفّهِ رَيُّ السنان وريُّ صدرِ العاملِ (١
ومُهلهِلُ الشعراء إن فَخَرُوا بهِ ونَدى كُلَيبٍ عند فَضلِ النّائلِ (٢
حَجَبَ المَنيّةَ دون واحدِ أُمِّهِ من أن تَبيتَ وصدرُها ببلابلِ
وأَبى مُجالَسة الشبابِ فلم يكن يُسَبُّ مجلسُهُ وحقَّ النازلِ
حتى أَجارَ على الملوك فلم يَدَعْ حَدَباً ولا صَعَرًا لرأسٍ مائلِ
في كلّ حيٍّ للهُذَيلِ ورَهطِهِ نِعَمٌ واخذُ كريمةٍ بتناوُلِ
بِيضٌ كرائمُ رَدّهنَّ لعُنوةٍ أَسَلُ القَنا وأُخِذنَ غيرَ أَراملِ
ابناؤهنَّ من الهُذَيل ورَهطِهِ مثلُ الملوك وعِشنَ غيرَ عواملِ

وقد روى لهُ في الاغاني (٢٠ : ١١) ابياتاً فيها غناء لمعبدٍ (من الطويل) :

فان تكُ من شَيبانَ أُمّي فانَّني لَأَبيَضُ من عجلٍ عريضُ المَفارقِ
وكيف بذِكرَى امّ هارون بعدما خَبَطْنَ بأيديهنَّ رَمْلَ الشقائقِ
كأنَّ نقاً من عالجٍ آزرَتْ بهِ اذا الذيلُ ألهاهُنَّ شدَّ المَناطقِ
وانّا لَنُغلي في الشتاء قدورَنا ونَصبِرُ تحتَ اللامعاتِ الخوافقِ

وقد روى الاصمعيّ انَّ الشاعر الراجز ابا نجم قال العُدَيل: أَرَأيتَ قولك (فان تكُ من شيبان أُمي . البيت) أَكنتَ شاكًّا في نسبك حين قلتَ هذا . فقال لهُ العُدَيل : أَفشككتَ انتَ في نفسك او شعرك حين قلت :

أنا ابو النجم وشِعْري شعري لله دَرّي ما يَجنُّ صدري

فأمسك ابو النجم واستحيا — ومن مديح العُدَيل ما قالهُ في رجلَين عُرفا بشرفها

١) ابو حنش كُنْية عَصِم بن النعمان التغلبي الذي قتل شرحبيل بن الحارث لقتله اخاهُ لامّهِ ذا السُّنَينة ٢) اطلب اخبار كليب والمهلهل في شعراء النصرانيّة

وضرب المثل بكرمها وهما حوشب الشيباني وعكرمة بن ربعي الفيَّاض. روى عنهما صاحب الاغاني ما حرفهُ قال (٢٠: ١٨):

«كان حوشبُ بن يزيد الشيباني وعكرمة بن رِبْعيّ يتنازعان الشرف ويتباريان في الطعام ونَحْر الجُزُر في عسكر مُصْعَب. وكان حوشب يغلب عِكرمةَ لسَعَة يدهِ. (قال) وقدم عبد العزيز بن يسار مولى بُختر... بسفائن دقيق فأتاهُ عِكرمة فقال لهُ: اللهَ اللهَ فيَّ قد كاد حوشبُ ان يستَعْليَني ويغلبني بمالهِ فبعْني هذا الدقيق بتأخير ولك فيهِ مثلُ ثمنهِ ربحاً. فقال: خذهُ. واعطاهُ ايَّاهُ فدفعهُ الى قومهِ وفرَّقهُ بينهم وامرهم بعَجْنهِ كلّهِ فعجنوهُ كلّهُ ثمَّ جاء بالعجين كلّهِ فجمعَهُ في هوَّةٍ عظيمةٍ وامر بهِ فغُطّي بالحشيش. وجاء برَمَكة فقرَّبوها الى فرس حوشب حتى طلبها وأَفلت ثمَّ ركضوها بين يديهِ وهو يتبعُها حتى أَلقوها في ذلك العجين وتبعها الفرس حتى تورَّط في العجين وبقيا فيهِ جميعاً. وخرج قومُ عِكْرمة يصيحون في العسكر: يا معشر المسلمين أَدْركوا فرس حوشبَ فقد غَرِق في خميرة عِكْرمة. فخرج الناس تعجُّباً من ذلك اذ تكون خميرةٌ يغرق فيها فرس. فلم يبقَ في العسكر احد الَّا ركب ينظر وجاؤوا الى الفرس وهو غريق في العجين ما يبينُ منهُ الَّا رأْسهُ وعنقهُ. فما أُخرج إلَّا بالعَمَد والحبال وغلب عليهِ عكرمة وافتضح حوشب فقال العُديل بن الفرخ يمدحها ويفخر بهما (من الطويل):

وعِكْرِمَةُ الفيَّاضُ فينا وحَوْشبٌ ... هما فَتَيا الناس اللّذا (١ لم يُعَمَّرا

همـا فَتَيا الناس اللـذا لم يَنَلْهُما ... رئيسٌ ولا الأَقْيالُ من آلِ حِمْيَرا

وقال غيرهُ في حوشب:

وأَجْوَدُ بالمال من حاتمٍ ... وأَنْحَرُ للجُزْر من حوشبِ

وقد مدح العُدَيل رجلًا آخر سيّدًا على بني ربيعة بن نزار اسمهُ مالك بن ربيعة ابن مِسْمَع لاذ ببابهِ بنو تميم والأَزد لان والي الكوفة زيادًا حمل مالًا من البصرة الى مُعاوية فخرم عرب ربيعة فاستغاثوا بربيعة بن مسمع فارسل ابنهُ مالكاً فلحق بالمال وردَّهُ

١) اللذا مثنَّى اللذي بحذف نونها للشعر

وانفقهُ في الناس حتى وفاهم عطاءهم فما راجعهُ زياد. ثمّ ولي حمزة بن عبدالله بن الزبير البصرة فجمع هو ايضاً مالًا ليحملهُ الى ابيهِ فاجتمع الناس الى مالك واستغاثوا بهِ ففعل مثلَ فعلهِ بزياد فقال العديل قصيدتهُ التي اولها (من الطويل):

أَمِنْ مَنزلٍ من أُمّ سَكْنٍ عَشيَّةً ظَلِلتُ بها ابكي عليهِ مُفكِّرَا
معي كلُّ مسترخي الإزار كأنَّهُ اذا ما مشى من جنّ غِيلٍ وعَبْقَرا
مُنيخي المَطايا لا يُبالي كلاهما مُقَلِّصةً خُوصاً من الأَيْنِ ضُمَّرا

ومنها في مديح بني مسمع ومالك (عمدة ابن الرشيق ٢: ٦ والاغاني ٢٠: ١٧):

بني مِسْمَعٍ لولا الإلهُ وانتمُ بني مِسْمعٍ لم يَنكرِ الناسُ مُنكَرا
اذا ما خَشينا من اميرٍ ظُلامةً دعونا أبا غسّانَ يوماً فعسكرا
ترى الناسَ افواجاً الى بابِ دارهِ اذا شاء جاؤوا دارعِينَ وحُسَّرا

وممّا يُروى ايضاً من شعر العُدَيل بن الفرخ ما قالهُ في رجل من بني عجل يدعى جبّارًا كان رجل من بني العَبَّاب من رهط العديل اصاب انفهُ (من الطويل):

أَلم تَرَ جبَّارًا ومارِنَ أَنفهِ لهُ ثُلَمٌ يَهوِينَ أَن يتخَنَّما
ونحنُ جدَعْنا أَنفَهُ فكأنَّما ترى الناسَ أَعداء اذا هو أَطلعا
كُلُوا أَنفَ جَبَّارٍ بِكارًا فانَّما تركناهُ عن فَرْطٍ من الشرّ أَجدعا
مَعاقدُ من أَيديهمِ وأُنوفِهم بَكاري وثِيباً تَرْكبُ الحَزْنَ ظُلَّما

وكان رجل من رهط العُدَيل ضرب ايضاً يد وكيعٍ احد بني الطاغية وهما يشربان فقطعها وافترقا فقال العُدَيل في ذلك (من الطويل):

تركتُ وكيعاً بعد ما شابَ رأسُهُ أَشلَّ اليمين مستقيمَ الأَخادعِ
تَشرّبْ بها وُرْقَ الإفالِ وكُلْ بها طعامَ الذليل وأنجِرْ في المَخادعِ

فلمَّا قال هذا الشعر يفخر بقطع انف جبَّار ويد وكيع حلف رهطها ان يقطعوا انفَهُ ويدهُ دونَ مَن فعلَ ذلك بهم . فهرب العديل وابوهُ الى بني قيس بن سعد ولجأا الى عُفَير بن جُبَير . فقال بنو قيس بن سعد المفرخ بن العُدَيل أنصِفْ قومك وأعطِهم حقّهم . فركب اليهم الفَرْخ ومعهُ رجلان من بني الحرث اسمهما حسَّان ودينار فأسرتهُ بنو الطاغية وانتزعوهُ من الرجلين وتوجَّهوا بهِ نحو البصرة . فرجع الرجلان الى قومهما مستنفرَين لهم فركب النفير في نهب بني الطاغية فادركوا منهم رجلًا فاشترى منهم الجراحة بسبعين بعيرًا واخذ ابنَ الفرخ منهم فاطلقهُ . فقال العديل يمدح بني قيس ويهجو بني طاغية (من الطويل) :

ما زال في قيسِ بن سَعْدٍ لجارهِمْ ... على عَهْد ذي القَرْنَين مُعْطٍ ومانعُ

هم استنقذوا حسَّانَ قسرًا وأنتمُ ... لئَامُ المَقام والرماحُ شوارِعُ

غدَرْتم بدينارٍ وحسَّانَ غُدْوَةً ... وبالفَرْخِ لمَّا جاءكم وهو طائعُ

فلولا بنو قيس بن سَعْدٍ لأصبحَتْ ... عليَّ شِدادًا قبضُهنَّ الاصابعُ

ألا تَسْأَلون ابْنَ المُشَتَّمِ عنهمُ ... جعامةُ والجيرانُ وافٍ وظالعُ

ومما روى ابو الفرج في (الاغاني ٢٠ : ١٩) عن الاصمعي انهُ قال : دخلتُ على الرشيد يوماً وهو محموم فقال : أنشِدْني يا اصمعي شعرًا مليحاً . فقلتُ : أرَصيناً فحلًا يريدهُ اميرُ المؤمنين ام شجيًّا سهلًا . فقال : بل غزلًا بين الفحلِ والسهل . فانشدتُهُ للفرخ بن العُدَيل العجلي (من الطويل) :

صحا عن طِلابِ البِيض قبل مَشيبهِ ... وراجَعَ غضَّ الطَّرْف فهو خفيضُ

كأنّيَ لم أرْعَ الصِّبا ويروقُني ... من الحيِّ أحوَى المُقْلتَين غضيضُ

دعاني لهُ يوماً هوًى فأجابَهُ ... فؤادٌ اذا يَلْقى المِراضَ مريضُ

لِمُسْتأنِساتٍ بالحديث كأنَّهُ ... تهاهَلَ غُرٌّ بَرْقهنَّ وميضُ

فقال لي : أعِدْها . فما زلتُ أكرّرها عليهِ حتى حفظها

ولهُ في العتاب ما رواهُ صاحب الحماسة البصريّة (ص ٢٤٤ من نسخة مكتبتنا) وذلك انَّهُ كان مدَح مع الفرزدق قوماً من رهطهِ فوصلوا الفرزدقَ دونهُ فقال (من الطويل):

أفي الحقِّ ان يُعطَى الفرزدقُ حكمَهُ وتَخرُجُ كفّي من نوالكمُ صُفرا

أَهُمْ فيَثنيني أواصرُ بيننا وأيدٍ حِسانٌ لا أؤدّي لها شكرا

وممَّا يُستشهد بهِ من شعر العُدَيل في كتب اللغة قولهُ (من الرجز):

اوعدَني بالسجن والأداهمِ رِجْلي ورِجْلي شَثْنةُ المناسمِ

قالوا الأداهم القيود من خشب جمع أدهم . اي تهدّدني بالسجن وتهدَّد رجلي بالقيود وانَّما رجلي شثنة المناسم اي غليظة الباطن لم تؤلمها القيود

ومن رَجز العديل رائيَّتهُ التي مرَّ ذكرها وهي كثيرة الابيات ذكر منها ابن قتيبة في الشعر والشعراء قولهُ:

يا دار سَلمى اقفرت من ذي دارْ (١ وهل بإقفار الديار من عارْ

ثم ذكر وصفهُ للابل:

قواربَ الماء سَوامي الأبصارْ وهنَّ يَنهضْنَ بدَكْداكٍ هارْ (٢

أوْرَقَ (٣ من تُرْبِ العراقِ خوَّارْ وقد كُسِينَ عَرَقاً مثلَ القارْ

يخرجُ من تحتِ خِلالِ الأوبارْ

﴿وفاة العُدَيل في البصرة﴾ روى في الاغاني (٢٠ : ١٩) عن محمَّد بن سلام قال: قَدم العديل بن الفرخ البصرة ومدح مالك بن مِسمع الجَحدري فوصَلَهُ فاقام بالبصرة

١) ويروى: من ذي قار

٢) القوارب جمع قارب وهو طالب الماء ليلًا. والدكداك الارض الغليظة . والهار المتداعيَ يريد الارض التي تجرفها السيول

٣) الأورق الذي لونهُ لون الرماد

واستطابها وكان مقيماً عند مالك فلم يزل بها الى ان مات . وكان ينادم الفرزدق ويصطحبان فقال الفرزدق يرثيهِ :

وما ولدَتْ مثلَ المُذَيلِ جليلةٌ قديمًا ولا مستحدَثاتُ الحلائلِ
وما زال مُذْ شدَّتْ يداهُ إزارَهُ بهِ تفتتحُ الابوابَ بكرُ بن وائلِ

وهذان البيتان لم يُروَيا في ديوان الفرزدق

١٣ العجَّاج بن رؤبة

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ هو عبدالله بن رؤبة بن حنيفة احد بني تميم يُكنَّى ابا الشعثاء والشعثاء ابنتهُ . وقد سُمّي العجّاج ببيت قالهُ في مديح قومهِ :

فعرفوا ألّا يُلاقوا مَخرجا او يبتغوا الى العمادِ دَرَجا
حتى يَعِجَّ عندها مَنْ عَجْعَجا

وكان يلقَّب بعبدالله الطويل واكثر سكناهُ البصرة فنُسب اليها

﴿زمانهُ وشعرهُ﴾ عاش العجّاج في عهد بني اميَّة فمدحهم ونال صِلاتهم وقد عرف منهم يزيد بن معاوية وسليمان بن عبد الملك وبشر بن مروان بن الحكم ومدح عاملهم على العراق الحجّاج بن يوسف وغيره من اعيان زمانهِ كعُمر بن عبيد الله بن معمر والي البصرة وكان عبد الملك بن مروان قد وجَّههُ لقتال ابي فُدَيك الخارجي الحروريّ فاوقع بهِ وباصحابهِ سنة ٧٣هـ(٦٩٢م) فمدحهُ العجّاج بارجوزة طويلة في نحو مائتي بيت

امّا شعرهُ فقد اشتهر فيهِ بقصائدهِ الرَجز فانّهُ كان هو وابنهُ رؤبة من كبار الرجّازين وفصحائهم وقيل ان الأغلب العِجلي والعجّاج وابا النَّجم العجلي اوَّل من اطالوا المقطَّعات ونظموا الاراجيز المطوَّلة . وقد اخبر ابو الفرج في الاغاني(١٨ : ١٢٤) عن ابن دريد انهُ قيل ليونس النحوي : مَن اشعر الناس ؟ قال العجّاج ورؤبة . فقيل لهُ : لِمَ لَمْ تعنِ الرُّجّاز . ؟ فقال : «هم اشعر من اهل القصيد . انّما الشعر كلام واجودهُ

اشعرهُ». ثم ذكر مثالًا من شعرهما بيّن فيهِ ما لهما من الفضل وجود القريحة

﴿اخبارُهُ﴾ عاش العجّاج في البصرة وفي البادية المجاورة لهما في ايّام الخلفاء الراشدين ثمّ في عهد بني امية. وكان مواليًا للامويين ولعلّهُ حارب مع جيوشهم اعداء دولتهم كما يُستدَلّ من اوصافهِ لحروبهم. وقد مرّ بدمشق ودخل على خلفائها وحضر مع الشعراء بعض المجالس الادبيَّة التي عُقدت فيها. ووقعت بينهُ وبين ابي النجم الراجز مفاخرات كان يدّعي كلّ منهما الفضل على الآخر

وممَّا لا ريب فيهِ انَّ سمعة العجّاج انتشرت في انحاء العرب وكان الناس يتناشدون شعرهُ فنقلهُ عنهم اللغويون واستندوا اليهِ في نوادر كتب اللغة

وممَّا اخبرهُ الاصفهاني في الاغاني متفكّهاً (١٨ : ١٢٤) انَّ راجزًا من اهل المدينة جلس الى حلقةٍ فيها الشعراء وبينهم العجّاج وابنهُ رؤبة وهو لا يعرفهما فقال: «انا ارجزُ العرب انا الذي اقول :

مَرْوانُ يُعطي وسعيدٌ يمنعُ   مروانُ نبعٌ وسعيدٌ خروعُ

وَددتُ أَني راهنتُ مَن احبَّ في الرجز لأَنا ارجز من العجّاج فليت البصرة جمعت بيني وبينَهُ». فأقبل رؤبة على ابيهِ فقال: قد والله أنصفَك الرجل. فاقبل عليهِ العجّاج فقال: ها انا ذا العجّاج فهلُمّ. وزحف. فقال المَدَني: واي العجّاجِين انت. قال: ما خلتُك تعني غيري انا عبدالله الطويل (وكان يكنّى بذلك). فقال لهُ المَدَني: ما عنيتُك ولا أَرَدْتك. قال: وكيف وقد هتفتَ باسمي. فقال: او ما في الدنيا عجّاج سواك ؟ قال: ما علمتُ. قال: ولكني اعلمُ واياهُ عنيتُ. قال: فهذا ابني رؤبة. فقال: اللهمَّ غفرًا ما بيني وبينكم عملٌ وانَّما مُرادي غيركما. فضحك الحلقة منهُ وكفَّا عنهُ

وكان العجّاج يقيم في مِرْبَد البصرة من اشهر محالّها وبها كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء فيقوم بينهم العجّاج محتفلًا عليهِ جبَّةُ خزّ وعمامة خزّ على ناقةٍ لهُ قد اجاد رحلَها فينشد الناس

وعاش العجّاج الى ايّام الوليد بن عبد الملك فمات نحو السنة ٩٠ هـ (٧٠٩م)

﴿دينهُ﴾ ما كنَّا لنجسر ان ننظم العجّاج في سلك شعراء النصرانيَّة لولا كلمةٌ وردت في شعرهِ تدلُّ على انهُ دان بالنصرانيَّة وان يكن بعد ذلك عدل الى

الاسلام. وهذه الكلمة هي مطلع قصيدتهِ الرائيَّة الشهيرة حيث يقول :

الحَمْدُ للهِ الذي اعطى الشَّبَرْ

فشرح البعض لفظة «الشَّبَر» بمعنى الخير والعطيَّة اي الحمدُ لله موزّع الخيرات والعطايا. الّا انَّ للفظة معنى آخر قديماً ورد في شعر عدي بن زيد الشاعر النصراني الشهير حيث يصف امانتهُ نحو النعمان (شعراء النصرانيّة ص ٤٥٢):

لم أَخُنْهُ والذي أعطى الشَّبَرْ

فورد هناك شرح الكلمة «بالانجيل والقربان». وكذلك قال ابن السكّيت في اصلاح المنطق (في الطبعة المصريّة ص ١٦٩): «وقيل في الشَّبَر ها هنا انَّهُ القربان». فعديّ اذ أَقسَم بالشَّبَر اراد أَجلَّ ما لدى النصارى في دينهم وهو القربان. وقد زاد العجّاج على قول عدي اذ خصَّ الحمدلة في مقدَّمة قصيدتهِ وبراعة استهلالها بمنحة الله للشَّبَر فلا يُريد ايَّ عطيّة كانت بل اكبر هبات الله التي هي عند النصارى الانجيل والقربان

ويؤيد قولنا الشرحُ الوارد في لسان العرب(٦: ٥٩) وفي تاج العروس(٣: ٢٨٩) لبيتي عدي والعجّاج: «الشبَر شيء يتعاطاهُ النصارى بعضهم لبعض كالقربان يتقرَّبون بهِ او القربان بعينهِ. ونقل الصاغاني عن الخليل انَّ الشَّبَر شيء تُعطيه النصارى بعضهم بعضاً كأَنَّهم كانوا يتقرَّبون بهِ... وقيل الانجيل»

فترى من هذه الشروح انَّ العجّاج وعدي بن زيد ضَرَبا عن وَتَر واحد وانَّ كليهما يدين بالنصرانيّة. واللفظة على ما نظنّ سريانيّة فان كانت بمعنى الانجيل فهي «ܣܒܪܬܐ» يراد بها البشرى وهذا معنى لفظة الانجيل في اليونانيّة. وان كانت بمعنى القربان فهي «ܣܘܒܪܬܐ» ومعناها القوت والغذاء اي قوت النفس والقربان

هذا ولا نجهل انَّ بعض الرواة رووا كلمة العجّاج «بالخَبَر وبالخِيَر» وكلاهما بعيد او تصحيف فالخَبَر الاثر او السرور امّا الخَيَر على فَعَل او الخِيَر على فِعَل بلفظ الجمع فلا ذكر لهما في المعاجم. ما لم يُقَلْ انَّ الخِيَر جمع خِيَرة اي المختار ولا شكَّ في انَّ العجّاج نظر الى قول عديّ السابق ذكرهُ. ولاسيَّما انَّ اقدم رواية هي «الشَّبَر» راقية الى الخليل في القرن الثاني للهجرة

ولسنا نقصد بقولنا هذا ان نصرانيّة العجّاج كانت خالصةً لا غبار عليها فكما ترى هنا اثر نصرانيَّتهِ تجد ايضاً في شعرهِ آثاراً اسلاميّة منها في قصيدتهِ الرائيّة المذكورة حيث يذكر نبيّ الاسلام بقولهِ :

محمَّدًا واختارهُ اللهُ الخِيَرْ ... فما وَنَى محمَّدٌ مذ ان غفرْ
لهُ الالهُ ما مضى وما غبرْ ... أن أظهر الدينَ بهِ حتى ظَهرْ

وقيل (في الاغاني ٢١ : ٨٥) انَّ العجّاج انشد ابا هُرَيرة صحابيَّ محمّد قولهُ الذي وصف فيها الخالق واعمالهُ ويوم الحساب واهوالهُ وهو موافق لمعتقد النصارى :

الحمدُ لله الذي تَعَلَّتِ ... بأمرهِ السماءُ واستقلَّتِ
بإذنهِ الارضُ وما تعنَّتِ ... أرسى عليها بالجبال الثُّبَّتِ
وَحى لها القرارَ فاستقرَّتِ ... ربُّ البلاد والعباد القُنَّتِ
والجاعلُ الغَيْثَ غِياثَ المُسْنِتِ (١ ... والباعثُ الناس ليوم المَوْقِتِ
بعد المات وهو مُحْيي المُوَّتِ ... يومَ ترى النفوسُ ما أعدَّتِ
من نُزُلٍ (٢ اذا الامور غَبَّتِ ... من سَعْيِ دنيا طال ما قد مُدَّتِ
حتى انقضى قضاؤها فأدَّتِ ... الى الإلهِ خَلْقَهُ اذ طمَّتِ (٣
غاشيةُ الناسِ التي تَغَشَّتِ (٤ ... يومَ يَرى المرتابُ أن قد حُقَّتِ
اذا رأى مَتْنَ السماء انقدَّتِ ... وَحْيَ الالهِ والبلادَ رُجَّتِ
وهو الذي أنعمَ نُعْمى عمَّتِ ... دافعَ عنّي بنُقَيْرٍ (٥ مُوتَتي

١) المُسْنِت الذي اصابهُ الجَدْب من اسنَتَ القوم اذا اجدبوا
٢) النزل طعام الضيف يريد بهِ الاعمال الصالحة
٣) اذ طمَّتهم اي دفنتهم في التراب
٤) الغاشية الهلاك . وتغشَّاهُ غطَّاهُ ٥) النُّقَير تصغير نَقَر هو فَقْد المال

بعدَ اللَّتيَّا واللتيَّا والَّتي (١ | اذا علتْها أنفسٌ تردَّتِ
فارتاعَ ربِّي وارادَ رحمتي | ونعمةً أتمَّها فتمَّتِ
فردَّها عني وقد أعدَّتِ | أظفارَها ونابَها وحدَّتِ

فأساً ومِسْحاةً لنحتِ جِبلَّتي

فلمَّا سمع ابو هريرة انشادهُ قال: اشهد انك تؤمن بيوم الحساب. وللعجّاج آثار دينيّة تراها آنفاً

﴿ديوانهُ﴾ قد نجا ديوان العجّاج من الضياع. وكان اوّل من اهتمّ بجمعهِ الاصمعيّ وابو عمرو الشيباني كما روى ابن النديم في الفهرست (ص١٥٨). واما اخبارهُ واخبار ابنهِ رؤبة فجمعها عبد العزيز الجُلودي من اهل البصرة. وفي المكتبة الخديويَّة نسخة من هذا الديوان نقلها العلّامة وليم بن الورد (W. Ahlwardt) فنشرها مع ترجمتها الالمانيّة في برلين سنة ١٩٠٣

وها نحن نقتطف من اراجيزهِ بعض المقطّعات تنويهاً بفضلهِ فمنها قولهُ مستثنياً ومستغفرًا ثمَّ ذاكرًا ويلات الحرب:

يا ربِّ ربَّ البيتِ والمُشرَّقِ | والمُرقِلاتِ كلَّ سَهْبٍ سَمْلَقِ (٢
ايَّاكَ ادعو فتقبَّلْ مَلَقي (٣ | فاغفرْ خطاياي وثمِّرْ ورَقي
انَّا اذا حربٌ غدَتْ لا تتَّقي | دَيناً ولا مستأخِرًا لم يَلحقِ
تَرُدُّ حدَّ النابِ منها الأَزْوَقِ | في كلِّ يومٍ كاللّيَاحِ الأَبْلَقِ (٤
والحُمْسُ قد تعلمُ يومَ مُلْزَقِ | انَّا نقي احسابَنا ونَنْتقي (٥

١) اللَّتيا والتي المصيبة والداهية
٢) المُشرَّق مصلَّى العيد. والمُرقِلات السَّهْب اي الابل القاطعة الفلاة. والسَّمْلَق الصحراء
٣) اي تقبَّلْ دعائي واصل المَلَق الودّ واللطف
٤) الناب الأَزْوَق اي ذو الزَّوَق وهو طول الثنايا العليا على السُّفلى. والليَاح الصبح. والأَبلق الذي يختلط سوادهُ ببياضهِ ٥) الحُمْس جمع أحمَس الشجاع. المُلزَق القتال. ونَنتقيهِ نختبسهُ

بالمَشرَفيّات افتخارَ الأحمقِ اذ هَمَّتِ الذُّهلانُ بالتفرُّقِ(١
بعد جخيفِ البَغْيِ والتعمّقِ دارَت رَحانا ورحاهم تستقي(٢
سِجالَ موتٍ مَنْ يَخُضْها يغرَقِ

وقال يذكر حُسْن سيرتهِ وعفافهُ :

يا ربِّ اذ شدَدْتني عِقالا ولو تَشاء أسرَعَ انحلالا
ان كنتَ قد غيَّرتَ حالي حالا من كِبَرٍ قد أوهن الأوصالا
فلم أكُن استنطقُ العُذّالا من أن يَرَوني للخَنا قوّالا
ولم أكُن لجارتي غوّالا ولم أكُن في جَنْبها جهّالا
ولم أكُنْ أُخادعُ الضُّلّالا ولا لِما حرَّمْتَهُ أكّالا
ولا لبَيْتِ جارَتي ختّالا بعد المَنام ابتغي الإدْغالا(٣
تَبَغّياً ما ليس لي حَلالا على الإله الباعثِ الأثقالا
يُعقِبُني من جَنَّةٍ تظلّالا(٤ وقد يثيبُ الصابرَ النّوالا

ومن اقوالهِ ايضاً يذكر صفاتهِ تعالى :

فالحمدُ لله العليِّ الأعظمِ ذي الجَبَروت والجلالِ الأفخمِ
وعالمِ الإعلانِ والمُكتَّمِ وربِّ كلِّ كافرٍ ومُسلمِ
والساكن الارض بأمرٍ مُحكَمِ بَنى السماواتِ بغيرِ سُلَّمِ

---

١) اراد بالأحمق الذي لا يُبالي بأهوال الحرب. وبالذُّهلان الجُبناء

٢) الجخيف الافتخار الباطل. والرحى حومة الحرب

٣) الختّال الخدّاع. والإدغال الخيانة ٤) التّظلالا من المصادر النادرة كالتظليل

وربَّ هذا البلَـدِ المحرَّمِ والقاطناتِ البيتَ غيرَ الرُّيَّمِ (١

من عهد ابرهيمَ لمَّا تُطْسَمِ

ومن مديح العجَّاج قولهُ في يزيد بن معاوية :

فقد رأى الرَّاؤون غَيْرُ البُطَّلِ أنَّك يا يزيدُ يا ابنَ الأَفحَلِ (٢

اذ زُلزِلَ الاقوامُ لم تُزَلزَلِ (٣ عن دينِ موسى والرسول المُرسلِ

اذ طارَ بالناس قلوبُ الضُّلَّلِ (٤ قتلًا وإضرارًا بمن لم يُقتَلِ

وكنتَ سيفَ الله لم يُفَلَّلِ يَفْرَعُ احياناً وحيناً يَختلي (٥

سوالفَ العادينَ هَذَّ العُنْصُلِ والهامَ والبَيْضَ انتقافَ الحَنظَلِ (٦

حتى ارفأَنَّ الناسُ بَعْدَ المِجْوَلِ وبعد تَشْوَالِ الحروبِ الشُّوَّلِ (٧

تفادياً منك ولم تُفَلَّلِ

وقال يمدح الوليد بن عبد الملك وكان يكنَّى بابي العبَّاس :

كم قد حَسَرْنا من عَلاةٍ عَنْسِ كَبْدَاءَ كالقَوْسِ وأُخرى جَلْسِ (٨

---

١) الرُّيَّم جمع رائم من رام المكان اذا فارقَهُ

٢) الأَفحل الاكرم ٣) زُلزِل القوم اضطربوا

٤) الضُّلَّل جمع الضالّ المتشتّت المنهزم

٥) فَلَّلَ السيفَ ثلَمهُ . ويفرَع يعلو فوق رؤوس العدوّ . ويختلي يجزُّ ويقطع

٦) السَّوالف مفعول يختلي جمع سالفة وهي صفحة العُنق . والهَذُّ القَطع السريع . والعُنصُل البصل البرّي وانتقفَ الحَنظَل كسرهُ عن حبّهِ استعارهُ لكسر الرؤوس

٧) ارفأَنَّ سكن وهدأ . المِجْوَل كرَّة الحرب . وتَشْوال الحرب هيجانها

٨) حَسَرَ العَلاةَ اي ساقَ الناقة سوقًا شديدًا . والعَنْس الناقة الصلبة الجسم . ويقال قوسٌ كبداء اذا ملأَ مقبضُها الكفَّ . والناقة الجَلْس الوثيقة الجسم

حتى احتضَرْنا بعد سَيْرٍ حَدْسِ ... إمامَ رَغْسٍ في نِصابٍ رَغْسِ (١

رأسَ قِوامِ الدينِ وابنَ رأسِ ... خليفةً ساسَ بغير فَجْسِ (٢

في قِنْسِ مَجْدٍ فاتَ كلَّ قِنْسِ (٣ ... ملَّكهُ اللهُ بغير نَحْسِ

قد علمَ القدُّوسُ رَبُّ القُدْسِ ... انَّ أَبا العبَّاس أَوْلى نَفْسِ

بمَعْدِنِ المُلْكِ كريمِ الكِرْسِ ... فُرُوعِهِ واصلِهِ المُرَسِّي (٤

وقال في بني مَرْوان :

انَّ بني مَرْوانَ ضرَّابو البُهَمْ ... والقاتلون مَن عَصَى اذا اعتقَمْ (٥

ديناً سوى الحقِّ الى أَمرٍ أَمَمْ ... كلُّهُمُ يُنمَى الى عِزٍّ أَشَمّْ (٦

وقال يفتخر بقومهِ :

قد علمَتْ بكرٌ وسعدٌ تعلَمُهْ ... لَنصرَعَنْ ليثاً يُرِنُّ مأتمُهْ (٧

نطعَنُهُ نَجلاءَ فيها أَلَمُهْ ... يجيشُ من بين تراقيهِ دَمُهْ

كمِرجَلِ الصبَّاغ جاشَ بَقَّمُهْ (٨

---

١) السَّير الحَدْس هو السريع. واحتضَرَ كحَضَرَ. الرَّغْس النعمة والبركة خصَّها بالإمام اي الخليفة الوليد. والرَّغس المشي البطيء من الإعياء

٢) الفَجْس الكِبر والتعظُّم

٣) القِنْس أعلى الرأس والذُّروة

٤) كريم الكِرْس اي كريم الاصل. والمُرَسِّي المتأصّل

٥) البُهَم الشجاع. اعتقم الرجل الى الشرّ تردَّد اليهِ

٦) الامر الأَمَم الواضح البيّن. والأَشمّ العالي الشرَف

٧) يُرِنُّ مأتمُهُ اي يكون لموتهِ رنَّة حزن وصراخ

٨) الطعنة النَّجلاء الواسعة. وجاش الدم انصبَّ بغَلَيان. ثم شبَّهه بغليان خشب البَقَّم الذي يطبخهُ الصبَّاغ ليصبغ بطبخهِ

ومن حسن اقوالهِ وصفهُ لليلةٍ قضاها بالالم والسهاد :

وليلةٍ من الليالي مَرَّتِ بكابدٍ كابدتُها وجَرَّتِ (١

كَلْكَلَها لولا الإلـهُ ضَرَّتِ في ظُلَمٍ أزَلَّها فزَلَّتِ (٢

عنّي ولولا اللهُ مـا تجلّتِ بتُّ لها يَقْظانَ واُقْسأنَّتِ (٣

اذا رجوتُ ان تُضِيء اسودَّتِ دون قُدامَى الصُّبْحِ فارجحَنَّتِ (٤

منها عَجاساء اذا ما التَجَّتِ حَسِبتُها ولم تَكُرّ كَرَّتِ (٥

كأنّما نجومها اذ وَلَّتِ زَوْرًا تباهي الغَوْرَ اذ تدلَّتِ (٦

ومن اقوالهِ الدينيَّة قولهُ يذكر العمل الصالح وجزاءهُ عند الله :

يعلَمُ والعالِمُ لا كالأجهَلُ أنَّ حسابَ العَمل المُحَصَّلِ

والأوْلى من غِبِّ الامور الأُوَّلِ عند الاله يومَ جَمْع العُمَّلِ

بمَجْمع الحساب والمُزَيَّلِ (٧ وأنَّ خيرَ الخَوَلِ المخوَّلِ

فَلذُ العطاء في الحقوقِ النُّزَّلِ

وقال في مثل ذلك :

لا اشتمُ المرء الكريم المُسْلما ولا أرى شَتْمَ البريء مَغْنما

---

١) الكابد المكابدة والمشقَّة

٢) الكَلْكَل الصدر. واستعار جرّ الداهية بكلكلها لحلول مصائبها . وأزلَّها اي الله أزلَقَها ونحّاها ٣) اقسأنَّت اشتدَّت وصَعُبت

٤) قُدامى الصبح لوائحهُ الاولى . ارجحنَّت مالت واهتزَّت

٥) العجاساء ظلمة الليل . والتجَّت اي التبست واشتدَّ ظلامها

٦) ولَّت زَوْرًا اي ولّت بزَوْرها اي صدرها ٧) المُزيَّل هنا المختار

ولا ابنِ عمّي أن أراهُ مُفْحَما وجارةُ البيتِ أراها مُحْرَمَا(١

كما قضاها اللهُ إلّا إنّما مكارمُ السَّعْي لمن تكرّما

مَخافةَ الله وعلماً انّما يَجزي المُجازي عاملًا ما قدّما

ومن التشابيه النصرانيَّة قولهُ يصف بقرة وحشٍ :

واعتَادَ أَرْباضاً لها آرِيُّ من مَعْدِنِ الصِّيرانِ عُدْمُلِيُّ

كما يعودُ العيدَ نصرانيُّ وبيعَةً لسُورها عِلِيُّ(٢

فمن هذه الامثلة يلوح للقرّاء ما صار اليهِ شعر الرَّجز في عهــد بني اميَّة اذ بلغ الغــاية من المتانة والتبسُّط وكان للعجّاج في ذلك السهم الفائز وعلى اثرهِ جرى ابنهُ رؤبة من بعدهِ وعاش الى زمن دولة بني عبّاس ولا نعرف من نصرانيَّتهِ شيئاً كما ظهر من شعر والدهِ ولعلّهُ لم يثبت على دينهِ او جمع بينهُ وبين الدين المحمّــدي كما وقع لغيرهِ من نصارى عهــد الاسلام الاوَّل الذين لم يستقرّوا على رأي فتقلَّبوا على حسب احوال الزمان والله اعلم

وبهذه الترجمة نختم هذا القسم من شعراء النصرانية بعد الاسلام في ايَّام بني اميّة . وسنتبعهُ ان شاء الله بقسم ثالث نخصهُ بالشعراء النصارى في عهد بني عبَّاس

---

١) المُفحم المنقطع صوتُهُ لكثرة البكاء . مُحْرَم اي معدودة حراماً

٢) اي اعتاد هذا البقر السَّير في نواحيَ ذات بطون وحزون ووصفهُ بكونــهِ من خير الصيران . والصيران جمع صَوْر وهي جماعة البقر . والعُدملي التقدّم في السنّ . ثمَّ شبَّههُ بالنصراني المتردِّد في الاعياد الى كنيستهِ ذات السور المرتفع العليّ

فهرس

القسم الثاني من شعراء النصرانيّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الامويّة

كتاب

شعراء النصرانيَّة

بعد الاسلام

القسم الثالث

شعراء الدولة العبَّاسيّة

تأليف

الاب لويس شيخو اليسوعي

(ظهر تباعاً في مجلة المشرق)

طُبع

في مطبعة الآباء اليسوعيّين

بيروت

سنة ١٩٢٦

القسم الثالث

مقدمة

قد تعدَّد الكتبة النصارى في زمن بني عبَّاس (١٣٢-٦٥٦هـ = ٧٥٠-١٢٥٨م اعني في الخمسة الاجيال التي ثبتت الخلافة في عهدتهم في بغداد عاصمة العراق. على ان معظم اولئك الكتبة خدموا الدولة في ما كانت اليهِ الآداب العربيَّة امسَّ حاجة فانقطعوا الى العلوم الفلسفيَّة والطبيَّة وتهافتوا على درس الآثار القديمة فنقلوا معظم تآليف اليونان وكثيرًا من تآليف الرومان والسريان الى العربيَّة فوسَّعوا بذلك نطاق معارف العرب ومهَّدوا لهم الطريق الى تلك النهضة الادبيَّة التي امتازوا بها في القرون الوسطى

على ان النصارى لم يهملوا مع ذلك درس اللغة العربيَّة وفنونها اللسانيَّة من نثر وشعر لولا ان كوارث الدهر قد اضاعت كثيرًا منها. وها نحن في هذا الجزء ندوّن ما وجدناهُ من ذلك متفرّقًا في كتب الادباء وخزائن المخطوطات الدوليَّة

١ أبو قابوس الشاعر النصراني

﴿اصلهُ وجنسهُ﴾ لا نعلم عن اصل ابي قابوس وجنسهِ الَّا النزر القليل الذي لا يروي غليلًا. وجدنا في احد مخطوطات مكتبة باريس العموميَّة (Ms de Paris, 2107, ff. 41) الذي عنوانهُ احسن المسالك لاخبار البرامك ليوسف بن محمَّد البلوي انَّ ابا قابوس كان اسمهُ عمرو بن سليمان وابو قابوس كُنية. والقابوس في اللغة الرجل الجميل الوجه الحسن اللون. وبهِ تكنَّى ابو قابوس النعمان بن المنذر ملك الحيرة. وجاء في مخطوط آخر وهو كتاب الكواكب السنيَّة في شرح القصيدة المقَرِّيَّة للادهمي

(Ms de Paris 1534, pp. 100) انَّهُ كان حيريًا وقد تصفَّح هذا النسب في تحفة المجالس للسيوطي (ص ١٧٥) فسمَّاهُ ابا قابوس الحميري وكان ينتمي الى بني شيبان

﴿زمانهُ ودينهُ﴾ عاش ابو قابوس في عهد هارون الرشيد في اواخر القرن الثامن للميلاد ولم يُرْوَ لمولده وموتهِ تاريخ. امَّا دينهُ فالنصرانيَّة لا شك فيهِ كما صرَّح كثيرون بالامر منهم ابن الرشيق في العمدة (ص ٣٣) قال: «كان ابو قابوس الشاعر رجلًا نصرانيًّا من اهل الحيرة» وكذا قال الشريشيّ في شرح مقامات الحريري (١: ٦٤) وابو بكر احمد البغدادي في تاريخ بغداد في مكتبة باريس (Ms, de Paris, 2128, ff. 80) وغيرهم

﴿اخبارهُ﴾ كان ابو قابوس شاعرًا منقطعاً الى البرامكة كالرقاشي الشاعر واشجع السُّلَمي وجحظة البرمكي. وتقرَّب بهم الى الخليفة هارون الرشيد. ومن اخباره ما رواهُ صاحب تاريخ بغداد ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي (ص ٨٣ من نسخة باريس) قال: «قال ابو قابوس النصرانيّ: دخلتُ على جعفر بن يحيى في يوم بارد فاصابني البرد فقال: يا غُلام اطرح عليهِ كساء من أكسية النصارى. فطرح عليَّ كساء من خزّ قيمتهُ الف دينار. (قال) فانصرفتُ الى منزلي فاردتُ ان اكتسيَهُ في يوم عيدٍ فلم أُصِبْ لهُ في منزلي ثوباً يشاكلهُ فقالت لي بُنَيَّة لي: اكتب الى الذي وهبَهُ لك حتى يرسل اليك بما يشاكلهُ من الثياب فكتبتُ اليهِ (من الطويل):

ابا الفَضْل لو أبصرتَنا يومَ عيدنا ... رأيتَ مُباهاةً لنا في الكنائسِ

كان ذاك المِطْرَفُ الخزُّ جُبَّةً ... لَباهيتُ اصحابي بها في المجالِسِ

جُبَّةٌ من جِبابِكم ... ومن طيلَسانٍ من خيار الطَّيالسِ

وهيٌ وثوبِ غلالةٍ ... ولا بأس إنْ أتبعتَ ذاك بخامسِ

اب في العيد خمسةٌ ... كفَتْك فلم تحتَجْ الى لُبْس سادسِ

افرطتُ فيما سألتُهُ ... وما كنتُ لو افرطتُ منهُ بآيسِ

لانَّ الشعرَ يَزْدادُ حمدُهُ ... اذا ما البِلى أبلى جديد الملابسِ

قال فبعثَ اليهِ جعفر حين قرأ شعرَهُ بتخوتٍ خمسة من كل نوع تختاً

وجاء في اخبار البرامك للبلوي وفي شرح مقامات الحريري للشريشي (١ : ٦٤) انَّ يحيي بن خالد كان اذا وعد انجز وينقدُ سريعاً ما وعد . ومن اقوالهِ : من لم يَبِتْ مسروراً بوعدٍ لم يجد للصنيعة مطعماً . فدخل عليهِ ابو قابوس النصراني فانشدهُ (من البسيط) :

رأيتُ يحيي أتمَّ اللهُ نعمتَهُ عليهِ يأتي الذي لم يأتهِ أحدُ
يَنْسى الذي كان من معروفهِ ابدًا الى الرجالِ ولا يَنْسى الذي يَعِدُ

فاجازه يحيي بجائزةٍ سنيَّة وقضى حوائجهُ

﴿ديوانهُ وشعرهُ﴾ لم نجد في مخطوطات المكاتب ولا في كشف الظنون للحاج خليفة ذكرًا لديوان صنَّفهُ ابو قابوس الحيري . وانَّما جاء في فهرست ابن النديم (ص ١٦٣) في باب اخبار العلماء وما صنَّفوهُ من الكتب ما حرفهُ : « ابو قاموس الشيباني مائة ورقة » يريد انَّ ديوانهُ يبلغ مائة ورقة . اما قولهُ « ابو قاموس » فتصحيف « ابو قابوس » كما يظهر . ومنهُ يستدلّ على انهُ كان من بني شيبان الذين كانوا يحتلّون الحيرة

ومن شعرهِ ما رواهُ ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني (٣ : ١٢٦ - ١٢٩) يذكر مهاجاة ابي قابوس للعتَّابي وتحامُل ابي العتاهية على ابي قابوس قال : لمَّا هاجى ابو قابوس النصراني كلثومَ بنَ عمرو العتَّابي جعل ابو العتاهية يشتم ابا قابوس ويضع منهُ ويفضّل العتابي عليهِ فبلغهُ ذلك فقال فيهِ (مجزوء الكامل) :

قُلْ للمُكَنّي نفسَهُ متخيّرًا بعَتاهِيَهْ
والمُرسِلُ الكَلِمَ القبيحَ وعَتْهُ أُذْنٌ واعِيَهْ
ان كنتَ سِرًّا سُؤْتني او كان ذاكَ علانيهْ
فعليك لعنةُ ذي الجلال وامُّ زيدٍ زانيَهْ

يعني امَّ ابي العتاهية وهي امُّ زيد بنت زياد فقيل لهُ : اتشتمُ مسلماً ؟ فقال : لم اشتمه وانَّما قلت :

فعليك لعنةُ ذي الجلا ... لِ ومن عنينا زانيهْ

وافضلُ من ذلك قولهُ لمّا اوقع هارون الرشيد بجعفر. قال البغداديّ: « وما انقضت الأيّام حتى قُتل جعفر بن يحيي وصُلب عند جسر بغداد فرأوا ابا قابوس تحت جذعهِ يزمزمُ فاخذهُ صاحب الحرَس وادخلهُ على الرشيد فقال لهُ: ما كنتَ قائلًا تحت جذع جعفر؟ قال: أتنجيني منك للصدق؟ قال: نعم. قال: ترحَّمتُ والله عليهِ. ثمَّ انشدهُ يشفع عندهُ للفضل بن يحيي (من الوافر):

أمينَ اللهِ هَبْ فَضلَ بنَ يحيي ... لنفسك ايها الملكُ الهُمامُ (١

وما طلَبي اليك العفوَ عنهُ ... وقد قعَدَ الوشاةُ بهِ وقاموا (٢

أرى سببَ الرضى عنهُ قويًّا ... على اللهِ الزيادةُ والتَّمامُ

نذرتُ عليهِ فيهِ صيامَ شهرٍ ... فان تمَّ الرضى وجبَ الصيامُ

وهذا جعفرٌ بالجسر تمحو ... محاسنَ وجههِ ريحٌ قتامُ

اقولُ لهُ وقمتُ لديهِ نصباً ... الى ان كاد يفضحني القيامُ:

أما واللهِ لولا خوفُ واشٍ ... وعينٌ للخليفةِ لا تنامُ

لَطُفْنا حول جِذْعِكَ واستلَمْنا ... كما للناس بالحَجَر استلامُ (٣

فما شاهدنا قبلك يا ابنَ يحيي ... حُساماً فَلَّهُ قبلًا حسامُ (٤

عُقابُ خليفةِ الرحمان فخرٌ ... لمن بالسيفِ عاقبهُ الهمامُ (٥

١) ويروى: أيُّها الفضلُ الهمامُ

٢) ويروى: وقد قعد الوشاةُ بنا

٣) ويروى: بالركن استلامُ

٤) رواهُ في العُمْدة:

وما ابصرتُ قبلك يا ابن يحيي ... حساماً قدَّهُ السيفُ الحسامُ

٥) ويروى: عانقهُ الهمامُ. ويروى: اوضعهُ الهمامُ ويروى: حساماً حتفهُ السيفُ الحسامُ

على الدنيا وساكنها جميعاً لـدولـةِ آل برمـكٍ السلامُ

قال ابن الرشيق في العمدة (ص ٣٣) : وقد اختلط هذا الشعر بشعرين في وزنهِ ورويّهِ ومعناهُ احدهمـا لاشجع السُّلَمي والآخر لسليمان (الاعمى) اخي (مسلم بن الوليد) صريع الغواني فالناس فيهِ مختلفون وهذه صحّتهُ . (قال) فانظرْ الى تجـاسرهِ على مثل هذا الامر العظيم من الشفاعة والرثاء

واردف البغدادي قائلاً : «ولمّا سمع هارون الرشيد هذه الابيات اطرق مليًّا ثمَّ قال : رَجُلٌ اولى جميلاً فنال بهِ جميلاً . يا غُلام نادِ بامان ابي قـابوس وألّا يُعرّض لهُ . ووصّى حاجبهُ ألّا يحجبهُ عنهُ

هـذا ما رواهُ ابن الرشيق وابو بكر البغداديّ . وقـد ذكر في الاغـاني (١٥ : ٣٦) اربعة من اواخر ابيات القصيدة الميميَّة السابقة للرقاشي الفضل بن عبد الصمد الشاعر . وروى عنهُ انهُ قـال تلك الاشعار عند جـذع جعفر وان الرشيد احضره كما مرَّ الخبر عن ابي قابوس ثمَّ سألهُ : وكم كان يُجري عليك ؟ قال : الف دينار في كل سنة . قال : فانّا قد اضعفناها لك

وقصيدة ابي قابوس مرويّة ايضاً في كتاب جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام من مخطوطات ليدن (Ms Leiden, CCCCXI ff.107r) لعميد الدين ابن الغنائم مسلم ابن محمود الشيرازي امّا رواية القصيدة لسليمان الاعمى فوردت في العقد الفريد لابن عبـد ربّه (٣ : ٣٢) على الصورة الآتية نذكرها تتمّةً للافادة :

هدا الخالونَ عن شَجْوي وناموا وعيني لا يُلائمُها منامُ
وما سَهَري بأني مستهـامٌ اذا سهرَ المُحبُّ المُستهـامُ
ولكنَّ الحوادثَ أرَّقـتني فبي أرَقٌ اذا انقطعَ الغَمـامُ
فقلتُ وفي الفؤادِ ضريمُ نارٍ وللعَبَراتِ من عيني انسجـامُ
على المعروف والـدنيا جميعًا ودولةِ آلِ برمـكٍ السلامُ
جزعتُ عليك يا فَضْل بن يحيى ومن يجزع عليـك فـلا يُلامُ
هوَتْ بك انجمُ المعروفِ فينا وعزَّ بفقدك القومُ اللئـامُ
ومـا ظلَمَ الالهُ اخاك لكن قضاءٌ كان سبَّبَهُ اجترامُ
عِقابُ خليفةِ الرحمـان فخرٌ لمن بالسَّيْف صبَّحهُ الحِمامُ

عَجِبتُ لِما دها فَضْلَ بن يحيى … وما عجبي وقد غضبَ الإمامُ
جرى في الليلِ طائرُهم بنَحْسٍ … وصَبَّحَ جعفرًا منهُ اصطلامُ
ولم أرَ قبل قَتْلِك يا ابن يحيى … حسامًا قدَّهُ السيفُ الحسامُ
يَرَيْنَ الحادثاتُ لهُ سِهامًا … فنالَتْهُ الحوادثُ والسهامُ
وانَّ الفضلَ بعد رداءِ عزٍّ … غدا ورداؤهُ دالٌ ولامُ
فقل للشامتين بهِ جميعًا … لَكُمْ امثالُها عامٌ فعامُ
امينَ اللهِ فدِ الفضلَ بن يحيى … رضيعك والرضيعُ لهُ ذِمامُ
ابا العبّاسِ انَّ لكلِّ همٍّ … وان طال انقراضٌ وانصرامُ
ارى سَبَبَ الرضاء لهُ قَبُولٌ … على اللهِ الزيادةُ والتمامُ
وقد آليتُ معتذرًا بنَذْرٍ … ولي فيما نذرتُ بهِ اعتزامُ
بأن لا ذقتُ بعدكمُ مُدامًا … وموتي أن يفارقني المدامُ
أألهو بعدكم وأقرُّ عينًا … عليَّ اللهوُ بعدكمُ حرامُ
وكيف يطيبُ لي عيشٌ وفضلٌ … اسيرٌ دونَهُ البلد الشآمُ
وجعفر ثاويًا بالجسر بلَّتْ … محاسنَهُ السمائمُ والقتامُ
أمُرُّ بهِ فيغلبني بكائي … ولكنَّ البكاء لهُ اكتتامُ
اقول وقمتُ منتصبًا لديهِ … الى أن كاد يفضحني القيامُ
أما واللهِ لولا خوفُ واشٍ … وعينٌ للخليفةِ لا تنامُ
لَطُفْنا حولَ جذعكَ واستلَمْنا … كما للناس بالحجرِ استلامُ

وقد روى في جمهرة الاسلام (f. 63) رثاء آخر لابي قابوس قالهُ في اخيهِ سعيد ويروى هناك انَّ الاصمعيَّ فضَّلهُ على شعر محمَّد بن مناذر بل على شعر جرير والفرزدق والاخطل اوَّلهُ (من الطويل):

فما أُمُّ سَقْبٍ اودَعتهُ قَرارةً … من الارض وانساخت لتَروى وتهجعا

الى ان قال بعد وصف حزن الناقة على حوارها بتسعة عشر بيتًا:

بأَوجعَ مني يا سعيدُ تحرُّقًا … عليك ولكن لم أجدْ عنك مدفَعا
فلو أنَّ شيئًا في لقائك مُطمِعٌ … صبرتُ ولكن لا ارى فيهِ مُطْمعا

فأقسمُ لا تنفكّ نفسي شجيَّـةً عليك ووجهي حائلَ اللون أسفعا
وقد كنتُ أَلحي مَنْ بكى لمصيبةٍ فها انا ذا قد صرتُ ابكي وأجزعا
وقد قَرَّعتْني الحادثاتُ ورَنّتها بثـكْلك حتى لم اجدْ بيَ مَقرعا
وقد كنتُ مغبوطاً وقد كنتُ مُصعَباً فاصبحتُ مرجوماً لفقدك أخضعا
وقد كنتَ لي أنفاً حمياً فغالني بك القَدَرُ الجاري فأصبحتُ أجدعا
فلو انّ طودًا من تِهامَةَ ضافَهُ من الوَجد ما قد ضافَني لَتضعضعا
فيا سيّدًا قد كان للحيّ عصمةً ويا جَبلًا قد كان للحيّ مَفْزعا
رُزيتُ بهِ خير الرزايا ولم أجدْ لهُ خلَفاً في الغابرين فأقنعا
وأبيضَ وضّاحِ الجبين كأنّهُ سنا قَمَرٍ أوفى مع العشرِ أربعا
قطيعَ لسان الكلْب عن نَبْح ضيفهِ موطَّأَ اكنافِ الرواقِ سَمَيْدعا
ومجتنباً للقول في غير حينهِ حِفاظاً وقوّالًا اذا قال مِصْقعا
يصونُ ببَذْل المالِ نفساً كريمةً وعرضاً حمى عن كل سوءٍ ممنَّعا
فتى الخير لم يهجُم بغَدْرٍ ولم يُعَبْ بعَجْزٍ ولم يَمْدُدْ الى الذمّ إصْبعا
ولا غابَ الّا نافسَ القومُ بينهم ولا آبَ إلّا كان للحيّ مِقْنَعا
ومـا زال حَمّالًا لكلّ عظيمةٍ الى ان قضى من نحبهِ مذ ترعرعا
فتى كان لا يدعو الى الشرّ نفسهُ فان جاءَهُ الشرُّ امتطاهُ فأوضعا
ويركبُ صعبَ الامر حتى يرُدَّهُ على عقبٍ منهُ ذلولًا موقَّعا
رأتْهُ المنايا خيرَنا فاخترَمْنَهُ وكنَّ بتعجيلِ الأخايرِ سُرَّعا

ومنها :

تَرَى الناسَ ارسالًا اليهِ كأَنّما تضمَّن ارزاقَ العُفاةِ لهم معا
فمِن صادرٍ قد آبَ بالريّ حامدٍ ومن واردٍ شاحٍ بفيهِ ليَكْرَعا
ويوماً تراهُ يسحبُ الوَشي غادياً ويوماً تراهُ في الحديد مقنَّعا
اذا نال من اقصى مدى المجد غايةً سما طالبًا من تلك اسنى وأرْفعا
أَجلٌّ عن العُور الهواجر سمعَهُ ووقّرهُ مِنْ ان يُقالَ فيسمعا
له راحةٌ فيها حَياً لصديقهِ وأُخرى سقَتْ أَعداءَهُ السمّ مُنقعا
فما فُجع الاقوامُ من رُزئها لك بأَعظمَ ممَّا قد رُزئتَ وأفظعا
ومن طاب نفساً عن اخٍ لوداعه فما طبتُ نفسًا عن اخي يومَ ودَّعا
فوا عجباً للارض كيف تأَلّبتْ عليهِ ووارَتْ ذلك الفضلَ اجمعا
ويا بؤس هذا الدَّهرِ من ذي تلوُّنٍ وذي فَجعات ما أَفظّ وأَفظعا

هذا ما انتخبنا من هذا الرثاء وهو يبلغ ٩٠ بيتاً

٢ أسحق بن حُنَين

﴿اصلهُ ودينهُ﴾ هو ابو يعقوب اسحق بن ابي زيد حُنَين بن اسحق العبادي . كان ابوهُ حنين من اشهر اطبّاء عصره واجلّهم خدَمَ هارون الرشيد والخلفاء بعده . ونقل الى العربيَّة كتباً عديدة من تآليف اليونان . وكان عباديًّا والعِباد قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانيَّـة بالحيرة كما ورد في المعاجم العربيَّة وغيرها . والنسبة اليهم عِباديٌّ قال الشاعر يصف عباديًّا ساقي الخمرة :

يسقيكها من بني العباد رَشأٌ منتسبٌ عيدهُ الى الأَحَدِ

﴿اخبارهُ﴾ قال ابن العبريّ في تاريخ الدول (ص ٣٥٢) : «وكان لحنين ولدان داوُد واسحق فامَّا اسحق فخدم على الترجمة وتولّاها واتقنها واحسن فيها وكانت نفسهُ أَميَل الى الفلسفة وامَّا داود فكان طبيباً للعامَّة . وقال ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (١ : ١٨٨) : «كان لحنين ولدان داود واسحق وصنَّف لهما كتباً طبيَّة في المبادئ والتعليم ونقل لهما كتباً كثيرة من كتب جالينوس . فامَّا داوُد فاني لم اجد لهُ

شهرةً بنفسهِ بين الاطبَّاء ولا يوجد لهُ من الكتب ما يدلُّ على براعتـهِ وعلمهِ وان كان الذي يوجد لهُ انَّما هو كنَّاش واحد . وامَّا اسحق فانَّهُ اشتهر وتميَّز في صناعة الطبّ ولهُ تصانيف كثيرة ونقل من الكتب اليونانيَّة الى العربيَّـة كتباً كثيرة الَّا ان جُلَّ عنايتهِ كانت مصروفة الى نقل كتب الحكمة مثل كتب ارسطوطـاليس وغيره من الحكماء» . وقال جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٨٠) : « وكان اسحق قد خدم مَن خدم ابوهُ من الخلفاء والرؤساء وكان منقطعاً الى القاسم بن عُبيد الله (وزير المعتضد بالله) وخصيصاً بهِ ومتقدّماً عندهُ يُفشي اليهِ اسرارهُ» . وقال ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٠١) ولحق اسحقَ في آخر عمره الفالجُ وبهِ مات وتوفي ببغـداد في ايَّام المقتدر بالله وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٢٩٨ (٩١٠–٩١١م)

﴿آدابهُ وشعرهُ﴾ قال ابن النـديم في الفهرست (ص ٢٨٥) : «كان اسحق في نِجار ابيهِ في الفضل وصحَّة النقل من اللغة اليونانيَّة والسريانيَّة وكان فصيحاً بالعربيَّة يزيد على ابيهِ في ذلك . . . ولهُ من الكتب سوى ما نقل من الكتب القديمة كتابُ الادوية المفردة على الحروف . كتاب كنَّاش الخفّ . وكتاب تاريخ الاطباء» وقال ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٠٠–٢٠١) «ولاسحق حكايات واشعار مستظرفة ونوادر» . ورد هذا في نسخة برلين(Ms de Wetzstein, 323,fol. 182v) . وذكر من كلامهِ قولهُ « قليلُ الراح صديقُ الروح وكثيرُها عدوّ الجسم» . ثم قال : ومن شعرهِ يذكر كبار الاطباء ويفتخر بالطبابة (من الطويل) :

انا ابنُ الذين استُودع الطبُّ فيهمُ	وسُمّي بهِ طفـلٌ وكهلٌ ويافعُ
يُبَصِّرُني آرِسْتَطـاليسُ بارعاً	يقوّم منّي منطقٌ لا يُدَافعُ
وبُقْراطُ في تفصيل ما أَثبَتَ الأُلى	لنا الضرّ والاسقامَ طَبٌّ مضارِعُ
وما زال جالينوسُ يشفي صدورَنا	لِما اختلفَتْ فيهِ علينا الطبائعُ
ويحيى بنُ ماسَوَيهْ وأَهرُنُ قبلَهُ	لهم كتبٌ للنـاس فيها منافعُ
رأى انَّهُ في الطبّ نيلَتْ فلم يكن	لنا راحةٌ من حفظها واصـابعُ

(قال)ونقلتُ من خطّ ابن بُطلان في رسالتهِ المعروفة بدعوة الاطباء انَّ القاسم ابن عُبَيد الله وزير المعتضد بلغهُ انَّ ابا يعقوب اسحق قد شرب دواء مُسهلاً فأحبَّ مداعبَتَهُ وكان صديقاً لهُ فكتب اليهِ (من الهزج) :

أَبِنْ لي كيف أمسيتَ وكم كان من الحالِ
وكم سارت بك الناقةُ نحو المنزل الخالي

فكتب اليهِ اسحق بن حنين (الهزج) :

بخيرٍ كنتُ مسرورًا رخيَّ الحالِ والبالِ
فامَّا السَّيْرُ والناقةُ والمُرتَبَعُ الخالي
فإجلالُكَ أنسانِيهِ يا غايةَ آمالي

ثمَّ ذكر لهُ تآليف غير السابقة منها كتاب فيهِ ابتداء صناعة الطبّ واسماء جماعة من الحكماء والاطباء . وكتاب الادوية الموجودة في كل مكان . وكتاب اصلاح الادوية المسهلة واختصار كتاب اقليدس وكتاب المقولات وكتاب ايساغوجي وهو المدخل الى صناعة المنطق واصلاح جوامع الاسكندرانيين وشرح جالينوس لكتابَ الفصول لأَبقراط ومقالة في الاشياء التي تفيد الصحّة والحفظ ويمنع من النسيان ألَّفها لعبد الله ابن جمون وكتاب الادوية المفردة ومختصر كتاب صنعة العلاج بالحديد وكتاب آداب الفلسفة ومقالة في التوحيد

٣ سعيد التُّسْتري النصراني

❊نسبهُ واخبارهُ❊ اسمهُ ابو الحسن (ويروى : ابو الحسين) سعيد بن ابرهيم التُّسْتَري نسبة الى تُستَر او شوشتر من مدن خوزستان في العجم . ورد ذكرهُ في الفهرست لابي الفرج بن النديم (ص ١٣٤) قال : « ابن التستري . . . ويكنى ابا الحسين كان نصرانيا . قريب العهد من صنائع بني الفرات وهو وابوهُ يلزم السَّجْع في مكاتباتهِ » . ونقل الصفَدي هذا الوصف في وافي الوفيات (Ms. de Paris, 706, fol. 130r) وروى

عن ياقوت «انهُ كان يكتب لعليّ بن محمّد بن الفرات» وزير المقتدر بالله. واخبر هلال الصابي في تاريخ الوزراء (ص٣٣ ,éd. Amédroz) انهُ لمّا أوقف الخليفة المقتدر سنة ٣٠٦هـ (٩١٨م) ابا الحسن عليّ بن الفرات قُبض على التُستري مع مولاهُ واعتُقل عند نصر الحاجب. ثمّ أُفرج عنهُ وعاد مع ابي الفرات الى ديوان الكتابة ثمّ اعتُقل كلاهما ثانيةً سنة ٣١٢هـ (٩٢٢م) بعد وزارة ابن الفرات الثانية. وقد ذكرهُ الصابي في تاريخهِ (ص ٢٤٠) في جملة من كان يحضر مائدةَ الوزير ابن الفرات وما كان يجري فيها من العادات اللطيفة والآداب الشريفة في اكلهم وشربهم واصناف طعامهم وتأنقهم في مجالس الانس

﴿أدبهُ وشعرهُ﴾ قال ابن النديم (ص١٣٤): «والتُستري من الكتب كتاب المقصور والممدود على حروف المعجم وكتاب المذكّر والمؤنث على ذلك الترتيب. وكتاب الرسائل في الفتوح على هذا الترتيب ورسائل مجموعة في كلّ فنّ». وقد نقل الصفدي قولهُ هذا بالحرف عن ياقوت ثمّ اورد لهُ مقاطيع شعريّة كما يلي. قال يحضّ المرء على تسرية الهمّ عن نفسهِ (من السريع):

ما لك قد هيَّمك الهمُّ ... وضلَّ منك الحزمُ والفهمُ

لو رُمتَ ان يبقى الأذى ما بَقي ... لا فرحٌ دامَ ولا غمُّ

قال الصفدي: قلتُ: مثلُهُ قول القائل:

لا تسألِ الدهرَ في ضرّاء يكشفها ... فلو سألتَ دوامَ البؤس لم يدُمِ

ثم اورد لهُ في الغزَل (من المقتضب) (١:

قلتُ: زُوري. فأرسَلَتْ: ... أنا آتيك سَحْره

قلتُ: بالليل كان أخفى ... وأدنى مسرَّه

فاجابت بحجَّةٍ ... زادت القلبَ حَسْره:

١) هذه الابيات وما يليها في نسخة خطية من مكتبتنا الشرقية فيها شرح شواهد التنصيص (ص ١٤٥)

انا شمسٌ وانَّما تطلَعُ الشمس بُكْرَه

بكرة اي غدوةً . وروى ابو الحسن احمد بن عليّ البتيّ الكاتب عن ابيهِ قال: كنّا عند ابي الحسين سعيد بن ابرهيم كاتب ابن الفرات فغنّت ستارتُهُ (من الخفيف):

وعَدَ البدرُ بالزيارة ليلًا فاذا ما وفى قضيتُ نذوري
قلتُ: يا سيِّدي لِمَ تُؤْثِرُ اللَّيْـــلَ على بَهجة النهار المنيرِ
قال لي: لا أُحبُّ تغيير رَسْمي هكذا الرسمُ في طلوع البدورِ

فاختلفَت الجماعة لمن هذا الشعر . فقال بعضهم للناجم . وقال قومٌ للعباس وذكروا جماعةً فقال سعيد: هو لي . ثمَّ انشدَنا (من الخفيف):

قلتُ للبَدْر حين أَعتَبَ: زُرْني وأَشْمَتِ الهَجْرَ بالقِلى والتجافي
قال: انّي مع العِشاء سآتي فانتظرني ولا تخَفْ من خلافي
قلتُ: يا سيّدي فألّا نهارًا فهو أدنى لقُرْبةِ الائتــلافِ
قال: لا استطيعُ تغييرَ رسمي انَّما البدرُ في الظلام يوافي

(قال) وكنتُ نقلتُ الابيات عن نسخةٍ صحيحة مقابلةً وارى الصواب في البيت الاوَّل

«وأَشْمَتِ الوَصْلَ بالقلى والتجافي»

وقد جمع المعنيين ابو العلاء المعرّي في قولهِ:

هي قالت لمَّا رأت شيبَ رأسي وارادت تنــكُّرًا وازورارًا:
انا بدرٌ وقد بدا الصبحُ من شَيْـــبك والصبحُ يطردُ الاقمارا
قلتُ: لا بل اراك في الحسن شمسًا لا تُرَى في الدجى وتبدو نهارا

٤ ابو الحسن بن غسّان

﴿اسمهُ ودينهُ﴾ قال جمال الدين ابن القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٤٠٢) انهُ ابو الحسن (ويُروى الُحسين) الطبيب البصريّ . ودعاهُ ابن بطلان في كتاب دعوة الاطباء (ص ٩٠) بابي غسّان . وجاء ذكرهُ في تاريخ فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل (ص ٩٦ éd. Gismondi) فكنَّاهُ بابي علي بن غسّان وروى هناك نصرانيَّتهُ وما انفقهُ على نجاز بناء دير مار فثيون في بغداد وذلك سنة ٣٤٣ هـ (٩٥٣م) . فتبيَّن من ذلك انهُ كان نصرانيًّا كلدانيًّا من النساطرة

﴿اخبارهُ﴾ قال ابن القفطي (ص ٤٠٢) : « هذا رجلٌ طبيب من اهل البصرة يعلّم الطبّ ويشارك في علوم الاوائل وخدَمَ بصناعتهِ ملوك بني بويهِ وعلى الخصوص عَضُد الدولة فنّاخسرو » . وفنّاخسرو هذا هو المعروف بابي شجاع من الملوك البويهيين وممدوح الشاعر المتنبي توفي في ٨ شوال سنة ٣٧٢ (٩٨٢م) . وقال عنهُ ابن ماري في المجدل (ص ٩٦) انهُ كان « كاتباً لركن الدولة » وركن الدولة هو ابو عضد الدولة كان تولى اوَّلًا على اصبهان ثمَّ خلف اباهُ في تدبير الدولة في بغداد بعد اخيهِ مؤيّد الدولة توفي سنة ٣٦٦ (٩٧٦م)

﴿أدبهُ وشعرهُ﴾ قال جمال الدين القفطي (ص ٤٠٢) : وكان لابي الحسن هذا ادبٌ متوفّر وشعرٌ حسن فممَّا قالهُ لعضد الدولة عند مسيرهِ الى بغداد (من المتقارب) :

يسوسُ الممالكَ رأيُ المَلِكْ ... ويحفَظها السيِّد المحتَنِكْ

فيا عَضُدَ الدولةِ انْهَضْ لها ... فقد ضُيِّعَت بين شَشٍّ ويَكْ

شَشّ وَيْكْ عددان فارسيَّان معناهما في لعب النرد (الطاولة) ستَّة وواحد . قال ابن القفطيّ : « وذلك لانّ عزّ الدولة بختيار الذي اخذ عضد الدولة الامر منهُ كان لَهِجاً بلعب النرد » . قال : ومن شعر ابي الحسن ايضاً في بختيار الذي اخرجهُ عَضُد الدولة عن العراق يهجوهُ ويستهجن عزمَهُ ويستضعفهُ :

اقام على الاهواز سبعين ليلةً ... يدبّر امر المُلك حتى تدمّرا

يدبّر امرًا كان اوّلهُ عمًى وأوسطهُ بلوى وآخرهُ خرا

وممَّا ورد لابن غسَّان في كتاب دعوة الاطباء وهو يدعوهُ هناك بابي حسَّان بن غسَّان (ص ٩٠) قولهُ في احكام الدهر والموت (من الخفيف) :

حُكمُ كأسِ المَنون أن يتساوى في احتساها الغبيُّ والألمعيُّ
ويَحُلَّ البليدُ تحت ثرى الأرْ ض كما حلّ تحتَها اللوذعيُّ
اصبحا رُمَّةً تزايلَ عنها فعلُها الجوهريُّ والعرَضيُّ
وتَلاشى كيانُها الحَيَواني وتوارى تقديمها المنطقيّ

٥ الموصلي النصرانيّ

هكذا رواهُ البيهقي في كتاب المحاسن والمساوئ (ص ٦٩—٧٠ éd. Schwally) ولم يزدنا علماً . وهو كما يظهر من شعراء اواخر القرن الثالث واوائل الرابع للهجرة لان البيهقي الذي ذكرهُ عاش في ذلك العهد ثم ذكر لهُ ابياتاً في مديح بني هاشم (من الطويل) :

عَدي ونُعَيمٌ لا أُحاوِلُ ذكرَهُمْ بسوءٍ ولكني محبٌّ لهاشمِ
وهل تأْخذَنيّ في عليٍ وحُبّهِ اذا لم أَعِشْ يوماً ملامةُ لائمِ
يقولون . ما بالُ النصارى تُحبّهُ واهلُ التُّقى من مُعربٍ وأعاجمِ
فقلتُ : لهم اني لَأَحسبُ حُبَّهُ طواهُ إلهي في قلوبِ البهائمِ

٦ يحيى بن عدي

﴿نسبهُ وزمانهُ ودينهُ﴾ قال ابن النديم في الفهرست (ص ٢٦٤) وجمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٣٦١ وابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (١ : ٢٣٥)

هو ابو زكريا يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي نزيل بغداد واليهِ انتهت الرئاسة ومعرفة العلوم الحكمية في زمانهِ . قرأ على ابي بشر بن متى بن يونس (الفيلسوف النصراني) وعلى ابي نصر الفارابيّ وعلى جماعة في وقتهم وكان نصرانيًا يعقوبي النِحلة » . قال جمال الدين القفطي (ص ٣٦٣-٣٦٤) :

« مات الشيخ ابو زكريا يحيى بن عدي الفيلسوف يوم الخميس لتسع بقين من ذي القعدة سنة ٣٦٤ هـ وهو لثلث عشرة من آب سنة ١٢٨٥ للاسكندر (٩٧٥م) ودُفن في بيعة القطيعة ببغداد وكان عمرهُ ٨١ سنة شمسيَّة ورأيت في بعض التعاليق بخطّ من يُعنى بهذا الشأن : وفاتهُ كانت في اليوم المقدَّم ذكرهُ من الشهر المقدَّم ذكرهُ من السنة ٣٦٣ (٩٧٤م) »

﴿اخبارهُ وآدابهُ وشعرهُ﴾ قال ابن ابي اصيبعة : « كان يحيى جيّد المعرفة بالنقل وقد نقل من اللغة السريانية الى اللغة العربية وكان كثير الكتابة ووجدت بخطهِ عدّة كتب » . وقال القفطي : « كان ملازماً للنسخ بيدهِ كتبَ الكثير من كل فنّ وكان يكتب خطًا قاعدًا بيّنًا » . قال ابن النديم : « وعاتبتُهُ على كثرة نسخهِ فقال لي : من اي شيء تعجب في هذا الوقت أمن صبري ? وقد نسختُ بخطي نسختين من التفسير للطبري وحملتُها الى ملوك الاطراف . وقد كتبتُ من كتب المتكلّمين ما لا يُحصى . لعهدي بنفسي وانا اكتب في اليوم والليلة مائة ورقة واقلّ » . ثمَّ عدَّد لهُ جمال الدين القفطي كتباً كثيرة ألّفها في المنطق وابواب الفلسفة او عرَّبها عن ارسطاطاليس وغيرهِ من اليونان . ولهُ عدَّة فصول حسنة في الدفاع عن العقائد النصرانيَّة وتفنيد مَن تعرَّض لها وقد نشرنا شيئاً من ذلك في المشرق سابقاً(١

وقد وقفنا على فصلٍ كتبهُ عن يحيى شهابُ الدين العُمَري صاحب مسالك الابصار (نسخة المكتبة الخديويَّة ص ٣٣٦-٣٣٧) قال في باب طبقات الاطباء :

« ومنهم يحيى بن عدي ابو زكريا المنطقي حكيمٌ علمهُ والوَدْق شيَّان ، وقلمهُ والبرق سيَّان ، كان اوَّل حالهِ عَلَماً في ملّتهِ ، ومعلّماً لاهل قبلته ، وعُرِف بالمنطق مع انهُ بعض علومهِ ، ومن جملة ما دخل من الخصائص في عمومهِ ، وأضاءت لهُ من الادب لُمَع عمَّت فضائلهُ ، وتمَّت هلالهُ والبدور الكوامل متضائلهُ »

---

١) اطلب ما نشرهُ حضرة الكاهن اوغست بيريه (Aug. Périer) من ترجمة يحيى وتآليفهِ اللاهوتية (راجع المشرق ١٩ [١٩٢١] : ٦٢١)

وليحيي بن عديّ شعر قليل منهُ قولهُ في مَن يردُّ اعتقاد اسرار الدين لعدم فهمها (Paris, Ms 101, f 45r) (من البسيط) :

أَفعمْتَ فَحصَ المعاني عن حقائقها فلم يَبِنْ لك اذ لم تُحسِن النظرا
فالشمسَ تخفى على من ليس ذا بصرٍ وليس تَخفى على من أُعطيَ البَصَرا

وحدَّث الآمدي ابو الحسين انهُ سمع من ابي علي بن زرعة تلميذهِ يقول : انَّ ابا زكريَّا يحيي بن عدي وصّى اليهِ ان يكتب على قبرهِ حين حضرَتهُ الوفاة وهو في بيعة توما بقطيعة الدقيق هذين البيتين (من الخفيف) :

رُبَّ مَيْتٍ قد صار بالعلم حيًّا ومُبقًّى قد مات جهلًا وعيًّا
فاقتنوا العلمَ كي تنالوا خلودًا لا تَعُدُّوا الحياةَ في الجهل شيًّا

٧ ابو تمَّام الطائي

﴿ توطئة ﴾ قرأنا في آخر عدد من المقتطف (اغسطس ١٩٢٥ ص ٣٣٤) ما نصُّهُ :

«عندنا نسخة الدكتور فان ديك في شرح التبريزي للحماسة وعليها بخط الدكتور انَّ ابا تمَّام كان نصرانيًّا . فمن اين اتى الدكتور فان ديك بذلك والمتعارف انَّ أبا ابي تمَّام كان نصرانيًّا»

فاحببنا ان نفرد هنا فصلًا لهذا الشاعر في كلامنا عن شعراء النصرانيّة في عهد الدولة العبَّاسيّة . فننظر ما في مدَّعى الدكتور فان ديك من الصحة

﴿ نسب ابي تمام ﴾ هو حبيب بن اوس الطائي ينتهي نسبهُ الى ابي القبيلة الغوث ابن طيئ ومنهُ الى يعرب بن قحطان . يُكنَّى بابي تمَّام وتمَّام ابنهُ ورد ذكرهُ في تعريف بعض امور ابيهِ في الاغاني وغيرهِ . وُلد حبيب في جاسم وهي على ما قال المسعودي في مروجهِ الذهبيّة (٧ : ١٤٧) «قرية من اعمال دمشق بين بلاد الاردن ودمشق بموضع يعرف بالخولان (بالجَوْلان) على اميال من الجابية وبلاد نوا (كذا) وهي مراعي أيوب عم» . امّا صاحب الاغاني فقال (١٥ : ١٠٠) : «هو من نفس طيئ صليبة

مولدهُ ومنشأهُ بناحية منبج (كذا) بقرية منها يقال لها جاسم» وكان مولدهُ على قول تمام ابنهِ سنة ١٨٨ﻫ (٨٠٤م) ووفاتهُ سنة ٢٣١ (٨٤٥ م) اما الشائع بين الكتبة والمؤرخين كنفطويهِ والطبري وابن الاثير انَّ وفاته كانت في الموصل وقعت سنة ٢٢٨ (٨٤٢—٨٤٣م). وروى ابن خلّكان في وفات الاعيان (١ : ١٥٠) عن ابي القاسم الآمدي في الموازنة قولهُ : « والذي عند اكثر الناس في نسب ابي تمام انَّ اباهُ كان نصرانيًّا من اهل جاسم قرية من قرى دمشق يقال لهُ تدوس (ولعلها تدَّاوس او تدرُس) العطَّار فجعلوهُ أوساً وقد أُلقت لهُ نسبة الى طيّ» . لكنَّ ابن خلّكان لم يصدّق على قول الآمدي ولم ينكر نسبتهُ الى طيّ وانَّما نقل قول الصولي: «قال قوم ان ابا» تمام هو حبيب بن تدوس النصراني فغُيِّر فصار اوساً» ثمَّ روى عن ابيهِ انهُ « كان خمَّارًا بدمشق »

﴿ خلاصة اخبار ابي تمام ﴾ قال الانباري في طبقات الادباء (ص ٢١٣) : « ابو تمام شامي الاصل» وروى ابن خلكان ١ : ١٥٣) : « انهُ كان يخدم حائكاً ويعمل عندهُ بدمشق ». قال : « ونشأ بمصر قيل انهُ كان يسقي الماء في جامع مصر» وزاد الانباري : « وجالس الادباء فاخذ عنهم وتعلّم وكان فطناً فهماً وكان يحبُّ الشعر فلم يزل يعانيهِ حتى قال الشعر وأجادهُ وسار شعرهُ وشاع ذكرهُ» . وقد تنقَّل ابو تمام في انحاء الشام وسكن مدَّة حمص فلم يحمد اهلها (اطلب ديوانهُ ص ٢٣٨ طبعة محيي الدين الخياط) ورحل الى العراق: قال الانباري (ص ٢١٤) : «وبلغ الخليفةَ المعتصم خبرهُ فحملهُ اليهِ فعمل فيهِ ابو تمام قصائد عدَّة واجازهُ المعتصم وقدَّمهُ على شعراء وقتهِ» . ولمَّا سكن في بغداد جالس فيها الادباء وعاشر العلماء وكان موصوفاً بالظرف وحسن الاخلاق وكرم النفس ثمَّ مدح الخليفة هارون الواثق خلَف المعتصم وسافر في اوَّل ايَّامهِ الى سامرَّا ورحل الى خراسان وارمينية والجزيرة فمدح كبار عمَّال الدولة واعيانها كمالك بن طوق التغلبي وابي دلف واحمد بن ابي دؤاد وعبدالله بن طاهر وخالد ابن يزيد بن مزيد والوزيران محمَّد بن الزيّات والحسن بن وهب. فعُني بهِ الحسن وولَّاهُ بريد الموصل فاقام بها اقلَّ من سنتين ومات ولم يتفقوا على سنة وفاتهِ قال البحتري : « وبنى عليه ابو نهشل بن حميد الطوسي قبَّةً . (قلتُ) ورأيت قبرهُ بالموصل خارج باب الميدان على حافَّة الخندق والعامّة تقول : هذا قبر ابي تمام الشاعر» (رواهُ

ابن خلكان)

﴿دين ابي تمام﴾ رأيت انَّ الدكتور ڤان ديك أعلن في نسخة من حماسة ابي تمام انّ « أبا تمّام كان نصرانيًّا » وفي قولهِ هذا نظر :

﴿اوَّلاً﴾ اتّفق مَن ذكر والد ابي تمام كالصولي والآمدي انهُ كان نصرانيًّا فلا بُدَّ انَّ ابنهُ حبيباً ولد ونشأ على دينهِ ومن هذا القبيل يجوز القول انَّ أَبا تمام كان نصرانيًّا

﴿ثانياً﴾ لنا في اسمهِ حبيب وهو من الاسامي الشائعة بين النصارى النادرة بين المسلمين ما يدلُّ على نصرانيَّته

﴿ثالثاً﴾ وليس في نسبتهِ الى طيّ ما ينفي نصرانيَّتهُ فقد اثبتنا في كتابنا النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة (ص ١٢١—١٢٢و١٣٢—١٣٣ و٤٥٦—٤٥٧) شيوع النصرانيّة في قبيلة طيّ وثبات قسم كبير من بطونها على نصرانيَّتهم حتى بعد الاسلام بزمن طويل

﴿رابعاً﴾ وفي مزاولته في حداثته الحياكةَ والسقاية ما يدلّ على خمولهِ بسبب دينهِ

﴿خامساً﴾ ثمَّ ليس لنا كلام صريح لاحد رواة ترجمتهِ ما يدلُّ على جحودهِ دينهُ النصرانيّ

هذا ما يحملنا على القول بنصرانيَّة ابي تمام. على انَّ في ديوانهِ عدَّة ابيات تشعر بانه يدين بالاسلام فحيناً يحلف بالبيت الحرام ويقول انهُ حجّ اليه وحيناً آخر يذكر نبي العرب ودين الاسلام كانها نبيُّهُ ودينهُ واذا ذكر الروم نبذَهم بالشرك والكفر ويعظِّم القرآن. وهذا كلُّهُ لمَّا يثبت اسلامهُ.

فلا نرى تطبيقاً بين الامرين إلّا ان نقول انهُ لمّا اصاب حظوةً عند الخلفاء وعند وجوه الامراء وكبار الدولة عدل عن دينه الى الاسلام مجاملةً او طمعاً بحطام الدنيا. وليس قولنا هذه حدساً وقد اخذ العجب جنابَ خليل مردم بك في كتابه الحديث «شعراء الشام في القرن الثالث» (ص٣٥—٣٧) حيث قابل بين مديح ابي تمّام للخلفاء من اهل السنّة واطرائهِ للشيعة العلويّة وانتصاره لحقوقها في الخلافة فرأى تناقضاً بيّناً نسبهُ الى اختلاف الزمان

امّا المسعودي في مروج الذهب فنسب أبا تمّام الى المجون وقلّة الدين قال (٧: ١٥١) :

« وكان (اي ابو تمام) ماجنًا خليعًا في بعض احوالهِ وربّما ادّاهُ ذلك الى ترك موجبات فرضهِ تماجنًا لا اعتقادًا (!) »

ثم روى لبعض الثقات عن المبرّد النحوي نقلًا عن الحسن بن رجاء قال :

« صار اليَّ ابو تمام وانا بفارس فاقام عندي مقامًا طويلًا ونُمِيَ اليَّ من غير وجه انهُ لا يصلّي . فوكلتُ بهِ مَن يراعيهِ ويتفقدهُ في اوقات الصلوات فوجدتُ الامر على ما اتّصل بي فعاتبتهُ على فعلهِ . فكان من جوابهِ أن قال : أتُراني انشطُ للشخوص اليك من مدينة السلام واتجشّم هذه الطرقات الشاقّة واكسلُ عن هذه الرَّكَعات لا مؤونةَ عليَّ فيها لو كنتُ اعلم انَّ لمِن صلّاها ثوابًا وعلى من تركها عقابًا ؟ (قال) وهممتُ واللهِ بقتلهِ ثمَّ تخوَّفت ان يُصرَفَ الامر الى غير جهةٍ . قال المبرّد : وهو مع هذا يقول :

وأحَقُّ الانام أن يَقضيَ الدّين م امروءٌ كان للإله غريمًا

وهذا قولٌ مباين لهذا الفعل »

فترى انّ اسلام ابي تمام كان سطحيًا ليس تماجنًا فقط كما قال المسعودي بل اعتقادًا ايضاً فذكرناهُ هنا بين شعراء النصرانية ليس افتخارًا بدينهِ بل بيانًا لحقيقة تاريخيّة . ثمَّ انَّ في شعرهِ ابياتًا تنبئ بمعرفتهِ لعادات النصارى كقولهِ في هرب توفيل زعيم الروم (الديوان ٣٣ : ٢) :

جفا الشرقَ حتى ظنَّ من كان جاهلاً بدين النصارى ان قِبلَتَهُ الغربُ

﴿منزلتهُ بين شعراء عصرهِ﴾ لا نطيل الكلام في هذا الموضوع بعد ان طرقهُ قبلنا ائمّة الكتّاب وخصوصاً ابو الفرج الاصبهاني في الاغاني (١٥ : ٩٩—١٠٨) فاعتبر ابا تمّام « كأمير الشعراء وخاتمهم مَن لا يشقّ الطاعنون عليه غبارهُ ولا يدركون وان جدّوا آثارهُ » وذكر قول الحسن بن وهب يرثيه :

فُجِعَ القريضُ بخاتم الشعراء وغدير روضتها حبيب الطائي
ماتا معًا وتجاورا في حفرةٍ وكذاك كانا قبلُ في الاحياءِ

ورثاهُ محمّد بن عبد الملك الزيّات وهو حينئذٍ وزير فقال :

نبأٌ أتى من اعظم الانباء لمّا ألَمَّ مُقَلقِلَ الأحشاء
قالوا حبيبٌ قد ثوى فأَجبتُهم ناشدتكم لا تجعلوهُ الطائي

ولا نشاء ان نروي شيئاً من شعرهِ وديوانهُ في ايدي الجميع وقد تكرّر طبعهُ. فطُبع اوّلاً في مصر سنة ١٢٩٢هـ طبعةً سقيمة بلا شكل وبشروح قليلة على الهامش. ثمَّ عُني بطبعهِ في بيروت الاديب شاهين عطيّه اللبناني سنة ١٨٨٩ ثمَّ كرَّر طبعهُ محمد جمال مع شروح لمحيي الدين الخيّاط. وهاتان الطبعتان مع فضلهما على الطبعة المصريّة إلّا انهما قاصرتان عن كل ما يطلبهُ العلماء من الضبط بالشكل الكامل وتعريف النسخ المنقول عنها الديوان وشرح المعاني وبيان ظروف القصائد واثبات الروايات المختلفة وجمع ما جاء متفرّقاً من شعر ابي تمام في كتب الادباء. فانك ترى مثلاً في ما رواهُ ابو الفرج الاصفهاني في الاغاني عدَّة مقاطيع من شعر ابي تمام لم تُروَ في الديوان. وكذلك هناك وفي الكامل للمبرّد وغيرهما قطعٌ اخرى فيها روايات مخالفة لروايات الدواوين المطبوعة وبعضها افضل من المطبوع. فيا ليت احدًا من ادبائنا يَسُدُّ هذه الثُّلَم ويستفيد من ملحوظات ابي القاسم محمّد الآمدي في الموازنة بين ابي تمام والبحتري فيُعنى بطبعةٍ جديدة وافية الشروط لذلك الديوان الفريد والاثر الجليل

٨ ثابت بن هارون

﴿نسبهُ واخبارهُ وشعرهُ﴾ هو ابو نصر ثابت بن هارون النصرانيّ الرَّقي العراقيّ. قال ابو الحسن علي الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧هـ (١٠٧٤م) في كتابهِ دمية القصر وعصرة اهل العصر (Flügel, Ms de Vienne, I, 367, f. 46-47)(١): «ومن شعراء العراق ابو نصر ثابت بن هارون الكاتب النصرانيّ». وعرَّف زمانهُ بما كتبهُ في اواسط القرن الرابع للهجرة والعاشر للمسيح ولم يذكر شيئاً من اخباره ثم قال: ومن شعرهِ قولهُ في من يحجب بابهُ (من الوافر):

على رَبْعٍ يحقُّ بهِ الحجابُ ويُغْلَق منهُ دونَ الخيرِ بابُ (٢)
سأهجرُ كلّ بابٍ رُدَّ دوني اذا ما ازورَّ او خشيَ الحجابُ

١) راجعنا ايضاً نسخة لندن (ع ٥٧٣) ٢) ويروى: دون الحرّ بابُ

ثمَّ ذكر لثابت الرقيّ رثاء قالهُ في المتنبّيّ الشاعر (المتوفّى سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٥م) ثمَّ قال: «وهذا مّما شذَّ عن الثعالبي (١ وذهب عنهُ شعرهُ. واذا كان المتنبي في طبقات يتيمتهِ من العصريين فالذي بعدهُ ممَّن يُهدي المرثية اليه وينوح مع وُرق الحمام عليهِ أَولى بان يُعَدّ من الطبقة. وقد عرض عليَّ ابنُ الشيخ ابي الحسن علي بن يحيى الكاتب في ديوان الحضرة «ديوانَ المتنبي» مُحَلَّى الظهر بتوقيعَين لهُ خطَّهما بيمينهِ وانبت بهما أَسماع هذا الفاضل اشعارهُ منهُ مرَّتين فرنَيتُ وعرض مجموعهــا على سمعهِ كرَّتين. وجرى بعد حصوله تحت كلاكل الأَجل المتاح، وتصديقهِ قولهُ في ترك مهجتهِ سائلةً على كلّ الارماح، على قضيَّة كرم العقل واستئثار الامير عضد الدولة على فاتك وبني اسد». وهذا رثاؤهُ المتنبي (من الكامل):

الدهرُ أَخبثُ (٢ والليالي أَنكدُ ... من ان تعيشَ لأَهلها يا احمدُ

ذُقتَ الكريهةَ بغتةً وفُقدتَّها ... وكريهُ فَقْدِكَ في الورى لا يُفقَــدُ

قُل لي ان اسطعتَ الكلام (٣ فإنّني ... صَبٌّ الفؤادِ الى خطابك مُكمَدُ

أَتركتَ بعدكَ شاعرًا واللهِ لا ... لم يبقَ بعدكَ في الورى مَنْ يُنشِدُ

ما كان تاركَكَ الزمانُ لاهلــهِ ... انَّ الزمان على الغريبة يحسدُ

قصدتْك لَمَّا أَنْ رأتك نفيسَهــا ... بُخلًا بمثلكَ والنفائسُ تُقْصَدُ

غدَرَ الزمانُ بهِ فجارَ ولم تزلْ ... ايدي الزمان ببأسهِ تستنجدُ

لَقيَ الخطوبَ فبذَّها (٤ حتى جرى ... غلَطُ القضاء عليهِ وهو تعمُّــدُ

وقال يستثير فيها ابا شجاع عضد الدولة على فاتك وبني اسد:

صَهْ (٥ يا بني اسدٍ فلستُ بنجدةٍ ... آثرْتُ فيهِ بل القضاء يُقيَّدُ

١) يريد انَّ الثعالبي سها عن ذكر ثابت بن هارون فلم ينظمهُ في جملة الشعراء في كتابهِ يتيمة الدهر

٢) ويروى: الدهرُ أَنكى ٣) ويروى: الخطاب. ويروى: الجواب

٤) ويروى: وبَدَّها ٥) ويروى: مَهْ

يا ايها الملكُ المؤيَّدَ دعوةً ممَّن حَشاهُ بالأَسى تتوقَّدُ
هذي بني اسدٍ بضيفك اوقعَتْ وحوَتْ عطاءك اذ حواهُ الفرقدُ
ولهُ عليك بقصدهِ يا ذا العَلا حقُّ التجرّمِ والذمامُ الأوكدُ
فارعَ الذمامَ وكن لضَيفك طالباً انَّ الذِمام على الكريم مؤيَّدُ
وأرعَ الحقوقَ لقصدهِ وقصيدهِ عضدَ الملوكِ فليس غيرُك يُقصَدُ
واذا المكارم والمحامدُ أُسنِدَت فالى الامير ابي شجاعٍ تُسنَدُ

٩ بشر بن هارون

﴿ اصلهُ ودينهُ واخبارهُ ﴾ هو ابو نصر بشر بن هارون النصراني العراقي . وهو كما يلوح لنا من قرابة ثابت بن هارون السابق ذكرهُ . وكان لبشر اخوان ابرهيم وجابر ذكرهما الطبريّ في تاريخهِ (٣ : ١٥١١ و١٥٢٤) وقال هناك بشر وابرهيم كانا كاتبين لمحمَّد بن عبدالله بن طاهر الامير والي العراق من قبَل المتوكل . واخبر انهُ في السنة ٢٤٩ (٨٦٣ م) شغَبَ الجند والشاكريَّة في بغداد وانتهبوا الدواوين وقطعوا الدفاتر فالقوها في الماء وانتهبوا دار بشر وابرهيم ابني هارون النصرانيَّين كاتبي محمَّد ابن عبدالله وذلك كلُّهُ في الجانب الشرقيّ من بغداد . ثمَّ ذكر جابرًا اخاهما وقال عنهُ ان محمَّد بن عبدالله وجَّههُ الى طبرستان لبعض اموره

قال الصفدي في الوافي بالوفيات (Ms de Paris, 706, fol. 130.) : كان ابو نصر بشر بنُ هارون النصراني كثير الهجو للوزراء والرؤساء فممَّن هجاهم ابو نصر سابور بن ازدشير وزير شرف الدولة ابن عضد الدولة بن بويه المولود سنة ٣٣٦ والمتوفى سنة ٤١٦ هـ (٩٤٧—١٠٢٥ م) وكان سابور قليل الالفاظ جافي الاقوال دقيق الخطّ منتظمهُ قصير التوقيع مختصرهُ كثير الشرّ مَخوف البطش شديد التأثر في المعاملات والميل الى المصادرات . فقال بشر يهجوهُ (من الكامل) :

سابورُ وَيْحَك ما أخسَّكَ ما أخصَّك بالعيوبِ
وأَكَدُّ وَجْهك بالشناءة للعيون وللقلوبِ
وجهٌ قبيحٌ في التبسُّم كيف يحسُن في القطوبِ

واخبر ابن حمدون في تذكرته (Ms British Museum, Or. 3179, fol. 98)
قال : «حضر يوماً بشر بن هارون وجماعة من الكتّاب في دار محمّد المهلّبي الوزير بحيث يراهم ويسمع كلامهم وهم لا يشاهدونهُ فانشأ احدهم يقول :

سِبالُ الوزيرِ سِبالٌ كبيرُ

فقال الآخر :

وعقلُ الوزير وفعلٌ صغيرُ

فقال بشر بن هارون :

زيادةُ هذا بنقصان ذا كما طال هذا النهارُ القصيرُ

فخرج اليهم المهلبي وشاتمهم وجلس معهم ومازحهم واجاز كلَّ واحدٍ»
وجاء في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ابي المحاسن (طبعة نيويرك ص ٥٩) وفيها (اي سنة ٣٨٥– ٩٩٥م) توفي بشر بن هارون ابو نصر النصراني الكاتب وكان شاعرًا هجّاء خبيث اللسان كتب مرّة الى ابرهيم الصابي (السريع) :

حضرتَ بالجسم وقد كنتَ لو بالنفس لمّا تَرَني حاضرا
أنطَقَني بالشعر حبّي لكم ولم اكن من قَبلها شاعرا

فكتب اليهِ الصابئ تحت خطّهِ : «ولا بَعدَها»

١٠ عيسى بن فرُّخنشاه

﴿اسمهُ واصلهُ ودينهُ﴾ هو عيسى بن فَرُّخنشاه من نصارى بغداد وكان

نسطوري النحلة اشتهر في اواسط القرن الثالث للهجرة والتاسع للمسيح في ايام الخلفاء العباسيين المستعين والمهتدي والمعتز والمعتمد تكرر ذكرهُ في عهدهم في تاريخ الطبري. ولعل اسمهُ يدل على كون اصلهِ من العجم وقد ورد في بعض روايات الطبري على صورة «فَرْنشاه» ومما اخبره في حوادث السنين ٢٤٥و٢٤٩و٢٥١هـ(٣: ١٤٤٤ و١٥١٣—١٥١٤و١٦٤٠) انَّ الخليفة المستعين اتخذهُ كاتب لوزيره الحسن بن مَخلَد سنة ٢٤٥ (٨٥٩م) ثم ولَّاهُ ديوان الخراج بعد عَزْل الفضل بن مروان سنة ٢٤٩هـ(٨٦٣م). واثبتهُ عليهِ خلفهُ المعتز. وذكر في تاريخ سنة ٢٥٢هـ(٨٦٦م) انَّ الاتراك وثبوا عليهِ فتناولوهُ بالضرب واخذوا دوابَّهُ فقام المغاربة للدفاع عنهُ. وروى في تاريخ سنة ٢٥٦ (٨٧٠م) ثورة الاتراك على الخليفة المهتدي وثبات عيسى بن فرُخنشاهُ في وجههم وقال: «انَّ الامور كانت تجري على يدهِ وانَّ مقامهُ كان كمقام الوزير»

وعلى ظننا انهُ هو الذي اشار اليهِ ابن ماري في تاريخ بطاركة المشرق (ص ٨٣) حيث قال انَّ فَرُخانشاه قام باستقبال يوانيس مطران الموصل لمَّا تعيَّن جاثليقاً على النصارى سنة ٢٨٠ (٨٩٣م). امَّا سنة وفاتهِ فلم نقف عليها وقد اشتهر من قرابتهِ الأَخوان سعيد وعبدالله ابنا فرُخنشاهُ ولعلَّ عيسى كان بكرهما. وكان سعيد يكنَّى بابي عمرٍو ثمَّ ذكرهما هلال الصابي في تاريخ الوزراء (ص ١٦١و٢٠٥ و٢٤٠—٢٤١) وقال انهما كانا نصرانيين وكاتبين للوزير ابي الحسن بن الفرات وذكر لهما اخباراً شتى. وكذلك ذكر عَريب القرطبيّ في تاريخ الصلة (ص ٥٩) الفضلَ بن يحيى بن فَرُخنشاه الديراني النصراني من دير قُنَّا على عهد الخليفة المقتدر واستصفاء الخليفة لمالهِ

﴿آدابهُ وشعرهُ﴾ كان عيسى بن فرُخنشاه من كتَّاب ديوان الخلفاء ذوي الانشاء البديع. ذكرهُ ابن النديم في الفهرست (ص ١٦٧) فقال: انهُ كان كاتباً مقلًا وقد ذكر لهُ الصابئ في أدب الكتَّاب شعراً قال (ص ٤٦): «اهدى بعضُ الكتَّاب غلاماً كاتباً الى رئيس لهُ وكتب اليه يصفهُ بالخطّ وغيرهِ. وسمعتُ من يحكي انَّ قائلَ ذلك عيسى بن فرُخُنشاه بابراهيم بن عبَّاس الصولي وكان عيسى يكتب لهُ ولا ادري كيف صحَّتُهُ لاني لم اعتدَّ بما لم اسمعهُ من افواه الرجال (من الكامل):

إِقْبَلْ هديَّةَ شاكرٍ تَجزيهِ بالنَّزْرِ الجليلا

بـدرًا يُضيءُ اذا نظَرْ ... تَ اليهِ لم يألَفْ أفولا (١)

اني بعثتُ بهِ وكنـــتُ بحُسْن موقعهِ كفيلا

لمـَّا رأيتُ بخطِّهِ ... حُسناً يصيدُ بهِ العقولا

كمُنَمْنَمِ المَوْشيّ قـد ... سحَبَ القِيانُ بهِ الذيولا (٢)

او كالرياض بكى الحَيا ... فيها فأوسَعها هُمولا (٣)

وتراهُ للمعنى اللطيفِ ... م اذا اثرْتَ بهِ قَبولا

لا مستعيدًا منك اذ ... تُملي عليهِ ولا مَلولا

عرَفَ المبادئَ والوصو ... لَ من الحكايةِ والفُصولا

وصنوفَ ترتيبِ الدعا ... ءِ وأنْ يُقصّرَ او يُطيلا

والهمْزَ والممدود والـــ ... ـمقصور والمَثَلَ المَقولا

والفعـلَ والاسماءَ والـــ ... ـمصروفَ منها والثقيلا

فاستَكْفهِ واضمرْ لهُ ... أن لا تُريد له البديلا

يَحمِلْ بفضـل لسانهِ ... وبيانهِ منك الثقيلا

وروى الصولي ايضاً (ص ٨٤) قال دخـــل عيسى بن فرُخنشاه على جارية وهي تكتب خطّاً حسناً فقال (من الطويل) :

---

١) يقال : افل البدرُ افولًا اذا غاب

٢) قال في شرحهِ : يقال وشيتُ الثوب وشياً من باب وَعَدَ رقمتُهُ ونقشتُهُ فهو موشيّ والاصل مفعول . وغنمتُهُ غنمة رقشتهُ وفي الصحـاح : هي خطوط متقاربة قصار شبه ما تُنمنمُ الريحُ من دقاق التراب ولكل وشيٍ غنمة . والقيان جمع قَينةوهي الأمة المغنّية او اعمُّ . والتقيُّن التزيُّن بالوان الزينة

٣) الحيا مقصور الغيثُ . وهمل المطر همولًا جرى

سريعةٌ تجري الخطَّ تنظمُ لؤلؤاً ويَنثرُ دُرًّا لفظُها المترشّفُ
وزادت لدينا حظوةً ثمَّ اقبلَتْ وفي اصبعَيْها اسمرُ اللونِ مُرْهفُ(١)
أَصَمُّ سميعٌ ساكنٌ متحرّكٌ ينالُ جسيماتِ المدى وهو اعجفُ(٢)

١١ ابن بطريق

في كتاب مسالك الابصار في اخبار ملوك الأمصار لشهاب الدين ابي العبّاس احمد العمري (نسخة المكتبة الخديويَّة ٥ : ١٤٧) بعد ترجمة ابن عدلان ذكر المؤلف ابياتاً نسبها الى ابن بطريق ولم يزد افادةً . وقد تسمّى غير واحد بابن البطريق كسعيد ابن البطريق صاحب التاريخ ويحيى او يوحنا بن بطريق وعيسى بن بطريق وكلّهم نصارى عاشوا في القرن التاسع للميلاد . والمرجَّح انَّ الابيات لاحدهم نذكرها هنا تتمَّة للافادة يخاطب فيها الشاعرُ موفَّقَ الدين ابن عدلان متفكّهاً (من البسيط) :

موفَّق الدين يا مَنْ في فكاهتهِ وفيهِ يحلو لعَيْن الساهرِ الأَرَقُ
انَّ ابنَ عدلانَ في إيقاد شمعتهِ ما شانَهُ الغيظُ من بُخلٍ ولا الحَنَقُ
لكن رأى الليل أَولى ان يُقضّيَهُ في نيّراتٍ معانٍ منك تأْتلقُ
لا شيء احسنُ منها اذ بدت شُمُلًا شتَّى يُنظَّم فيها لؤلؤٌ نَسَقُ

١٢ ابن بُطلان المتطبّب الراهب

﴿اسمهُ ووطنهُ ودينهُ واساتذتهُ﴾ قال جمالُ الدين القفطيّ في تاريخ الحكماء

١) مُرهف اسم مفعولٍ من ارهفتُ السيفَ ونحوهُ اذا رقّقت شفرتَهُ
٢) الاعجف الهازل

(ص ٢٩٤): هو الحكيم ابو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون طبيب منطقي نصراني من اهل بغداد قرأ على علماء زمانهِ من نصارى الكرخ. وقال ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء من طبقات الاطباء (١ : ٢٤١) : «كان قد اشتغل على ابي الفرج عبدالله بن الطيب(١ وتتلمذ لهُ وأتقن عليهِ قراءة كثيرٍ من كتب الحكمة وغيرها. ولازَمَ ايضاً ابا الحسن ثابت بن ابرهيم بن زهرون الحرَّاني الطبيب واشتغل عليهِ وانتفع بهِ في صناعة الطبّ وفي مزاولة اعمالها» . وجاء لجمال الدين القفطي في محلّ آخر (ص ٣١٤) ما حرفهُ : «وقد كان ابن بطلان هذا من اصحاب ابي الفرج ابن الطيّب البغداديّ وكان ابو الفرج يُجلّهُ ويعظّمهُ ويقدّمهُ على تلاميذه ويكرّمهُ ومنهُ استفاد وبعلمهِ تخرَّج وقد رأيتُ مثال خطّ ابي الفرج لهُ على كتابه ثمار البرهان من شرحهِ وهو: «قرأ عليَّ هذا الكتاب من اوَّلهِ الى آخرهِ الشيخ الجليل ابو الحسن المختار بن الحسن ادام الله عزَّهُ وفهَّمَهُ غاية الفهم»

﴿اخبارهُ واسفارهُ﴾ قد اغنانا جمال الدين وابن ابي اصيبعة عن تفتيش اخبارهِ والتنقيب عنها الّا انَّ بين روايتها تبايُناً لا بُدَّ من ذكرهِ للانتقاد. قال القفطي (ص ٢٩٤): «كان (اي ابن البُطلان) مشوَّهُ الخِلقة غير صبيحها كما شاء الله فيهِ وفَضُلَ في علم الاوائل يرتزق بصناعة الطبّ وخرج عن بغداد الى الجزيرة والموصل وديار بكر ودخل حلب واقام وما حمدها» . ومن ظريف ما حصل لهُ في حلب وقتئذٍ ما اخبرهُ القفطي قال (ص ٣١٥): «ولمَّا دخل أبن بُطلان الى حلب وتقدَّم عند المستولي عليها سألهُ رَدَّ امر النصارى في عبادتهم اليهِ فولّاهُ ذلك واخذ في إقامة القوانين الدينيَّة على اصولهم وشروطهم فكرهوهُ. وكان بحلب رجلٌ كاتب طبيب نصرانيّ يُعْرف بالحكيم ابي الخير بن شرارة وكان اذا اجتمع بهِ وناظرَهُ في امر الطبّ يستطيل عليهِ ابن بطلان بما عندهُ من التقاسيم المنطقيَّة فينقطع في يدهِ واذا خرج عنهُ حملهُ الغيظ على الوقيعة فيهِ ويحمل عليهِ نصارى حلب . فلم يمكن ابنَ بطلان المقامُ بين أظهرهم وخرج عنهم وكان ابن شرارة بعد ذلك يقول: لم يكن اعتقادهُ مَرْضيًّا» (٢

(١ هو الفيلسوف النسطوري كاتب الجاثليق صاحب التآليف الدينيَّة والفلسفيَّة والطبيَّة المتعددة المتوفى سنة ١٠٤٥م (اطلب كتابنا المخطوطات العربيَّة لكتبة النصرانيَّة ص٢٣ ع٦٧)

(٢ لعلَّه يشير بذلك الى مذهب ابن بطلان النسطوري

ثمَّ قال القفطي: وخرج ابن بطلان عن حلب الى مصر فاقام بها مدَّةً قريبة واجتمع فيها بابن رِضوان المصري الفيلسوف في وقتهِ وجرت بينهما منافرة احدثتها المغالبة في المناظرة وخرج ابن بطلان عن مصر مُغضَباً على ابن رِضوان وورد انطاكية راجعاً عن مصر فاقام بها وقد سَئِمَ كثرة الاسفار وضاقَ عَطَنهُ عن معاشرة الأغمار فغلب على خاطره الانقطاع فنزل بعض دِيَرة انطاكية وترَهَّب وانقطع الى العبادة الى ان توفي بها في شهور سنة اربع واربعين واربعمائة (١٠٥٢م) »

ورواية ابن القفطي كاد ابنُ العبريّ ينقلها بحرفها في تاريخهِ مختصر الدول (ص ٣٣١)

امَّا رواية ابن ابي اصيبعة فهي اوسع وادقّ وهي تختلف عن رواية جمال الدين في عدَّة امور قال (ص ٢٤١): « وكان ابن بُطلان معاصرًا لعليّ بن رِضوان الطبيب المصري وكان بين ابن بُطلان وابن رضوان المراسلات العجيبة والكتب البديعة الغريبة ولم يكن احد منهم (منهما) يؤلف كتاباً ولا يبتدع رأياً إلّا ويردّ الآخر عليهِ ويُسفِّه رأيهُ فيه. وقد رأيتُ اشياء من المراسلات التي كانت فيما بينهم (بينهما) ووقائع بعضهم (بعضهما) في بعض. وسافر ابن بطلان من بغداد الى ديار مصر قصداً منهُ الى مشاهدة علي بن رِضوان والاجتماع به. وكان سفرهُ من بغداد في سنة ٤٣٩ (١٠٤٢م). ولما وصل في طريقه الى حلب اقام بها مدَّةً واحسن اليه مُعزُّ الدولة ثمال ابن صالح بها واكرمهُ اكراماً كثيرًا. وكان دخولهُ الفسطاط في مستهلّ جمادى الآخرة من ٤٤١ (ك ١ ١٠٤٩) واقام بها ثلث سنين وذلك في دولة المستنصر بالله (ص ٢٤٢) من الخلفاء المصريين. وجرت بين ابن بُطلان وابن رضوان وقائع كثيرة في ذلك الوقت ونوادر ظريفة لا تخلو من فائدة. وقد تضمَّن كثيرًا من هذه الاشياء كتابٌ أَلَّفَهُ ابن بُطلان بعد خروجه من ديار مصر واجتماعهِ بابن رضوان. ولابن رِضوان كتابٌ في الردّ عليهِ. وكان ابن بُطلان اعذب ألفاظاً واكثر ظرفاً وأَميَز في الادب وما يتعلّق بهِ. وممّا يدلُّ على ذلك ما ذكرهُ في رسالتهِ التي دعاها بدعوة الاطباء. وكان ابن رِضوان أَطبَّ وأَعلَمَ بالعلوم الحكميَّة وما يتعلّق بها. وكان ابن رِضوان أَسود اللون ولم يكن بالجميل الصورة. ولهُ مقالة في ذلك يردُّ فيها على من عيَّرهُ بقُبح الخلقة وقد بيَّن فيها بزعمهِ انَّ الطبيب الفاضل لا يجب ان يكون وجههُ

جميلاً . وكان ابن بطلان اكثر ما يقع في عليّ بن رضوان من هذا القبيل واشباهه . ولذلك يقول فيه في الرسالة التي وَسَمها بوقعة الاطباء (من الطويل) :

فلمَّا تبدَّى للقوابلِ وجهُهُ نَكَصْنَ على أعقابِهِنَّ من النَّدَمْ
وقُلْنَ وأخفَيْنَ الكلام تستُّرًا: ألَا ليتنا كنَّا تركناهُ في الرَّحِمْ

« وكان يلقبهُ بتِمساح الجنّ . وسافر ابن بُطلان من ديار مصر الى القسطنطينيَّة واقام بها سنةً وعرضت في زمنه اوباء كثيرة . ونقلتُ من خطّه ما ذكر من ذلك ما هذا مثالهُ قال :

« ومن مشاهير الأَوْباء في زماننا الذي عرض عند طلوع الكوكب الاثاري في الجوزاء من سنة ٤٤٦ (١٠٥٤م) فانَّ في تلك السنة دُفن في كنيسة لوقا بعد ان امتلأَت جميع المدافن في القسطنطينيَّة ١٤,٠٠٠ نَسَمة في الخريف . فلماً توسط الصيف في سنة٤٤٧(١٠٥٥م) لم يوفِ النيل فمات في الفسطاط والشام أكثر اهلها وجميع الغرباء إلاّ من شاء الله . وانتقل الوباء الى العراق فأتى على أكثر اهلهِ واستولى عليهِ الخراب بطروق العساكر المتمادية واتصل ذلك بها الى سنة ٤٥٤ (١٠٦٢م) وعرض للناس في أكثر البلاد قروح سوداويّة واورام الطحال . . . ولمَّا نزل زُحَلُ برجَ السرَطان تكامل خراب العراق والموصل والجزيرة واختلت ديار بكر وربيعة ومُضَر وفارس وكرمان وبلاد المغرب واليمن والفسطاط والشام واضطربت احوال ملوك الارض وكثُرت الحروب والغلاء والوباء . . . (وذكر مَنْ فُقد من العلماء بزمانهِ في مدَّة بضع عشرة سنة) بوفاة الاجَلّ المرتضى والشيخ ابي الحسن البصري والفقيه الحسن القدوري واقضى القضاة الماوردي وابن الطيّب الطبري على جماعتهم رضوان الله . ومن اصحاب علوم القدماء ابو عليّ بن هيثم وابو سعيد اليامي وابو علي بن السمح وصاعد الطبيب(ص٢٤٣) وابو الفرج عبدالله ابن الطيّب . ومن متقدّمي علوم الادب والكتابة علي بن عيسى الربعي وابو الفتح النّيسابوري ومهنيار الشاعر وابو العلاء بن نزيك وابو عليّ بن موصلايا والرئيس ابو الحسن الصابي وابو العلاء المعرّي . فانطفأت سُرُج العلم وبقيت العقول بعدهم في الظلمة »

« وتوفي ابن بطلان ولم يتَّخذ امرأةً ولا خلّف ولدًا ولذلك يقول من ابيات (من الطويل) :

ولا احدٌ ان مُتُّ يبكي لِميتتي سِوى مجلسي في الطبِّ والكُتْب باكيَا

(قلنا) فمن هذا يتَّضح وجود عدَّة اختلافات بين رواية ابن ابي أُصيبعة ورواية جمال الدين القفطي :

١ً يذكر جمال الدين قبح صورة ابن بطلان . وامَّا ابن ابي اصيبعة فانهُ ينسب ذلك الى علي بن رضوان خصمهِ . ولو كان ابن بُطلان مثلهُ قبحاً لما تجاسر على هجوهِ

٢ً قال جمال الدين انَّ ابن بُطلان « اقام في مصر مدَّةً قريبة » إمَّا ابن ابي اصيبعة فجعل اقامتهُ هناك «ثلاث سنين»

٣ً ذكر جمال الدين انَّ ابن بطلان عاد من مصر الى انطاكية وترهَّب ببعض اديرتها . امَّا ابن ابي اصيبعة فيذكر انهُ سافر من مصر الى القسطنطينيَّة واقام فيها سنةً

٤ً وجعل جمال الدين وفاة ابن بطلان في انطاكية سنة ٤٤٤ (١٠٥٢م) على خلاف ما ورد من التفاصيل في ابن ابي اصيبعة اذ يذكر ما كتبهُ في السنتين ٤٤٥ و ٤٤٦ . لا بل ذكر في جملة تآليفهِ (ص ٢٤٣) مقالةً صنَّفها في انطاكية سنة ٤٥٥ (١٠٦٣م) ويؤيد ذلك بقولهِ «انَّ ابن بطلان صنف كتاب دعوة الاطباء ألَّفها للامير نصير الدولة ابي نصر احمد بن مروان» . قال : «ونقلتُ من خطّ ابن بُطلان وهو يقول في آخرها : فرغتُ من نسخها انا مصنّفها يوانيس الطبيب المعروف بالمختار بن الحسن بن عبدون بدير الملك المنيّح قسطنطين بظاهر القسطنطينيَّة في آخر ايلول من سنة ١٣٦٥ (اي من تاريخ اليونان) . ويكون ذلك بالتاريخ الاسلامي من سنة ٤٥٠» فترى انَّ ابن بطلان مكث زمناً طويلًا في القسطنطينيَّة وانَّ وفاتهُ بعد السنة ٤٤٤ بعدَّة سنين . وفي كشف الظنون للحاج خليفة (٤ : ٣١٨) انَّ وفاة ابن بُطلان وقعت سنة ٤٦٣ ه (١٠٧٠—١٠٧١م) . وبين التاريخين كما ترى بونٌ عظيم

﴿أدب ابن بطلان وشعرهُ﴾ يشهد على أدب ابن بطلان وشعرهِ ابنُ ابي اصيبعة حيث يقول (١ : ٢٤٣) : « ولابن بُطلان اشعار كثيرة ونوادر ظريفة وقد ضمَّن منها اشياء في رسالته التي وسمها بدعوة الاطباء وفي غيرها من كتبهِ . ودعوة الاطباء هذه قد عُني بطبعها المرحومان الدكتور بشاره زلزل في مصر والدكتور اسكندر البارودي في الطبيب . ومنها نسخةٌ حسنة قديمة في مكتبتنا الشرقيَّة . وهذه بعض امثلةٍ من شعر ابن بطلان ممَّا ورد في كتابه دعوة الاطباء (ص ٢٠) قال في اختيار الاصحاب (من الوافر) :

عدوُّك من صديقك مستفادٌ   فلا تستكثرنَّ من الصِحابِ
لانَّ الداء اكثرُ ما تراهُ   يكونُ من الطعام او الشرابِ

وقال (ص ٢٤) في منفعة الادوية (من الوافر) :

فانَّ المُرَّ حين يَسُرُّ حلوٌ   وانَّ الحُلْوَ حين يضرُّ مرُّ
فخُذْ مُرًّا تُصادِفْ منهُ حلوًا   ولا تَعْدِلْ الى حلوٍ يَضُرُّ

ولهُ (ص ٦٢) يهجو طبيباً (من المنسرح) :

قالت لهُ النفسُ: كُنْ طبيباً   تقضي على الناس بالذهابِ
تأخذُ مالَ العليلِ قهرًا   ثمَّ تؤَاتيهِ الى التُرابِ

وقال (ص ٦٧) في نكبات الزمان بعد فقد احد احبابهِ (من البسيط) :

عينُ الزمانِ أَصابَتنا فلا نظرَتْ   وعَذَّبتْ بعذابِ الهجر أَلوانا
قد كنتُ أَشفُقُ من دمعي على بَصَري   فاليومَ كلُّ عزيزٍ بعدكم هانا

ومن اقوالهِ (ص ٧٠) عن لسان من لا يرى إِلّا سلامة نفسه (من الرمل) :

انَّما دُنْيايَ نفسي فاذا   ذهبَتْ نفسي فلا عاش أَحَدْ
ليتَ انَّ الشمس بعدي غَرَبَتْ   ثمَّ لم تَطْلُعْ على اهلِ بَلَدْ

وقال (ص ٨٧) في مصالحة العدوّ (من الوافر) :

وكم من مُرْتَدٍ للصُّلح يوماً   فلم يَنْجَحْ بذاك الارتيادِ
لانَّ الجُرْح يُنْقَضُ بعد حينٍ   اذا كان البناءُ على فسادِ

وممَّا انشدهُ في البطنة والشرَه (من المنسرح) :

كم اكلةٍ دخلَتْ حَشا شَرِهٍ　　فأَخرَجتْ روحهُ من الجسدِ
لا بارَكَ اللهُ في الطعام اذا　　كان هلاكُ النفوسِ بالمَعِدِ

رحلة ابن بطلان الى الشام

هذه الرحلة صنَّفها ابن بطلان على صورة رسالة كتبها ووجَّهها الى بغداد الى ابي الحسن هلال بن الحسن الصابي (١ سنة ٤٤٠ ه (١٠٤٩م) رواها ياقوت قطعاً متفرّقة في معجم البلدان وجمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء

وكانت احوال الشام في تلك السنين مضطربة وكثرت فيها الحروب . كان الخليفة في بغداد القائم بامر الله وكانت مصر تحت حكم المستنصر بالله العلويّ . وكان يملك على حلب معزّ الدولة ثمال بن صالح بن مرداس صاحب الرَّحبة سابقاً . امَّا انطاكية فكان استولى عليها الروم سنة ٣٥٢ ه (٩٦٣م) في عهد "نيقيفورس فوكاس" فبقيت في يدهم الى السنة ٤٧٧ه (١٠٨٤م) فدخلها ابن بطلان في ايَّام حكم الروم عليها :

« ﴿المقدَمة﴾ بسم الله الرحمن الرحيم أنا لِما اعتقدهُ من خدمة سيّدنا السيد الاجلّ اطال الله بقاءَهُ وكَبَتَ اعداءَهُ دانياً وقاصياً، وأفترَضهُ من طاعتهِ مقيماً وظاعناً ، أضمرتُ عند وداعي حضرتهُ العالية وقد ودَّعتُ منها الفضل والسؤدد والمجد والفخر والمَحْتِد أَن اتقرَّب اليها وأجدّد ذكري عندها بالمطالعة عمَّا أستطرفُهُ من اخبار البلاد التي أطرُقها واستغربها من غرائب الاصقاع التي أسلكها خدمةً للكتَّاب الذي هو تاريخ المحاسن والمفاخر ، وديوان المعالي والمآثر ، ليودعهُ ادام الله تمكينهُ منها ما يراهُ ويلحق ما يستوفقهُ ويرضاهُ وعليَ ذكرهُ . فما رأيتُ احداً بمصر وهذه الاعمال اكثر من الراغب فيهِ . وكل رئيس في هذه الديار متشوّق اليهِ ولوصوله مترقّب متوقّع . ولو وصلتْ منهُ نسخة لبلغ الجالبُ لها أُمنيّتهُ في رِبْحها ونَفْعها . والى الله تعالى ارغب في نشر فضيلتهِ الباهرة ومحاسنهِ الزاهرة بجودهِ

« ﴿من بغداد الى حلب﴾ كنتُ خرجتُ من بغداد وبدأتُ بلقاء مشايخ البلاد وخواصّها واستملاء ما عندهم من آثارها وعجائبها . فذُكر لي اخبار مستطرفة وغرائب

١) وروى ياقوت (٢ : ٣٠٦) انهُ كتبها الى هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابي في دولة بني مرداش . وهلال هذا من مشاهير الكتاب توفي سنة ٤٤٨ ه (١٠٥٦م)

عجيبة وعجائب غريبة وانواع من الشعر (١ رائقة . واضيق الوقت وسُرعة الرسول اضربت عن اكثره واختصرتُ على أقلّه . وكنتُ خرجتُ على اسم الله وبركته مستهلّ شهر رمضان سنة اربعين واربعمائة (ك ٢ ١٠٤٩) مُصعدًا في نهر عيسى (٢ على الانبار . ووصلتُ الى الرَّحبة (٣ بعد تسع عشرة مرحلة وهي مدينة طيّبة وفيها من انواع الفواكه ما لا يُحصى وبها تسعة عشر نوعاً من الأعناب . وهي متوسطة بين الانبار وحلب وتكريت والموصل وسنجار والجزيرة . وبينها وبين قصر الرصافة مسيرة اربعة ايام . « وهذا القصر (٤ حصنٌ دون دار الخلافة ببغداد مبنيّ بالحجارة وفيه بيعة عظيمة ظاهرُها بالفصّ المذهّب (٥ انشأها قسطنطين بن هيلانة وجدّد الرَّصافة وسكنها هشام بن عبد الملك وكان يَفرَع (يفزع) اليها من البقّ في شاطئ الفرات . وتحت البيعة (٦ صهريج في الارض على مثل بناء الكنيسة معقود على اساطين الرخام مبلّط بالمرمر مملوء من ماء المطر . وسكّان هذا الحصن بادية اكثرهم نصارى ومعاشهم تخفير القوافل وجَلب المتاع والصعاليكُ مع اللصوص . وهذا القصر في وسط برّية مستوية السطح لا يردّ البصر من جوانبها إلّا الأفق »

« ﴿حلب﴾ ورحلنا منها الى حلب (٧ في اربع رحالات وهي بلدٌ مسوَّر بالحجر الابيض فيه ستة ابواب وفي جانب السور قلعة في اعلاها مسجد وكنيستان وفي احداهما كان المذبح الذي يقرّب عليه ابراهيم عم . وفي اسفل المغارة كان يخبأ فيها غنمهُ واذا حلبها اطاف الناس بلبنها فكانوا يقولون : « حَلَبَ ام لا » ويسأل بعضهم

---

١) ويروى : اقطاع من الشعر

٢) نهر عيسى احد الانهار المشتقّة من الفرات

٣) الرحبة هي المدينة المعروفة برحبة مالك بن طوق على شطّ الفرات

٤) ما وُضع بين هلالين ورد في معجم البلدان لياقوت (٣ : ٧٨٥) ولم يروهِ جلال الدين القفطي

٥) الفصّ المذهب هو المعروف بالفسيفساء (mosaïque)

٦) كانت في الرصافة بيعة للقديس سرجيوس الذي استشهد هناك مع القديس بَخُوس وكان العرب يعظمونها وذكرها الاخطل في شعره

٧) هذا الوصف ذكرهُ ايضاً ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٣٠٦)

بعضاً عن ذلك فسُمّيت حلب (١ . وفي البلد جامع وستُّ بِيع وبيمارستان صغير والفقهاء يُفتون على مذهب الإماميَّة . وشربُ اهل البلد من صهاريج مملوءة بماء المطر . وعلى بابهِ نهرٌ يُعرف بقُوَيق يَمُدُّ في الشتاء وينضبُ في الصيف . وفي وسط البلد دار عُلوَةَ صاحبة البحتري (٢ وهو بلد قليل الفواكه والبقول والنبيذ إلّا ما يأتيهِ من بلاد الروم (٣ . ومن عجائب حلب انَّ في قيساريَّة البزّ عشرين دكاناً لوكلاء يبيعون فيها كل يوم متاعاً قدرهُ عشرون الف دينار . مستمرٌّ ذلك منذ عشرين سنة والى الآن . وما في حلب موضع خراب اصلاً »

﴿انطاكية﴾ وخرجنا من حلب طالبين انطاكية بينها يوم وليلة فبتنا في بلدةٍ للروم تُعرف بعِمّ فيها عين جارية يُصاد فيها السمك ويدور عليها رحى وفيها من الخنازير (٤ ومباح النساء والخمور امرٌ عظيم . وفيها اربع كنائس وجامع يؤذّن فيهِ سرًّا . والمسافة التي بين حلب وانطاكية عامرة لا خراب فيها اصلًا ولكنها ارضُ زرعٍ للحنطة والشعير تحت شجر الزيتون (٥ قراها متصلة ورياضُها مزهرة ومياهُها منفجرة يقطعها المسافر في بالٍ رخيّ وأمن وسكون . وانطاكية بلد عظيم ذو سور وفصيل وللسور ثلثمائة وستون برجاً يطوف عليها بالنوبة اربعة آلاف حارس يُنفَذون من القسطنطينيَّة من حضرة الملك فيضمنون حراسة البلد سنةً ويُستبدَل بهم في الثانية . وشكل البلد كنصف دائرة قُطرها يتَّصل بجبل والسور يصعد مع الجبل الى قُلّتهِ ويستمّ دائرة (٦ . وفي رأس الجبل داخلَ السور قلعةٌ تبينُ لبعدها من البلد صغيرةً . وهذا الجبل يستر عنها الشمس فلا تطلع عليها الّا في الساعة الثانية . والسور المحيط بها دون الجبل خمسة ابواب وفي وسطها بيعة القسيان (٧ . وكانت دار قُسيان

١) هذه رواية ضعيفة فانَّ اسم حلب ورد في الآثار الاشوريَّة قبل عهد ابراهيم الخليل

٢) هي علوة بنت زُرعة الحلبيَّة كان البحتري يشبّب بها

٣) هذا ما ذكرهُ القفطي لابن بطلان عن حلب وزاد عليهِ ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٣٠٧) ذكر بعض شعراء وجدهم في حلب وختم بما وضمناهُ بين هلالين

٤) روى ياقوت (٣ : ٧٢٩) : « مشارب الخنازير

٥) روى القفطي : بجنب شجر الزيتون

٦) روى ياقوت : فتمّ دائرة

٧) روى القفطي : قلعة القسياني

للملك الذي احيا ولدهُ فُطرس رئيس الحواريين (١ وهو هيكل طولهُ مائة خطوة وعرضهُ ثمانون وعليهِ كنيسة على أساطين ودائر الهيكل اروقة يجلس فيها القضاة للحكومة ومعلّمو (٢ النحو واللغة . وعلى احد ابواب هذه الكنيسة فِنجان (٣ الساعات يعمل ليلًا ونهارًا دائمًا اثنتي عشرة ساعة وهو من عجائب الدنيا . وفي أعلاه خمس طبقات في الخامسة منها حمّامات وبساتين ومقاصير حسنة(٤ تخرُ منها المياه وعلّة ذلك انَّ الماء ينزل عليها من الجبل المطلّ على المدينة

وهناك من الكنائس ما لا يُحدّ كثرةً كلّها معمولة بالفضّ (بالفِصّ) المذهب(٥ والزجاج الملوَّن والبلاط المجزّع . وفي البلد بيمارستان يراعي البطريرك المرضى فيهِ بنفسهِ . «ويُدخل المجذّمين الحمّامَ في كل سنةٍ فيغسل شعورهم . ومثل ذلك يفعل الملك بالضعفاء كل سنةٍ ويعينهُ على خدمتهم الاجلّاء من الرؤساء والبطارقة التماس التواضع (٦ » : وفي المدينة من الحمّامات ما لا يوجد مثلهُ في مدينةٍ اخرى لذاذةً وطِيبةً « لان وَقودها من الآس وماءها تسعى سَيْحاً بلا كلفة »

« وفي بيعة القُسْيان (٧ من الخدم المسترزقة ما لا يُحصى . ولها ديوان لدَخْل الكنيسة وخَرْجها . وفي الديوان بضعة عشر كاتباً . ومنذ سنةٍ وكَسْر وقعت في الكنيسة صاعقة وكانت حالُها عجيبة . وذلك انهُ تكاثرت الامطار في آخر سنة ١٣٦٢ للاسكندر الواقع في سنة ٤٤٢ للهجرة وتواصلت اكثر ايّام نيسان . وحدث في الليلة التي صبيحتُها يوم السبت الثالث عشر من نيسان رعدٌ وبرقٌ اكثر ممّا أُلِف

١) ورد في بعض التقاليد القديمة انَّ القديس بطرس الرسول لمّا دخل انطاكية وجد ابن واليها الروماني ميتاً فاحياهُ وعمّد الوالد والولد ونشر النصرانية في انطاكية واعطاهُ الحاكم قصرهُ فجعلهُ كنيسة عُرفت ببيعة القُسيان

٢) روى ياقوت : متعلّمو

٣) فِنجان كلمة فارسيّة تعريب بنكان وهي الساعة الزواليّة (clépsydre) ويقال في العربيّة ايضاً بنكام

٤) روى ياقوت : مناظر حسنة

٥) روى ياقوت : بالذهب والفضّة

٦) ما جملناهُ بين هلالين رواهُ ياقوت وحدهُ (١ : ٣٨٢)

٧) كل هذه القطعة بين الهلالين التي تضمَّن وصف الزلزلة التي حدثت في انطاكية لم يذكرها جلال الدين القفطي وانّما دوّنها ياقوت (١ : ٣٨٢-٣٨٤)

وعُهد وسُمع في جملتهِ اصوات رعدٍ كثيرة مَهولة ازعجتِ النفوس ووقعت في الحال صاعقةٌ على صدَفةٍ مخبيَّة في المذبح الذي للقُسيان ففلقت من وجه النَّسرانيَّة (كذا) قطعةً تشاكل ما قد نُحت بالفاس والحديد الذي تُنحَت بهِ الحجارة وسقط صليبٌ حديد كان منصوباً على عاوّ هذه الصدَفة وبقي في المكان الذي سقط فيهِ . وانقطع من الصَّدَفة ايضاً قطعة يسيرة . ونزلت الصاعقة من منفذٍ في الصدَفة وتنزّل فيهِ الى المذبح سلسلة فضَّة غليظة يُعلَّق فيها الشميوطون (كذا) وسعة هذا المنفذ اصبعان فتقطَّعت السلسلة قطعاً كثيرة وانسبك بعضها ووُجد ما انسبك منها ملقًى على وجه الارض . وسقط تاج فضّةٍ كان معلَّقاً بين يدي مائدة المذبح وكان من وراء المائدة في غربيّها ثلث كراسي خشبيَّة مربَّعة مرتفعة يُنصَب عليها ثلثة صلبان كبار فضّة مذهَّبة مرصَّعة وقُلع قبل تلك الليلة الصليبان الطرَفيان وتشظَّيا وتطايرت الشظايا الى داخل المذبح وخارجهِ من غير ان يظهر فيها اثر حريق كما ظهر في السلسلة ولم ينل الكرسيَّ الوسطانيَّ ولا الصليبَ الذي عليهِ شيء . وكان على كل واحد من الاعمدة الاربعة الرخام التي تحمل القبة الفضة التي تغطي مائدة المذبح ثوبُ ديباج ملفوف على كل عمود فتقطّع كل واحد منها قطعاً كباراً وصغاراً . وكانت هذه القطع بمنزلة ما قد عَفِنَ وتهرّأ ولا يُشبه ما قد لامستهُ نار ولا ما احترق ولم يلحق المائدة ولا شيئاً من هذه الملابس التي عليها ضررٌ ولا بان فيها اثرٌ . وانقطع بعضُ الرخام الذي بين يدي مائدة المذبح مع ما تحتهُ من الكلس والنورة كقطع الفاس . ومن جملتهِ لوح رخام كبير طفرَ من موضعهِ فتكسَّر الى علوّ تربيع القبة الفضة التي تغطّي المائدة وبقيت هناك على حالهِ وتطافرَ بقيَّة الرخام الى ما قَرُب من المواضع وبَعُدَ . وكان في المجنَّبة التي للمذبح بكَرة خشب فيها حبل قُنَّب مجاور السلسلة الفضة التي تقطّعت وانسبك بعضها معلّقٌ فيها طبق فضة كبير عليهِ فراخ قناديل زجاج بقي على حالهِ ولم ينطفئ شيء من قناديلهِ ولا غيرها ولا شمعة كانت قريبة من الكرسيّين الخشب ولا زال منها شيءٌ . وكان جملة هذا الحادث مّا يُعجب منهُ . وشاهدَ غير واحد في داخل انطاكية وخارجها في ليلة الاثنين الخامس من شهر آب من السنة المقدّم ذكرها في السماء شبهَ كُرَةٍ ينورُ منها نورٌ ساطعٌ لامع ثم انطفأ واصبح الناس يتحدثون بذلك . وتوالت الاخبار بعد ذلك بانهُ كان في اوَّل نهار الاثنين في مدينة غُنْجُرةَ وهي داخل بلاد

الروم على ١٩ يوماً من انطاكية زلزلة مهولة تتابعَتْ في ذلك اليوم وسقط منها ابنيةٌ كثيرة وخُسِفَ موضعٌ في ظاهرها. وكان هناك كنيسة كبيرة وحصنٌ لطيف غـابا حتى لم يبقَ لهما اثر ونبَع من ذلك الخَسْف ماء حارّ شديد الحرارة كثير المَنْبَع المتدفق وغرق منهُ سبعون ضيعة. وتهارب خلقٌ كثير من تلك الضياع الى رؤوس الجبال والمواضع المرتفعة العالية فسلموا. وبقي ذلك الماء على وجه الارض سبعة ايّام وانبسط حول هذه المدينة مسافة يومين ثمّ نَضَبَ وصار موضعهُ وحلًا. وحضر جماعة ممّن شاهد هذه الحال فحدّثوا بها اهل انطاكية على ما سطّرتُهُ وحكوا انّ الناس كانوا يُصعدون امتعتهم الى رأس الجبل فيضطرب من عظم الزلزلة فيتدحرج المتاع الى الارض»

«وظاهر البلد نهرٌ يُعرف بالمقلوب[1] يأخذ من الجنوب الى الشمال وهو مثل نهر عيسى وعليهِ رحى ويسقي البساتين والاراضي. وخارج البلد دير سمعان وهو مثل نصف دار الخليفة يُضاف فيها المجتازون يقال انّ دَخْلَهُ في السنة اربعمائة الف دينار[2]. ومنهُ يُصعَد الى جبل اللكّام وفي هذا الجبل من الديارات والصوامع والبساتين والمياه المنفجرة والانهار الجارية والزهّاد والسيّاح وضرب النواقيس في الاسحار وألحان الصلوات ما يتصوّر معهُ الانسان انهُ في الجنة. وفي انطاكية شيخ يُعرف بابي نصر ابن العطار قاضي القُضاة فيها لهُ يدٌ في العلوم مليح الحديث والإفهام

«وخرجت من انطاكية الى اللاذقية وهي مدينة يونانيّة[3] لها مينا ومَلعب وميدان للخيل مدوَّر. وبها بيتٌ كان للاصنام وهو اليوم كنيسة وكان في اوّل الاسلام مسجدًا وهي راكبة البحر وفيها قاضي للمسلمين وجامع يصلّون فيهِ واذان في اوقات الصلوات الخمس. وعادة الروم اذا سمعوا الاذان ان يضربوا الناقوس. وقاضي المسلمين الذي بها من قبل الروم... ومن البلد من الحبساء والزُّهّاد في الصوامع والجبال كلُّ فاضل يضيقُ الوقت عن ذكر احوالهم والالفاظ الصادرة عن صفاء عقولهم واذهانهم»

---

١) يريد نهر العاصي او نهر اورُنْط

٢) وجاء في ياقوت (٢ : ٦٧٣) : ولهُ من الارتفاع كل سنة عدَّة قناطير من الذهب والفضَّة

٣) كانت اللاذقيَّة وقتئذٍ في ايدي الروم

١٣ صاعد بن شمّاس

﴿زمانهُ ودينهُ﴾ ورد ذكر صاعد بن شمّاس في رحلة ابن بطلان ومنهُ يُستدل على زمانهِ وعلى دينهِ ووطنهِ . وقد مرّ بك انَّ ابن بطلان عاش في القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح . امَّا ما قال عنهُ ابن بطلان فورد في معجم البلدان لياقوت (٢ : ٣٠٧) في مــادَّة « حلب » قال ابن بطلان : «وفيها (اي حلب) كاتبٌ نصرانيّ لهُ في قطعةٍ في الخمر اظنه صاعد بن شمّامة (كذا) »

خاضت صوارمُ ايدي المازحين(١ بها فألبسَتْ جسمَها دِرْعاً من الحَبَبِ

فقولهُ « صاعد بن شمّامة » قد اصلحهُ ناشر كتاب معجم البلدان في فهرس الاعلام (٦ : ٤٧٦) ودعاهُ « صاعد بن شمّاس » ويحيل هناك الى الجزء الرابع (ص ٨٠) حيث يروي ثلثة ابيات انشدها « ابو زياد اصاعد » دون زيادة في التعريف ولعلّها اصاعد آخر غير ابن شمّاس فظنّ ناشر الكتاب انها لهُ . فنرويها هنا على علّاتها وهي واردة في مادَّة « قَرينة » اسم روضة او وادٍ قال (من الوافر) :

أَلا يا صاحبيَّ قِفا قليـلًا على دار القـدورِ فحَيِّياها

ودارٍ بالشُّمَيط فحيّيـا بي ودارٍ بالقَرينـة فاْسألاهـا

سقَتْهـا كلُّ واكفةٍ هتونٍ تُرَجّيها جَنوبٌ او صَباها

فدارُ القدور والشُّميط والقَرينة كلّها امكنة في البرّية . وهذا غاية ما عرفنـا عن صاعد المذكور

١٤ عون الراهب

﴿ زمانهُ وشعرهُ ﴾ ورد ذكرهُ في كتـاب زهر الآداب وثمر اللباب لابي

١) كذا في الاصل بالحاء ولعلّها «المازجين» بالجيم

اسحاق الحصري القيرواني فاستدللنا بذكره فيهِ انهُ كان من ادباء القرن الحادي عشر للمسيح سبق الحصري المتوفّى سنة ٤٥٣ للهجرة الموافقة للسنة ١٠٦١ للمسيح . وقد روى لعون الراهب ابياتاً في مديح الغراب ردًّا على من يتشاءم بهذا الطائر فقال (في الطبعة المصريَّة على هامش عقد الفريد لابن عبد ربهِ(٢ : ٨٤)وفي الطبعة الجديدة (٢ : ١٧٠) (من الكامل) :

غَلَطَ الذين رأيتُهم بجهالةٍ   يَلْحُون كلُّهُمُ غراباً ينعقُ

ما الذنبُ إلَّا للأَباعِرِ انَّها   ممَّا يُشتِّتُ جميعَهم ويفرّقُ

انَّ الغراب بيُمْنهِ تدنو النوى   وتُشتِّتُ الشَّمْلَ الجميعَ الأَيْنُقُ

وقد بحثنا كثيرًا في كتب الادباء وتراجم القدماء لنقف لعون المذكور على اثر فخاب رجاؤنا

١٥ ابن مَرْغَر الاشبيلي

﴿ زمانهُ ودينهُ ﴾ ابن مرغر هو ايضاً من شعراء القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح . وقد ورد اسمهُ على صور شتَّى فيُروى ابن مَرْغري وابن المرغوي وابن المزعريّ وابن المغربيّ . والصواب ما ذكرنا . كان في ايَّام الملك ابي القاسم محمَّد الملقَّب بالمعتمِد بن عبَّاد وهو آخر ملوك العبَّاديّين في اشبلية حاضرة الاندلس ملَكَ من السنة ٤٦١ الى ٤٨٤هـ (١٠٦٨—١٠٩١م) . وكان ابن مرغر من نصارى الاندلس لا شكَّ في الامر

﴿ اخبارهُ وشعرهُ ﴾ اخبارهُ قليلة وجدنا منها شيئاً في مخطوطات مكاتب اوربَّة الشرقيَّة . فمن ذلك ما جاء في كتاب اخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء(Ms de Leide, 834, II p. 288) للملك المنصور امير حماة المتوفَّى سنة ٦١٧ (١٢٢٠م) قال (ص ٢٤٧—٢٤٨)) :«ابن مرغر من نصارى الاندلس من اهل اشبيلية . قال الشيخ ابو عبَّاس شهاب الدين احمد بن يحيي بن الفضل العمري في

كتاب مسالك الابصار من ممالك الامصار : ابن مرغر النصراني مُجيدٌ على ما عُرف من مُدامه ، وعُلم منهُ من جهلٍ ما فكَّ عنهُ فِدامه ، وقد تردَّى القالب (١ وهي ثِماد ، وتنطَّق الاوتاد وهي جماد ، وتُضيء النار وهي من حطب الى رماد ، والحمامة وهي عجماء قد تسجَعُ ، والغمامة وهي طَلَّةٌ تُستَنجَع »

ثمَّ انشد لهُ يصف كلبَ صيدٍ . وهي ستة ابيات رويت في نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب (٢ : ٩٤٦) فقال : « حُكي ان ابن المرغوي (كذا) النصراني الاشبيلي اهدى كلبة صيد للمعتمد بن عبَّاد وفيها يقول (من المنسرح) :

لم أرَ مَلْهًى لذي اقتناصٍ (٢ ومكسباً مُقْنِعَ الحريصِ
كمثل خطَّارٍ ذاتِ جيدٍ أتْلَعَ في صفرة القميصِ (٣
كالقوس في شكلها ولكن تنفذُ (٤ كالسَّهْم للقنيصِ
ان تَخِذَتْ أنفَها دليلًا دلّ على الكامن العويصِ
محبوكةُ الظَّهْر لم يَخِبهُ لخوف بطنٍ لها خميصِ (٥
لو انها تستثير برقاً لم يَجِدِ البرقُ من محيصِ

قال (ومنها في المديح) :

يشفع تأميلهُ (٦ بودٍّ شَفْعَ القياسات بالنصوصِ

وقد روى لهُ عماد الدين الاصفهاني في كتاب خريدة القصر وجريدة اهل العصر

١) كذا في الاصل . ولعلّ الصواب تروَى القُلُب وهو جمع قَليب اي البئر وتروّى كمثل رَوِيَ

٢) ويروى : لدى اقتناص

٣) ويروى : كمثل خطلاء . . اتلع مصفرّة . واتلع عن صفرة

٤) ويُروى : ينفذ

٥) ويروى : لم يخنهُ . . جا

٦) ويروى : تنويلهُ

(Ms de Paris, n° 3330, fol. 175ʳ, de Londre, 574) وغيرها من الابيات.
منها قولهُ في المديح (من الكامل):

واللهُ اكبرُ انت بدرٌ طالعٌ والنَّقعُ(١ دجنٌ والكماةُ نجومُ
والجُرْدُ افلاكٌ وانت مُديرها وعدوُّك الغاوي وانت رجومُ(٢

وقال في قوم بات عندهم فلم يوقدوا لهُ سراجاً (من البسيط):

نزلتُ في آلِ مكحولٍ وضيفهُمُ كنازلٍ بين سمع الارض والبصرِ
لا تستضيءُ بضوءٍ في بيوتهمُ ما لم يكن لك تطفيلٌ على القمرِ

وقال يمدح كريماً رطَّب لسانهُ بكرمهِ وشحذ قريحتهُ في مديحهِ (من البسيط):

انطقتني بالنَّدى حتى سرى نَفَسي كما تنفَّس في الأنداء رَيْحانُ
وغاص في بحر نعماك المحيطِ بهِ فهذهِ دُرَرٌ منهُ ومَرْجانُ

١٦ زَبينا النصراني

❊زمانهُ وشعرهُ❊ زبينا اسم سرياني بمعنى المبيع والمملوك. كان في القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح. ذكرهُ الراغب الاصفهاني (المتوفى سنة ٥٠٢هـ ١١٠٨م) في كتابهِ محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء. وروى لـهُ شعرًا (١: ١٩٦) في باب الرجل «الموصوف بكثرة المساوئ» بعد ذكره لقول الاخطل:

قومٌ تناهى اليهم كلُّ فاحشةٍ وكلّ مخزيةٍ سُبَّتْ بها مُضَرُ

قال زبينا النصراني (من البسيط):

---

١) ويروى: والنقع بالفاء
٢) وفي نفح الطيب (٢: ٩٤٦): والجودُ ... ومنّ رجوم

لي صاحبٌ لستُ أُحصِي من محاسنهِ شيئاً صغيراً ولا تُحصى مساويهِ(١
وليس فيهِ من الخيرات واحدةٌ واكثرُ السوء لا بل كلُّهُ فيهِ

وقد نقّبنا عن زبينا هذا لنعرف شيئاً من اخبارهِ فلم يُجدنا التنقيب شيئاً

١٧ ربيب النصراني

﴿ زمانهُ وشعرهُ ﴾ ربيب النصراني هو ايضاً من الشعراء الذين نقل عنهم بعض مقاطيع اشعارهم الراغبُ الاصفهاني في كتابهِ «محاضرات الادباء» وبهِ عرفنا زمانهُ اي انهُ من شعراء القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح. وفي غير هذا الكتاب لم نجد لهُ ذكرًا ولعلّهُ هو زبينا السابق ذكرهُ فيكون اسمهُ مصحَّفاً. امَّا ما رواهُ عنهُ فهو بيت مفرد ذكرهُ في باب «المغالاة بما لا يقلّ وجودهُ» (١ : ٢٩٢) قال ربيب النصراني (من البسيط) :

وكلّ شيءٍ غلا او عزّ مطلبُهُ مسترخصٌ ومُهانُ القدرِ إن رخصا

١٨ سعيد النصراني

﴿ زمانهُ وشعرهُ ﴾ سعيد النصراني هو الشاعر الثالث الذي اوقفنا عليهِ الراغب الاصبهاني في محاضراتهِ فأفادنا انهُ عاش في زمانهِ اي في القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح ولم يزدنا علماً امَّا شعرهُ فلم يروِ منهُ الَّا ثلثة ابيات في باب «مزاورة الحبيب وملاقاته والنظر اليهِ» (٢ : ٦٤) قال سعيد النصراني (من الخفيف) :

وعدَ البدرُ بالزيارةِ ليلًا فاذا ما وفى قضيتُ نذوري
قالتْ : يا سيّدي ولمْ تؤثر الليلَ على بهجة النهار المُنيرِ

١) في الاصل : احصي . وهو غلط لاختلاف القافية

قال : لا استطيعُ تغييرَ رسمي هكذا الرسمُ في طلوع البدورِ

وقد بحثنا بدون جدوى عن سعيد النصراني المذكور في الراغب فلم نتوفَّق الى معرفة شيء من اخبارهِ في سائر الكتب التي راجعناها

١٩ امين الدولة العلاء بن مُوصلايا

﴿ اسمهُ وزمانهُ ﴾ قال عماد الدين الاصبهاني في خريدة القصر وجريدة العصر (Ms de Paris, 3326) : «هو امين الدولة ابو سعد العلاء بن الحسن بن وَهب بن الموصلايا » وفي نسخة ليدن(Ms de Leide, 881, p. 41)وفي تراجم ابن خلِّكان (ص٥٤٥ طبعة باريس)انهُ يكنى «ابا سعيد العلاء بن الحسين» . وضبط ابنُ خلكان اسمهُ مُوصَلايا بضم الميم وسكون الواو وفتح الصاد قال : «وهو من اسماء النصارى» . كان منشأه بغداد فدعاهُ ابن خلكان «بالكاتب البغدادي ومنشئ دار الخلافة» على انَّ اسم جدّهِ يدلّ على انَّ اصلهم من المُوصل

اما زمانهُ فانهُ عاش في القرن الخامس للهجرة كانت وفاتهُ في ١٣ ربيع الاوَّل سنة ٤٩٧ (اواسط كانون الثاني ١١٠٤م) كما روى الاصفهاني في خريدة القصر وابن الاثير في الكامل . امّا ابن خلكان فجعل وفاتهُ في تاسع عشر من جمادى الاولى من السنة ويروى ثامن عشر جمادى

وجاء في نكت العميان للشيخ خليل بن ايبك الصفدي (مكتبة بايزيد في الاستانة نمره ١٦٣) انهُ ولد سنة ٤١٢ (١٠٢١م) فيكون عاش ٨٥ سنةً

﴿دينهُ﴾ ولد امين الدولة نصرانيًا وعاش نصرانيًا في خدمة الخلفاء الى السنة ٤٨٤هـ (١٠٩١م) فاسلم . أمّا اسلامهُ فلم يكن عن اقناع واختيار بل كرهاً واضطرارًا كما روى ابن تغري بردي في تاريخ سنة ٤٨٤ (ed. Popper, III, 287) قال :

«فيها في صفر كتب الوزير ابو شجاع (محمَّد بن الحسين الرُّوذْراوَري) الى الخليفة (المقتدي بالله) يعرِّفه باستطالة اهل الذمَّة على المسلمين (كذا) وانَّ الواجب تمييزهم عنهم . فامر الخليفة ان يفعل ما يراهُ . فألزمهم الوزير لبس الغيار والزنانير وتعليق الدراهم الرصاص في اعناقهم

مكتوبٌ «عليّ الدراهم» وتُجعَل هذه الدراهم ايضاً في اعناق نسائهم في الحمّامات ليُعرَفن بها وان يلبسنَ الخفاف فردًا اسود وفردًا احمر وجلجلًا في ارجلهنّ. فذلّوا وانقمعوا بذلك وأسلم حينئذٍ ابو سعد ابن المُوصلايا كاتب الانشاء للخليفة وابن اخيهِ ابو نصر هبة الله »

فترى التساهل المزعوم الذي يدّعيهِ بعض الكتبة للخلفاء وكيف أُكره على جحود دينهم كثيرون من النصارى وفي جملتهم ابن الموصلايا أفيحقُّ لنا ان ننظمهُ في سلك الاسلام وان دان بهِ ظاهرًا في السنين الاخيرة من حياتهِ ؟

﴿ أخبارهُ ﴾ كان ابن موصلايا من نصارى بغداد المنتمين الى البدعة النسطوريّة ورد ذكرهُ في تاريخ المجدل لابن ماري النسطوري (١٢٢ و١٣٣). واصل اسرتهِ من الموصل كما يدلّ عليهِ اسمهُ تخرّج بالآداب على اهل نحلتهِ ثمَّ دخل في ديوان الانشاء في خدمة الخلفاء. قال الصفدي في كتابهِ نكت الهميان في نُكت العميان (عن نسخة الاستانة. اطلب طبعتهُ الجديدة ص ٢٠١-٢٠٢) :

« كان (ابن موصلايا) يتولّى ديوان الرسائل منذ ايّام القائم (بامر الله) وناب في الوزارة وأضرّ آخر عمرهِ وكانت خدمتهُ خمساً وستين سنة كل يوم منها يزيد جاههُ وناب في الوزارة. ولمّا أضرَّ كان ابن اختهِ هبة الله بن الحسن يكتب الانشاءات عنهُ . وكان كثير الصدقة والخير. ومولدهُ سنة ٤١٢ وتوفي سنة ٤٩٧ ثامن عشر جمادى الاولى. وكان الخليفة قد لقّبهُ امين الدولة. قال محمَّد بن عبد الملك الهمداني (ويروى: الهمذاني) : ومَن قرأ علم السيَر علِمَ انَّ الخليفة والملوك لم يثقوا باحدٍ ثقتهم بامين الدولة ولا نصحهم احد نصحَهُ»

وقال عماد الدين الاصفهاني في خريدة القصر :

« ولم يزل امين الدولة موقَّرًا موفَّر الحرمة ينوب عن الوزارة المقتديّة والمستظهريّة حتى قال عميد الدولة للمستظهر عنهُ وعن ابن اخيهِ : هما عينا الدولة واميناها لا يُبرَم دونهما امرٌ. وكان كثير الصدقة والصلة ذُكر عنهُ انهُ فرّق في يوم من ايام الغلاء (ويروى: في ايّام قليلة) ثلاثين الف رطل خبزًا »

وقال ابن الاثير في الكامل في تاريخ سنة ٤٩٧ انَّ امين الدولة توفي فجأة وانهُ « كان كثير الصدقة جميل المحضر صالح النيّة ووقف املاكهُ على ابواب البرّ »

(قلنا) فكان جزاؤهُ على هذا الفضل العميم ان أرغموهُ على جحود دينهِ . فتأمّل

﴿آدابهُ وشعرهُ﴾ غنيٌّ عن البيان ان رجلًا تولّى ديوان الانشاء للخلفاء مدّة خمساً وستين سنة بلغ من الآداب مبلغاً عظيماً . قال عماد الدين الاصفهاني يصف

كتابتهُ ويطري حسن انشائهِ :

« كان امين الدولة بليغ الانشاء سديد الآراء رسائلهُ تعبّر عن فضلهِ ووفور علمهِ . وكان نثرهُ احسن من نظمهِ لتمرّنهِ عليهِ وانقطاعهِ اليهِ . على انَّ لهُ مقاطعات مستعذبة اراها احلى من الأَرْي وأَزْين من الحلي وهي في اسلوب شعر الكتّاب بعيدة عن التكلُّف في الصنعة ، ارقّ معنى من الدمعة ، واعذب لفظاً [للمتكلّم] مستبشر الطلعة »

امّا ابن تغري بردي فقد وصفهُ في تاريخهِ (٣ : ٣٤٥) بالمترسّل والشاعر المُجيد . وقد خلّف ابن موصلايا كتاباً في الترسّل ذكرهُ القلقشنـــدي في صبح الاعشى (١٣ : ٢٧٢) . امّا شعرهُ فدونك ما جمعنا منهُ نقلاً عن كتاب خريدة القصر لعماد الـــدين وعن نكت العميان لخليل بن ايبك الصفدي وعن تاريخ ابن تغري بردي . فمنهُ (من الخفيف) :

يا خليليَّ خلّياني ووَجْدي فكلامُ العذول(١ ما ليس يجدي
وَدَعاني فقد دعـــاني الى الُحـــكْم م غريمُ الغرامـــة اللَّتِ عندي (٢
فعساهُ يرقُّ اذ ملَكَ الرقّ م بنقدٍ من وصلهِ او بوَعْدِ
ثمَّ مَنْ ذا يُجير منـــهُ اذا جـــا رَ ومَنْ ذا على تَعَدّيهِ يُعْدي

وقال في وصف المُدامة (من الطويل) :

وكأسٍ كساها الُحسنُ ثوبَ مُلاءةٍ فحازَتْ ضياءً مُشرقاً يُشبه الشمسا
اضاءَت على كفّ المُدير وما درى وقد دَجَتِ الظلماءُ أَصبَحَ ام أَمسى

ومن شعرهِ ايضاً (من السريع) :

يا هنـــدُ رقّي لفتًى مُذْنِفٍ يَحسنُ فيهِ طلبُ الأَجْرِ
يرعى نجومَ الليل حتى يرى حلَّ عُراهـــا بيدِ الفَجْرِ

١) ويروى : فلام العذول

٢) ويروى : غريم الغرام للذي عندي . واللّتِ بدل اللاتي لضرورة الوزن

ضاق نطاقُ الصبر عن قلبهِ عنـد اتّساع الخَرْق في الهَجْرِ

وهو القائل (من الوافر) :

اقول للائمي في حبّ ليلى وقـد ساوى نهـارٌ منهُ ليلا
أَقِـلَّ فما أَقلَّتْ قطُّ أَرضٌ مُحبًّا جرّ في الهِجْران ذَيْلا

وقال في الشوق ووصف الخمرة (من الطويل) :

أَحِنُّ الى روض التَّصابي وأَرتاحُ وأَمْتَحُ من حوض التصافي وامتاحُ
واشتاقُ رِئْمًا كلَّما رُمتُ صيدَهُ تَصُدُّ يدي(1) عنهُ سيوفٌ وارماحُ
غَزالٌ اذا ما لاح او فاح نشرُهُ تُعَذَّبُ ارواحٌ وتَعـذُبُ ارواحُ
بنَفْسٍ وان عَزَّتْ واهليَ اهلُهُ لها غُرَرٌ في الحسن تبدو وأَوضاحُ
نجومٌ اعاروا النورَ للبدر عندما اغاروا على سِرْبِ الملاحة واجتاحوا
فتَتَّضحُ الأَعذارُ فيهم اذا بدَوْا ويفتضحُ الاخوان(2) فيهم اذا لاحوا
وكَرْخيَّةٍ عذراء يُعْذِرُ حبَّها ومن زَنْدها في الدهر تُقْدَحُ افراحُ(3)
اذا جُليَتْ في الكأس والليلُ ما انجلى تَقَابلَ إصْباحٌ لَدَيْكَ ومِصْباحُ
يطوفُ بها ساقٍ لسُوقِ جمالِهِ نَفاقٌ لإِفسادِ الهوى فيهِ إِصلاحُ
بِهِ عجمةٌ(4) في اللفظ تُغْري بوصلهِ وان كان منهُ في القطيعة إِفصاحُ
وغُرَّتُهُ صبحٌ وطُرَّتُهُ دُجى ومَلبَسُهُ دُرٌّ وريقتـهُ راحُ

---

1) ويروى : تَصدَّى يُرى
2) ويروى : ويفتضحُ اللاحون
3) ويروى : يغدرُ . . . ومن دَنّها . . تُقدح اقداح . واراد بالكرخ خمر كَرخ بغداد
4) ويروى : لهُ عجمةٌ

أَباح دمي مذ بُحتُ في الحبّ باسمهِ وبالشَّجْو من قبلي المحبُّون قد باحوا
وأَوعَدَني بالسوء ظلماً ولم يكن لإشكال ما يُفضي الى الضَّيم ايضاحُ
وكيف اخافُ الضَّيم او احذرُ الرَّدى وغوثي على الايَّام أَبلجُ وَضَّاحُ
وظِلُّ نظام الملك للكَسْر جابرٌ وللضرّ منَّاعٌ وللخير منَّاحُ

وله ايضاً (من الطويل) :

واني لَصبٌّ بالصَّبا مذ غَداتها هبوبٌ بهاتيك الخيام يجولُ
ومن عجبٍ ان أَبتغي من نسيمها شفاءَ عليلٍ والنسيمُ عليلُ

ولهُ في خريدة القصر من نسخة ليدن ابياتٌ اخرى منها داليةٌ بديعة لم يسمح لنا الزمان بنسخها . امَّا ترسُّلهُ فقد ورد منهُ مثال في تاريخ المجدل لابن ماري (ص١٣٣-١٣٥) وذلك نسخةٌ من انشاء عهدٍ كتبهُ باسم الخليفة القائم بامر الله لجاثليق النساطرة الفطرك عبديشوع نذكر منهُ بعض فقراتهِ كمثال من انشاء ابن الموصلايا .

بسم الله الرحمن الرحيم توكلت على الله وحده

«هذا كتابٌ امر بكتبتهِ عبدالله ابوجعفر الامام القائم بامرالله تعالى «اعتضادي بالله» لعبد يشوع الجاثليق الفطرك . امَّا بعد فالحمد لله الواحد بغير ثانٍ ، القديم لا عن وجود زمان ، الذي قصرَتْ صيغة الاوهام عن ادراكهِ ، ونضلت صفة الافهام عن بلوغ يدى (مدى) صفاتهِ . . . ليس كمثلهِ شيء وهو السميع البصير»

الى ان قال :

«الحمد لله الذي استخلص امير المؤمنين من ازكى الدرجة والارومة واحلَّت (واحلَّهُ) من عزّ الامانة ذروةً من المجد منيعةً غير مروه (غير مَرُومة)، . . .

«ولمَّا أُنهي الى حضرة امير المؤمنين تميزك من نظرائك ، وتحليك من السداد بما يستوجبُ معهُ من امثالك البالغة في وصفك و اطرائك ، وتخصُّصك بالانحاء التي فُتَّ

فيها ساو (شأو) اقرانك ، وأفدتَّ بها ما قصَّر معهُ مُساجلُك من ابناء جنسك ان يعدلك في ميزانك، وما عليك(عليه) نِحلتُك من حاجتهم الى جاثليق كافل بامورهم ، كافٍ في سياسة جمهورهم ... فلم يصادفوا من هو بالرئاسة عليهم احقّ واحرى ، وللشروط الموجبة للمقدَّم فيهم اجمع واحوى ، وعن اموال وقوفهم اعفّ واورع ، ومن نفسهِ لداعي التحرّي فيها أتبع ومنك اطوع ، فأصاروك لهم راعياً ، ولتشييد نظامهم ملاحظاً واعياً ، وسألوا إمضاء نصبك عليهم ... فرأى امير المؤمنين الاجابة الى ما وجَّهتْ اليه فيهِ الرعيَّة ... مقتدياً فيما اسداهُ اليك ، واسناهُ من انعامهِ لديك ، بافعال الائمَّة الماضين والخلفاء الراشدين ، صلوات الله عليهم اجمعين ، مع امثالك من الجثالقة الذين سبقوا ، وفي مقامك اتَّسقوا ، واوعز ترتيبك جاثليقاً لنسطور النصارى في مدينة السلام والاصقاع وزعيماً لهم وللروم واليعاقبة طرًّا ولكل من تحويه ديارُ الاسلام من هاتين الطائفتين.... وان يُمْضى تثقيفك لهم وأمْرُك فيهم اسوةً بما جرى الامر عليهِ من كان قبلك بينهم ... فقابلْ نعمة امير المؤمنين عندك بما يستوجب من شكر يبلغ فيهِ المدى الاقصى .... ‹عُرض هذا المنشور بحضرة سيّدنا ومولانا الامام القائم بامر الله امير المؤمنين اعزّ الله انصارَهُ وضاعف اقتدارَهُ ، وأنفذَهُ وامضاهُ ، وشرَّفهُ بالعلامة الطاهرة على اعلاهُ ، فليُعتَمد وليُعمَل بحسبهِ ومقتضاهُ ، ان شاء الله

٢٠ ابو نصر بن موصلايا

﴿ اسمهُ وزمانهُ ﴾ هو تاج الرؤساء ابو نصر هبة الله ابن صاحب الخير حسن ابن عليّ ابن اخت امين الدولة السابق ذكرهُ . كان مولدهُ سنة ٤٢٨ ﻫ (١٠٣٦م) ‹توفي على ما رواهُ عماد الدين الاصبهاني في خريدة القصر وابن خلكان في تراجمهِ (ص ٥٤٥) في عشيَّة الاثنين حادي عشر جمادى الاولى سنة ٤٩٨ ببغداد (اوائل شباط ١١٠٥) ولهُ سبعون سنة وبين موتهِ وموت خالهِ سنة إلَّا عشرة ايام (هلاليَّة)

﴿ دينهُ ﴾ كان ابو نصر كخالهِ امين الدولة نصرانيًّا من النِحلة النسطوريَّة وبقي على نصرانيَّتهِ الى السنة ٥٦ من عمرهِ فأسلم مُكرهاً مع خالهِ كما مرَّ . قال

الشيخ خليل بن ايبك الصفدي : « لَمَّا رسم الخليفة المقتدي في رابــع صفر سنة ٤٨٤ إلزام اهل الذمّة الغيارَ والتزام ما شرَطهُ عليهم عمر بن الخطّاب (١ فهربوا كلّ مهرب واسلم ابو غالب الاصباغي وابن موصلايا صاحب ديوان الانشاء وابن اختــهِ ابن صاحب الخير على يد الخليفة »

﴿ آدابهُ واخبارهُ ﴾ قال عماد الدولة الاصبهاني :

ربّى ابا نصر خالهُ فكتب بين يديهِ في ديوان الانشاء في الايام القائميَّة والمقتديَّة والمستظهرية وأسلم مع خالهِ على يد الامام المقتدي . وكان لَمّا أضرَّ خالهُ يكتب عنهُ ما جرت بهِ العــادة من الإنهاءات . فلما توفي خالهُ رُدَّ ديوان الانشاء اليهِ في الايّام المستظهريَّة . وخرج في الرسالة الى السلاطين مرارًا . وعاد من الرسالة الى بركيارق (٢ بعد موتهِ الى بغداد . . . وكان لا يقاربهُ احد في الانشاء والعبارة ولم يكتب كتابًا قطّ فرجع فيه الى مبيضّهِ»

وقد ذكرهُ ابن تغري بردي (٣ : ٣٠٤) بعــد ذكرهِ فتح الفرنج لانطاكية وانتصارهم على جيش الامراء المسلمين قال :

« كتب دقاق ورضوان (٣ والامراء الى الخليفة المستظهر العبَّاسي يستظهرونهم . فاخرج الخليفة ابا نصر بن الموصلايا الى السلطان بركيارق ابن السلطان ملكشاه السلجوقيّ يستنجدهُ »

وقد ذكرهُ ابن الاثير في الكامل في تاريخ سنة ٤٩٥هـ (١١٠٢م)

« في هذه السنة في ربيع الاوَّل (ك٢ ١١٠١م) خرج تاج الرؤساء ابن اخت امين الدولة ابن سعد بن موصلايا الى الحلَّة السيفيَّة مستجيرًا بسيف الدولة صدَقة . وسبب ذلك ان الوزير الاعزّ وزير السلطان بركيارق كان ينسب اليهِ انهُ هو الذي يُميل جانب الخليفة الى سلطــان محمد . فسار خائفًا واعتزل خالهُ امينُ الدولة الديوان وجلس في دارهِ . فلما قُتل الوزير الاعزّ على ما ذكرنا عاد تاج الرؤساء من الحلَّة الى بغداد وعاد خالهُ الى منصبهِ»

وقال في تاريخ سنة ٤٩٧هـ (١١٠٤م) :

« ولَمَّا مات امين الدولة خُلع على ابن اختهِ ابي نصر ولُقّب نظام الحضرتَين وقُلّد ديوان الانشاء »

وقال في تاريخ ٤٩٨هـ (١١٠٥م) :

« وفيها توفي ابو نصر ابن اخت ابن الموصلايا وكان كاتبًا للخليفة جيد الكتابة وكان عمره

١) ما يُنسب هنا لعُمَر في الزام اهل الذمّة الغيار لا يثبتهُ التاريخ الصحيح

٢) بركيارق ومحمَّد هما ابنا السلطان ملكشاه السلجوقي الذي استولى على بغداد فتنازع الملكَ بعدهُ ولداهُ ٣) كان دقاق صاحب دمشق ورضوان صاحب حلب

سبعين سنة . ولم يُخلف وارثاً لانه اسلم واهلهُ نصارى فلم يَرِثوهُ وكان يُبخَّل الّا انهُ كان كثير الصدقة »

ووصفهُ ابن خلكان في ترجمة خاله قال :

«كان تاج الرؤساء ابو نصر فاضلًا لهُ معرفة بالادب والبلاغة والخطّ الحسن وكان ذا رسائل جيدة وهي مدوَّنة ايضاً ومشهورة»

﴿ شعرهُ ﴾ روى لهُ عماد الدين الاصبهاني شعرًا (Ms de Leide 881, p. 45-46) قال ملغزًا في الخاتم (من الوافر) :

ومنكوحٍ اذا ملكَتْهُ كفٌّ ... وليس يكون في هذا مِراءُ

لهُ عين تَخَلَّلها (١ ضياءٌ ... فان كُحلت فبالمِيل العماءُ

وقد اوضحتُهُ وأبنتُ عنهُ ... ففسِّرهُ فقد بَرِحَ الخفاءُ

ولهُ في داليَّة الماء (اي الناعورة) (من السريع) :

ومَيْتَةٍ فيها حَراكٌ اذا ... قامت على مِنبرها خاطِبَهْ

ساعيةٌ في غير منفوعها ... فهي اذًا عاملةٌ ناصبهْ

ان وُطئت تَحمِل من وقتها ... حين تُرَى مجذوبةً جاذِبَهْ

تمدّ غَرْثاها برِيٍّ اذا ... اضحت بروقٌ للحيا كاذبَهْ (٢

هذا ما امكنَّا الحصول عليهِ من اخبار ابنَيْ موصلايا . وقد ورد ذكر كاتب آخر بهذا الاسم وهو « ابو علي بن الموصلايا» جاء ذكرهُ في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة قال عنهُ (١ : ٢٣٢) انهُ كان كاتباً للوزير ابي قاسم المغربي . وذكرهُ ابن بطلان في رحلتهِ التي روينا منها قسماً انَّ من جملة المتوفَّين بالطاعون في اواسط القرن

١) ويروى : تخلّلها

٢) قال في شرحها اي انها اذا قامت على حائطها صارت ذات حركة واذ وُطئت بالارجل تحمل من وقتها بالماء وقلائدها الحبال المعلّقة بها . والحيَا المطر

الخامس للهجرة كان ابو علي بن الموصلايا من متقدّمي علوم الادب والكتابة . فيكون سبق عهد امين الدولة وتاج الرؤساء وهو من اسرتهما في بغداد

٢١—٢٢ ابو غالب وابو طاهر ابنا الاصباغي

﴿ اخبارهما ودينهما ﴾ هما اخوان نصرانيّان من كتبة ديوان الانشاء للخلفاء كانا معاصرَين لابنَيْ الموصلايا اضطُرَّا مثلهما الى الإسلام لينجوَا من تذليل النصارى كما مرَّ سابقاً . امَّا اخبارهما فلم نجدها في غير خريدة القصر لعماد الدين الاصفهاني نقلناها عن نُسَخ لندن (British Museum, Ms. 1096, ff. 40-46) وباريس (Paris, Ms. 3326, f. 7) وليدن (Leide, Ms. 881, p. 46-49) قال الاصفهاني عن ابي غالب :

« هو تاج الرؤساء ابو غالب بن الاصباغي الكاتب كتب بديوان الذمام (١ في بعض الايَّام المستظهرية وناب عن ديوان الذمام في ايَّام المقتدي . ولهُ تصنيف في علم الكتابة . وجماعة الحسَّاب وكتَّاب العراق يكتبون الحساب على طريقتهِ . وأسلم في صفر سنة ٤٨٤ (١٠٩١ م) قبل اسلام ابني موصلايا بيوم حيث خرج التوقيع الشريف بإلزام اهل الذمّة بالغيار وكان من بركات ذلك اسلامهم (كذا) »

وقال عن ابي طاهر : «ابو طاهر بن الاصباغي اخوهُ كان يخدم عفيفاً القائميَّ (٢ وانصرف عن خدمتهِ فبلغهُ انهُ تهدَّدهُ وكان عفيف قد بنى دارًا وانفق على سقفها في التذهيب اكثر من خمسة آلاف دينــار فعمل فيهِ ابو طاهر ابياتــاً غاظتهُ فتهدَّد ابا طاهر . ولم يذكر العماد إسلام ابي طاهر

﴿ شعرهما ﴾ روى العماد الاصفهانيّ لابي غالب قولهُ يصف الخمرة وفعلهــا في شاربها (من الكامل) :

عقرَتهمُ معقورةٌ لو سالمَتْ ... شُرَّابَها مــا سُمّيَتْ بعُقارِ

ذكرت طوائلَها القديمةَ اذ غدَتْ ... صرعَى تُداسُ بأرجُلِ العصَّارِ

١) روى في احدى النسخ : ديوان الزمام وفي نسخة اخرى : ديوان الرمام بالزاي

٢) يريد احد الامراء الذين في خدمة القائم بأمر الله الخليفة العباسي

لانَتْ لهم حتى انتشَوْا وتمكَّنتْ منهم فصاحَتْ فيهم بأثارِ

وقال ملغزًا في القمر (من السريع) :

مُقامرٌ مذ كان لم يُقْمَرِ كأنَّما يلعَبُ بالسُّدَّرِ

يعشقهُ الناسُ على جَوْرهِ والجورُ ممقوتٌ على الأكثرِ

شبابُهُ المرموقُ في شَيبهِ وشيبهُ مذ كان لم يخطُرِ

يدلُّ في البيع ولكنّهُ يميل احياناً مع المشتري

حديثهُ مع انهُ صامتٌ يَهيجُ من شقشَقة السُّمَّرِ(١

وروى لابي طاهر الابيات التي ذكر فيها ترويق عفيف القائميّ لسقف دارهِ وتذهيبها قولهُ (من الطويل) :

تنَوَّقْ وزَوِّقْ وادهُنِ السقفَ والعُمْرا فان تمَّ فاكتب تحت زنّاره سطرا

علوٌّ وإقبال ومجدٌ مؤثَّلٌ لصاحبهِ حقًّا ومالكهِ دهرا

لمن عندهُ في الدار وجهٌ مقدَّرٌ على مثل هذا الوجه والأوجُه الأُخرى

وهذا دعاءٌ أنت منهُ مبرّأٌ وكان اميرُ المؤمنين بهِ أحْرى

قال فتطيَّر عفيف منها ومات بعد شهر واخذ المقتدي السقف فكأنَّ الله أنطَقَ ما في القدَر على لسانهِ

٢٣ ابن بابي

﴿زمانهُ ودينه واخبارهُ﴾ هو احد كبار الكتَّاب عاش في اواخر القرن الخامس

١) قال الشارح: سمَّاهُ مقامرًا لان اسمهُ فعل القمار. ولقَّبهُ السُّدَّر (ويروى : الصَّدر) معروف وجورهُ علوهُ. وشبابهُ إبدارهُ. والمنجّمون ذكروا انَّ لهُ ميلًا مع المشتري. وحديثهُ دوام ضوئهِ

للهجرة واوائل السادس اعني في القرن الحادي عشر للمسيح . اصلهُ من بغداد من نصارى النساطرة وانّما انتقل الى مدينة واسط التي كانت في ذلك العهد من حواضر العراق متوسّطة بين الكوفة والبصرة واشتهر بين ادبائها . وقد افادنا عن كل ذلك عماد الدين الاصفهاني في تأليفهِ خريدة القصر وجريدة العصر قال : (Ms de Leide, 881, ff 163, Ms de Paris 3326 ff. 163v) «الرئيس ابو غالب نصر بن عيسى ابن بابي الواسطي النصراني توفي بعد الخمسمائة وكان من ظرفاء واسط واعيانها . ولهُ شعرٌ لطيف ونظم ظريف وعبارة مستعذَبة وكلمات مطربة معجبة . ولم أُدرِك زمانهُ . انشدني لهُ الرئيس العلاء بن السوادي بواسط سنة ثلث وخمسين وخمسمائة (١١٥٨م) وذكر انهُ كان من بغداد واقام مدَّة عمرهِ بواسط»

﴿شعرهُ﴾ قال ابن السوادي انشدني ابو غالب ابن بابي النصراني الكاتب لنفسهِ (من مجزوء الكامل) :

وَعشِقتُ حتّى ما أما لُ وهِمْتُ حتى ما أُفيقُ
وانا بـغَدْريِّ الصبا بةِ في الهوى نسَبي عريقُ

(قال) وانشدني ايضاً ابو غالب لنفسهِ في جاريةٍ دخلت عليهِ يوم كسوف الشمس في لباسٍ اسود (من الكامل) :

عايَنْتُ في حُلَل السوادِ خريدةً مثلَ القضيبِ المائل الميَّاسِ
قلتُ : أسلَمي ماذا اللباسُ وغيرهُ أَدَّى الى الإبهاج والايناسِ
قالت : فهذي الشمسُ أُختي عُوجِلَتْ بالافتضاح في اعينِ الناسِ
طلعَتْ فشاكلتُ الضياءَ بطلعتي ودَجتْ فشاكلتُ الدُّجى بلباسي

(قال) وأنشدني ابن بابي لنفسهِ في بغداد سابع ربيع الاوَّل سنة سبع وخمسين (١١٦٢م) يصف غلاماً ورد من سفر شاحباً (من السريع) :

فديتُ مَن أقبَلَ من سَفْرةٍ فأقبلَتْ نفسي على أُنْسها
وقلتُ اذ أبصرتُهُ شاحباً قد خضَّبَتْهُ الشمس من وَرْسها

ما كان عندي انَّ شمس الضُّحى   تعملُ في الخَلْق وفي نفسها

وله في غلام رَمِدٍ (من البسيط):

واهيَفٍ كقضيب البانِ مقلتُهُ   تُنمَى اليها جفون الشادنِ الخرِقِ
قالوا: تمكَّنَ من اجفانهِ رَمَدٌ   ابدى محاجرَها في حلَّة الشرَقِ
فقلتُ: بل وجههُ شمسٌ منوّرةٌ   كسَتْ لواحِظَهُ من حمرةِ الشفَقِ

وله في غلام خازنٍ (من المتقارب):

أيا خازناً حافظاً للحِفا   ظِ أَصبى الانامَ بوجهٍ مليحِ
لَئنْ كنتَ تحفظُ مالي لقد   أَضعْتَ بهجركَ قلبي وروحي

وقال في غلامٍ خيَّاط (من الطويل):

مررتُ بخيَّاطٍ حكى البدرَ طلعةً   وشاكَلَ غُصنَ البانِ لمَّا أنثنى قدَّا
يَقُدُّ ويَفْري الثوب ثمَّ يَخيطهُ   فَلِمْ ثوبُ قلبي لا يُخاط وقد قُدَّا

وقال في صديقٍ نال رتبةً شريفةً فسها عنهُ (من الطويل):

منَحْتُكَ صَفْوَ الودِّ اذ نحن جيرةٌ   ومَوْرِدُنا في الأُنس جمٌّ الجداولِ
وأمَّلتُ ما قد كان من رُتَب العُلى   فلا تُحْدِثَنْ لي فيك زَهْوَ المُطاوِلِ
فانَّ الغصونَ الشامخاتِ تميلُها   جَناها فتدنو من يد المُتناوِلِ

وقال في الشوق (من البسيط):

عِطْفاً سُعادُ فقد أَوْدَى بيَ الكَمَدُ   وخانَني صاحباي الصبرُ والجلَدُ
وعُدْتُ اطلبُ في تيَّار حُبّكمُ   شريعةً ارتقي فيها فلا أَجِدُ
طَرْفي جنى وفؤادي فيكِ تابِعهُ   فكيفَ خُصَّ باثواب الضَّنى الجسدُ

وقال في معناهُ وفيهِ لزوم ما لا يلزم (من مجزوّ الرمل):

كلَّ يومٍ لا أراكم هو عندي مثلُ حَولِ
فانا المُدنِفُ بالشو قِ ولا عُوّادَ حَولي
جلُّ ما ألقاهُ فيكم أن أعانيهِ بحَولي(١

وقد وجدنا لهُ في مجموعةٍ مخطوطة عند المرحوم طنّوس افندي اصفر. قال ابو غالب الواسطي (ص ٤٩ من الكتاب) (من البسيط):

ما زلتُ أزجرُ قلبي عنكمُ ثقةً بأنَّ عِقدَكمُ ما زال محلولا
فحلَّ بي عندكم ما كنتُ أحذرهُ ليَقضيَ اللهُ امرًا كان مفعولا

وقال يصف المُدام وساقيَها (من الطويل):

وضافيةٍ صهباءَ من نَسْل كَرمةٍ منابتُها قد أعرقتْ في المكارمِ
يطوفُ بها ساقٍ أغرُّ كأنَّهُ هِلالٌ تبدَّى من مُتون الغمائمِ
لَواحظُهُ وَقعُ الأسنَّةِ دُونها وألفاظُهُ سَلُّ السيوفِ الصوارمِ
وفي عارِضَيهِ للمُحِبِّ معاذِرٌ بخطِّ عِذارٍ كفَّ غَربَ اللوائمِ

وقال في غلام (من المتقارب):

تَبسَّمَ عن بَرَدٍ ناصعٍ ولاحظَ عن مُرهَفٍ قاطعِ
وحطَّ اللِّثامَ فقُلنا الغمامُ تجلّى عن القمرِ الطالعِ

ورُوي لهُ ايضاً هناك (ص ٤٨) قولهُ (من البسيط):

بما بعَينَيكَ من غُنجٍ ومن حَوَرٍ وما بخدَّيك من وَردٍ ومن زَهَرِ

١) الحَول في البيت الاوَّل السَّنة وفي الثالث القوَّة والجلَد

وما بثغرِكَ من دُرٍّ ومن بَرَدٍ ... وما بهِ من رُضابٍ فائحٍ عَطِرِ
وطُرَّةٍ طار لُبّي عند رؤيتها ... وغُرَّةٍ تركتْ عيني على غَرَرِ
وحاجبٍ حجبَ السُّلوانَ عن فِكَري ... وعارضٍ عَرَضَ الاجفان السَّهَرِ
وقامةٍ قد أماتَتْني على قدَمٍ ... في مَعركِ الوَجْد والإطماع والحَذَرِ
هَبْ لي أماناً من الهِجْران انَّ لهُ ... كاساً تجرَّعتُ منها علْقَمَ الصبرِ

٢٤ ابن ابي سالم النصراني

﴿اصلهُ . دينهُ . اخبارهُ . وشعرهُ﴾ هو ايضاً احد الشعراء الذين ذكرهم عماد الدين الكاتب الاصفهاني في كتابهِ خريدة العصر وجريدة القصر (Ms de Paris 1414, f. 192, Ms de Leide, 881) قال في نسبهِ : « هو الرئيس ابو الحسن عيسى بن الفضل النصراني المعروف بابن ابي سالم» ثمَّ ذكر زمانهُ وقد ادركهُ العماد في شيخوختهِ ورآهُ في اواسط القرن السادس للهجرة كشيخ بهيّ ولم يذكر سنة وفاتهِ . وممَّا يؤخذ من كلامهِ انهُ خدم بني مروان اصحاب ميَّافارقين وبني بُوَيه . وهذا كلامهُ :

«الرئيس ابو الحسن عيسى بن الفضل النصراني المعروف بابن ابي سالم وكان شيخاً بهيًّا . ولما حلَّ والدي (١ بالموصل سنة اثنتين واربعين وخمسمائة (١١٤٧م) كان يزورنا ويعرض علينا العمّ الصدر الشهيَّة عزيز الدين اليهِ (٢ ولم اثبت لهُ شيئاً فسألت الآن

---

١) والد عماد الدين الكاتب يدعى صفيّ الدين ابا الفرج محمَّدًا

٢) قول العماد «العمّ عزيز الدين» يريد بهِ عمَّهُ ابا نصر احمد الاصبهاني المستوفي وبه عُرف هو بابن اخي العزيز . قال ابن خلكان (ص ٨٩) كان العزيز رئيساً كبير القدر ولي المناصب العليَّة في الدولة السلجوقية ولم يزل مقدَّمًا فيها . قصدهُ بنو الحاجات ومدحهُ الشعراء واحسن جوائزهم . . . وكان ابن اخيهِ العماد يفتخر به كثيرًا . قتلهُ السلطان سنجر بن ملكشاه سنة ٥٢٥ وقيل ٥٢٦ ﻫ (١١٣٠م)

الشاتانيّ (١ فقال : هذا من بيت كبير ابوهُ كان وزير بني مروان بميَّافارقين (٢ وامُّهُ يقال لها الستُّ الرحيمة قال لها نِظام المُلك (٣ : أنتِ الستُّ الرحيمة ؟ قالت : بل الأَمة المرحومة . وكان (ابن ابي سالم) مشهورًا بين ارباب الدولة ولهُ اشعار غثَّة وسمينة واهية ومتينة وقد وازَنَ الامير تميم بن المعزّ المصري (٤ في قوله :

أسِربُ مها عنَّ ام سِربُ جِنَّةٍ حكَيتُهُنَّ ولَستُنَّ هُنَّه

بقصيدة اوَّلها (من الطويل) :

لقد عَذُبَ الماءُ من رِيقهنَّهْ وطابَ الهواءُ بانفاسِهنَّهْ

ولهُ الى بهاء الدولة (٥ صاحبَ شاتان (٦ وقد سافر الى حصن زياد (٧ (من الطويل) :

١) الشاتاني هو علم الدين ابو علي حسن بن سعيد ولد في شاتان بلدة في نواحي دياربكر سنة ٥١٣ هـ (١١١٩م) وتوفي في شعبان سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣م) كان اديبًا شاعرًا سكن بغداد ومدحهُ العلماء . وكان قدم دمشق وعُقد لهُ فيها مجلس وعظ سنة ٥٣١ (١١٣٧م) وقدم على صلاح الدين أيوب في مصر سنة ٥٧٣ (١١٧٧م) فاكرم مثواهُ

٢) بنو مروان المذكورون هنا يُنسبون الى ابي عليّ بن مروان الكردي تولى بعد ان قُتل باد خالهُ سنة ٣٨٠ هـ (٩٩٠م) على ديار بكر وعلى المدن اللاحقة بها كآمد وارزن الروم وميافارقين وحصن كيفا ومضى الى مصر فقلَّدهُ الخليفة العلوي المعزّ لدين الله ولاية حلب وكانت وفاتهُ سنة ٣٨٧ هـ (٩٩٧م) قتلهُ اهل آمد فخلفهُ اخواهُ ممهّد الدولة ابو منصور (٣٨٧-٤٠٢) ثم نصر الدولة ابو نصر احمد (٤٠٢-٤٥٣) ثم ابنا نصر سعيد ونصر (٤٥٣-٤٧٢) واخرهم منصور ابن نصر بن احمد فاستولى على دولتهِ سنة ٤٧٨ فخر الدولة بن جهير (١٠٨٥ م)

٣) نظام الملك هو ابو علي الحسن كان اصله من طوس . اتَّصل بالب ارسلان بن داود بن ميكائيل السلجوقي فخدمهُ بصفة وزيرهِ فعزَّ شأنُهُ وبنى المدارس والمساجد . قال ابن خلكان هو اوّل من انشأ المدارس فاقتدى بهِ الناس واليهِ تنسب المدرسة النظاميَّة في بغداد سنة ٤٥٧ (١٠٦٥م) قتلهُ صبيّ ديلمي سنة ٤٨٥ في ١٢ رمضان (١٠٩٢م)

٤) يريد ابا علي تميم بن المعزّ . كان ابوهُ صاحب الديار المصريَّة والمغرب وهو الذي بنى القاهرة المُعزّية . لم يملك ابنهُ تميم بعدهُ لانَّ ولاية العهد كانت لاخيهِ العزيز وكان هو شاعرًا ماهرًا لطيفًا ورد ذكرهُ في كتاب اليتيمة للثعالبي مع كثير من مقاطيع شعرهِ (١ : ٣٠٠-٣٤٥) توفي تميم سنة ٣٧٤ هـ وكان مولدهُ ٣٣٧ (٩٤٨-٩٨٤م)

٥) هو بهاء الدولة ابو نصر بن عضد الدولة بن بُوَيه ملك العراق توفي سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) ٦) شاتان قلعة في ديار بكر

٧) قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٢٧٦) : « حصن زياد بارض ارمينية ويعرف اليوم بخرتبرت وهو بين آمد وملطية وهو الى مَلَطيَة اقرب »

تكونُ بميَّافارقينَ ووَحشتي ... تزيدُ لِنأيٍ عنكمُ وبِعادي

فكيف احتيالي والمهامهُ بيننا ... تحولُ واطوادٌ لحصنِ زيادِ

هذا ما رواهُ العماد الاصفهاني ولم نقف على ذكر ابن ابي سالم في غير العماد كما انهُ لم يعرف سنة وفاتهِ

٢٥ ابو الفتح بن صاعد

﴿اسمهُ ودينهُ وشعرهُ﴾ هو ايضاً من شعراء بغداد الذين ورد ذكرهم في خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصفهاني ومنهُ يُعرف زمانهُ انهُ كان في القرن السادس للهجرة والثاني عشر للمسيح وقد دعاهُ في كتابهِ (Ms de Leide, 881, f. 54r: Ms de Paris, 1447, ff. 54v) «جمال الرؤساء ابا الفتح بن صاعد النصراني» . وقد وجدنا في مخطوط آخر من مكتبة ليدن في كتاب اخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء للملك المنصور صاحب حماة المتوفى سنة ٦١٧هـ(١٢٢٠) (Ms de Leide 884) ثمَّ في طبقات الشعراء لابن ابي اصيبعة(١ : ٢٧٥) انهُ يُدعى «جمال الرؤساء ابا الفتح هبة الله بن الفضل بن صاعد البغدادي»

ولم يُفدنا هؤلاء الكتبة شيئاً عن اخبار ابي الفتح إلَّا انهم رووا لهُ قطعاً من شعرهِ . فممَّا رواهُ العماد الكاتب قولهُ ملغزًا في وصف خيمةٍ (من الوافر) :

وذاتِ ذوائبٍ بيضٍ خوالٍ ... وليس بياضُها من فرطِ كِبْرِ

لها فَرْجٌ وليستْ ذاتَ بعلٍ ... يطاها الناسُ من عبدٍ وحُرِّ

وآذانٌ وليس تُصيخ سمعاً ... الى الداعي وليست ذات فقْرِ

ويحملُ بطنُها عددًا كثيرًا ... ولم تُرَ حاملًا شخصاً بظَهْرِ

ترى في ساقها قَيْدَيْ حديدٍ ... وكلٌّ منهما في عَرْضِ فِتْرِ

وتُنظَر اكثرَ الاوقاتِ حُبلَى ... وفي وقتِ الولادةِ ذات طُهْرِ

فَفَسِّرْ ما ذَكرتُ وكن مُبيناً   لِمَا أَلْغَزْتُ من معنًى وشِعْرِ

وروى لهُ صاحب اخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك قولهُ في غلام (من مجزوء الرَّمل) :

زاد في حُسْن حبيبي   ما بهِ زادَ الجنونُ
عارضٌ أَنْبَتَهُ الحُسْنُ   لِتَرْعاهُ العيونُ

وقال في العِذار (من المنسرح) :

يلومُني في هواهُ قومٌ   ما رأيهم في الهوى صحيحُ
فكيف أَسلو وقد بدا لي   عذارُهُ الاخضرُ المليحُ

وقال في وصف غلام (من مجزوء الخفيف) :

يا لعَيْنٍ فسِحْرُها   جلَّ عن سِحْرِ بابلِ
وجفونٍ قَسَّيْتَها   منعَتْ من تواصُلي
وعِذارٍ تقيمُ عُذْ   ريَ عند العواذلِ
تحت صُدْغٍ مُبَلْبِلٍ   زائدٍ في بلابلي
لا تسلَّيتُ عن هوا   هُ وان كان قاتلي

وقد جاء في كتاب طبقات الاطبَّاء لابن ابي اصيبعة انَّ امين الدولة ابا الحسن هبة الله المعروف بابن التلميذ الطبيب النصراني كتب الى المترجَم جمالِ الرؤساء ابي الفتح جواباً الابياتَ التالية (١ : ٢٧٥) :

ما نشرُ انفاسِ الرياض مريضةً   عوّادُها طلُّ النَّدى وقطارُ
بدميثةٍ مَيْثاء حلَّى وَجْهَها   وحبا عليها حنوةٌ وعَرارُ

كفلَتْ بثروتها مؤبَّدةً بها | وكفى صداها جدولٌ مدرارُ
بكَتِ السماءُ فأَضحكَتْها مثلَ ما | ابكي فتضحكُ بي الغداةَ نوارُ
واذا تعارضُها ذكاءُ تشمشمَتْ | فتمازجَ النوّارُ والنوّارُ
مشَتِ الصَبا بفروعها مختالةً | فصبا المشوقُ وغيرهُ استعبارُ
واذا تغنَّى الطيرُ في أرجائها | ابدى بلابلَ صدرِه التذكارُ
يوماً بأطيبَ من جوارك شاهدًا | او غائبًا تدنو بك الاخبارُ

٢٦ ابن ابي الخير سلامة الدمشقي

﴿اصلهُ دينهُ زمانهُ﴾ هو ايضاً احد الشعراء النصارى الذين نظمهم في تراجمِ عماد الدين الكاتب الاصفهاني في كتاب خريدة القصر وجريدة العصر. على انهُ لم يزد في تعريفهِ لهُ على سطرين فقال (Ms de Paris 1414, ff. 71v et Ms de Leiden, 245, n° 71): «هو ابو الحسن بن ابي الخير سلامة كان نصرانيًا من اهل دمشق وكاتباً لتاج الملوك اخي الملك الناصر فيهِ ادب وذكاء»

فمن هذه الالفاظ القليلة يظهر اوَّلًا اصلهُ فانَّهُ من اهل دمشق. ثم دينهُ النصراني وزمانهُ اذ عاش في الفصل الثاني من القرن السادس للهجرة. يتقرَّر ذلك من كونهِ كاتباً لتاج الملوك اخي الملك الناصر. ولكن من هو تاج الملوك ومن هو الملك الناصر؟ اذ لم يزد العماد في هويّتها وقد عُرف غيرهما بتاج الملوك وبالملك الناصر فبقينا مرتابين في امرهما الى ان تحقَّقنا انَّ تاج الملوك هذا هو اخو الملك الناصر يوسف بن أيوب الشهير بصلاح الدين فاتح الشام والجزيرة ومصر المولود سنة ٥٣٢ ﻫ والمتوفى سنة ٥٨٩ (١١٣٨—١١٩٣م). وكان للسلطان صلاح الدين عدَّة اخوة اشتهر منهم الملك العادل سيف الدين ابو بكر. وكان اصغر اخوتهِ تاجَ الملوك هذا واسمهُ تاج الملوك بوري تبع اخاهُ صلاحَ الدين لمّا خرج من مصر قاصدًا فتح الشام والجزيرة. فبلغ الى الكرك وسار الى الحسى فاقرَّ اخاهُ تاج الملوك على الناس وامرهُ بان يسير بهم يَمنةً. ثمَّ لحقوا بالسلطان بعد اسبوع بالازرق وهو ماء في طريق حاجّ الشام وذلك في اوَّل سنة ٥٧٨ (١١٨٢م) هذا ما رواهُ شهاب الدين المقدسي في كتاب الروضتين

ثم مشى في خدمة اخيهِ السلطان لفتح بلاد نور الدين زنكي وحاصر معهُ الموصل وكان صاحبُها عماد الدين زنكي بن مودود قال ابن شدَّاد في تاريخ صلاح الدين : «ونزل تاج الملوك بوري اخو صلاح الدين على باب العمادي وجرى بينهم القتال ففُتحت الموصل . ثمَّ عاد السلطان الى حلب فحاصرها وفتحها في صفر سنة ٥٧٩ (١١٨٣م)» . قال ابو الفداء في تاريخهِ : «وكان في جملة من قُتل على حلب تاج الملوك بوري بن ايوب اخو السلطان الناصر . وكان كريماً شجاعاً طُعن في ركبتهِ فانفكَّت فمات منها» . وقال ابن شدَّاد في سيرة صلاح الدين : وشقَّ امرُ موتهِ على السلطان وجلس للعزاء . . .

ففي خدمة تاج الملوك هذا كان ابن ابي الخير سلامة النصرانيّ كاتباً وكان مقيماً في دمشق وطنهِ كما يلوح من شعره

ولنا في تعريف زمانهِ انَّ عماد الكاتب ذكر تاريخ بعض شعرهِ في السنة ٥٧٢ (١١٧٦م) لكنَّهُ لم يذكر سنة وفاتهِ

﴿ادبهُ وشعرهُ﴾ رأيتَ في ما قالهُ عماد الكاتب انَّ ابا الحسن بن ابي الخير سلامة «كان فيهِ ادب وذكاء» ثمَّ روى لهُ عدَّة قِطَع شعريَّة فاتَّسع بروايتها على خلاف عادتهِ في وصف معظم الشعراء الذين ذكرهم . وبين قصائدهِ ما قالهُ في تاج الملوك سيّدهِ ومنها يتَّضح انَّهُ لم يكن فقط كاتباً بل كان شاعرًا ايضاً مقرَّباً من الملوك . ولعلَّهُ صنَّف ديواناً وقف عليهِ العماد الاصفهاني فنقل عنهُ المقاطيع المذكورة التي تشهد لهُ بحسن القريحة وسلامة الذوق . فممَّا نقلهُ قولهُ يمدح تاج الملوك من ابيات صنَّفها في زمن الربيع (من البسيط) :

تاجَ الملوك ادام اللهُ نِعمَتَهُ ... أسخى البريَّةِ من عُجْمٍ ومن عَرَبِ

مولًى أياديهِ في ارضٍ يَحُلُّ بها ... أجدى واحسنُ آثارًا من السُّحُبِ

تفتَّحَ النَّوْرُ فيها من أناملهِ ... فتَنجلي منهُ في أثوابهِ القُشُبِ

حتى ترى روضَها يحكي مواهبَهُ ... فالبعضُ من فضَّةٍ والبعض من ذَهَبِ

ولهُ من قصيدة بعث بها اليهِ في الربيع (من السريع) :

مولاي مجدُ الدين قد عاوَدَتْ ... دِمَشْقَ من بعدك أشجانُها

نَيْرَبُها (١ قــد مات شوقــاً الى م المولى وواديهــا ومَيْدانُهــا
مــالت اليــهِ في بساتينهــا من شدَّة الأَشواق اغصانُها
وأَقسمَتْ من بعدهِ لا صَحَا من لوْعة الأَشجانِ نَشوَانُها
ومَــاسَ من اشواقــهِ (٢ آسُهــا واهتزَّ اذ بانَ لهُ بانُهــا
وغنَّتِ الاطيارُ من شَجْوها واختلفت في الدَّوح الحانُها
واصفرَّ في الروضةِ مَنْثورُها من شوقهِ واخضرَّ رَيحانُهــا
رَقْرقَتِ الــدمعَ عليهِ كما ترقرقَتْ بالمــاء غُــدْرانُهــا
فلا خَلا يا خيرَ هذا الورى بُطْنَانُهــا منــك وظُهْرانُهــا
تلــك هي الجَنَّــةُ لكنَّهــا مذ غِبْتَ عنها غابَ رِضْوانُها

(قال) ولهُ فيهِ وقد وعدَهُ بخلعةٍ (من البسيط) :

يا مَنْ لهُ الشكرُ بعد الله مفترَضٌ عليَّ ما عشتُ في سرّي وفي عَلَني
ان كان غيرُكَ لي مولًى أؤَمّلُــهُ وأَرْتجيهِ فكانت خِلْعتي كفني

(قال) ولهُ يقتضيــهِ بالخلعة وقــد عزم على السير الى العسكر المنصور (من المجتثّ) :

مولايَ جُدْ لي بوَعْدي من قَبْلِ سَيْرِ الرِكابِ
أَنْعِمْ عليَّ بثوبٍ تَرْبَحْ جزيلَ ثَوابي
ثوبٌ تكــامَلَ حُسناً كخُلْقك المستطابِ

---

١) قال ياقوت في معجم البلدان (٤: ٨٥٥) : « نيرب قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ في وسط البساتين انزه موضع رأيتهُ »

٢) في الاصل: اسواقهِ

كـأنَّهُ زَمَنُ الوصلِ م في زمان الشبابِ
وفُوطَةٌ مِثْـلُ شِعْري رقيقةٌ او شرابي
طويلةٌ مثلُ ليلي لمَّا جَفـا أحبابي
كأنَّهـا رمَضـانٌ اذا اتى في آبِ

قال العماد: ومن محاسنهِ في تاج الملوك (من مجزوء الكامل) :

يا حبَّذا ابواهُ اذ ولداهُ من كرَمٍ وخيرِ
وكذاكَ قد يُستَخرَجُ م الدُّرُّ النفيس من البُحورِ
والشمسُ من انوارها يبدو سَنا القمر المنيرِ
ما زال منـذ فِطـامهِ في عَقْلِ مُكتهِلٍ كبيرِ
مولًى حوى سِنَّ الأكا برِ وهو في سنّ الصَغيرِ
ولقد رقَى درَجَ الأوا ئلِ وهو في الزمن الاخيرِ

وقال فيهِ ايضاً يستجديهِ (من الكامل) :

يا من يَعُمُّ سماحُـهُ ونوالُـهُ كرَماً كما عمَّ السحابُ المُمطِرُ
ويفوح ما بين الأنام ثنـاؤهُ فكأنهُ في كلّ حينٍ عَنـبرُ
اني شَقِيتُ وفي ظِـلالِـك أنعُمٌ ولقـد ظَمِئتُ وفي يمينك أبحرُ
ولقـد ذَللتُ وانتَ حصنٌ مانعٌ ولقـد ضَلِلْتُ وانت بـدرٌ نيّرُ
اغنى جَـداكَ الناسَ الّا فـاتني فالله يُغني مَن يشاء ويُفقرُ
فلئن نظرتَ اليَّ نظرة مُجمِلٍ فلأنت أَولى بالجميل واجدَرُ

ثم قال عماد الدين صاحب الترجمة : ومدحني (اي ابن ابي الخير) وهي في حُسْن

الفريدة في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين (وخمسمائة) (١١٧٧م) (من الكامل) :

أَمُطيلَ عَذْلي في الهوى ومُفنِّدي هل انت من غيّ الصَّبابة مُرْشِدي
هيهاتِ ما هذا الكلامُ بِزاجري فأنْقُصْ أَبيتَ اللعنَ منهُ او زِدِ
انت الفِداءُ وَمن يلومُ لشادنٍ انا في هواهُ مضلَّلٌ لا اهتدي
يجلو لعينك غرَّةً في طُرَّةٍ فيُريك احسنَ ابيضٍ في اسودِ
يسطو على عشّاقهِ من قدّهِ وجفونهِ بمثقّفٍ ومهنّدِ
قمرٌ يَظَلُّ الماءُ في وَجناتهِ والنارُ بين ترقرُقٍ وتوقُّدِ
ومن العجائب أَنَّ نارًا خالطَتْ ماءً وانَّ ضِرامَها لم يَخمُدِ
وكذاك ماءُ الدمع إنْ تَنْضَحْ بهِ[1] نارَ الصبابة والأَسى تتوقّدِ
فصَبابتي لمَّا تَخِفَّ وأَدمعي لمَّا تَجِفَّ وزفرتي لم تَبرُدِ
كم بتُّ ارعى الفَرْقدَيْن كلاهما شغَفاً بمن يرنو بعينَيْ فرقدِ
آليتُ ارقدُ في هواهُ ومن يكن ذا لوعةٍ وعَلاقة لم يرقُدِ
علَّ الليالي يكتسبنَ بشاشةً يوماً فتُنْجزَ بعد مَطْلٍ مَوعِدي
ان رقَّ لي بعد القَساوةِ قلبهُ فالماءُ يَقْطر من صِفاح الجَلْمدِ
فاجعلْ لِحاظك في محاسنِ وجههِ ان تستطعْ نظرًا اليهِ ورِدّدِ
تنظر الى الانوار بين مُمسَّكٍ ومُشبَّجٍ ومُنرَجسٍ ومورَّدِ
فكأنها نَوْرُ الربيع اذا بدا او حسنُ خطِّ محمَّدِ بن محمَّدِ[2]
هذا عِماد الدين والدنيا معاً وملاذُ كلِّ مؤمّلٍ او مجتدي

---

١) ويُروى : أنضَح   ٢) هو اسم الممدوح عماد الدين الاصفهاني .

هذا الذي ما أُغلقت ابوابُهُ … من دون مُستَجدٍ ولا مُستَنجِدِ
هذا الذي أَحيا العُلوم واهلَها … بعد الرَّدى والعُرفُ إحياءُ الردي
وابانَ منها كلَّ نهجٍ دارسٍ … دَرَسَ الرسوم من الديار الرُّصدِ(١
بيضاءُ حسنٍ ما دجتْ الَّا بدا … فأَضاءَ مثلَ الكوكبِ المتوقدِ
لو عاش حينَئذٍ فرامَ تشبُّهاً … عبدُ الحميد(٢ بخطِّهِ لم يُحمَدِ
يَقِظٌ لهُ القلمانِ في انشائهِ … وحُسامِهِ في مَصْدرٍ او مَوردِ
انْ حاول الانشاءَ يوماً ما فَيا … ناهيك من دُرٍّ هناك منضَّدِ
ويُضمِّن اللفظَ البديع مَعانياً … اشهى من الماء الفرات الى الصَّدِي
وكأنَّ خطَّ حسامهِ في طِرْسهِ … شَعْرٌ تَنمْنَمَ في عوارضِ أغيَدِ
لو قُلِّد الدنيا كفاها وحدَهُ … في الحالتَيْنِ ولم يُرِدْ من مُسْعِدِ
واقام منتهضاً بكل عظيمةٍ … منها وقوَّم كلَّ ما متأَوِّدِ
هذا وامَّا الفقهُ فهو إمامُهُ … فبعلمهِ في الفقه كلُّ مُقتدي
فلوَ أنَّ اسعد عاش بعد وفاتهِ … يوماً فساجلَهُ(٣ بهِ لم نسعدِ
واذا انبرى للشعر خلتَ قريضَهُ … اطواقَ درٍّ في نحور الخُرَّدِ
شعرٌ ترشَّفُهُ النفوس كأَنَّهُ … لفظُ الحبيب مقرِّرًا للموعدِ
او طِيبُ وَصْلٍ بعد كَرْهِ قطيعةٍ … من ذي انبساط بعد طول تحقُّدِ
واذا تفاخر بالأُروم مَعاشرٌ … فلهُ العلاءُ عليهمُ بالمَحْتِدِ
ما زال يخبر فضْلُهُ بل نُبْلُهُ … عن حسن شِيمتهِ وطيبِ المَوْلِدِ

١) ويروى : الصُّمَّدِ
٢) هو عبد الحميد ابو غالب صاحب الرسائل البليغة قتلهُ السفَّاح سنة ١٣٢هـ (٧٤٩م)
٣) وفي الاصل . فساجلهِ

جلَّ الذي اعطاكَ يا ابن محمَّدٍ في كلّ فضلٍ باهرٍ طولَ اليدِ
اقسمتُ بالكرم الذي اوتيتَهُ لولاكَ ما اتّضحتْ سبيلُ السؤددِ

وقال عماد الدين: وكتب اليَّ ايضاً (من الطويل):

أَلا قُلْ لمن ذمَّ الزمانَ جهالةً وعنّفَهُ في ما جناهُ وفنّدا
دَعِ العجزَ وانهض غيرَ وانٍ الى امرئٍ يكُنْ لك فيما انت راجيهِ مُسعِدا
فانّك لم تبلغ من الدهر طائلًا فتَحْمدَهُ حتى تزور محمَّدا
وانَّ عماد الدين امنعُ مَعْقِلٍ اذا ما رماكَ الدهرُ يوماً تعمَّدا
وأَسيَرُ هذا الناس فضلًا وسؤددًا وأَغزرُهم برًّا (١ واكثرهم ندًى
تفرَّدَ إلَّا انَّهُ الناسُ كلُّهم وان كان في عَليائهِ قد تفرَّدا
مُعِزٌّ مُذِلٌّ مانحٌ مانعٌ معاً يُرجَّى ويُخشى واعدًا متوعّدًا
اذا ما رأى يوماً بإِبعادهِ العِدى اقام لخوف الانتقام وأَقعدا
جديرٌ بحِلِّ الامر أَشكلَ حلُّهُ برأيٍ بهِ في كلّ عشواء يُهتدَى
لهُ قلمٌ ما هزَّهُ في مُلِمَّةٍ من الدهر الَّا هزَّ سيفاً مهنَّدا
اذا انسَلَّ من بين الانامل خِلْتَهُ يُنظِّم في القِرطاس درًّا مبدَّدا
اذا ما رأى يوماً بعينٍ كَحيلةٍ رأيتَ لديهِ ناظِرَ الرمح ارمدا
وان يَتحرَّكْ يَسكنِ الخطبُ فادحاً ويبيضُّ وجهُ الرُّشد ان هو سُوِّدا
لأَنت عمادُ الدين احسنُ شيمةٍ واطيبُ هذا الناس اصلًا ومَحتِدا
فلو جاز يوماً ان يُخلَّدَ سيّدٌ كريمٌ بما أَسدي لكنتَ المخلَّدا

١) وفي نسخة: واعوزهم ندًا

وممّا استحسنهُ لهُ العماد الاصفهاني قولهُ (من البسيط) :

يا حبّذا يومُنا والكاسُ ناظمةٌ نَظْمَ الحُباب عليها شملُ احبابِ
ونحن بين أزهار تَحِفُّ بانهارِ م وما بين اقداحٍ وأكوابِ
والماءُ تلعبُ ارواحُ النسيم بهِ ما بين ماضٍ وآتٍ ايَّ تَلْعابِ
كأنّــهُ زَرَدُ الزّغْف السوابغ أَوْ نَقْشٌ لأَطيارٍ(١ او تفريك اثوابِ

وروى لهُ ايضاً في الشوق ووصف الربيع (من البسيط) :

سَلِ الحبيبَ الذي هام الفؤادُ بهِ هل يذكر العهد انّ العهدَ مذكورُ
ايّام نأخذُها صهباءَ صافيةً يُمسي الحزينُ لديهــا وهو مسرورُ
يَسْعى بها غصنُ بانٍ في كثيبِ نقاً لــهُ على القوم ترديدٌ وتــكريرُ
اذا اتاكَ بكأسٍ خلتَها قبساً يَسْعى بهِ في ظــلام الليل مقرورُ
يُعطيكــهُ وهو ياقوتٌ ويأخذهُ اذا أشرتَ اليــهِ وهو بلّورُ
والارضُ قد نسَجَت ايدي الربيع لها وشياً تردَّت بهِ الآكامُ والقُورُ
فالتبرُ مجتمعٌ فيها ومفترقٌ والزهرُ منتظمٌ فيها ومنثورُ
كأنّ منثورها والعين ترمقهُ دراهمٌ حين تبدو او دنانيرُ
ما شئتَ من منظرٍ في روضها نَضِرٍ كأنّما نَوْرُهُ من حُسْنهِ نور
تَظَلُّ اطيارها تشدو بها طرباً اذا تبدَّت من الصبح التّباشيرُ
من بلبلٍ كلّما غنّاكَ جاوبَهُ فيهــا هزارٌ وقُمْريٌّ وشحرورُ
كأنّما صوت ذي صَنجٍ يجاوبُه من ذاكَ نايٌ وذا بَمٌّ وذا زيرُ

---

١) وفي الاصل : نَقش اطيار

٢٧ جرجس الانطاكي النصراني

﴿اخباره ودينه﴾ هو ايضاً ممَّن نظمهم العماد الاصبهاني في كتابهِ خريدة القصر وفريدة العصر (Paris, 1414 ff. 157 et 3330 ff. 157. Leide 881, n° 157) يدعى الفيلسوف الانطاكي النصراني وهو موصوف كفيلسوف وشاعر معاً . كان اصلهُ من انطاكية فرحل الى مصر ومارس فيها فنَّ الطبابة واشتغل بالفلسفة . قال جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ١٥٧) : « جرجس الفيلسوف الانطاكي نزيل مصر يزعم انهُ قرأ على علماء بلدهِ واستوطن مصر وطبَّب بها »

وهناك وجدهُ ابو الصلت اميَّة بن عبد العزيز لمَّا دخل مصر سنة ٥١٠ هـ (١١١٦م) وذكر في رسالتهِ المصريَّة التي وصف فيها ما رآهُ في ديار مصر من هيئتها وآثارها ومَن اجتمع بهم من الاطباء والمنجمين والشعراء وغيرهم من اهل الادب (راجع ابن ابي اصيبعة ٢ : ٦٣)

ودونك ما قالهُ في جرجس الانطاكي كما رواهُ عنهُ جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ١٥٧) وابنُ ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (٢ : ١٠٦) وابن العبري في مختصر تاريخ الدول (ص ٣٤٨) وكلهم نقلوا كلام ابي الصلت حيث يذكرهُ ويذكر معاداتهُ لطبيب يهودي مصري يدعى ابا الخير سلامة بن رحمون كان يتعاطى مثلهُ الطبابة والفلسفة فكان مولعاً بهجائهِ . وهذا ما كتبهُ ابو الصلت بحرفهِ الواحد قال :

« لمَّا دخلتُ الى مصر في حدود سنة عشر وخمسمائة ادركتُ بها طبيباً انطاكيًّا يسمَّى جرجيس ويلقَّب بالفيلسوف على نحو ما قيل في الغراب ابو البيضاء وللَّديغ سليم . وقد تفرَّغ للتولُّع بابي خير سلامة بن رحمون اليهودي الطبيب المصري والازراء عليهِ . وكان يزوّرُ فصولاً طبيَّة وفلسفيَّة يبرزها في معارض الفاظ القوم وهي مُحال لا معنى لها فارغة لا فائدة فيها ثمَّ ينفذها الى من يسأل ابا الخير عن معانيها ويستوضحهُ اغراضها فيتكلَّم ابو الخير عليها ويشرحها بزعمهِ دون تيقّظ ولا تحفُّظ باسترسال واستعجال وقلَّة اكتراث واهتبال (ويروى : واهمال) فيؤخذ (ويروى : فيوجد) فيها عنهُ ما يُضحِك منهُ »

هذا ما قال ابو الصلت وفي قولهِ « انَّ جرجس الانطاكي لُقِّب بالفيلسوف على نحو ما يقال في الغراب ابو البيضاء والمديغ سليم » تهكُّم ظاهر كانهُ لُقِّب بذلك على عكس المعنى وهو نوع من البديع . ولا نعرف شيئاً من اعمال جرجس المذكور لنتحقق صحَّة قول ابي الصلت فيهِ

﴿شعرهُ﴾ لجرجس الانطاكي اقوال في الشعر حسنة وكلّها في هجو ابي الخير الطبيب اليهودي المذكور . ويظهر من كلام ابي الصلت في حقّ ابي الخير انهُ لم يكن محقّقاً بل متشدّقاً قال عنهُ (طبقات الاطباء ٢:١٠٦) : « انهُ كان يكثر كلامهُ فيُضلّ ويُسرع جوابهُ فيزلّ وكان مَثَلهُ في عظيم ادّعائهِ وقصورهِ عن أيسر ما هو متعاطيهِ كقول الشاعر :

يشمّر للُجّ عن ساقهِ ويَغمرُهُ الموجُ في الساحلِ

او كما قال الآخر :

عَنّيتمُ مائتي فارسٍ فردّكمْ فارسٌ واحدُ

وقال ابو الصلتُ : وأنشدتُ لجرجس وهو احسن ما سمعتُهُ في هجو طبيب مشؤوم وانا مُتَّهِم لهُ فيهِ (من السريع) :

انَّ ابا الخيرِ على جهلهِ يَخفُّ في كفّتهِ الفاضلُ
عَليلُهُ المسكينُ من شؤمهِ في بحرِ هُلْكٍ ما لهُ ساحلُ
ثلاثةٌ تدخلُ في دفعةٍ طَلعَتُهُ والنعشُ والغاسِلُ

وقال ابو الصلت : ولبعضهم (يعني جرجس الانطاكي) فيهِ (من الخفيف) :

لابي الخير في العلا ج يدٌ ما تُقَصّرُ
كلُّ مَن يَستطبُّهُ بعد يومَين يُقبَرُ
والذي غابَ عنكمُ وشَهِدناهُ أكثرُ

ولجرجس في هذا الطبيب (من الطويل) :

جُنونُ ابي خيرٍ جنونٌ بعينهِ وكلُّ جنونٍ عندهُ غايةُ العَقلِ
خُذوهُ وغُلّوهُ وشُدّوا وثاقَهُ فما عاقلٌ مَن يَستهينُ بمُختَلِ
وقد كان يؤذي الناسَ بالقولِ وَحدهُ فقد صار يؤذي الناسَ بالقولِ والفعلِ

وقد اردف عماد الدين ابياتاً في هذا المعنى ولم يذكر قائليها ولعلّ منها ما هو لجرجس الانطاكي فمنها :

قُلْ للوبا انتَ وابنُ زُهْرٍ قد جُزْتما الحدّ في النكايَهْ
ترفّقا بالورى قليلاً في واحدٍ منكما كفايَهْ

وقال آخر :

ما خطَرَ النبضُ على بالهِ يوماً ولا يعرفُ ما الماء
بل ظنَّ انَّ الطبَّ دُرَّاعةٌ ولحيةٌ كالقُطْنِ بيضاء

وقال آخر في مثلهم :

وطبيبٍ مجرَّبٌ ما لهُ با م لنُجْح في كل ما يجرّب عادَهْ
مرَّ يوماً على مريض فقلنا قُرِّعينًا فقد رُزقتَ الشهادَهْ

٢٨ ابو الفرج يحيي ابن التِلميذ

﴿اصلهُ واخبارهُ ودينه﴾ هو الاجلُّ الحكَم معتمد الملك ابو الفرج يحيي بن صاعد بن يحيي بن التلميذ النصراني النسطوري. قال جمال الدين القفطي (ص ٣٦٤) : «كان طبيبَ الدولة العبَّاسيَّة في زمانهِ ويستشار برأيهِ ولهُ الفضل الوافر والادب الغزير والمعرفة الكاملة. واتَّفقت لهُ سعادة جدّ حتى كسب الاموال وعاش الى آخر عهد المستظهر بالله في حدود سنة ٥١٢ ﻫ (١١١٨ م)»

قال ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (١ : ٢٧٦) : كان معتنياً (ويروى : متعيّناً) في العلوم الحكميَّة ، متقناً للصناعة الطبيَّة ، متحلّياً بالادب ، بالغاً فيهِ اعلى الرُّتب ، وكذلك كان لامين الدولة ابن التلميذ جماعة من الانساب ، كلٌّ منهم متعلّق بالفضائل والآداب ، وقد رأيتُ بخطّ الاجلّ معتمد الملك يحيي ابن التلميذ ما يدلُّ على فضلهِ ، وعلوّ قَدْرهِ ونُبلهِ ، وكان من المشايخ المشهورين في صناعة الطبّ ولهُ تلاميذ عدَّة

﴿شعرهُ﴾ لم يكن يحيي ابن التلميذ طبيباً نطاسيًّا فقط بل كان ايضاً شاعرًا مُجيدًا. قال الملك المنصور صاحب حماة (Ms Leide 884, p. 340) : «يحيي ابن التلميذ الحكيم كان يلقَّب معتمد الدولة وكان فاضلًا اديباً وديوان شعره مشهور» . ومنهُ يتَّضح انَّ شعرهُ كان وافرًا حتى جُمع في ديوان ولم نجد لهُ ذكرًا في احدى مكاتب حواضر البلاد ولا عند الخاصَّة والعامّة. وانَّما ذكر لهُ الادباء عدَّة مقاطيع جمعناها في ما يلي. فمن شوقيَّاتهِ قولهُ نقلًا عن احدى مجموعات باريس (Paris, Ms 3412, ff. 32v) (من البسيط) :

اللهُ ابقاكَ للدنيـا وللدينِ ولا يُخَلِّيكَ من عزٍّ وتمكينِ
روحي بروحك مَمْزوجٌ ومتَّصلٌ وكلُّ عـارضةٍ تُؤْذيكَ تُؤْذيني

ولهُ فيها (ff. 35r) : (من الخفيف) :

أَنعِما بالوَصْل أَيا الفَرْقـدانِ وأَسْلَما من صروف هـذا الزمانِ
كم أَشَتَّ الفراقُ بين حبيبٍ وحبيبٍ وانتما تَصْحبـاني
وستُفْضي اليكما عن قريبٍ نَوْبـةُ البَيْن ثمَّ تفترقـانِ

وروى لهُ في هـذا المعنى صاحب الايضـاح على المفتاح (ص ١٤٨) (من السريع) :

بدا الينا أَرَجُ القادمِ فبرَّد الغُلَّـة من هـائمٍ (١
روَّح عن قلبي على نأْيـهِ وقد يَلذُّ الطَّيفُ للحالمِ

ورُوي لهُ في الغزل في طبقات الاطباء (من المتقارب) :

فراقُكَ عندي فراقُ الحياةِ فـلا تُجهِزنَّ على مُذنِفِ
عَلِقْتُكَ كالنار في شَمْعها فما إن تُفارِقُ او تنطفي

ومن ظريف اقوالهِ قولهُ في دار جديدة بناها سيف الدولة صَدَقةُ وقعت فيهـا النار يوم فراغهِ من بنائها (من الكامل) :

يا بانياً دار العُلى مُتَلَهِّياً (٢ لِتزيدَها شرفاً على الـكِيوانِ
عَلِمَتْ بأَنك انَّمـا شَيَّدْتَها للمجدِ والإِفضالِ والإِحْسانِ
فتَقَتْ عوائدَكَ الكرامَ وسابقَتْ تَسْتقبلُ الاضيافَ بالنيرانِ

١) رواية ابن ابي اصيبعة ١ : ٢٧٠) : من حائمِ
٢) ويروى : مليِّتها . وملَّأتها

وقال في المعنى (من الكامل):

عَلِقَ الفؤادُ (١ على خُلُوِّ حبّها عِلْقَ الذُّبالةِ في حشا المصباحِ
لا يُستطاعُ الدهرَ فُرْقةُ بينهم إلّا لحينِ تفرُّق الاشباحِ (٢

وقرأنا لهُ في بعض المجاميع المخطوطة في مكتبتنا الشرقيّة (من المنسرح):

إرضَ لمن غابَ عنك بكبرهِ فذاكَ ذنبٌ عِقابُهُ فيهِ
لو لم ينَلْهُ من الجفاء سوى بُعدِكَ عنهُ لكان يكفيهِ

وقال في هلاك الظالم (من الخفيف):

واذا أنبتَ المُهيمنُ للنمل م جناحاً أعدَّها للتّردّي
ولكلّ امرئٍ من الناس حدٌّ وهلاكُ الفتى جوازُ التعدّي

ولهُ ايضاً وفيهِ اشارة منطقيّة (من الكامل):

تَعِسَ القياسُ فللغرامِ قضيَّةٌ ليستْ على نَهْجِ الحِجى تنْقادُ
منها بقاءُ الشّوْقِ وَهو بزَعمهم عرَضٌ وتَفنى دونهُ الأجسادُ

وروى لهُ الدميري في حياة الحيوان (٢ : ٣٢) قولهُ في تشبيه السَّمك وضرر النسيمِ بها وهو يروى لهبة الله ابن التلميذ (من المتقارب):

لبسْنَ الجواشِنَ خوفَ الرَّدى عليهنَّ من فوقهنَّ الخُوَذْ
فلمّا أُتيحَ لها أهلكت ببَرْدِ النسيمِ الذي يُستلَذْ

ومن هجوه ما قالهُ في مُغَنٍّ (الرجز):

---

١) و في طبقات الشعراء: قَلِقُ الفؤادُ . . .
٢) وروى: لا يستطيعُ الدهرُ . . . تبلُّجَ الإصباح

لنا مغنٍّ ان شدا تَدفِنُنا ثلوجُهُ
فوتُنا خروجُهُ (١ وبعثُنا خروجُهُ(٢

وليحيي ابن التلميذ عدَّة الغاز بالشعر. من ذلك ما اخبر بهِ عليّ بن يوسف بن ابي المعالي سعد بن علي الحظيري قال: وجدتُ بخطّ الرجل الحكيم معتمد الملك يحيي ابن التلميذ لنفسهِ لغزًا في الابرة وخَيطها (من الوافر):

وفاغرةٍ فماً في الرِجْل منها ولكن لا تُسيغُ بهِ طعاما
ومُخْطِفَةِ الحشا في الرأس منها لسانٌ لا تُطيق بهِ الكلاما
تصول بشَوكة تبدو وسُمٍّ (٣ وما مَن ذاقهُ يَرِدُ الحِماما
تجرُّ وراءها ابدًا اسيرًا كما قادت يدُ الحادي الزِماما
منيعًا ذا قوًى لكن تراهُ بقبضتها ذليلًا مُستضاما
فتُلْفيهِ بحبسها مقيماً طِوالَ الدهر لا يأبى المُقاما
أيا عجباً لها سوداء خُلْقاً تُريك خلائقاً بيضاً كراما
غدتْ عُرْيانةً عن كلّ لَبْسٍ وفاضِلُ ذَيْلها يكسو الأناما

وقال ملغزًا في قوس رواهُ عماد الدين في خريدتهِ (من الوافر):

وما ذو قامةٍ ذاتِ اعوجاجٍ يئنُّ وينحني عند الهياجِ
لهُ المكرُ الجفيُّ مع التَّمطّي كمَكرِ الراحِ في القدَحِ الزُّجاجِ

١) خروج المغنّي ان يَمُدَّ صوتهُ في الغناء ويُخرجهُ في الايقاع . يريد انهُ اذا فعل ذلك مات السامعون من قبح صوتهِ ٢) اي اذا خرج عادت الينا الحياة
٣) سَمّ الابرة خرمُها

وروى لهُ ابن منظور في نثار الازهار (ص ١٠٦) لغزًا في الظلّ (من الطويل):

وشيءٍ من الاجسام غيرِ مجسَّمٍ لهُ حركاتٌ تارةً وسكونُ
اذا بانتِ الانوارُ بانَ لناظري وامَّا اذا بانت فليس يبينُ
يتمُّ اوانٌ كونهُ وفسادهُ وفي وَسْطِ مَحْياهُ المُحاقُ يكونُ

وللشريف ابي العلاء محمَّد بن الهباريّة قصيدة مدح فيها يحيي ابن التلميذ وكان ابو العلاء قد اتاهُ الى اصبهان فحصَّل لهُ يحيي من الامراء والاكابر مالًا جزيلًا. وفيها يقول:

وجميعُ ما حَصَّلتُهُ وجمعتُهُ منهم وكنتُ لهُ بشعري كاسبا
نُعمى ابي الفرج بن صاعدٍ الذي ما زال عني في المكاسبِ نائبا
هو لا عُدِمتُ عُلاهُ حصَّل كلَّ ما أمَّلتُهُ ورَجَى فكنتُ الحالبا
يحيى بنُ صاعدِ بن يحيى لم يزل للمكرَمات الى جنابي جانبا
ما زال يُنعشني نَداهُ حاضرًا وينوبُ عني في المطالبِ غائبا
في باب سيف الدولة ابن جمائها وكذا نصير الدين كان مخاطبا
كاتبتُهُ بحوائجي وهززتُهُ فوجدتُهُ فيها الحسامَ القاضيا
ما زال يغرسني يداهُ ولم أزل بنَداهُ ما بين البريَّة خاطبا

ومنها:

لا زلتُ أُثني بالذي اوليتَني وعلى المديح محافظًا ومواظبا
وبقيتَ لي ذُخرًا ودمتَ ممتَّعًا بالمجد للأبرادِ منهُ ساحبا
ثقةَ الخلافة سيِّد الحكماءِ معتمدَ م الملوك الفيلسوفَ الكاتبا

فيستفاد من هذا المديح ما كان عليه يحيي ابن التلميذ من المنزلة العالية عند الخلفاء وكبار الدولة ثمَّ قيامهُ بخدمة الادباء كابن الهباريّة واقامتهُ مدَّة في اصبهان. ويحيي ابن التلميذ هو جدُّ امين الدولة هبة الله الشهير بابن التلميذ الآتي ذكرهُ

٢٩ هبة الله ابن التلميذ

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ قال ابن ابي اصيبعة في طبقــات الاطبَّاء (١ : ٢٥٩) : « هو الأَجلّ موفَّق الملك امين الــدولة ابو الحسن هبة الله بن ابي العــلاء (وفي تراجم الاعيان لابن خلكان (٢ : ٢٥٢) : بن ابي الغنائم صاعد بن ابرهيم (وفي ابن خلكان : صاعد بن هبة الله بن ابرهيم بن عليّ) بن التلميذ » . وقد لُقّب ايضاً بسلطان الحكماء كما روى عماد الدين الاصفهاني في الخريدة . وقال ابن ظافر الازديّ في بدائع البدائع (ص ٥٤) : « هو المعروف بابن التلميذ . وانَّما امُّهُ من بنات التلميذ فعُرف بذلك » . وقال جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٣٤٠) : «وابن التلميــذ هو جدُّهُ لأُمهِ والحكيم معتمد الملك ابو الفرج يحيي هو ابن بنتهِ فنُسب اليهِ »وقال ابن ابي اصيبعة عن والد هبة الله : « وكان امين الدولة وهو ابو العلاء صاعد طبيباً فاضــلًا مشهورًا» . وقال في محلّ آخر (١ : ٢٧٦) : « وكذلـك ايضاً كان لامين الــدولة ابن التلميذ جماعــة من الانساب كلٌّ منهم متعلّق بالفضائل والآداب» . وزاد على قولهِ فيهِ : «واكثر اهلهِ كتَّاب» . وذكرهُ عمرو بن متى في اخبار فطاركة كرسيّ المشرق من كتاب المجدل (ص ١٠٣) ودعاهُ « بالطبيب الغياثي »

﴿زمانهُ ودينهُ﴾ كان اصل امين الدولة من بغداد . فيها كان مولدهُ نحو السنة ٤٧٤هـ (١٠٨١م) . قــال ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٦٤) : « وكانت وفاة امين الدولـــة ببغداد في ٢٨ من شهر ربيع الاوَّل سنة ٥٦٠ (شباط ١١٦٤) . امَّا عماد الاصفهاني فجعل وفاتهُ في صفر من تلك السنـــة . قال في خريدة القصر : « هلك ابن التلميـــذ الطبيب النصراني بصفر سنة ٥٦٠ هـ وقد ناهز المئة وعاش الى زماننـــا ورأيتهُ وهو شيخ . . . »

امَّا دينهُ النصراني فلا يشكّ فيهِ احدٌ . قال ابن ابي اصيبعة : «ومات نصرانيًّا » وقال عمرو بن متى في المجدل (ص ١٠٦) في ترجمة البطريرك ايشوعياب : « وفي ايامهِ توفي امين الدولة ابن التلميذ رضي الله عنهُ ودُفن في الصحن الداخلاني ببيعة العتيقة» ويتَّضح من ذلك انهُ كان نسطوريًّا . وقال ابن الازرق الفارقيّ في تاريخهِ : «مات ابن

التلميذ في عيد النصارى . وقال جمال الدين القفطي : توفي وذهنهُ بحالهِ

﴿اخبارهُ﴾ قال ابن ابي اصيبعة : «كان ابن التلميذ في اوَّل امرهِ قد سافر الى العجم وبقي بها في الخدم سنين كثيرة» ثمَّ عاد الى بغداد . ولمَّا توفي يحيى بن التلميذ قام امين الدولة مقامه وهو ابن بنتهِ وخدم الخلفاء والملوك واتخذه الخليفة المقتفي بالله (٥٣٠ــ٥٥٥ هـ = ١١٣٦ــ١١٦٠ م) كطبيبهِ الخاصّ وجعل لهُ راتباً بدار القوارير فقطعهُ الوزير عون الدين بن هبيرة ولم يعلم الخليفة بقطعهِ حتى اشار الى ذلك ابن التلميذ اشارةً لطيفة اذ قال لهُ الخليفة يوماً : قد كبرتَ يا حكيم . فاجابه : «نعم يا مولانا وتكسَّرت قواريري» : فادرك الخليفة بعد البحث سرَّ جوابهِ وتقدَّم بردّ راتبهِ بدار القوارير عليهِ وزادهُ اقطاعاً آخر (تاريخ الحكماء ص ١٤١) . وأقيم ساعورًا اي رئيساً على البيمارستان الكبير في بغداد المعروف بالبيمارستان العضدي المنسوب الى عضد الدولة ابن بويه الى حين وفاتهِ . وخدم ابن التلميذ بعد وفاة المقتفي ابنهُ المستنجد . قال ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٦٢) كانت دار امين الدولة التي يسكنها في بغداد في سوق العطر ممَّا يلي بابُهُ المجاور لباب الغربة من دار الخلافة المعظَّمة بالمَشرَعة النازلة الى شاطئ دجلة

﴿مقامهُ وعلومهُ وفضائلهُ﴾ قد اتَّسع الكتبة في وصف هبة الله بن التلميذ واطنبوا في فضلهِ قال عماد الدين الاصبهاني في الخريدة :

« هو مقصدُ العالم في علم الطبّ بقراطُ عصرهِ وجالينوس زمانهِ خُتم بهِ هذا العلم ولم يكن في الماضين من بلغ مداهُ في الطبّ . عمّر ابن التلميذ طويلًا ، وعاش نبيلاً جليلًا ، ورأيتهُ وهو شيخ بهيّ المنظر حسن الرُّواء عذب المُجتَلى والمُجتَنى لطيف الروح ظريف الشخص بعيد الهم عالي الهمَّة ذكيّ الخاطر مُصيب الفكر حازم الرأي شيخ النصارى وقسيسهم ورأسهم ورئيسهم»

ونقل ابن خلكان (٢ : ٢٥٣) ما ورد عنهُ في كتاب نموذج الاعيان من شعراء الزمان فيمن أُدرك بالسماع او بالعيان :

«كان ابن التلميذ متفنّناً في العلوم ذا رأي رصين ، وعقل متين ، طالت خدمتهُ للخلفاء والملوك ، وكانت منادمتهُ احسن من التبر المسبوك ، والدرّ في السلوك ، اجتمعتُ بهِ مرارًا في آخر عمرهِ ، وكنتُ أُعجب في امرهِ ، كيف حُرم الإسلام مع كمال فهمهِ ، وغزارة عقلهِ وعلمهِ ، والله يهدي من يشاء بفضله ، ويُضلّ من يريد بحكمهِ ، وكان اذا ترسَّل استطال وسَطا ، وان نظم وقع بين ارباب النظم وسطًا »

ونقل ابن ابي اصيبعة عن موفّق الدين البغدادي في هبة الله ابن التلميذ ما يدلّ على مروءتهِ ونزاهتهِ وعظم نفسهِ قال :

«كان ابن التلميذ حسن العشرة كريم الاخلاق عنده سخاء ومروءة واعمال في الطب مشهورة وحدوس صائبة . . . قال ومن مروءتهِ انَّ ظَهْر دارهِ كان يلي المدرسة النظاميَّة فاذا مرض فقيهٌ نقلَهُ اليهِ وقام في مرضهِ عليهِ . فاذا أبلَّ وهب لهُ دينارين فَصرفَهُ»

وممَّا حكاهُ عبد اللطيف عن امين الدولة وكأنَّهُ قد تجاوز في هذه الحكاية قال :

« وكأنَّ امين الدولة لا يقبل عطيَّةً الَّا من خليفة او سلطان فعرض لبعض الملوك النائية دارهُ مرضٌ مُزمن فقيل لهُ : ليس لك الَّا ابن التلميذ وهو لا يقصد احدًا . فقال : انا اتوجَّه اليهِ . فلما وصل أفرَدَ لهُ ولغلمانهِ دورًا وأفاض عليهِ من الجرايات قدر الكفاية ولبث مدَّةً . فبرئ الملك وتوجَّه الى بلادهِ وارسل اليهِ مع بعض التجَّار اربعة آلاف درهم واربعة تخوت عتابيّ واربعة مماليك واربعة افراس . فامتنع من قبولها وقال : انّ عليَّ يمينًا ان لا اقبل من احد شيئًا . فقال التاجر : هذا قدرٌ كبير . فقال : «انا لمَّا حلفتُ لم أستثنِ» . واقام شهرًا يراودهُ وهو لا يزداد إلَّا إباءً ونأيًا . فقال لهُ عند الوداع : ها انا اسافر ولا ارجع الى صاحبي واتمتَّع بالمال فتُقلَّد منَّتَهُ وتفوتك منفعتُهُ ولا يعلم احدٌ انك ردَدتَهُ . فقال : ألستُ اعلم في نفسي اني لم أقبلهُ فنفسي تَشرُفُ بذلك عَلمَ الناس او جهلوا »

وكان ابن التلميذ مع سموّ فضلهِ حسن السَّمت وافر الوقار كثير التواضع . وجرى لهُ مناقشات مع احد حكماء زمانهِ ابي البركات هبة الله بن علي بن ملكا وكان يهوديًّا فاسلم وكان معروفًا بالصَّلَف والكبرياء على خلاف ابن التلميذ فقال البديع الاسطرلابيّ فيهما :

ابو الحسن الطبيب ومقتفيهِ ابو البركات في طرَفَيْ نقيضِ
فذاك من التواضُع في الثريَّا وهذا بالتكبُّر في الحضيضِ

ووصف ابو سعيد بن ابي سهل البغدادي ابن التلميذ فقال :

« رأيتُ امين الدولة ابن التلميذ فاجتمعتُ بهِ وكان شيخًا رَبْع القامة عريض اللحية حلوَ الشمائل كثير النادرة (قال) وكان يحبُّ صناعة الموسيقى وكان يميل الى اهلها »

ولهُ اخبار كثيرة تدلُّ على براعتهِ في الطبّ رويناها سابقًا في المشرق(١

١) المشرق ٩[١٩٠٦] : ٧٨١

﴿آدابهُ وتآليفهُ﴾ ذكر شهاب الدين العمري سعة معارف ابن التلميذ في كتاب مسالك الابصار في اخبار ملوك الامصار (نسخة المكتبة الخديويَّة ص ٣٣٦) قال في طبقات الاطباء:

«ومنهم امين الدولة ابن التلميذ فَرْد زمانهِ ، ونِدّ (وفذّ ؟) أقرانهِ ، وبلغ بعلمهِ مبالغ الأشراف ، ووصل في فهمهِ حدَّ الإشراف . وكان يتكلَّم في مجالس الخلفاء منبسطًا ، يتقدَّم في مجال السؤَّال للضعفاء متوسّطًا ، لسابقة خدمهِ ، وباسقة صُنعهِ في بيت الإمامة دون باقي خَدَمهِ ، ولِما تجلَّت بهِ شِيمهُ من مآثر ، وحلَّت بأدبهِ ممّا لا يقدر عليهِ مكاثر ، حتى كان يناظر جلَّة الفقهاء ، وجملة اهل العلم سوى السفهاء ، ويفرّس الادباء ، ويفرش اواطئهِ الاطبَّاء ، ويضرب بقلمهِ عصا ابن البوَّاب ، ويُطرف طَرفُ طرسهِ مُقلة ابنِ مُقلة بفاضل الجلباب ، وهو على دينهِ المخالف يكرهُ الصدور ، ويجره جرَّة (كذا) البدور»

قال ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٥٩) : «كان ابن التلميذ جيّد الكتابة يكتبُ خطًّا منسوباً وقد رأيتُ كثيرًا من خطّهِ وهو في غاية الحسن والصحَّة وكان خبيرًا باللسان السرياني والفارسي متبحّرًا في اللغة العربية . . . وكان يترسّل ولهُ ترسُّل كثير جيّد وقد رأيت لهُ من ذلك مجلدًا يحتوي على انشاء ومراسلات . . .» ثم ذكر (ص ٢٧٦) عدَّة تآليف صنّفها في الطبّ لا يزال بعضها في خزائن الكتب الشرقيَّة كاقراباذينهِ ورسالتهِ في الفصد والاقناع والمقرَّبات . وقد وجدنا لهُ في مكتبة الكلدان في دياربكر سنة ١٨٩٥ رسالة لطيفة في اثبات عقائد الدين المسيحي سنعود اليها ان شاء الله . ولهُ الرسالة الأَمينيَّة كتبها الى ولدهِ وكان يُعرَف برضى الدولة ابي نصر قال ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٦٠) : «ولم يكن مدركاً لصناعة الطب وكان في سائر احوالهِ بعيدًا عمَّا كان عليهِ والدهُ» وقال (ص ٢٦٤) :

«خلَّف ابن التلميذ نعماً كثيرة واموالًا جزيلة وكتباً لا نظير لها في الجودة فورث جميع ذلك ولدهُ وبقي مدَّةً ثمَّ انهُ خُنق في دهليز دارهِ وأُخذ مالهُ ونُقلت كتبهُ على اثني عشر جملًا الى دار المجد بن الصاحب وكان ابن امين الدولة قد اسلم قبل موتهِ»

﴿شعرهُ﴾ قال ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٥٩) : «ولابن التلميذ شعر مستظرف حسن المعاني إلَّا انهُ اكثر ما يوجد لهُ البيتان او الثلثة وامَّا القصائد فلم اجد لهُ منها الَّا القليل» . وقد نظمهُ العماد الاصبهاني في كتابهِ خريدة القصر في جملة الشعراء وقال عنهُ : «كان من اكبر كتَّاب النصارى لهُ ابيات افراد كلُّها فرائد وكلمات وافية رائقة ، شافية شائقة» وقال صاحب كتاب اخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في

طبقات الشعراء (Ms Leid, p. 427) فوصف نظمَهُ بقولهِ : «ان شعرهُ كثير المُلَح» ودونك بعض ما وقفنا عليهِ من ذلك نفصّلهُ ابواباً

﴿ لهُ في المديح ﴾ ما كتب بهِ في صدر رسالة الى جمال الدين ابي الفتح بن الفضل بن صاعد جواباً (من الكامل) :

ما نَشْرُ أَنْفاسِ الرياضِ مريضةً ... عُوَّادُها ظِلُّ النَّدى وقِطارُ

كفلَتْ بثَرْوتها مؤَبدةً بها ... وكفَى صداها جدولٌ مِدرارُ

بكَتِ السماءُ فأَضحكتْها مثلَ ما ... أَضحكْتَ فتضحكُ بي الغداةَ نَوارُ

واذا تُعارضها ذُكاءُ تشَعْشَعتْ ... فتمازَج النَّوّارُ والنُّوّارُ

مشَتِ الصبا بفروعها مختالةً ... فَصبا المَشوق وغيرُهُ أَستعبارُ

واذا تغنَّى الطيرُ في ارجائها ... أَبدى بلابلَ صدْرها التَّذكارُ

يوماً بأَطيبَ من جِوارِكَ شاهدًا ... او غائباً تَدْنو بك الاخبارُ

وكتب الى الوزير سعد الملك نصير الدين (من البسيط) :

لا زال جَدُّكَ بالاقبال موصولَا ... وجَدُّ ضِدِّكَ بالإِذْلالِ مَغلولا

ولا عَدِمْتَ من الرحمانِ مَوْهِبةً ... تُعيد رَبْعك بالعافينَ مأهولا

فنعمَ مُنْطلِقُ الكفَّين انت اذا ... أَضحى اللئيمُ عن المعروف مغلولا

تجودُ بالمال لم تسأَل يداهُ وإن ... تُسأَلْ فصاحتُهُ بَذَّ الورى قِيلا

لا يستريحُ الى العِلّات معتذرًا ... اذا الضَّنينُ رأى للبُخْل تأويلا

يبادر الجودَ سبقاً للسؤَّال يرى ... تعجيلَهُ بعد بَذْل الوجه تأجيلا

لاغرو ان كُسِفَتْ شمسُ الضُّحى وبدت ... فأَكثرَ الناسُ تقبيحًا وتهليلا

فأنت سيفُ غياث الدين أَغْمَدَهُ ... صَونًا وعاد على الاعداء مسلولا

فما يليق بغير السَّعد مُسنَدُهُ وإن أعاروهُ إعظاماً وتبجيلا
فأُسلَم على الدهر في نَعماءَ صافيةٍ من النوائب مرهوناً ومأمولا

ومن ظريف قولهِ في شريفٍ كان يتواضع (من الطويل):

تواضعَ كالبَدْر أستنارَ لِناظرٍ على صَفَحات الماء وهو رفيعُ
ومَنْ دونَهُ يسمو الى المجد صاعدًا سموَّ دُخانِ النار وهو وَضيعُ

وقال يمدح موفَّق الدين ابا طاهر الحسين بن محمَّد. وكان ابن التلميذ دخل مدينة ساوة واشتغل في خزانة كتبها التي اوقفها موفَّق الدين على المدينة (من المنسرح):

وُفِّقْتَ للخير اذ عَمَّمتَ بهِ طُلَّابَهُ يا موفَّق الدينِ
أزْلفتَ للناس جَنَّةً جمعَتْ عيونَ فضلٍ أشهى من العِينِ
فيها ثمارُ العقولِ دانيةٌ قُطوفُها حُلْوةُ الأَفانينِ
لا زلتَ تَسمُو بكلّ صالحةٍ بمُسْعِدَيْ قدرةٍ وتمكينِ
ويرحمُ اللهُ كلّ مستمعٍ مُشيّعٍ دعوتي بتأمينِ

ولهُ ﴿في الشكر والتهانئ والهدايا﴾ قال يشكر مستوفي الممالك العزيز ابا نصر ابن حامد (من الطويل):

لَعَمْرُ ابيك الخيرِ ليس بواحدٍ من الناس إلَّا حامدًا لابن حامدِ
كأَنهمُ دانَوْا الإلهَ بشكرهم عُلاهُ ولكن لا كشكرِ ابنِ صاعدِ
همُ خبَّروا عنهُ فأثنوا بصالحٍ وعندي بما أثنيتُ خيرَ المشاهدِ

ومن تهانئهِ قولهُ يهنئ بخلعةٍ (من الوافر):

لئنْ شرُفَتْ مَناسبُها وجلَّتْ لقد زُفَّتْ الى كُفءٍ شريفِ

الى مَنْ زانها وأُزدان منها كسالفةِ المَليحة والشُّنوفِ

واهدى الوزيرَ ابن صَدَقة كتاب المحاضرات الراغب وكتب معهُ (من الكامل) :

لمَّا تَعذَّر ان اكونَ ملازماً لجنابِ مولانا الوزيرِ الصاحبِ
ورغبتُ في ذكري بحضرة مجدهِ أَذْكرتُهُ بمحاضرات الراغبِ

وكان ابو القاسم بن الفضل عتب على ابن التلميذ في امرٍ فاجابهُ خالعاً عليهِ قميصاً مصمتاً اسود وكان السواد من اعلام الدولة العبَّاسيَّة (من الطويل) :

أُحبُّكَ في السوداء تَسحبُ ذيلَها خطيباً ولكن لا بذكر مثالبي

وقال ايضاً يسترضيهِ (من الطويل) :

اتاني كتابٌ لم يَزِدْني بصيرةً بسؤْدُدِ مُهديها اليَّ وفضلهِ
فقلتُ وقد أَخجلَتني بابتدائهِ : أَبى الفضلُ إلَّا ان يكون لاهلهِ

ولهُ «في الرثاء» قال في رئيسٍ مات في يومٍ ممطرٍ (من الكامل) :

كم ذا الوقوفُ على غُرورِ أماني أَأَخذتَ من دنياك عِقْدَ أمانِ
هل عيشةٌ بعد الرِضا مَرْضيَّةٌ كلَّا ولو كانت خلودَ جِنانِ
انَّ السماءَ بفقدهِ لحزينةٌ فرياحُها نَفَسُ الكئيبِ العاني
الغيثُ أَدمُعُها وما برَقتْ به نارُ الجوى والرَّعْدُ للإرنانِ (١
لو ذاق فَقْدَكَ مَنْ يلومُ على البكا لزَرى على التَّنْسيم (٢ والسُّلوانِ

١) ويروى : للاحزانِ
٢) ويروى : على التبسيم

تَبِعوكَ اذ صلَّوا عليك ولم تَزَلْ كالنَّجم تُهديها بكلّ مكانِ
لا يُبعدَنْك وما البعيدُ بمن نأى حيًّا ولكنَّ البعيدَ الداني

وقال يرثي صاحب الحلّة الامير سيف الدولة صدَقة بن منصور بن دبيس لمَّا قُتل سنة ٥٠١هـ (١١٠٧م) في واقعة كانت بينهُ وبين عسكر السلطان محمَّد شاه. «وكان هذا الامير على ما وصفهُ ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (éd. Popper, vol. 2 p. 351) كريماً عفيفاً عن الفواحش وكانت دارهُ ببغداد حَرَماً للخائفين ولم يتزوَّج غير امرأة واحدة وكانت سيرتهُ مشكورة وخصائلهُ محمودة ان سلم من مذهب اهل الحلّة فان اباهُ كان من كبار الرافضة». وهذا رثاء امين الدولة فيهِ (من الطويل):

لِيَبْكِ ابنَ منصورٍ عُفاةُ نوالهِ اذا عصفَت بالريح نَكباءُ حَرْجَفُ
ويذكُرُهم مَنْ ردَّهم بعُبوسهِ فتًى كان يلقاهم ببِشرٍ ويُسْعِفُ
ولمَّا سَما فوق السماء بهمَّةٍ (١ يغضُّ لها طَرْفُ الحسودِ ويُطْرِفُ
رمَتْهُ الليالي بل رمَتْنا برُزْئهِ كبدر الدُّجى في ليلة التِّمّ يُخسَفُ
عليكَ سلامٌ لا تزالُ قلوبنا على حزَنٍ ما هبَّتِ النِّيبُ (٢ توقفُ
ولا برِحتْ عينُ السَّماءِ بوَبْلها على جدَثٍ واراكَ تَهْمي وتَذْرِفُ

ولابن التلميذ اقوال حسنة ﴿في الفكاهات واللطائف﴾ منها وصفهُ لزجاجتَيْهِ (من مجزوء الكامل):

بزجاجتَين قطَعْتُ عمري وعليهما عوَّلتُ دهري

---

١) ويروى: رقا وسما فوق السماء بهمَّةٍ
٢) ويروى: النبتُ

بزُجاجةٍ مُلِئَت بحِبرٍ ... وزُجاجةٍ مُلِئَتْ بخمْرِ
فبذا أُثبِّتُ حِكْمَتي ... وبذا أُزيلُ هُمومَ صدري

ومن قولهُ في شرب الخمرة (من الرجز) :

كأسٌ يُطفّي لَهَبَ الأُوامِ ... ثانٍ يُعِين هاضمَ الطعامِ
وللسرورِ ثالثُ المُدامِ ... والعقلُ يُنفيهِ مَزيدُ جامِ

ومن لطائفهِ ما قالهُ لِيُكتَب على حصير (من الكامل) :

أَفْرَشْتُ خدّي للضيوفِ ولم يزَلْ ... خُلْقي التواضُعَ للَّبيبِ الأَكْيَسِ
فتواضُعي أَعْلى مكاني بينهم ... طورًا فصرتُ أُحلُّ صدر المَجْلِسِ

وقال في مَسْنَد الرأس (من الخفيف) :

رُبَّ وَصْلٍ شَهِدْتُهُ فتمتَّعْتُ عِناقاً بالعاشقَيْنِ جَميعا
وَجدَاني للودِّ اهلًا وللسرِّ مكاناً وللصديق مُطيعا

ولهُ في مِجْمَرة البَخُور (من المتقارب) :

اذا الهَجْرُ أَضْرَمَ نارَ الهوى ... فقلبيَ يُضْرِمُ للهجر نارا
أَبوحُ بأسراري المُضمَرا ... تِ تبدو سِرارًا وتبدو جِهارا
اذا ما طوى خبَري صاحبٌ ... أَبى طيبُ عَرْفيَ الّا انتشارا

وقال فيها بمعناه (من الخفيف) :

كلُّ نارٍ للشَّوق تُضرَمُ بالهجـــرِ وناري تَشبُّ عند الوصالِ
فاذا الصَّدُّ راعَني سكَنَ الوَجـــدُ ولم يَخطُرِ الغرامُ ببـــالي

ومثلهُ في المجمرة ايضاً (من مجزوء الكامل) :

يشكو المُحِبُّون الجوى عند التفرُّق والزِّيالِ
وأَشدُّ مـــا أُصلى بِنـــا رِ الشوقِ اوقاتَ الوِصالِ

وقال ايضاً يصفها (من المنسرح) :

رُبَّ حِمًى لا تُرامُ عِزَّتُهُ أَبحتُـــهُ النَّفسَ غيرَ محجوبِ
يُبدي عِيـــاني لِمَنْ تأمَّلني نارَ مُحبٍّ ونَشرَ محبوبِ

ومن لطائفهِ يصف مَغسل الشَّرب (من الطويل) :

اذا ما خطبتَ الودَّ بين مَعاشرٍ فكُنْ لهمُ مثلي تُعَـــدُّ اخا صِدْقِ
اذا استأثروا من كلّ كأسٍ بصَفوِها رضيتُ بما أَبقَوهُ من مَشرَبٍ رَنْقِ

وممَّا اخبرهُ ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٧٤) ان ابن التلميذ عـــالج في مرضهِ الرئيس ابا القاسم عليَّ بن افلح الكاتب. فلمَّا نَقِهَ من مرضهِ وكان ابن التلميذ فرض عليهِ الحِمية فكتب لهُ ابو القاسم يطلب منهُ ان يأذن لهُ بأكل الخبز :

أَنا جَوعانُ فأَنقذْ نِيَ من هذي المَجاعَهْ
فَرَجي في كَسْرةِ الخبـــزِ ولو كانت قُطاعَهْ (١
لا تَقُلْ لي : ساعةً تَصْـــبِرُ ما لي صَبْرُ ساعَهْ
فحَوايَ اليومَ ما يَقْـــبَل في الخُبزِ شَفاعَهْ

١) قال القُطاعة هو الخَشنُ من الدقيق يُقطع من النُّخالة ويُخبز فيُسمى خبز قطاعه

فاجابهُ ابن التلميذ (من الرمل) :

هكذا اضيافُ مِثلي يتشكَّوْنَ المَجاعَهْ
غيرَ أَنّي ليس عندي لِمُضِرٍّ من شَفاعَهْ
فتعلَّلْ بسَويقٍ فهو خيرٌ من قُطاعَهْ
بحياتي قُلْ: كما ترْ سُمُهُ سَمعاً وطاعَهْ

وممَّا رواهُ ابن ظافر الازديّ في كتابهِ بدائع البدائه (ص ٥٤) قال : اخبرني القاضي السعيد ابو قاسم هبة الله بن سناء الملك رحمهُ الله قال : اخبرني الجليل الوافد من العراق على الدولة المصريَّة قال : اجتمعتُ في بعض الأيَّام بامين الدولة ابي الحسن هبة الله بن صاعد بن التلميذ فاخذتُ في ذمّ الدهر وإخنائهِ على اهل الفضل واذا بكلاب صَيْد التي برسم الخليفة قد أُبرزت في جِلال الوشي والديباج فحرَّك ذلك ما كنا نتجاذب أهدابَهُ في ذمّ الدهر فقلتُ (من الرجز) :

مَن كان يُلبسُ كلْبَهُ وشيًا ويقنَعُ لي بجلدي (١

فاستجزتُهُ فقال واجاد :

الكلبُ خيرٌ عندهُ منّي (٢ وخيرٌ منهُ عندي

ولابن التلميذ « هجو » قليل فمن ذلك ما هجا بهِ الطبيب اوحدَ الزمان ابا البركات اليهودي الذي أسلم وكان تعيَّن معهُ في خدمة الخليفة المستضيء بالله . قال ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٦٠) :

« ان اوحد الزمان كان قد كتب رقعةً يذكر فيها عن ابن التلميذ اشياءَ يبعدُ جدًا ان

---

١) ويُروى : من كان يكسو الكلبَ وشيًا ثم يقنع . . .
٢) ويروى : فالكلبُ مني عندهُ خيرٌ

تصدُرَ عن مثلهِ ووهب لبعض الخدم شيئًا واستسرَّهُ ان يرميها في بعض طُرُق الخليفة من حيث لا يعلم بذلك احد (وهذا مما يدلُّ على شرّ عظيم) وانَّ الخليفة لمَّا وجد تلك الرقعة صعُب عليهِ جدًّا في اوَّل امرهِ وهمَّ ان يوقع بامين الدولة. ثمَّ انهُ بعد ذلك رجع الى رأيهِ وأُشير عليهِ ان يبحث ويستأصل عن ذلك وان يستقرّ من الخدم من يُتهمهُ بهذا المنى. ولمَّا فعل ذلك انكشف لهُ انَّ اوحد الزمان كتبها للوقيعة بابن التلميذ فحَنِقَ عليهِ حنقًا عظيمًا ووهَبَ دمَهُ وجميع مالهِ وكتبهِ لامين الدولة ابن التلميذ. ثمَّ انَّ امين الدولة كان عندهُ من كرم الطباع وكثرة الخيرَّية انهُ لم يتعرَّض لهُ بشيء وبُعِدَ اوحدُ الزمان بذلك عن الخليفة وانحطَّت منزلتهُ. ومن مطبوع ما لامين الدولة فيهِ قولهُ (من البسيط) :

لنا صديقٌ يهوديٌّ حماقتهُ   اذا تكلَّمَ تبدو فيهِ من فيهِ

يتيهُ والكلبُ اعلى منهُ منزلةً   كأنَّهُ بعدُ لم يَخرُج من التيهِ

وقال ابن التلميذ في ولدهِ وكان في سائر احوالهِ بعيدًا عمَّا كان عليهِ والدهُ (من المنسرح) :

اشكو الى الله صاحباً شَكِساً   تُسعِفُهُ النفسُ وهو يَعسِفُها

فنحنُ كالشمسِ والهلالِ معاً   تُكسِبُه النورَ وهو يَكسِفُها

وفيهِ قال يوٴنبهُ (من الكامل) :

والوقتُ أَنفَسُ ما عُنيتَ بحفظهِ   واراهُ أَسهَلَ ما عليك يَضيع

وقال يهجو صديقاً اسمهُ سعيد خاتَهُ (من السريع) :

حُبّي سعيدًا جوهرٌ ثابتٌ   وحُبُّهُ لي عَرَضٌ زائلُ

بهِ جهاتي الستُّ مشغوفةٌ   وهو الى غيري بها مائلُ

وروى لهُ محمَّد بن خُضر الحلبيّ يهجو الوزير الدركزيني (من مجزوٴ الكامل) :

قالوا: فلانٌ قد وَزَرْ   فقلتُ: كلّا لا وَزَرْ

والله لو حُكِّمْتُ فيهِ م جعلتهُ يرعى البقَرْ

وقال فيهِ (من مجزوء الكامل) :

قالَ الأَنامُ وقد رأو ... هُ مع الحداثةِ قد تصدَّرْ :

مَنْ ذا المجاوِزُ قدرَهُ ... قلتُ : المُقدّمُ للمؤخَّرْ

ومثلهُ في رجلٍ قليل الوفاء (من مجزوء الكامل) :

قد قاتُ للشيخ الجليـ ... ـلِ الأَريحيّ ابي المُظفَّرْ :

ذَكِّرْ فُلانَ الدين بي ... قال: المُؤَنَّثُ لا يُذَكَّرْ

وقال يهجو آخر المسمَّى حيدرًا (من الكامل) :

مذ صار حيدرُ بَيْدَقَ الصَّدْرِ ... ومُشيرَهُ في النَّهي والأَمْرِ

والمستنابُ على نيابتهِ ... ايقَنْتُ انَّ العَجْزَ في الصَّدْرِ

وقال يهجو انساناً بالعين (من المنسرح) :

مـدوَّرُ الكعبِ فاتّخِذْهُ ... لتَلِّ غَرْسٍ وتَلِّ عَرْشِ

لو رمقَتْ عينهُ الثريَّا ... أخرجَها في بناتِ نَعْشِ

ولهُ ايضاً في شقيٍّ يخاف الهجو (من السريع) :

يا خائفَ الهَجْوِ على نفسهِ ... كُنْ في أَمانِ الله من مَسّهِ

انت بهذا العَرْضِ بين الورى ... مثل (القذى) يمنعُ من نفسهِ

ومن اقوال امين الدولة ﴿في الشوق﴾ ١٠ رواهُ الصفدي في شرح لاميَّة العجم (١ : ١٤٧) (من المنسرح) :

عاتبتُ اذ لم يَزُرْ خيالك والـنَّوْمُ بشَوْقي اليـهِ مسلوبُ
فزارني مُنعِماً وعـاتبَني كما يقالُ المنامُ مقلوبُ

وقال بعناه (من البسيط):

يا دارُ لا تُنْكري مني التفاتَ فتًى فِراقُ احبابِهِ أجرى مَدامعَهُ
عهدتُ فيكِ قُمَيرًا كان يؤنسُني حيناً فعَيْناي تستقري مطالعهُ

ولهُ يتشوَّق الى اصحابهِ في بغداد (من الطويل):

على ساكني بغدادَ مني تحيَّةٌ تُحمِّلها ريحُ الشمال اليهمِ
تخبِّرُهم انّي صحبتُ معاشرًا سواهم فأبكاني الزمانُ عليهمِ

ومثلهُ (من الطويل):

خليلٌ نأَى عني فبُدِّلتُ بعدهُ مُقيمَ الجوى من صفوِ عيشٍ وطيبهِ
اغار عليهِ صرفُ دهرٍ فغالَهُ وعمَّا قليلٍ سوفَ يُلحِقُني بهِ

ولهُ في الشوق ايضاً (من المنسرح):

لا تَعْجبوا من حَنينِ قلبي إليهمُ وٱعذروا غرامي
فالقوسُ مع كونها جمادًا تئنُّ من فُرْقةِ السِّهامِ

وكذلك قال يتشوَّق (من السريع):

كيفَ أُلفُّ العيشَ في بَلْدةٍ سُكَّانُ قلبي غيرُ سُكَّانها
لو انَّها الجنّةُ قد أُزْلِفَتْ لم أَرْضَها إلّا بِرُضْوانها

وكان جمال الدين ابو القاسم بن افلح كتب يُعرب عن شوقه لابن التلميذ :

انيِ وحَقّكَ منذ ارتحلتَ نهاري حنينٌ وليلي أنينُ
وما كنتُ اعرفُ قبلُ امراً بجسمٍ يقيمُ وقلبٍ يَبينُ
يقولُ الخليُّ اذا ما رأى ولوعي بذكراك لا يستكينُ :
تَسلَّ . فقلتُ : دهاك الفراقُ أتدري جَوى البَيْنِ اين يكونُ
وكيفَ السبيلُ الى سُلْوتي وحُزني وفيٌّ وصبري خَؤونُ

فكتب امين الدولة في جوابهِ (من المتقارب) :

وانّي وحُبّك مُذْ بِنْتُ عنك م قلبي حزينٌ ودَمْعي هَتونُ
وأَخافَ ظنّيَ صبرٌ مُعينٌ وشاهِدُ شَكْوَايَ دمعٌ مَعينُ
فللّه ايّامُنا الخاليا تِ لو ردَّ سالفَ دهرٍ حنينُ
وانّي لأَرعى عهودَ الصَّفاء ويَكلأُها لك ودٌّ تصُونُ
وأَحْفَظُ ودَّكَ عن قادحٍ وودُّ الاكارمِ عِلْقٌ ثمينُ
ولِمْ لا يكونُ ونحن اليَدا نِ انتَ بفضلك منها اليمينُ
اذا قلتُ : أَسْلُوكَ . قال الغرا مُ : هيهاتِ ذلك ما لا يكونُ
وهل ليَ في سَلوةٍ مَطمَعٌ وصبري خَؤُون وودّي امينُ

ونظم ايضاً ابن التلميذ «في الغزل» اللّين بحسن الذوق كقولهِ (من المتقارب) :

لِسَيْفِ جُفونك فضلٌ على مَواضي السيوفِ التي في الجفونِ
فتلك مع القَتْل لا تستطيـــعُ رَجْعَ النفوسِ بدَفعِ المَنُونِ

وعيناكَ يقتلني شَزْرُها وأحيا بإيماضها في سكونِ

وقوله بمعناهُ (من الكامل) :

تمَّتْ محاسِنُهُ سوى كَلَفٍ حُلْوِ المواقع زانَهُ بِشْرُ
وَسَمُوا بهِ لألاء غُرَّتهِ عَمْداً لِيُعْلَمَ انَّهُ بَدْرُ

ولهُ في وصف الخال (من البسيط) :

لا تَحسبَنَّ سوادَ الخال عن خلَلٍ من الطبيعةِ او إحداثُهُ غَلَطُ
وانَّما قلمُ التصوير حين جرَى بنُونِ حاجبِه في خدّهِ نقَطا

ومن غزَلهِ (من الكامل) :

يا مَنْ لَبِستُ عليهِ أثوابَ الضَّنا صُفْراً مُشَهَّرَةً بحُمْرِ الأدْمُعِ
أدرِكْ بقيَّةَ مُهجَةٍ لو لم تَذُبْ شوْقاً إليك نفَيْتُها من أضلُعي

ومنهُ (من الخفيف) :

انت شُغْلي في كلّ حالٍ فنومي بخيالٍ ويَقْظَتي بأذّكارِ
طالَ ليلي بطول هَجْرِكَ لا دا م وشوقي الى الليالي القِصارِ

وقال ايضاً (من الخفيف) :

لا تَظُنَّنْ تخلُّفي لِمَلالٍ انتَ من خوف سَلْوَتي في أمانِ
رُبَّ هجرٍ يكونُ أدْعى الى الوَصْـل ووصلٍ أدعى الى الهِجرانِ

وهذه حِكَم ابن التلميذ وكلّها لطيفة مصيبة . قال يصف اواخر حياة الشيخ (من المتقارب) :

اذا وَجدَ الشيخُ في نفسهِ نشاطاً فذلك موتٌ خفي
ألستَ ترى انَّ ضوءَ السِّراجِ لهُ لَهَبٌ قبلَ ان ينطفي

وقال في العلم واسبابهِ (من المتقارب):

سُقِ النّفْسَ بالعِلْمِ نحو الكمالِ تُوافِ السعادةَ من بابها
ولا تَرْجُ ما لم تُسبِّبْ لهُ فانَّ الامورَ بأَسبابِها

وقال في الحجاب الحقيقة عن النفس (من البسيط):

لولا حِجابٌ امامَ النفس يَمنعُها عن الحقيقةِ فيما كان في الأَزَلِ
لَأَدركَتْ كلَّ شيءٍ عزَّ مطلبُهُ حتى الحقيقةَ في المعلولِ والعِلَلِ

وقال في تأثير العلم في العاقل وفي الجاهل (من الكامل):

العِلْمُ للرَّجلِ اللبيبِ زيادةٌ ونقيصةٌ للأَحمق الطيَّاشِ
مثلُ النهار يزيد ابصارَ الورى نورًا ويُغْشِي أعينَ الخُفَّاشِ

وما اظرف قولهُ في تواضع الشريف (من الطويل):

اذا كنتَ محمودًا فانَّك مُرْمِدٌ عيونَ الورى فَاْكْحَلْهُمُ بالتواضُعِ

ومن قولهِ في حذر العدوّ الصغير (من البسيط):

لا تَحقِرنَّ عدوًّا لانَ جانبُهُ ولو يكونُ قليلَ البَطْشِ والجَلَدِ
فالذُّبابةِ في الجُرْحِ المُمَدّ يدٌ تنالُ ما قَصُرَت عنهُ يدُ الأَسدِ

وقال يصف الكريم واللئيم (من المنسرح):

نفسُ الكريمِ الجَوادِ باقيةٌ فيهِ وان مسَّ جلدَهُ العَجَفُ

والحُرُّ حرٌّ وان أَلمَّ بهِ الـضرُّ ففيهِ العَفافُ والأَنَفُ
والنَّذل لا يهتدي لمكرُمةٍ لأَنَّ ذاكَ المَزاجُ منحرفُ
فالقَطْرُ سُمٌّ ان احتواهُ فمُ الـصِلِّ ودُرٌّ ان ضمَّهُ الصَدَفُ

ولهُ في الشباب والشيب (من المنسرح):

قالوا شبابُ الفتى خَؤونٌ والشيبُ وافٍ فلَيْسَ يَرْحَلْ
فقلتُ : ابعدتمُ قياساً ذاكَ حبيبٌ وذا مُوكَّلْ

ومن قولهِ في من يرى عيوب غيرهِ دون عيب نفسهِ (من الكامل):

وأرى عيوبَ العالمينَ ولا ارى عيباً لنفسي وهو منّي اقربُ
كالطَّرْفِ يَستَجْلي الوجوهَ ووجهُهُ منهُ قريبٌ وهو عنهُ مُعْزَبُ

وقال في آخر عمرهِ (من الكامل):

كانت بُلَهْنِيَةُ الشَبيبَةِ سَكْرَةً فصَحَوتُ واستأنفتُ سيرةَ مُجمِلِ
وقعدتُ ارتقبُ الفَناءَ كراكبٍ عرفَ المَحلَّ فباتَ دون المنزلِ

وقال في تحامل الدهر على الضعفاء (من الوافر):

أَجدِّكَ انَّ من شِيَمِ الليالي م العنيفةِ ان تجورَ على اللَّهيفِ
كمثلِ الخَلْطِ أَغلبَ ما تراهُ يصبُّ اذاهُ في العضو الضعيفِ

وقال يصرف النفس عن اللاذّ (من المجتث):

قد كنتُ اعتَدُّ حيناً لُقياكَ أَنفَسَ رِبْحِ
فقد بدَتْ عن سُلوٍّ سماءُ عقلي بنُصحِ
مالي أَهيمُ بحُسْنٍ يكونُ عِلّةَ قُبحي

وقال في العزم والجدّ (من السريع) :

واظِبْ على الجدّ ولا تَنْخَدِعْ بالهَزْلِ ان ساعدَكَ الجَدُّ
ولا تَقُلْ انَّ لهُ موضعاً فالهزلُ في موضعهِ جَدُّ

ولابن التلميذ بعض الالغاز كخالِهِ ابي الفرج منهـا قولهُ في سحاب (من الرجز) :

وهاجمٍ ليس لهُ من عُدْوى مُستبدلٍ بكلّ مَثْوًى مثوى
بُكاؤهُ وضُحْكُهُ في معنًى اذا بكى أَضْحَكَ اهلَ الدنيا

وألغز في الميزان فاجاد (من الرجز) :

ما واحدٌ مختلفُ الأَهواء يَعْدِلُ في الارضِ وفي السَّماء
يحكمُ بالقِسْطِ بلا رِياء أَعمى يُري الرشادَ كلَّ رائي
اخرسُ لا من عِلّةٍ وداء يُغْني عن التصريح بالايماء
يجيبُ ان ناداهُ ذو امتراء بالرَّفعِ والخَفضِ عن النداء
يُفصحُ ان عُلّقَ في الهواء

ولهُ لغزٌ في الدّرع (من الطويل) :

وبَيْضَاءَ لا للبيضِ والسُّمْرِ قَدُّها تَظَاهرَ في تقويمها الحَرُّ والبَرْدُ
تجلّتْ لنا حبًّا ولم تَجْرِ في رحًا ولكنْ تولّاهُ لها الرقُّ والبُردُ
وقَيْتُ بها نفسي فكانتَ كأنَّها هي الشَمسُ محجوباً بها الكوكبُ الفردُ

وألغز في الابرة كأبي الفرج فقال (من الطويل) :

وكاسيةٍ رُزْقاً سواها يجوزُهُ وليس لها حمدٌ عليهِ ولا أَجرُ

مفرّقةٌ للشَّملِ والجَمْعُ دأبُها وخادمةٌ للناسِ تَخدمها عَشرُ (١
اذا خطرَتْ جرَّت فُضُول ذيولها سجيَّةُ ذي كِبرٍ وليس بها كِبْرُ
ترى الناس منها يلبسون الذي نَضَتْ تعمُّهمُ جودًا وليس لها وَفْرُ
لها البيتُ بعد العزّ غيرُ مدافعٍ الى بأسهِ (٢ تُعْزى المُهنَّدةُ البُتْرُ
أَضرَّ بها مثلي نُحولٌ بجسمها وإن لم يَرُعْها مثلَ ما راعني هَجْرُ (٣

ولابن التلميذ مقاطيع غير هذه فاكتفينا بما سبق ذكرهُ . ولعلَّهُ وقع ايضاً بعض اختلاط بين ما رُوي لهُ وما روي لابي الفرج خالهِ فانّ بعض ما ذكرناهُ للثاني يروى في كتب اخرى للاوَّل والعكس بالعكس . وما لا ريب فيهِ انَّ كليهما امتاز بالنثر والنظم وانَّما اتَّسع الرواةُ بذكر هبة الله وكان اقرب اليهم زماناً واوسع شهرةً وقد مدحهُ كثيرون من الشعراء ورثوهُ بعد موتهِ . فمن ذلك داليَّةٌ للسيّد النقيب الكامل ابن الشريف الجليل رواها ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٦٥) اوَّلها :

امينَ الدولة اَسْلَمْ للايادي على رغم المناوي والمعادي

ثمَّ روى قصيدة للشريف ابي يعلي محمَّد بن الهباريَّة الشهير يقول في مدحهِ :

شمسُ مجد لا تراها ابدًا عن سموَّات العُلى مُنكسفَهْ
جلَّ ان يُدرَك وصفًا مجدُهُ انهُ اكبرُ من كلّ صفَهْ
غدتِ الدنيا ومن فيها معًا لعلاهُ بالعلى معترفه

وقال اثير الدين ابو جعفر عبدالله يرثيه :

فُقِدَ الطبيبُ فليس يوجد صحَّة م الموجود منَّا بعد ذا المفقودِ

ورُوي غير ذلك لابن اسماعيل الطغرائي ولابن جكينا وللبديع الاصطرلابيَّ ولابي القاسم هبة الله بن المفضل ما يُعرب عن سموّ منزلة ابن التلميذ واعتباره لدى اعيان زمانهِ وادبائهم

١) اي الاصابع العشر ٢) ويروى : الى بابهِ
٣) ويروى : بحرُ

٣٠ محفوظ النّيلي

﴿اسمهُ ونسبهُ ودينهُ وزمانهُ﴾ هو الحكيم ابو العلاء محفوظ ابن المسيحيّ بن عيسى النصرانيّ النيليّ الطبيب والاديب الشاعر . كان من اهل العراق ونسبتهُ الى النِيل وهي بلدة على الفرات في سواد الكوفة بين الكوفة وبغداد . وقد عُرف ايضاً بالواسطيّ لانهُ كان نزيل مدينة واسط يسكنها فنُسب اليها . امّا زمانهُ فانهُ كان في اواسط القرن السادس للهجرة والثاني عشر للميلاد

﴿علمهُ وادبهُ﴾ قال فيهِ جمال الدين القفطيّ في تاريخ الحكماء (ص ٣٢٧—٣٢٨) : « كان محفوظ طبيباً فاضلاً نبيلاً مذكورًا في وقتهِ عالماً بصناعة الطبّ مرتزقاً بها جميل المشاركة محمود المعالجة . ولهُ مع ذلك ادبٌ طريٌّ ، وخاطر في النظم سريّ ، وكان موجودًا بالعراق سنة ٥٥٩ (١١٦٤م) »

وقد عرفهُ عماد الدين الاصفهانيّ وذكرهُ في خريدة القصر وجريدة العصر (Ms de Paris 1447 f. 165[r])قال : « الحكيم ابو العلاء محفوظ سكن واسط وعُرف بها واكتسب بالطبّ . وكان فاضلاً عالماً مَرْضيّ الصنعة في مداواة المرضى مستقيم الرأي في تسقيم السقيم . لم يزل يتردَّد اليّ مدَّةَ اقامتي بواسط أستطبُّهُ ، وأَجد بمَنّةِ اللهِ بطبّهِ من الصحَّة ما أستحبّهُ ، وكان لَهِجاً بالإلغاز ، ولِما يسمعهُ من ذلك شديد الاهتزاز ، واشعارهُ فيهِ مستقيمة الصدر وسليمة الأَعجاز، توفي في اوائل سنة ستين وخمسمائة (١١٦٥م) وكان قبل ذلك بأشهُر قريبةٍ يجتمع بنا ونتذاكر ما قيل في اللغز »

وممّا ذكرهُ ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطبّاء (ص ٢١٧—٢١٨) ان عليّ بن هبة الله الاثردي شرَح كتاب دعوة الاطباء لابن بطلان وألّفهُ لابي العلاء محفوظ

﴿ اشعارهُ ﴾ لم نقف لمحفوظ على شعر إلّا ما رواهُ عنهُ عماد الدين الاصفهاني في الالغاز . قال : ممّا أنشد فيهِ لنفسهِ بواسط في عاشر شوّال سنة تسع وخمسين (وخمسمائة) لغزًا في العقل (من المنسرح) :

مَا حاضِرٌ ما يُرَى لهُ شخصٌ فإنَّهُ في اختفـائـهِ لِصٌّ
يُضيءُ في البيتِ كالسراج وقد يَشوبُ وقتاً ضياءَه غَمْصُ
يَبين نُقصانُهُ وليس لهُ رُجحانُ كمّيَّـةٍ ولا نَقْصُ
لكنَّهُ عادلٌ يميلُ وما رأيتُ ميلاً بالعدلِ يختصُّ
يَهزِمُ جيشَ الخُطوبِ مُقتدرًا وقد يُرى أنَّهُ عاجزٌ نِكْصُ
أَعوانُهُ عِدَّةٌ ثمانيةٌ (١ بهم يَنُمُّ الضَّلالُ والفَحْصُ
فهو كنوحٍ في الفُلْكِ يستترُ وهم كأصحابهِ اذا أُحْصوا (٢
فقد كشفتُ الغطاءَ مجتهدًا حتّى بدا من ظهورهِ نَفْصُ (٣

وألغز في النار وارتفاع لهيبها عن الارض (من السريع) :

ما صورةٌ كوَّنها ربُّها من عالَمِ الجِنَّةِ وَالْإِنْسِ
فأصبحتْ للإنسِ معشوقةً تُهدِي اليهم لَـذَّةَ النَّفسِ
فما لها من بَعْدهـا رَجعةٌ الى مَقَرِّ الوَصْلِ والأُنْسِ
فمـا هيَ يا من غـدا عالمًا يَحُلُّ مـا يُلْغَزُ في الطِّرْسِ

قال العباد وانشدني محفوظ في الإلغاز لنفسهِ بالرُّمانـة بمعنى الثمرة والقُبَّان (من الرجز) :

---

١) يريد بالثمانية القوى التي يستعين بها العقل وهي الحواسّ الخمس ثمَّ الخيال والحسّ وقوّة الارادة

٢) يقول انَّ عدد هؤلاء الاعوان ثمانية كعدد الاشخاص الذين كانوا في سفينة نوح فنجوا من الطوفان

٣) النَّفْص بالفاء الزيادة والمبالغة

يا عالِماً يَستفهِمُ عن كلّ ما يُستَبهَمُ

ما حامِلٌ عذراءُ لم تَزْنِ ولا تُتَّهَمُ

أَولادُها في جوفِها تحت الضُّلوعِ جُثَّمُ

كلٌّ لهُ من تِرْبها (١ عليهِ ثوبٌ يُقسَمُ

شِفاهُها كثيرةٌ فأَعلَمٌ وأَخرَمُ

لكن لها فردُ فمٍ ورأْسها هوَ الفمُ

من الجِنان أُخرِجتْ والجَحيمِ تُسلَمُ

وما اتت جَريمةً ومثلُها لا يُجرِمُ

بل فضلُها عند الأَنا مِ ظاهرٌ يُغتَنَمُ

امثالها بينهمُ لها صِفاتٌ تُعلَمُ

فالبعضُ منها حاكمٌ يَعدِلُ فيما يَحكُمُ (٢

والبعضُ منها في الصدو رِ جالسٌ يَحتشِمُ (٣

كلٌّ يرى حقوقهُ عليهِ فرضاً يُلزِمُ

ومن شهير امرِها اذ مثلُهُ لا يُكتَمُ

انَّ بها يشقى السَّقيمُ والنديمُ ينعُمُ (٤

---

١) كذا في نسخة . ويروى : في شربها . ولعلّ الصواب من ثِرْبها اي من لحمها وشحمها

٢) الرمّانة هنا القبّانة التي تتّخذ للوزن

٣) يشبَّه ثديُ النساء بالرمّانه

٤) ويروى : يندم

وقد كشفتُ بِسرّها وعند هذا أَختِمُ

قال العماد . وانشدني ايضاً لنفسهِ في واسط رابع ذي القعدة سنة ٥٥٩ ملغزًا في آلة الطرب المعروفة بالناي (من الوافر):

ومملوكٍ رشيقِ القدّ أَلمَى بهِ تَلْهو وتبتهجُ النفوسُ
صَموتٌ ناطِقٌ أَرِقٌ نَؤُومٌ عجيبٌ شَخْصُهُ شخصٌ نفيسُ
ويوحِشُ ذكرُهُ رَبْعَ التصابي (١ ولولاهُ لَما أَنِسَ الجليسُ
لهُ رأسٌ يُخالفُ منهُ جسماً بلا رِجلٍ ففسّرْ ما تَقيسُ
اذا ما بانَ عنهُ ظَلَّ مَيْتاً وإمّا عاد عاودَهُ الحسيسُ
يَئِنُّ أَنينَ صَبٍّ مُستهامٍ مَشُوقٍ قد نأَى عنهُ أَنيسُ
وليس بذي صباباتٍ ليَهْوى ولكنَّ الهوى (الهَوا) فيهِ حبيسَ

ولهُ مُعمًّى في غلامٍ اسمهُ سعيد (من الوافر):

وذي غُنجٍ عَلِقْتُ هواهُ بَلْوَى فَبَلْبَلَني بطَرْفٍ بابِليّ
لهُ اسمٌ ضِدُّ حالي في هواهُ فَفَتّشْهُ تَجِدْهُ بغيرِ عِيّ
اذا أَسقطتَ حرفاً منهُ يوماً فذاك يومُ افراحٍ وزِيِّ
وان أَسقطتَ ثانيةُ اتّباعاً غدا مولًى لعبدٍ او وليّ
وان أَسقطتَ ثالثهُ اختيارًا يصيرُ اسماً لعبدٍ أَرمنيّ

١) يريد هنا النأي مصدر نأى وهو الهجران الذي يستوحش الاصدقاء ذكرهُ

وان اسقطت رابعهُ اضطرارًا ... أَتى نوعٌ من المَشْيِ الوَحِيِّ

فان تكُ ذا حِجًى وأَخـا أَحاجٍ ... ففسِّرْ يا أَخا القلب الذكيِّ

وأَلغز في المسمَّى كمالًا (من السريع):

ذا مالكٌ رِقِّي هوايَ لهُ ... مَن اِسمُهُ في البيتِ منظومُ

تَهَجَّـهُ واجعـلْ لـهُ اوَّلًا ... آخِرَهُ فـالِاسمُ مفهومُ

قال العماد الاصفهاني: وكان لمحفوظ بن المسيحيّ عندي رسمٌ في كلّ سنة يصل اليهِ من الحنطة فكتب اليَّ يُلغز بها ويطلب الرسم (من الوافر):

عمادَ الدين دعوةَ مستفيدٍ ... لأَنك كاشفٌ عن كل دَيْنٍ (١)

فما صفراء كالذهبِ المُصفَّى ... ولونُ لُبابهـا لونُ اللُّجَيْنِ

محبَّبـةٌ الى الارواحِ طُرًّا ... بها تَقوى النفوس بغير مَيْنِ

لها اسمٌ نِصْفُهُ شعبٌ قديمٌ ... كما زعموا بإِحـدى الأُمَّتَينِ (٢)

ونصفٌ جاء في القرآن نصفاً ... لأَول سورةٍ بقراءتـينِ (٣)

لها وقتٌ تُداسُ بـكل رِجلٍ ... ووقتٌ فيهِ تُرفَعُ باليـدَيْنِ

أَجِبْ عنها وَجُدْ بالرَّسم معها ... وقـاكَ اللهُ آفـةَ كلِّ عينِ

واخبر العماد قال: كنتُ نظمتُ لغزًا في كوز الفقَّاع وهو الشراب الذي يتَّخذ من الشعير وانشدتهُ ابا العلاء محفوظاً فأَثبَتَهُ واتى بجوابهِ. وهذه هي الابيات التي لي:

---

١) ويروى: عن كلّ زينِ

٢) يشير الى الجنّ وهو يدعى ايضاً الحنّ بالحاء وذاك نصفُ اسم الحنطة. الأُمَّتان الاسلام والنصرانيَّة واراد هنا الاسلام

٣) يشير الى سورة طه في القرآن وهي نصف لفظة حنطة

ما صورةٌ ما مثلُها صورةٌ ... كأنّها في العمق مطمورةْ
تُمطَرُ الريَّ ومن ذا رأى ... مطمورةً للريِّ ممطورةْ
منكوحةٌ ما لم تضعْ حملَها ... مسدودةُ الأنفاسِ محسورةْ
محرورةُ القلب ولكنّها ... مضروبةٌ بالبَرْد مقرورةْ
كأنّما النارُ بأحشائها ... على اشتدادِ البَرْد مسجورةْ
تظَلُّ مُلقاةً على رأسها ... خمّارةٌ تُحسَب مخمورةْ
مُمارةُ الهامةِ من غيرها ... قصيرةُ القامةِ مكورةْ
كأنّها راسٌ بلا جثّةٍ ... موصولةٌ إن شئتَ مبتورةْ
كهامةِ صلعاءَ محلوقةٍ ... ما استعملَتْ موسى ولا نُورةْ
زامرةٌ في فمها زَمْرُها ... وهي بغير الزمر مشهورةْ
دوّارةٌ إن انتَ ارسلتَها ... متروكةُ الاستارِ مستورةْ
من فضّها تبصقُ في وجهه ... كأنّها بالفُحش مأمورةْ
تُورثُ تعبيساً لمن باسَها ... وهي على ذلك مشكورةْ
معسولةٌ ريقتُها مُرّةٌ ... مُرسَلةٌ بالحَضْم منصورةْ
ان عُقلَت قرّت وإن أُنشِطَت ... فرّت وثارت منك مذعورةْ
كم عسلٍ ذاقت وكم سكّرٍ ... وأنعُمٍ ليست بمكفورةْ
ملمومةٌ من صخرةٍ صلدةٍ ... فاجرةُ الماء ومفجورةْ
من الصفا جسمٌ ولكن ترى ... على صفاء الماء تامورةْ
فيا حليفَ المأثرات التي ... اضحت لاهل الفضل مشهورةْ
أنعمْ وعجّلْ حلَّ اشكالها ... فهي لدى فضلك مأسورةْ

فاجاب محفوظ النيلي (من الرجز):

يا ذا الذي أعربَ إلغازَهُ ... عن فِطْنةٍ بالعلم مغموره
انّ التي أطنبتَ في وصفها ... حتّى اغتدت في الناس مشهورَه

صغيرةُ الجُثَّةِ دَحداحةٌ بارِدَةُ المَلْمَس محرورَهْ
تعذَّبتْ في النار حتَّى اذا ماتت غدَتْ في الثلج مقبورَهْ
محبوبةُ المَخْرَج لكنَّها منكوحةٌ ليست بمستورَهْ
ان فضَّها الناكحُ مقهورةً فاضت بماءٍ فَيْضَ مَخْمورَهْ
او بصقَتْ في وجه مُفْتضِّها فإنها في ذاكَ معذورَهْ
لأنَّها تسقيهِ خمرًا بِما يحلِّل الخُمورُ تخميرَهْ
ويصبحُ الشَّبْعانُ ذا شهوة كلبيَّةٍ بالجوع مذكورَهْ
صورتُها تحكي اذا قِسْتَها مُضْمَغَةَ بالصَّمْغِ مأسوره
فهذهِ من طينَةٍ صُوِّرت وفي لهيب النار مسجورَهْ
وتلك من جوهرةٍ صَلْدَةٍ مُذابةٍ بالنار مصهورَهْ
فخُذ جوابي ملغزًا مثل ما ألغزتَهُ في هذهِ الصورَهْ
وهي لمن يؤثرُ كشفي لها فُقَّاعةُ الفُقَّاعِ محصوره

٣١ سعيد النيليّ

والمحفوظ النيليّ مواطنٌ نصرانيّ وشاعر مثلهُ من بلدة النّيل قرب واسط . ذكرهُ ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطبَّاء قال (١ : ٢٥٣) : «هو ابو سَهل سعيد بنَ عبد العزيز النيليّ المشهور بالفضل عالم بصناعة الطبّ جيّد المصنَّفات متفنّن في العلوم الادبيَّة بارع في النظم والنثر ومن شعرهِ (من الخفيف) :

يا مُفَدَّى العِذار والخدّ والقَدِّ بنفسي وما أراها كثيرا
ومُعيري من سُقم عينَيْهِ سُقماً دمتَ مُضنًى بهِ ودمتَ مُعيرا
إسقِني الراحَ تَشْفِ لوعةَ قلبٍ باتَ مُذ بِنْتُ للهموم سَميرا
هيَ في الكاسِ خمرةٌ فاذا ما أُفرِغتْ في الحشا استحالت سرورا

(قال) وللنيلي من الكتب اختصار كتاب المسائل لحُنَين . تلخيص شرح جالينوس . كتاب الفصول مع نُكَت من شرح الرازيّ

هذا ولم نجد ذكرًا لسعيد النيليّ في غير ابن ابي اصيبعة

٣٢ ابن اصطفانوس الروميّ

كان حق هذا الشاعر ان يقدَّم مع شعراء القرن الخامس للهجرة إلَّا انَّنا خُدعنا بترجمتهِ المخطوطة خطًّا سقيماً فنقلناها على علّاتها عن كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب لكمال الدين الحلبيّ عن نسخة لندن (Car Mss. Brit. n° MCCXC) قال :

«كان ابن اصطفانس فيلسوفاً شاعرًا وُلد بالروم ونشأ بأنطاكية وكان ذا هيبةٍ اديباً شاعرًا نحويًا فيلسوفاً نظّارًا . سافر الى العراق ولقيَ بهِ العلماء ولُقّن من العلوم والآداب ما علا بهِ صيتُهُ واشتهرَ ذكرهُ في الازمان» . ثمّ ورد هناك اخبار أُخرى ممحوة لقدَمها يؤخذ منها انَّ ابن اصطفانوس أُرسل سفيرًا الى خليفةٍ قرأنا اسمهُ «المستضيء» وظنَّنا انهُ الخليفة العبَّاسي الذي تولَّى الخلافة من السنة ٥٦٦ الى ٥٧٥هـ (١١٧٠ـــ١١٨٠م) وقرأنا هناك اسم وزيرهِ «علي بن عبد الرحمان البَازوري» فاستنتجنا انَّ ابن اصطفانوس الروميّ الشاعر عاش في اواسط القرن السادس للهجرة والثاني عشر للمسيح . فافادنا جناب عبدالله افندي مخلص من حيفا انَّ الوزير المذكور هو «الحسن بن عليّ بن عبد الرحمان اليازوري (بالياء) »الذي كان وزيرًا للخليفة الفاطمي المستنصر بالله في مصر الذي ملك من السنة ٤٢٧ الى ٤٨٧هـ (١٠٣٥ـــ١٠٩٥م) وعليهِ يجب القول انهُ وقع غلط في اسم الخليفة العبّاسي المستضيء بالله . ومنهُ ينتج انَّ ابن اصطفانوس عاش في القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح . فنشكر

لجناب المراسل افادتهُ فقد ازال بها ما وقع من الالتباس في النسخة التي اخذنا عنها .
وفيها ورد اسم رجل اجتمع بهِ ابن اصطفانوس يُدعى «يوسف بن الكفرطابي
الذي كان يدرّس في كفرطاب» لم نعرف من امرهِ شيئاً . هذا ما رواهُ كمال الدين
ولم نقف في غيرهِ على اخبار ابن اصطفانوس

٣٣ القس يعقوب الماردانى

كان يعقوب الماردانى احد قسوس اليعاقبة السريان ذكرهُ الشيخ المؤتمن ابو اسحاق
ابن عسّال في جدول كتبة النصارى الذي قدّمهُ على كتابهِ اصول الدين (ص ٢٨ من
نسخة مكتبتنا الشرقيّة) روى اسمهُ بعد يحيى بن عديّ وعيسى بن زُرْعة ويحيى بن
حريز (ويقال جرير) فقال: «القس الفاضل يعقوب الماردانى صاحب دعوة القسوس»
امّا دعوة القسوس هذه فعلى ما يظهر كتابٌ ادبي روى فيهِ المؤلف اخباراً ادبيّة
تروى لقسوس النصرانيّة . وقد جاء في طبقات الاطبّاء لابن ابي اصيبعة (١ : ٢٤٣)
انَّ ابن بطلان الذي سبق لنا ذكرهُ هو صاحب دعوة القسوس والمشهور انهُ صاحب
دعوة الاطباء كما اثبتنا هناك . والقس يعقوب هذا كان من تبَعة البدعة اليعقوبيّة .
امّا نسبتهُ « الماردانى» فاراد بها «ماردين» مدينــة الجزيرة الشهيرة وكان الصواب
ان يُنسب اليها «الماردينى» فرواها على صورة شاعت على ألسنة بعض العامّة

وكنّا أيسنا من اكتشاف شيء من كتاب دعوة القسوس حتى السنة ١٩٠٤ اذ
اطّلعنا في دار المرحوم الوجيه بشاره يارد على مخطوطات قديمة مخرومــة كان من
جملتها كرّاس من قطع صغير طولهُ ١٨ سنتمترًا في عرض ٢١ س ذي ورق صفيق
مصفرّ لقدمهِ ينقص اولــهُ ويبلغ ١١٣ صفحة وفي الصفحة ٢٢ سطرًا كُتب بخط
نسخي ناعم ومتقَن بحبرين اسود واحمر يرتقي الى القرن الثامن عشر . وهو مجموع
شعر قــديم لشعراء مسلمين بينهم بعض النصارى . ففي الصفحة ١٠٣ منهُ فصلٌ
عنوانهُ « ومما وُجد من القصائد والاشعار الخمريّة» ذُكر فيهِ بعض الخمريّات مترفعاً
عن الخمرة المادّية الى ذكر الخمرة الالهيَّة في سرّ النصرانيَّة بينها قطَعٌ اخذها من كتاب
دعوة القسوس قال (ص ١٠٥): هذه خمريّة من كتاب دعوة القســوس (من الوافر):

أعادَ بنعمة الربِّ المسيحِ عليَّ بذلك الخَمْرِ المليحِ
لقد غفلَتْ خطوبُ الدهرِ عنَّا وقد ظمئَت الى الصَّهباء روحي
وقد حضرَتْ ومَن تهوى فبادِرْ وروِّ جوانحي بدمِ الذبيحِ
فلو كانت حراماً ما أُبيحَتْ لِمَنْ يَختارُ شُربَ دمِ المسيحِ
ولا داوَى بها ربُّ البَرَايا بليَّةَ آدمَ المُلقَى الجريحِ
ولا أوصى الرسولُ بها جهارًا وحلَّلَ شُربَها أمرُ السَّليحِ (١
فإن بادرتَ لَفُزْتَ بكل شُكرٍ وحصَّلتَ السرورَ مع المديحِ
وإن أخَّرتَ دعوتَنا امنَى أَالمِعذْرُ القبيحِ أمِ المَليحِ ؟
وتطمَعُ بالزيارةِ بعد وقتٍ لتَمْحوَ ما سطَرْتَ من القبيحِ
تَجِدْنا كالمُخدَّرِ في سرورٍ وانت ببابنا مثلَ الطريحِ

(قال) ولهُ ايضاً في معناه (من الطويل) :

أيا مَن غدا ذُخري لكلِّ مُلِمَّةٍ تُلِمُّ ولا زيدٌ سواهُ ولا عَمْرو
هلُمَّ الى الراحِ التي كان صانُها لنادون كلِّ الخلقِ في دَنِّها العُمْرُ (٢
فبادِرْ فما اللَّذّاتُ إلَّا غنيمةً فشَمِّرْ اليها قبل ان ينفَدَ العُمْرُ

ولهُ ايضاً فيها وقد احسن وصف اسرارها (من الكامل) :

شَمِّرْ ذيولَكَ في عُرى الزُنَّارِ واعْجَلْ الى دَنٍّ طُلي بالقارِ
فلقَدْ تَحَجَّرَ طِينُهُ في رأسِهِ من كثرة الأيَّامِ والأعمارِ

---

١) اراد بالرسول القديس بولس. والسَّليح والسَّلِيح ومن السريانيَّة ܫܠܝܚܐ هو بمعناه

٢) العمْر الكنيسة والدير وبذكرهِ يتَّضح انهُ اراد الخمر المقدَّسة والقربان

واكشِفْ تجِدْ شمسَ الضُّحَى محجوبةً في جُنْحِ لَيْلِ القارِ والفَخَّار
قالوا : العُقارُ.ولو أضاء لعُقولهم مقدارُها ما سُمِّيَتْ بعُقارِ
نورٌ يفوقُ سناءَ كلِّ طريفةٍ من ساطع الأَضواء والانوارِ
سرٌّ يُسِرُّ به الى تبَّاعهِ نورُ العقولِ وكاشفُ الأَضرارِ
قد قُلتُ لمَّا أبْرِزَتْ في كأسها : تَعْسَ الـذي باع الضِيا بغُبارِ
مالوا الى الدينار قلتُ : عدِمْتُكُمْ أَدَمُ المسيحِ يُباعُ بالدينارِ ؟
قد كان قبلَهُمُ يهوذا بائعاً دمَهُ بنَزْرِ النَّزْرِ للكُفَّارِ

وهو ايضاً القائل لله دَرُّهُ (من الكامل) :

نورٌ بكفِّكَ أَم شِهابُ النارِ جمْرٌ تَضرَّمَ ام نُضارٌ جاري
شمسُ الضُّحَى في الكأس أَم فَجْرٌ م تبسَّمَ صُبْحُهُ من تحت ليلِ القارِ
هذي التي مزَجَ المخلّصُ كأسَها في يوم عيـد الفِصْحِ للأَطهارِ
هذي التي جلّتْ بها انوارُها عن سائر الاشجارِ والأَثمارِ
صفراءُ لكن حُمْرَةٌ في خدِّها من لَطْمِ أَخْمَصِ أَرْجُلِ العُصَّارِ
لمَّا رمَتْ عنها الكثيفَ تمكَّنَتْ وتلاعبَتْ بلطـائف الأَفكارِ
وكذا النفوسُ اذا رمَتْ شَهَواتِهَا قَوِيَت لِعِلْم غوامضِ الاسرارِ

ومن محاسن شعرهِ فيها ايضاً قولهُ (من الطويل) :

أَمِطْ عن سناها الخَتْمَ طال بها العُمْرُ فما صانَها إلَّا لأَربابها العُمْرُ[1]

---

(١) سبق انّ العُمْر الكنيسة والدير

فقد جئتُهَا يا راهبَ الدير خاطباً ... لهـا راغباً فيهـا وان كثُرَ المُهرُ

فقال : أُريدُ المُهرَ تِبرًا فانَّما ... لتُرجعُ صِفرَ الكفِّ ان ظَهَرَ الصُفرُ

فقلتُ : إذَنْ قُمْ للعُقارِ مبادرًا ... فكَيِّلْ لهم تِبرًا وكيِّلْ لنا خمرًا

فقال : يُباعُ الوَقفُ لا الخمرُ خمرَنا ... فقد رذلتْ سَلَماً يقوم بهِ التِبرُ

فقلتُ لهُ : خبِّرْ حقيقةَ أمرِها ... لقد بان لي من سرّ انوارها خُبرُ

فقال : هي الراحُ المسيحيَّـةُ التي ... جَلا امرَها ربّي كما اشتَهَرَ الأمرُ

تناوَلَهـا سِمعـانُ ثمَّ تداولتْ ... يمرُّ بها عصرٌ ويُدركهـا عصرُ

الى أن وجدنا في المذابح مِن سَنا ... تَجوهُرِها سِرًّا فبانَ لنا السرُّ

فكان لها خدرُ الدِّنان فأصبحتْ ... براحاتنا تُجلي وكاساتُنا الخِدرُ(١)

اذا أُترِعتْ في كأسها او تَشَعشَعتْ ... يُخالُ بها جَمرٌ وليس بها جمرُ

مُشعشَعة يزهو على البدر نورُها ... كأنَّ سناهـا في جبينـك يا بَدرُ

معطَّرةٌ أَعطافُها فكأنَّها ... استُعير لها من طيِّ أعطافها النَّشرُ

وقال ايضاً (من البسيط) :

هذه هي الراحُ لا شِبهٌ لِجَوهرها ... ولا يُماثِلُها باللُّطفِ مشروبُ

قد قال سيّدنا والكأسُ في يدهِ : ... هذا دمي لخلاص الخَلقِ مسكوبُ

فترى ما بين هذه الخمريَّات وخمريَّة ابي الحفص الصوفي الشهير بابن الفارض من الشبه . ويعقوب المارداني معاصر لابن الفارض فلا يبعد انَّ احدهما اخذ عن الآخر او جاراهُ في اقوالهِ . وهذه بعض ابيات الفارض يمكن عرضُها على اقوال صاحب دعوة القسوس :

(١) الخَدْر مصدر خَدَرَ بالمكان اذا لزمهُ . والخِدر مقام الجارية المحصَّنة

شَرِبنا على ذِكرِ الحبيبِ مدامةً ... سَكِرنا بها من قبلِ ان يُخلَقَ الكرْمُ

لها البدرُ كأسٌ وهي شمسٌ يُديرها ... هِلالٌ وكم يبدو اذا مُزِجَت نجم

فإن ذُكِرَتْ في الحيّ أصبحَ أهلُهُ ... نُشاوى ولا عارٌ عليهم ولا إثمُ

فلو نضَحوا منها ثرى قبرِ ميّتٍ ... لعادت اليهِ الروحُ وانتعَشَ الجسمُ

ولو قرَّبوا من حانها مُقعَدًا مَشى ... وتَنطِقُ من ذِكري مَذاقتها البُكمُ

يقولون لي: صِفها فانت بوَصفِها ... خبيرٌ، أجَلْ عندي باوصافها علمُ

صَفاءٌ ولا ماءٌ ولُطفٌ ولا هوًا ... ونورٌ ولا نارٌ وروحٌ ولا جسمُ

تقدَّمَ كلَّ الكائناتِ حديثُها ... قديمًا ولا شكلٌ هناك ولا رَسمُ

وقامَتْ بها الاشياءُ ثَمَّ لِحكمةٍ ... بها احتَجَبَتْ عن كلِّ مَنْ لا لهُ فَهْمُ

وهامَتْ بها روحي بحيثُ تمازَجا م ... اتّحادًا ولا جِرْمٌ تخلَّلَهُ جِرْمُ

ولا قبلَها قبلٌ ولا بَعْدَ بَعدَها ... وقَبليَّةُ الأبعادِ فهي لها حَتمُ

وقالوا: شَرِبتَ الإثمَ. كلّا وانما ... شربتُ التي في تَركِها عنديَ الإثمُ

هنيئًا لاهل الدير كم سكروا بها ... وما شَربوا منها ولكنّهم همّوا

على نفسهِ فَليَبكِ من ضاعَ عمرهُ ... وليس لهُ فيها نصيبٌ ولا سَهْمُ

فلعمري انَّ الشبهَ ظاهر بين اقوال الفارضي وصاحب دعوة القسوس وعلى رأينا انهُ هو اخذ عن يعقوب الماردانيّ اقوالهُ فكساها ديباجاً فاخرًا يستطيع النصارى ان يحوّلوا معانيهُ الى سرٍّ طالما ذاقوا طعمهُ الالهي وحُرِمَهُ من لا يُدرك اعظم عطايا الله للعالم اي سرّ محبتهِ في القربان الاقدس

٣٤ يحيى بن ماري

﴿ نسبهُ دينهُ زمانهُ ﴾ ورد ذكرهُ في تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي (ص ٣٦٠–٣٦١) وفي مختصر خريدة القصر في شعراء العصر لعلي المعروف برضائي زاده المتوفى سنة ١٠٣٩هـ–١٦٢٩م) (Ms de Berlin. 7412 pp. 64) وفي مختصر تاريخ الدول لابن العبري (ص ٤١٦) قالوا: هو ابو العباس يحيى بن سعيد بن ماري النصرانيّ المتطبّب المعروف بالمسيحيّ. والمرجَّح انهُ كان نسطوريّ النحلة.

واصلهُ من الطيّب بلدة بين واسط وخوزستان من موضع يقال لهُ الدُّوَير وكان ابوهُ قد انتقل من الدوير الى البصرة واولد ولدهُ هذا بها . قال جمال الدين : كان ابن ماري عالمًا بالطبّ وكان يطبّ في مدينة البصرة في زماننا وكان عالمًا ايضاً بالادب ادركنا مَن روى عنهُ وفيمن ادركناهُ ابو حامد محمَّد بن حامد بن الّه الاصفهانيّ العماد رحمهُ الله . وتوفي ابو العبّاس يحيي بن سعيد بالبصرة لعشر بقين من شهر رمضان سنة ٥٨٩هـ(١١٩٣م) .

﴿ ادبهُ وشعرهُ ﴾ جاء في مختصر خريدة العصر عن العماد الاصفهانيّ قال : «كان لابي العبّاس معرفة بالادب وقد عمل ستين مقالةً على منوال المقامات الحريريّة ورأيتُها معهُ وما قصَّر فيها» . وقال جمال الدين القفطي : وكان للمسيحيّ هذا معرفة بالادب صادقة وربَّما امتدح بالشعر اجلّاء الواردين على البصرة . وأنشأ وصنَّف المقامات الستّين صنَّفها واحسن فيها وكان فاضلًا في علوم الاوائل وعلم العربيَّة والشعر يرتزق بالطب» . وذكر الحاج خليفة مقاماتهِ (H.Kh., VI, p. 65, n° 12721) قال : «المقامات المسيحيَّة لابي العباس يحيي بن سعيد بن ماري النصرانيّ البصري الطبيب المتوفّى في رمضان سنة ٥٨٩ نسج فيها على مثال مقامات الحريري . قال ياقوت : اجاد فيها . قال الصفدي : ما اجاد ولا قارَبَ الإجادة . والمقامات الجزَريَّة والمقامات التميميّة خيرٌ منها وما قارَبتا الحريريَّ»

(قلنا) اننا اطَّلعنا في مكتبة ڤينَّا عاصمة النمسة (Flugel : Die arab. Handschriften I, 358, Ms 384) على مجموعة مقامات في عدد سبع وعشرين مقامة نُسبت لابن ماري المذكور وانتسخنا قسماً منها اوَّلها المقامة الفقهيّة ثمَّ الروميّة ثمَّ الشعريَّة وآخرها المَرْجيَّة . ثمَّ اطَّلعنا في بغداد في كانون الاوَّل سنة ١٨٩٥ على نسخة أُخرى قديمة كاملة من المقامات المسيحيّة في خزانة كتب الحيدرخانة لم يسمح لنا قصر الزمان بنقلها وانَّما نقل منها حضرة الاب انستاس الكرملي مقدَّمتها ومقامتها الاولى المعروفة بالرهاويَّة فنشرناها في المشرق (٣[١٩٠٠] : ٥٩١ــ٥٩٨) . وقد قابلنا بين نسختي ڤينَّا وبغداد فرأينا بينهما اختلافاً كبيرًا ليس في عدد المقامات فقط بل في إنشائهما . فالمقدَّمة في كلتيهما تختلف اختلافاً تامًّا وكذلك يختلف الراوي والمرويّ فانَّ في نسخة بغداد يدعى راوي المقامات يحيي بن سلّام وفي نسخة ڤينَّا

اسمهُ ابو الخير بن الحارث يروي عن ابي الفضل . وقد ارتبنا في نسبة هذه النسخة الى ابن ماري لأنَّ في مقدَّمتهِ يذكر نبيَّ الاسلام ويصلّي عليهِ على خلاف عادة النصارى وعلى خلاف ما ورد في نسخة بغداد ودونك قطعةً من مقدَّمة نسخة فينَّا

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهمَّ على ما بلَّغتَنا من البلاغة ، وسوَّغتَ لنا من الصناعة والصياغة ، وعلى ما ألهمتَنا من التبيان البديع ، والبُنيان الرفيع ، وعلى ما ذلَّلتَ لنا من جوامح الشوارد ، ودلَّيتنا (كذا) عليهِ من لوائح الفوائد ، وما ارشفتنا بهِ من سوافح الموارد ، واشرفتنا عليهِ من سفح المقاصد ، ونشكرك على ما علَّمتنا من نوابغ الحِكَم ، ونعَّمتنا بهِ من سوابغ النِعَم ، ونصلّي على أفصح من نطق بالضاد والذال ، ومن هو الى الخير هادٍ وعلى الحقّ دالّ ، سيّدنا محمَّد الذي اخمد الضلال ، بأحمدِ الخصال ، وعلى سائر صحبهِ والآل ، ما طلع هلالٌ ولمع آل — وبعدُ فانَّ المقامات الحريريَّة اشهر من أن تُذكر ، واكبر من ان تُنكَر ، وقد حازت قصب السبق في مضمر البلاغة البالغة ، وكلّت فيها البصائر والابصار فهي ما بين رائقة وزائقة ، لان الحريري ادهش كلّ ناسج على منوالهِ ، وحيَّر كل عامرٍ في مسلك مقالهِ ، حيث اخترع واستوعب ، واقترح واستصوب ، وقد كلَّفني مَن لا أُطيق ردَّهُ ، ولا استطيع صدَّهُ ، ان اقفو اثرهُ ، واتلو خبرهُ ، ليورق لي في روض الفراس عودهُ ، ويُشرق لي في افق الكمال سعودهُ ، لعمري انهُ تكليفُ ما لا يُطاق ، وتعجز النفس بالامر الشاقّ ، فتلطَّفتُ عليها بالطاقة ، وارتديتُ فيها بلفافه ، وقنعتُ من البحر بالوشل ، ومن الغزيرة بالنزر الاقلّ ، وقد تطفَّل قبلي الموصليُّ والقوَّاس ، وكلٌّ رمى ولم يصِب واخطأ القياس ، ولسان الحال ينادي ، للرائح والغادي

كم عاشقٍ قد ماتَ حولَ خيامنا اسفاً ولم يَظفَرْ بكشْفِ البُرْقعِ . . .

وكفى بهذا دليلًا على طريقة الكاتب ولا نبتُّ الحكم في صحَّة نسبة هذه المقامات لابن ماري . ويزيدنا ارتياباً فيها انَّ مدار كثير منها على مسائل اسلامية كالفقه والحديث واسانيد قرآنية . هذا ما ظهر لنا من مطالعة هذه المقامات في نسخة مكتبة فينَّا . ولم نجد فيها من البلاغة ما يُنسب الى مقامات ابن ماري ففيها يصح قول الصفديّ : لا اجاد ولا قارب الاجادة

امَّا نسخة بغداد فلعلَّها هي الصحيحة وقد جاء في مقدَّمتها اسم ابن ماري صريحاً على خلاف نسخة ڤينَّا التي قُدّم الاسم على الكتاب كأنَّهُ من غير قلم مؤلفها. فضلًا عن ان المقامات فيها سبعٌ وعشرون بدلًا من ستين كما يروي الكتَبة وكما تُرى في نسخة بغداد . ويا ليت احدًا من ادباء الحدباء يتولَّى نشرها بالطبع فيستحقُّ شكر محبّي الآثار النصرانيّة

امَّا شعر يحيي بن ماري فقد روى منهُ العماد الاصفهاني وابن العبري هذين البيتين (من البسيط) :

نَفرَتْ هندُ من طلائعِ شيبي واعترَتْها سآمةٌ من وُجومي

هكذا عادةُ الشياطين يَنْفُرْ نَ اذا ما بَدَتْ نجومُ الرُّجوم

وروى لهُ العماد قولهُ في مديح (من الكامل) :

واذا نطقتُ فأنتَ لفظُ مقالتي واذا سكتُّ فانتَ سِرُّ خاطري

ومما يروى لهُ في صداقة الادباء الصالحين (من الكامل) :

عُدنا وعادَ الأُنسُ والأفراحُ واضاء في مِشكاتنا المصباحُ

وجرت منادمَةٌ يفوح أَريجها كالروض نَمَّ بعَرْفهِ الأَرياحُ

وعلى العَفافِ قد انطوت أحوالُنا حبًّا بتقوى الله وهي رَباحُ

لا عيبَ فينا غير حُسْنِ فعالنا جهرًا وهل يهوى الفسادَ صلاحُ

تأبى المحبَّةُ بالفسادِ وما لَها عمَّن تحلَّى بالصَّلاح بَراحُ

كم عاشقٍ قد ذلَّ بعد فسادهِ والعزُّ في اهل التُّقى وضَّاحُ

ومن ظريف ألغازه ما قالهُ في الجسم والروح (من الطويل) :

إلْفَانِ لم يُدرِكْ حقيقةَ واحدٍ سوى اللهِ والثاني لَدى الحِسِّ ظاهِرُ
يُفارِقُ ذا هذا ويبقى وذا غليظٌ تراهُ في الوجودِ النَّواظرُ
وذاكَ قديمٌ في الحدوث وذا لهُ حدوثٌ قريبٌ والمعاندُ كافرُ

ومثلهُ لغزهُ في القبر والنعش (من الطويل) :

رفيقانِ منقولٌ وآخرُ ثابتٌ وكلٌّ لكلٍّ لازمٌ واجبُ القَهْرِ
يُحَمَّلُ هذا ساعةً ورفيقُهُ يُضَمَّنُ ما يبقى الى زمن الحَشْرِ
يحفُّ بهذا الناسُ من كلِّ جانبٍ الى ذاك حتى يَغْنموا غايةَ الأَجْرِ
ويَستودعوا ما أَثقلوا منهُ ظَهرَهم لآخرَ حتى يأذنَ اللهُ بالأَمرِ

وكذلك ألغزَ في الليل والنهار (من الطويل) :

وضِدَّيْنِ هذا مثلُ هذا تعاقَبا وكم بهما عدَّ الانامُ حقائبا
فهذا بصيرٌ لا يَضِلُّ عن الهُدى وهذا عميٌّ ليس يُبصرُ ذاهبا
تَحرُّكُنا في ذا وفي ذا سكونُنا وطورًا نرى سعياً وطورًا تجانُبا
وفي ذَيْنِ آياتٌ لاهل النُّهى على جلالة ربِّ العَرْش تُبْدي العجائبا

٣٥ بنو ممَّاتي النصارى الاقباط

﴿اصلهم ودينهم وزمنهم﴾ بنو ممّاتي اسرةٌ شريفة قبطيَّة اصلها من اسيوط في صعيد مصر كانت تدين فيها بالنصرانيَّة وهي تنتمي الى ابي مليح الملقَّب بممّاتي. قال ابن خلكان (ص ١٠١) : «كان ابو مليح نصرانيًّا وانَّما قيل لهُ ممّاتي لانهُ وقع في مصر غلاءٌ عظيم وكان كثير الصَّدقة والإطعام وخصوصاً لصغار المسلمين

فكانوا اذا رأوهُ نادى كلّ واحدٍ منهم «مَمَّاتي» فاشتهر بهِ»

قال ياقوت في معجم الادباء (٣ : ٢٤٤) يذكر انتقال بني ممَّاتي الى مصر قال : «قدموا مصر وخدموا وتقدَّموا ووُلّوا الولايات . وهو (اي ابو مليح) مع ذلك من اهل بيت في الكتابة عريق. وهو كالمستولي على الديار المصريَّة ليس على يده يدٌ . وكان الى مَمَّاتي كثير من اعماله»

وكان في تلك الأيام وزيرًا على مصر بَدْرُ الجمالي امير الجيوش في ايام الخليفة المستنصر بالله وكان ابو مليح احد عمَّالهِ يكتب في ديوان مصر ويتولّى استيفاء الديون

ومما اخبره ياقوت في معجم الادباء (٢ : ٢٤٤ـــ٢٤٦) عن الوزير جمال الدين الشيباني ١٠ حرفهُ :

«بلغني انَّ بعض تجَّار الهند قدم الى مصر ومعهُ سَمَكة مصنوعة من عنبر قد تُنُوِّقَ (في الاصل تُنُوِّقَ بالغلط) فيها وأُجيد وطُيّبت ورُصّعت بالجواهر فعرضها على بدر الجمالي ليبيعها منهُ فساءَها من صاحبها فقال : لا أُنقصها من ألف دينار شيئًا . فأُعيدت اليهِ . فخرج بها من دار بدرٍ فقال لهُ ابو مليح : أرني هذه السَّمكة . فأراهُ ايَّاها فقال لهُ : كم سُمْتَ فيها ؟ فقال : لا أنقصها من الف دينار درهمًا واحدًا . فاخذ بيده وقبض ألف دينار من مالهِ وتركها عندهُ مدَّةً . فاتّفق ان شَرِبَ ابو مليح يومًا وسكر وقال لندمائهِ : قد اشتهيتُ سمكًا هاتُم المِقْلى والنار حتى نقليهُ بحضرتنا . فجاؤُوهُ بمقلى حديد وفحم وتركوهُ على النار وجاء بتلك السمكة العنبر فتركها في المقلى . فجعلت تنقلّى وتفوح روائحها حتى لم يبقَ بمصر دارٌ إلّا ودخلتها تلك الرائحة . وكان بدرُ الجمالي جالسًا فشمّ تلك الرائحة وترايدت . فاستدعى الخُزَّان وامرهم بفتح خزائنهِ وتفتيشها خوفًا من حريق قد يكون وقع فيها . فوجدوا خزائنهُ سالمةً فقال : ويحكم انظروا ما هذا . ففتّشوا حتى وقعوا على حقيقة الخبر فاستعظم وقال : هذا النصراني الفاعل الصانع قد اكل اموالي واستبدَّ بالدنيا دوني حتَّى امكنهُ ان يفعل هذا . وتركهُ الى الغداة فلما دخل اليهِ وهو مُغضب قال لهُ : «وَيحك أَستعظمُ انا وانا ملكُ مصر شريَ سمكة من العنبر فأتركها استكثارًا لثمنها فتشتريها انت . ثمَّ لا يُقنعك حتى تقليها وتذهب في ساعةٍ واحد بألف دينار مصرية ؟ ما فعلتَ هذا إلّا وقد نقلتَ بيت اموالي اليك وفعلت» . فقال لهُ : «والله ما فعلتُ هذا الّا غَيرةً عليك ومحبة لك فانّك اليوم سلطان نصف الدنيا وهذه سمكةٌ لا يشتريها إلّا ملك فخفتُ أن يذهب بها الى بعض الملوك ويخبرهُ بأنك استعظمتها ولم تشترها فأردتُ ان اعكس الامر وأُعلمهُ أنك ما تركتها إلّا احتقارًا لها وانّها لم يكن لها عندك مقدار وانَّ كاتبًا نصرانيًا من كتَّابك اشتراها وأحرقها فيشيع بذلك ذكرُك ويعظم عند الملوك قدرُك» . فاستحسن بدر ذلك منهُ وامر لهُ بضعفي ثمنها وزاد في رزقهِ»

واردف ياقوت: وكان ممّاتي مع ذلك كريماً ممدَّحاً قد مدحهُ الشعراء . فذكر ابو الصلت في كتاب الرسالة المصريَّة لهُ انَّ ابا طاهر اسماعيل بن محمَّد النشاع المعروف بابن مكنسة (١ كان منقطعاً اليهِ فلمَّا مات مماتي رثاهُ ابن مكنسة بقصيدة منها:

ماذا أُرجّي من حيا تي بعد موت ابي المليح (٢
طُوِيَتْ سماءُ المكرما تِ وكوّرت شمسُ المديحِ
ما كان بالنكس الدنيِّ م من الرجال ولا الشحيحِ

ولما وليَ الافضلُ ابن امير الجيوش بدر الجمالي بعد ابيهِ دخل اليهِ ابن مكنسة مادحاً فقال لهُ: ذهب رجاؤك بموت ابي المليح فما الذي جاء بك الينا ? وحرمَهُ ولم يقبل مديحهُ

وقرأنا في كتاب البدر السافر في انس المسافر (ص ١١٤) لكمال الدين ابي الفضل جعفر الادفوي المتوفّى سنة ٧٤٢ ﻫ (١٣٤١م) انَّ ابا مليح ممَّاتي كان اسمهُ مينا وانهُ ابن ابي زكريَّا بن ابي قدامة . قال(ص ١٩٨) :

« وكان جوهريّاً بمصر وكان يصبغ البلّورَ صبغةَ الياقوت فلا يميّز بينهما إلّا الخبير بالجوهر . قال الوزير القفطي: حكى لي رجلٌ يعرَف بالرشيد الصائغ انهُ اذا كان نودي على الفصّ من صنعتهِ تشوَّفت نحوهُ العيون اكثر من تشوُّفها الى غيرهِ من الجوهر لجودتهِ وحسن منظرهِ »

﴿ولدهُ المهذَّب مماتي﴾ قال ياقوت في معجم الادباء (٢: ٢٤٦) : « امَّا المهذّب ولدهُ (اي ولد ابي مليح) وكان يلقَّب بالخطير فانهُ كان كاتب ديوان الجيش بمصر في اواخر ايَّام المصريّين (يريد الفاطميين) واوَّل يوم بني أيوب مدَّةً فقصدهُ الكتَّاب وجعلوا لهُ حديثاً عند صلاح الدين يوسف بن ايوب او(وزيره)اسد الدين شيركوهُ وهو يومئذٍ المستولي على الديار المصرية فخاف المهذَّبُ فجمع اولاده ودخل على السلطان واسلموا على يده فقبلهم واحسن اليهم وزاد في ولاياتهم »

ثمّ نقل هناك ما اخبرهُ ابو المكارم اسعد ابن المهذّب عن ابيهِ الخطير قال انهُ كان مرتَّباً على ديوان الاقطاعات وهو على دين النصرانيَّة فلمَّا علم اسد الدين شيركوه في بدء امرهِ بمصر انهُ نصراني وانهُ يتصرَّف [في عملهِ] بلا غيار نهاهُ وامرهُ بغيار النصارى ورَفْع الذؤابة وشدّ الزنّار وصرفهُ عن الديوان فبادر هو واولاده

١) وفي الخطط للمقريزي (٢: ١٦٠) يدعوهُ: ابن المكيسة وهو تصحيف
٢) ويروى: « من ذا أُؤمّل» ويروى: تناثرت شُهْب العلا من بعد . . .

فأسلموا على يدهِ فاقرّهُ على ديوانهِ مدّةً ثمَّ صرفهُ عنهُ فقال فيهِ ابن الذروي:

لم يسلمِ الشيخُ الخطيرُ لرغبةٍ في دين أَحمَدْ
بل ظنَّ انَّ محالهُ يُبقي لهُ الديوانَ سرمَدْ
والآنَ قد صرفوهُ عنهُ فديتهُ فالعود أحمَدْ

فترى من هذا ما كان يقاسيهِ النصارى من العنَت فيُسلمون لا حبًّا بالاسلام واقتناعاً بصحّتهِ بل خوفاً من ضرر يلحق بهم او منصب يفقدونهُ · فلا يصحّ ان ننظم مثل هؤلاء في سلك المسلمين · وقد اخبر ياقوت الرومي عن سبب وفاة المهذّب (ص ٢٤٨) قال:

ومن عجيب ما جرى للخطير انهُ كان يوماً جالساً في ديوانهِ في حجرة موسومة بديوان الجيش من قصر السلطان بمصر · وكانت حجرةً حسنة مرخّمة منمّقة فجاءهُ قومٌ وقالوا لهُ: قم من هاهنا. فقال لهم: ما الخبر؟ فقالوا: قد تقدَّم الملك العادل ابو بكر بن ايُّوب بأخذ رخام هذه الحجرة وان نعمّر بهِ موضعاً آخر. فخرج منكسرًا كاسفاً فقيل لهُ في ذلك فقال: «قد استُجيبَتْ فينا دعوةٌ وما اظنّني اجلس في ديوان بعدها. أما سمعتم اذا بالغوا في الدعاء علينا قالوا: خرّبَ الله ديوانهُ. وما بعد الخراب الّا اليباب. ثم دخل منزلهُ وحُمَّ فلم يخرج منهُ إلّا ميتاً»

وكانت وفاة الخطير يوم الاربعاء ٦ رمضان سنة ٥٧٧ (١١٨٢م) وذكر الأُدباء للمهذّب شعرًا فمن ذلك ما قالهُ لاسد الدين شيركوهُ لمّا امرهُ بالغيار (من السريع):

يا أسد الدينِ ومَنْ عدلُهُ يَحْفَظُ فينا سُنَّةَ المصطفى
كفى غِيارًا شدُّ أَوساطِنا فما الذي اوجبَ(١ كَشْفَ القفا

ومن شعرهِ ما رواهُ عنهُ سعيد بن ابي الكرم بن هبة المصري يتغزّل بابي سعيد ابن ابي اليمن النحّال وزير العادل وكان نصرانيًّا وأسلم وكان املحَ الناس وجهاً فقال المهذّب (من السريع):

وشادنٍ لمّا بَدا مُقبلًا(٢ سبَّحتُ ربَّ العرش باريهِ
ومُذْ رأيتُ النَّحلَ في خدّهِ(٣ أيقَنْتُ انَّ الشَّهْدَ في فيهِ

وكان ابن النحّال يسكن في اوَّل درب نور الدين في مصر وكان في آخرهِ صبيٌّ آخر

١) ويروى: يوجبُ
٢) وفي ياقوت (ص ٢٤٨): وشاذن (بالذال وهو غلط) لمّا أتى
٣) ويروى: النمل في خدّهِ

نصراني مثلهُ حسناً يُعرَف بابن زنبور فقال المهذَّب (من الطويل) :

حوى دربُ نور الدين كلَّ شمَرْدلٍ   مشـدَّدةٍ اوساطُهم بالزنانيرِ
فأوَّلُهُ للشَّهد والنَّحـلِ منزلٌ   وآخرهُ يا سادتي لـلزنابيرِ

ومن ظريف قولهِ ممَّا رواهُ الادفوي (من الطويل) :

ولمَّا بكَتْ عيني دماءً لِفَقْدكم   تيقَّنتُ انَّ القلبَ فيهِ كلومُ

وروى لهُ العماد الاصبهاني في الخريدة قولهُ في كتمان السرّ (من البسيط) :

واكتمُ السرَّ حتَّى عن إعادتهِ   الى المُسِرّ بهِ من غير نسيانِ
وذاك أَنَّ لساني ليس يُعلِمُهُ   سَمْعي بسرّ الذي قد كان ناجاني

وروى ايضاً (Ms. Berlin 7412, ff. 180) يصف الخمر (من البسيط) :

اذا انبرَتْ من فمِ الابريقِ تحسَبُها   شِهَابَ ليلٍ رُقِي في الكاس شَيْطَانا

قال : ومن شعرهِ من قصيدةٍ (من الطويل) :

ابيتُ رقيبَ النَّجم منها كأنَّما   عُيونيَ لم يُخْلَقْ لهنَّ جفونُ

ومنها :

كأنَّ ظلامَ الليل اذ لاحَ بَدْرُهُ   دُجوجيُّ شَعْرٍ لاحَ منهُ جبينُ
كأنَّ الثريَّا ترقبُ الـليلَ غيرةً   فقد هجرَتْ منها المنامَ عيونُ
كأنَّ سُهيلًا في مطالع أُفقهِ   فؤادٌ مَرُوعٌ خامرَتْهُ ظُنونُ
كأنَّ السُّها تبدو أواناً وتنجلي   لدى الليل سِرٌّ في حشاهُ مَصُونُ

﴿ابنُ الاسعد مَمّاتي﴾ هو شرف الدين ابو المكارم اسعد بن المهذَّب مَمّاتي المصري الكاتب الشاعر. قال ياقوت في معجم الادباء (٢ : ٢٤٩) والمقريزي في الخطط (٢ : ٢٦٠): «خلف اباهُ على ديوان الجيش وتصدَّر فيهِ مدَّةً طويلة ثمَّ أُضيف اليه ديوان المال وهو اجلُّ ديوان من دواوين مصر واستمرَّ في ذلك مدَّة ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وايّام ابنهِ الملك العزيز عثمان وولي نظر الدواوين واختصَّ بالقاضي الفاضل عبد الرحمان بن علي البيساني فنفق عليهِ وحظي عندهُ وكرُم لديهِ فقام بامرهِ واشاع من ذكرهِ ونبَّه على فضلهِ وصنَّف لهُ عدَّة تصانيف باسمهِ وكان يسمّيهِ بلبل المجلس»

قال المقريزي في الخطط: «ولم يزل بمصر حتى ملك السلطان الملك العادل ابو بكر بن أيوب ووَزَرَ لهُ صفيُّ الدين عليّ بن عبدالله بن شكر فخافهُ الاسعد لِما كان يصدر منهُ في حقهِ من الاهانة وشرع الوزير ابن شكر في العمل عليهِ ورتَّب لهُ مؤامرات ونكبَهُ وأحال عليهِ الاجناد ففرَّ من القاهرة وسقط في حلب»

قال ياقوت في معجم الادباء حدَّث الصاحب جمال الدين الاكرم قال: لمَّا ورد الاسعد الى حلب نزل في داري فاقام عندي مدَّةً وذلك في سنة ٦٠٤ (١٢٠٧م). وعرف الملك الظاهر غازي ابن صلاح الدين خبرَهُ فاكرمهُ وأجرى عليهِ في كل يوم دينارًا صوريًّا وثلثة دنانير أخرى أُجرة دار ... واقام عندهُ على قدم العطلة الى سنة ٦٠٦ وفيها مات سلخ جمادى الاولى سنة ٦٠٦ (١٢٠٩م) عن ٦٢ سنة فدُفن بظاهر حلب بمقام بقرب قبر ابي بكر الهروي»

واشتهر الاسعد بادبهِ ومصنَّفاتهِ. قال العماد الاصبهاني: «كان فاضلًا اديباً شاعرًا ناثرًا ... وتأدَّب وصنَّف مصنَّفات في فنون عدَّة منها كتاب سرّ الشعر صنَّفهُ للملك العزيز. وكتاب علم النثر. ونظَم سيرة السلطان صلاح الدين يوسف ونظم كتاب كليلة ودمنة. ومن تآليفهِ الممتعة كتاب صحَّة الحقّ على الخلق في التحذير من سوء عاقبة الظلم وهو من اهمّ ما طالعهُ الملوك كان السلطان صلاح الدين يُكثر النظر فيهِ. وصنَّف ايضاً للملك العزيز كتاب قوانين الدواوين فيما يتعلَّق بدواوين مصر ورسومها واصولها واحوالها في اربعة اجزاء ضخمة ذكر فيهِ اربعة آلاف ضيعة من اعمال مصر ومساحة كل ضيعة وقانونَ ريّها ومتحصَّلها من عين وغلَّة. وكتب اخرى

كثيرة عدَّدها ياقوت في معجم الادباء (٢ : ٢٥١)

ولاسعد مماتي ديوان شعر تعدَّدت محاسنهُ فروى منهُ الادباء عدَّة مقاطيع. فمن ذلك ما رواهُ عنهُ السيوطي في اخبار مصر والقاهرة (٢ : ٢٠٧و٢٠٨) يصف جزيرة مصر (من الطويل):

جزيرةَ مصرٍ لا عدتْكِ مسرَّةٌ ولا زالتِ اللذَّاتُ فيكِ اتّصالُها
فكم فيكِ من شمسٍ على غُصْن بانةٍ يُميتُ ويُحيي هَجْرُها ووِصالُها
مغانيكِ فوقَ النيل اضحَتْ هوادجاً ومختلفاتُ الموجِ فيها جِمالُها (١
ومن أعجبِ الاشياء انَّكِ جَنَّةٌ تُدِفُّ على اهلِ الضَّلالِ ظلالُها (٢

وقال في الروضة وقد حلَّها السلطان الكامل محمَّد (من الطويل):

جزيرةَ مصرٍ انتِ اشرفُ موضعٍ على الارض لمَّا حلَّ فيكِ محمَّدُ
وفيكِ علا البَحْرانِ لكنَّ كفَّ ذا على الناسِ أندى بالعطاء وأجودُ
واصبحَتِ الاغصانُ من فرحٍ بهِ تمايلُ والأطيارُ فيكِ تغرِّدُ
فرَقَّ نسيمٌ حين سار وجَدْوَلٌ ويشدو هزارٌ حين يرقصُ أملَدُ

وانشد في وصف الخليج (من الوافر).

خليجٌ كالحُسام لهُ صِقالٌ ولكنْ فيهِ للرَّائي مَسرَّهْ
رأيتُ بهِ المِلاحَ تَعومُ فيهِ (٣ كأنَّهُمُ نجومٌ في المَجرَّهْ

وممَّا قالهُ في تحامُل الوزير صفيّ الدين عليهِ وهربهِ الى حلب (من الطويل):

١) روى المقري في نفح الطيب (١ : ٣١) : فيك حبالها
٢) وفي المقري : تمدُّ . اراد انها يستظلُّ تحت اغصانها غير المسلمين فنعتهم باهل الضَّلال
٣) كذا في الاصل . وفي نسخة اخرى : تجيد عوماً

تنكّرَ لي ودُّ الصفيِّ ولم أَكُنْ … بهِ رافعاً رأساً لوِ اعتدلَ الزّمنْ

ولكن علا عند انخفاضٍ وساءني … وحسْبُك من شخصٍ تركتُ لهُ الوطنْ

وقال ايضاً (من مجزوء الكامل):

لا تَقبلنَّ من الوُشاةِ … وتُقْبِلنَّ على العواذِلْ

فالعينُ قد جُنَّتْ بِبُعْدِكَ … والدموع لها هواطِلْ

ودخل يوماً على صلاح الدين فوجدهُ يلعب بالشطرنج فقال (من السريع):

ان يَكُنِ الشِّطرَنجُ مَشْغَلَةً … لِعليِّ القَدْرِ والهِمَمِ

فهي في ناديك تذكرةٌ … لأمور الحربِ والكرَمِ

وقال في غلام نحويّ (من السريع):

وأهيفٍ أحدَثَ لي نَحْوُهُ … تعجُّباً يُعْرِبُ عن ظُرْفِهِ

علامةُ التأنيثِ في لفظِهِ … وأحرُفُ العِلّةِ في طَرْفِهِ

وروى لهُ الصفدي في شرح لاميَّة العجم (من السريع):

أَيسكنُ الناسُ وقد حاطَهُمْ … سبعةُ افلاكٍ عليهم تدُورْ

والدارُ في الاخرى دهاليزُها … في هذه الدنيا لُحودُ القُبورْ

وقال في وصف الحسود (من الخفيف):

لا تُصِخْ للحَسود في ذمّهِ النعمةَ مع كونهِ العجولَ اليها

فهو مثلُ السحابِ اذ حجبَ الشمسَ عن العينِ ثمّ يبكي عليها

ومما مدح بهِ الظاهر الغازي في حلب قولهُ (من الوافر):

أَسكْرانٌ نديمُ العَدْو غازٍ … واسماء الملوكِ لها حُلاها

كأنَّ السُّمْرَ ريشُها طوالٌ … فكم نفسٍ بهنَّ قد استقاها

اذا اكتحلَتْ عيونٌ من عُداةٍ … بغيرِ حِيالةٍ وجدَتْ عَماها

وأَطمعَ نَفْسَ أَسْمَرِهِ واضحى ... يفتّش من نفوسٍ ما خباها
كأنك خِلْتَها سَتَرَتْ كميناً ... فتطعَنُها لتُبْصِرَ ما وراهــا
سلِ البيت المقدَّس عنهُ يُخْبِرْ ... بسُورة فَتْحِــهِ لمـَّا تلاهــا

وروى لهُ ابن خلكان في المعاتبة (من الوافر) :

تُعــاتبني وتَنْهَى عن امورٍ ... سبيلُ الناسِ انْ يَنْهَوكَ عنها
أَتَقْدِرُ ان تكونَ كمثل عيني ... وحقّك ما عليَّ أَضرُّ منها

وقال منوّهاً بنهري دمشق ثَوْرا وبَرَدَى (مجزوء الوافر) :

حكى نهرَيْنِ ما في الار ... ضِ مَن يَحْكيهما أَبدا
حكى في خَلقِهِ ثَوْرًا ... وفي اخلاقهِ بَرَدى

اخذهُ من قول بعضهم فيهما وفي نهر يزيد:

ضاهى ابنُ بشرانَ مدينةَ جلّقٍ ... كلاهما يوم الفخـارِ فريدُ
أَلفاظهُ بَرَدى وصورةُ خلقــهِ ... ثورا ونقصُ العقلِ هو يزيدُ

وقال في الغزل (من الرجز) :

سمراء قد أَزْرَتْ بكل أسمرٍ ... بلَونها ولِينهــا وقدِّهــا
انفاسُها دخانُ ندٍّ خالُهــا ... وريقُها من ماء وَرْدِ خدِّهــا
لو كتَبَ البَدْرُ الى خدمتها ... رسالةً ترجمهــا بعَبْدِهــا

وقال يصف كريماً (من الطويل) :

لنيرانهِ في الليلِ ايُّ تحرُّقٍ ... على الضَّيفِ إن أَبطا وايُّ تَلَهُّبِ
وما ضرَّ من يَعْشُو الى ضوء نارهِ ... اذا هو لم ينزل بآل المهلَّبِ

٣٦ الاسعد ابن عسَّال

﴿ اصلهُ ودينهُ وشعرهُ ﴾ بنو العسَّال ثلاثــة اخوة المؤتمن والصفي والاسعــد

اشتهروا كلُّهم بالآداب والتصنيف في القرن الثالث عشر للميلاد وقد اثبتنا ما وقفنا عليهِ من مصنَّفاتهم في كتابنا المخطوطات العربية لكتبة النصرانيَّة (ص ١١ـــ١٣). وكان اصلهم من مدينة سدَمَنت في الفيّوم من اسرة القس بطرس السَّدمَنتي الذي ذكرنا لهُ بعض التآليف في الكتاب المذكور (ص ٦٣) انتقلوا الى مصر ودخلوا في دواوين الدولة المصريَّة على عهد المماليك. ولم نعثر لاحد منهم على آثار شعريَّة إلَّا المدعوّ الاسعد ابا الفرج هبة الله. ورد لهُ في احد مخطوطات مكتبة الاقباط في مصر ارجوزة صنَّفها في تعريف قوانين الميراث عند النصارى. ذكرها الاديب جرجس فيلوثاوس عوض ملحقةً بكتاب المجموع الصفوي تأليف اخيهِ الشيخ الصفي ابي الفضائل بن العسَّال. وها نحن نورد منها قسماً صالحاً تثبت ما كان لهُ من القدرة بالنظم. قال:

مقدِّمة

الشكرُ للهِ الوحيدِ الذاتِ سبحانَهُ مثلَّثَ الصفاتِ
أحمَدُهُ كمثلما هو أهلُهُ اذ فاضَ بحرُ جودهِ وفضلُهُ
أزيدُ في التمجيدِ والتسبيحِ لابن الالهِ السيّد المسيحِ
أنقذنا من ظلمة الجهالَهْ ومن جحيمِ الكفر والضلالَهْ
يا ايُّها الطالبُ علمَ الشرعِ في الإرْث خُذْ مُختصَرًا من فَرْعِ
إسمَعْ هُديتَ أفضَلَ السبيلِ جَمَّلْتُهُ نظماً بلا تفصيلِ
إبدأْ بما يصلحُ للأكفانِ والقبرِ والحُمَّالِ والقربان
أوْفِ الديونَ قبل أن تُقسّما فالشَّرْعُ قد صَيَّرهُ مُقدَّما

عدد مراتب الورَّاث

وإن تُرِدْ مَعْرِفَةَ المَراتبِ لكي تُعَدّ من ذوي المناصبِ

فانّها عشرونَ واثنتـانِ بَعيدُهـا محتجبٌ بالـداني
لا رتبـةٌ مع قَبلِهـا بوارثَهْ رابعةٌ ليس لها مع ثالثَهْ
اوَّلُها البنونُ والبنـاتُ لا فرقَ بل هُنَّ مساوياتُ
والأمُّ مثلُ احـدِ الاولادِ والابُ مثلٌ في القياس الهـادي
ان مات ميتٌ ولـهُ فردُ ولَـدْ لزوجـهِ الرُّبعُ فعنْـهُ لا يُحَـدْ
والنصفُ والربعُ لابن الميّتِ أَعطِ لهُ هذا بلا تشتُّتِ
وكلّ ما زادوا عن الثلاثَهْ تـكونُ مثلهنَّ في الوراثَـهْ
مثالهُ كان البنونَ اربعَـهْ فالخُمسُ حصَّتُها بلا مدافعهْ

ثمَّ يعدّد الناظم بقية المراتب الى ان يقول :

والزوجُ ان ماتَ بـلا اولادِ للزوجةِ النصفُ بلا عِنـادِ
والزوجُ والزوجة في الحكم سَوى والنصفُ للاهلِ فدَعْ عنك الهوَى

ومنها :

والامُّ ان كانت مع الأعمامِ تحوزُ ثُلثَيْـهِ بلا كـلامِ
اولادُ عمٍّ ميّتٍ من حُـكْمِهِمْ ثُلثٌ لُهم مع زوجةٍ اعمّهمْ
وجدَّةٍ من والدِ وجدَّتهِ ثُلثٌ لهمْ من إرثهِ مع اخوتهْ
هذا اذا لم تـكنِ الوصيَّهْ أحـكامُها شرعيّةٌ مَرْضيَّـهْ
لأَنَّها ان لم تـكن شرعيَّهْ كان كمن ماتَ بلا وصيَّهْ

لا يُمنَعُ المرءُ من التصرُّفِ في النصفِ والرُّبعِ بلا توقُّفِ
فان يَزِدْ عنهُ فلا تَدَعْهُ واعمَلْ بما قلنا ولا تُضِعْهُ
والمِلكُ إن يوقَفْ لغير مؤمنِ فبطِّلِ الوَقْفَ ولا تُمكِّنِ
وأسقفٌ ومثلهُ في التَّكرِمَهْ يكتبُ ما يملكُ قبل التَّقدِمَهْ
حتَّى اذا تنيَّحوا فأَهلُهُمْ غيرَ الذي جاءُوا بهِ ليس لهُمْ
وما يَزِدْ فانَّهُ للبِيعَهْ بكل هذا تحتمُ الشريعَهْ
ومن يَمُتْ في الدير من رهبانِ فلن يجوزَ ارثهُ علماني
لكنَّه للدير والإخوانِ كما يراهُ اعظمُ الرهبانِ

وهذه خاتمتها :

نظمتُها للحِفْظِ حتَّى يَسْهَلا فاستغفرِ الرَّحمانَ لي ثم اسألا
فان تجدْ عيباً فسُدَّ الخَلَلا فجلَّ من لا عيبَ فيهِ وعلا

ولم نقف على سنة وفاة ناظم هذه الارجوزة كما تُجهل سنة وفات اخويهِ المؤتمن والصفيّ. وما لا شكَّ فيهِ انَّ الاخوة الثلثة اشتهروا منذ اوائل القرن الثالث عشر وبلغوا اواسط ذلك الجيل. وقد جاء لاحدهم الشيخ الصفيّ في آخر بعض تآليفهِ انهُ كتبهُ سنة ٩٥٥ للشهداء وهي توافق السنة ١٢٣٨ للمسيح

٣٧ ابن ابي الثناء ابن كاتب قيصر

﴿نسبهُ دينهُ وادبهُ﴾ ذكرهُ معاصرهُ ابو اسحاق المؤتمن ابن عسَّال في مقدَّمة

كتابهِ عن النحو القبطي المسمّى «السلّم المقوّى (١ قال : « هو الرئيس الاوحد العالم الفاضل علَم الرئاسة ابو اسحاق ابرهيم ولدُ الشيخ الرئيس النفيس ابي الثناء ابن الشيخ صفيّ الدولة كاتب الامير عَلَم الدين قيصر ابقاه الله ورحم آباءه » وكان ابن ابي الثناء قبطيًّا من نصارى الفيُّوم من اشراف قومهِ وكان كاتباً بليغاً وشاعرًا مجيدًا . امَّا لقبهُ بابن كاتب قيصر فلأنَّ أباهُ الشيخ ابا الثناء اتَّصل باحد كبار العلماء في زمانهِ وهو علَم الدين ابو المعاني قيصر بن ابي القاسم بن عبد الغنيّ الاسفوني المولود في أسفون من صعيد مصر سنة ٥٦٤ وقيل سنة ٥٧٤هـ(١١٦٩ــ١١٧٨م)والمتوفّى في دمشق سنة ٦٤٩هـ (١٢٥١م) . وقد ذكرهُ ابو الفداء في تاريخهِ (٣ : ١٩٥) وقال « انهُ هو المعروف بتعاسيف وكان اماماً في العلوم الرياضيَّة اشتغل بالديار المصريَّة والشام ثمَّ سار الى الموصل وقرأ على الشيخ كمال الدين موسى بن يونس علم الموسيقى ثمَّ عاد الى الشام وتوفي بدمشق (٢ » . فقد خدم ابو الثناء هذا العالِمَ فعُرف ابنُهُ بابن كاتب قيصر

فالمذكور اشتهر بالادب واشتغل بلغتهِ القبطيَّة فصنَّف فيها مقدّمة دعاها التبصرة وتعقَّب فيها آثار الانبا يوحنا اسقف سمنُّود في كتابهِ السُّلَّم الكنائسي (MFO, I, 125-126) . ولهُ ذكرٌ في كتب آداب العرب ورووا لهُ شعرًا ننقلهُ هنا عنهم . فمن ذلك ما رواهُ صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي في كتاب الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه (Ms de Paris, 3345, p. 120r) قال : ومما جاء في وصف الياسمين قول ابن ابي الثناء المعروف بكاتب قيصر (من البسيط) :

يا حَبَّذا ياسمينُ الروضِ حين غدا يُهدي من الريح طِيباً غيرَ مكتتَمِ
كأنَّ زهرَتهُ في كفِّ لاقِطها والروضُ مُنْـتَثرٌ في إثْرِ مُنْتَـظَمِ
فراشةٌ هجرت حتَّى اذا وَصَلَتْ تلازَمتْ مع مَنْ تَهْوَى فمًا لِفَمِ

وروى له ابن منظور صاحب لسان العرب في كتابهِ نثار الازهار في الليل والنهار

١) اطلب مجموعة آثار المكتب الشرقيّ (MFO, I, 123)

٢) لهُ كُرة فريدة على هيئة الارض وصفها ابو الفداء في تاريخهِ (راجع مجلّة الزهراء ٢٣ : ٨٨ ٤٤٩-٤٥٥)

(ص ١١٠) قولهُ واغّا دعاهُ «تاج الملك بن كاتب قيصر (من الخفيف):

وكأنَّ الهلالَ قوسُ لُجَيْنٍ والثريّا في الغربِ كالقِرْطاسِ
وكأنَّ النجومَ افواقُ نَبْلٍ عابراتٌ حادَتْ عن البِرْجاسِ

٣٨ اخوهُ علَم الملك ابن ابي الثناء

كان على مثال اخيهِ ابرهيم اديباً ذكر لهُ خليل بن ايبك الصفدي بيتين في الياسمين جارى فيهما قول اخيهِ (من المتقارب):

أرى ياسميناً مُحَشًّى غدا الى النَدِّ في نثرهِ يَنتمي
كمثل قُصاصةِ نِصفيَّةٍ تَلَوَّثَ اطرافُها بالدمِ

اطلب ايضاً وصفهُ لبركة (ص٦٦٦)

٣٩ ابو الربيع سليمان الماريدني

﴿نسبهُ وزمنهُ ودينهُ وادبهُ﴾ هو ابو الربيع سليمان بن اسماعيل (ويروى اسماعيل ابن سليمان) ابن ابي الميث النصراني الماريدني كان من ادباء القرن الثالث عشر معاصرًا لابن منظور وعاش في مصر. وكان شاعرًا ورد لهُ مقاطيع متفرّقة في تآليف الادباء.
من ذلك ما رواهُ ابن منظور في نثار الازهار (ص ١٠٤) يصف فيهِ نجوم السماء قال (من الخفيف):

رُبَّ ليلٍ تخالُ فيهِ الدراري زَهَرَ الروضِ والمَجَرَّةَ نَهْرا
والثريّا كأنّها كأسُ خمرٍ أطلَعَتْ فوقها الفواقعَ دُرًّا

وتخالُ السماءَ حُلَّةَ خزٍّ نُثِرت فوقَها الدراهمُ نَثْرا
وكأنَّ الصباحَ جامُ لُجَيْنٍ ملأَتْهُ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ خمرا

وروى لهُ في موضع آخر يصف المجرَّة (من الخفيف) :

وترى الزُّهر في المَجَرَّةِ كالزَّهر م طفا فوق جدولٍ وغدير

ومن حكمهِ قولهُ في الثقة بالله في الشدائد (من السريع) :

لا تيأَسَنْ لِلضِّيقِ في أمرٍ وكُنْ في ثقةٍ من سائرِ العَيْبِ
ولا تَقُلْ بابُ الرجا مُغْلَقٌ وعندهُ مَفاتِحُ الغَيْبِ

ومِمَّا ورد في مطالع البدور لعلاء الدين الغرولي (١ : ٢٥) وفي حلبة الكميت (ص ٢٩٤) وفي نفحات الازهار لعبد الغنيّ النابلسي (ص٣٨٧) قولهم بحرفٍ واحد: « حكى الاديب ابو الربيع سليمان بن اسماعيل بن ابي الليث المسيحي (١ قال: جمعني مجلسُ أُنسٍ مع الاديب اسحاق بن ابي الثناء المسيحي بالفيُّوم في بستانٍ فيهِ بركة عليها فوَّارة من الماء فتجاذبنا في اهداب وصفها فقال ابو اسحاق (من الخفيف) :

بِرْكةٌ تصعَدُ الانابيبُ منها يقعُدُ الماءُ فوقَها ويقومُ
فَلِذا أَطلعَتْ فواقِعَ تبدو كالقواريرِ من زُجاجٍ تعومُ
وكأنَّ السماءَ صفحتُها الزُّرْ قاءُ والياسَمِينَ فيها نجومُ

(قال ابو الربيع) وقلتُ انا (من المنسرح) :

وبركةٍ تَذهلُ العقولُ بها تحارُ في حُسن وصفها الفِكَرُ (٢

١) وفي حلبة الكميت : « المنبجّي» وهو تصحيف
٢) ويروى : في بعض وصفها

كأنَّها مُقلةٌ مُحدِّقةٌ عَبرى من الوَجْدِ (١ نالها السَّهرُ
تبكي وما فارَقَتْ لها وَطناً يوماً ولا فاتَ اهلَها وطرُ
تخالُ أنبُوبَها لصِحَّتِهِ والماءُ يعلو بهِ وينحدرُ
كصَوْلجانٍ من فضَّةٍ سُبِكَتْ فواقعُ الماء تحتَها أُكَرُ

ومن ظريف ما اخبر بهِ ابن منظور في نثار الازهار (ص ٣١) ما حرفهُ قال: «جرَتْ في قِصَر النهار نادرةٌ. أَنشدني سليمان بن اسماعيل الماردينيّ المسيحي لنفسهِ فيما زعم من قصر النهار (من المتقارب):

ويومٍ حواشيهِ ملمومةٌ ظَنَنَّاهُ من قِصَرٍ مُدْمَجا
قنصتُ غزالتَهُ والتفتُّ أُريدُ أُختَها فاحتمَتْ بالدُّجى (٢

فاثبتُّ البيتين عندي. فاخبرني بعد ذلك ابو الحسن بن سعيد انهُ وقف في تاريخ إربل لابن المستوفي لابي عبد الله محمَّد بن ابي الوفاء القنيصي على ذكر البيتين بحرفهما. قال ابن المستوفي ثمَّ ورد علينا ابو الحسن علي بن يوسف الصفَّار فنسبهما لنفسهِ (قال) ولعلَّهما ليسا لهُ ولا لابن القنيصي. فقيَّدت هذا على هذه الصورة. ثمَّ جرى بعد ذلك مذاكرة في هذه الابيات وتحادث فيها الشعراء فقال بعضُ من حضر: هذهِ الابيات عندي في تعليقٍ لُغز. فرغبنا اليهِ في الكشف عنها فاحضر التعليق فاذا فيه. «خرج المنتخب العاني(٣ (منسوب الى عانة جزيرة بالفرات) مع الملك الزاهر ابن صلاح الدين صاحب البيرة للصيد فأثاروا ظبيةً في آخر النهار فاستطردَتْ لهم فلم يدركها السلطان إلَّا عند غروب الشمس فأمسكها ونظر الى الشمس وهي تغربُ فاستظرف هذا الاتفاق وقال لشاعرهِ: قُلْ في ذلك شيئاً. فقال:

ويوم حواشيهِ ملمومةٌ علينا نحاذرُ ان تُفرَجا

---

١) وفي نفحات الازهار: مين من الوجه بالتصحيف
٢) اراد بالغزالة الاولى الحيوان وبأختها الشمس التي الغزالة من اسمائها
٣) وفي الاصل: العافي بالفاء وهو تصحيف

قنصتَ غزالتَـهُ والتفتَ الى أختها فاحتمت بالدجى

قال المصنّف: فصحَّ عندي انَّ هذا هو قائلها على الخصوص وانَّ الجميع لصوص. (قال) وقد قرأت كتاب اللصوص للجاحظ فلم اسمع فيهِ بأنَّ ثلاثة لصوص اجتمعوا بالاتّفاق الظريف على بيتٍ واحد

٤٠ رشيد الدين ابو حُلَيْقة

﴿اسمهُ اصلهُ نسبهُ دينهُ﴾ افادنا ابن ابي اصيبعة في كتابهِ الممتّع عيون الانباء في طبقات الاطباء (٢ : ١٢١ ـــ ١٣٢) معلومات متفرّقة عنهُ وعن اجدادهِ ما نستخلصهُ هنا للقرّاء. قال يذكر اسمهُ ونسبهُ (ص ١٢٣) : « هو الحكيم الاجلّ العـالم رشيـد الدين ابو الوحش بن الفارس ابي الخير بن ابي سليمان داود بن ابي المنى بن ابي فـانة ويعرف بابي حُلَيْقة»

وذكر جدَّهُ ابا سليمان داود وكان متطبباً (ص ١٢١) فقال عنهُ انَّهُ « كان من اهل القدس ثمَّ انتقل الى الديار المصريَّة » ومما رواه ان ملك القدس الفرنجي اموري (Amaury) وهو يدعوهُ «ماري» لمَّا وصل الى الديار المصريَّة اعجبهُ طبُّهُ فطلبهُ من الخليفة ونقلهُ معهُ هو واولادهُ الخمسة الى البيت المقدس. فخدم الملك هناك وعالج ابن الملك المصاب بالجذام ثمَّ ترهَّب

وممَّا اخبرهُ عنهُ انهُ ارسل احد ابنائهِ وبشَّر الملك الناصر صلاح الدين يوسف بفتحهِ القدس فاصابت ذرّيته لذلك حظوة كبيرة لدى السلطان

واردف ابن ابي اصيبعة ذلك بتراجم ابناء ابي سليمان. وكان اكبرهم الحكيم (ابو سعيد مهذّب الدين) الذي خدم صلاح الدين ثمَّ الملك العادل وولدهُ المعظم. وتوفي سنة ٦١٣هـ (١٢١٦). ويدعى الثاني (ابا شاكر) خدم الملك الكامل ابن الملك العادل وتوفي سنة وفاة اخيهِ ابي سعيد. واسم الثالث (ابو نصر) كان ايضاً طبيباً وتوفي بالكرك. والرابع (ابو الفضل) كان طبيباً نطاسيًّا وهو اصغر اخوتهِ توفي سنة ٦٤٤ وعمرهُ ٨٤ سنة هجريَّة (١١٦٤ ـــ ١٢٤٦ م) خدم الملك المعظم بالكرك والملك الكامل بمصر.

الخامس (ابو الخير فارس) تربّى مع ابن ملك الفرنج المجذوم وخرج من بين اخوته الاربعة الاطباء جنديا

ورشيد الدين ابو حُلَيقة هو ابن ابي الخير فارس. دُعي ابا حُلَيقة لحَلْقة من فضّة في اذنه وُصِفت لهُ عند ولادتهِ دفعاً للموت الذي اصاب اخوتهُ قبلهُ فعاش هو وعُرف بابي حُلَيقة

﴿دينهُ واخبارهُ﴾ كان رشيد الدين ابو حليقة نصرانيًّا كجدّه ابي سليمان الذي صرّح ابن ابي اصيبعة بنصرانيّتهِ وكذلك اولادهُ وحفيدهُ رشيد الدين. وقد اتّسع ابن ابي اصيبعة في وصف معارفهِ الطبيَّة وعلاجاتهِ الغريبة بترياقٍ عجيب وضعهُ فشفى بهِ كثيرين ممَّن أَيس الاطباء من حياتهم وحكموا بوفاتهم القريبة. وذكر خِدَمهُ الممتازة لاربعة من الخلفاء الايوبيين في مصر وهم الملوك الكامل ثم العادل ثمَّ الصالح وتورانشاه. وعاش الى زمن المماليك وخدم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس (٦٥٨ـــ ٦٧٦ هـ = ١٢٦٠ـــ١٢٧٧م) ولم يذكر سنة وفاتهِ

﴿ادبهُ وشعرهُ﴾ قال ابن ابي اصيبعة يصف معارف رشيد الدين والخلاقهُ ويذكر اجتماعهُ بهِ (٢ : ١٢٣) :

« كان اوحد زمانهِ في صناعة الطب والعلوم الحكميَّة متفنّنًا في العلوم والآداب حسن المعالجة لطيف المداواة رؤوفًا بالمرضى محبًّا لفعل الخير مواظبًا للامور الشرعية متفنّنًا في العلوم والآداب حسن المعالجة لطيف المداواة رؤوفًا بالمرضى محبًّا لفعل الخير . ولقد اجتمعتُ بهِ مرَّاتٍ ورأيتُ من حسن معالجتهِ وعشرتهِ وكمال مروءتهِ ما يفوق الوصف »

وقد ذكر لهُ عدَّة تآليف طبيَّة منها كتاب في الامراض واسبابها وعلاماتها ومداواتها . وكتاب في الادوية المفردة دعاهُ المختار في الالف عقَّار . وكتاب الادوية المركَّبة التي قد اظهرت التجربة نجحها وكتب مقالةً في أنَّ الملاذّ الروحانيَّة ألذُّ من الملاذّ الجسمانيَّة وعلّل ذلك بقولهِ « اذ الروحانيَّة كمالات وادراك الكمالات . والجسمانيَّة انما هي دفعُ آلام أخرى وان زادت اوقعت في آلامٍ أُخرى » وهو نعم القول . ولهُ ايضاً مقالة في ضرورة الموت علّلهُ بتحلُّل بدن الانسان بالحرارة التي في داخلهِ وبحرارة الهواء الذي من خارج . فكان يتمثّل بهذا البيت :

واحدهــا قاتلي فكيف اذا استجمعا

وكان رشيد الدين شاعرًا روى لهُ ابن ابي اصيبعة بعض المقاطيع نرويها هنا عنهُ . فمن ذلك قولهُ من ابيات يصف فيها منظرة سيف الاسلام (من الكامل) :

سَمَحَ الحبيبُ بوَصْلهِ في ليلـةٍ غفَلَ الرقيبُ ونام عن جَنَباتِها

في روضـةٍ لولا الزوالُ لشابهَتْ جنّـاتِ عَدْنٍ في جميع صِفاتِهـا

فالطيرُ يَطْرَبُ في الغصون بصوتهِ والراحُ تُجلي في الكؤُوسِ صفاتِها

وَمجـالِسُ القمرِ المُنيرِ تنزّهت فيهِ الحواسُّ باسمها وكناتِها

وقال يذكر ايام اجتماعهِ بالمحبوب ووداعه لهُ (من الطويل) :

أَحِنُّ الى ذكر التواصُل يا سَعْدُ حَنينَ النياقِ العِيسِ عنّ لها الوِرْدُ

فسَعْدى على قلبي أَلـذُّ من المُنى وقُربي لها عند اللّقاءِ هو القَصْـدُ

حوت مَبْسِماً كالدُّرّ أَضحى منظَّماً وثغرًا كمثل الأُقحُوانِ بهِ شَهْـدُ

وفَرْعاً كمثل الليل او حظّ عاشقٍ ووجهاً كوجه الصُّبْح هذا لذا ضِدُّ

اقولُ لهــا عنـد الوداع وبيننـا حديثٌ كنَشْرِ المِسْكِ خالطَهُ نَدُّ

تُرى نلتقي بعـد الفراقِ بمنزلٍ ويَظْفَرُ مشتـاقٌ أَضرَّ بهِ البُعْـدُ

تمرُّ الليـالي ليلـةً بعد ليلةٍ وذكرُكمُ باقٍ يُجـدّدهُ العَهْـدُ

ولكنّ خوفَ الصَّبِّ ان طال هَجْرُكم ليقضي ولا يَقْضِي لهُ منكمُ وعدُ

عَشِقْتُ سيوفَ الهِنْدِ من أَجلِ أَنّها تُشابهُها في فعلِ أَلحاظها الهِنْدُ

ولي في الرماحِ السُّمْرِ سُمْرٌ لأَنها تُشابِهُها قـدًّا فيـا حبّذا القـدُّ

وفي الورد معنًى شاهدٌ فوق خدّها ... نُشاهدُهُ فيها اذا عُدِمَ الوردُ
وبي من هواها ما جحدتُ وعَبْرَتْ ... بهِ عَبْرتي يوماً وما نفعَ الجَحْدُ

وقال مشبّباً (من الطويل):

خليليَّ انّي قد بَقِيتُ مُسَهَّدًا ... من الحبّ مأسورَ الفؤادِ مُقيَّدُ
بحبّ فتاةٍ يُخجِلُ البَدرَ وَجهُها ... ولا سيَّما في ليلِ شَعْرٍ اذا بدا
ضلَلْتُ بها وهي الهلالُ ملاحةً ... فوا عجباً منهُ أضلَّ وما هَدَى
لها مَبْسِمٌ كالدُرّ اضحى منظَّماً ... ونُطقٌ كمثل الدرِّ أمسى مبدَّدا

ولما كان رشيد الدين في دمياط اتاهُ خبر والدهِ انهُ كان مرض في القاهرة ثم حظي بالعافية فكتب لهُ (من الكامل):

قطرَتْ عليَّ سحائبُ النَّعْماء ... مذ زالَ ما تشكو من البَلْوَاء
ولَبِسْتُ مذ ابصرتُ خطَّك نعمةً ... فبما اقوم لشكرها بوَفاء

وقال ابن ابي اصيبعة يذكر اهل رشيد الدين فقال (٢ : ٢٢٨): وجماعة اهل الحكيم رشيد الدين ابي حُلَيقة اكثر شُهرتهم في الديار المصريّة والشام ببني شاكر لشهرة الحكيم ابي شاكر وسُمعتهِ الذائعة فصار كلّ من لهُ نسب اليهِ يُعرَفون ببني شاكر وان لم يكونوا من اولادهِ . ولما اجتمعتُ بالحكيم رشيد الدين ابي حُلَيقة — وكان قد بلغهُ انني ذكرتُ الاطبّاء المشهورين من اهلهِ ووصفت فضلهم وعلمهم — تشكّر مني وتفضّل فانشدتهُ بديهاً (من السريع):

وكيف لا اشكرُ مَن فضلُهم ... قد سار في المشرقِ والمغربِ
تشرقُ منهم في سماء العُلا ... نجومُ سعدٍ قطُّ لم تغرُبِ
قومٌ ترى اقدارَهم في الورى ... بالعلمِ تسمو رتبةَ الكوكبِ

كم صنّفوا في الطب كُتُبًا أَتَتْ بكل معنًى مبدعٍ مُغرِبِ
وانَّ شكري في بني شاكرٍ ما زال في الأبعد والاقرب
خُلِّدتْ مجدًا دائمًا فيهمُ بحُسْنِ وصفٍ وثناءٍ طيّبِ

وقد ذكر ابن ابي اصيبعة ولدًا لرشيد الدين يدعى ابا سعيد زاول الطبابة كابيهِ وقال عنهُ انهُ أَسلم في ايّام الملك ظاهر بيبرس . وفي خطط المقريزي (٢ : ٣٧٨) جاء ذكر ولد آخر لرشيد الدين لم يُسمِّ دعاهُ علَم الدين ابا نصر جرجس بن ابي حليقة روى عنهُ انهُ خدم الملك الكامل وحضر وفاتهُ

٤١ ابن مرتين

﴿زمنهُ وشعرهُ﴾ هو شاعر نصرانيّ اندلسيّ ذكرهُ ابن العربيّ في مسامراتهِ (٢ : ٣١١ و٢٣٧) قال في باب العشّاق والعشق . انشدني ابن مرتين من هذا الباب يصف ما في الحبّ من الخير والشرّ من الحسن والضرّ (من الكامل) :

الحُبُّ فيهِ حلاوةٌ ومرارةٌ والحبُّ فيهِ شقاوةٌ ونعيمُ
الحبُّ أهوَنُهُ شديدٌ قادحٌ والحبُّ اصغرَ ما يكونُ عظيمُ
الحبُّ صاحبُهُ يبيتُ مُسَهَّدًا ويطيرُ منهُ فؤادُهُ ويهيمُ
الحبُّ لا يَخفى وان اخفيْتَهُ انَّ البُكاء على المحبِّ نميمُ
الحبُّ يشهدُ صادقًا (١ في وجههِ عند التنفُّسِ انَّهُ مهمومُ
الحبُّ داءٌ قد تضمَّنهُ الحشا بين الجوانحِ والضلوعِ مقيمُ

ولم نطّلع على شيء آخر من شعر ابن مرتين . وانَّما يؤخذ من ذكرهِ في مسامرات ابن

---

١) ويروى : صارخًا

العربيّ انهُ عاش قبلهُ اعني قبل القرن السابع للهجرة والثالث عشر للمسيح لأنَّ ابن العربي توفي سنة ٦٣٨هـ (١٢٤٠ م)

ثمَّ وجدناهُ مذكورًا في كتاب المقَّري «نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب» (٢ : ٨٨٩) حيث دُعي بالقائد ابن مرتين ويتعيَّن زمانهُ في عهد المعتمد على الله بن عبَّاد صاحب اشبيليــة (٤٦١ــ٤٨٤ هـ ١٠٦٨ــ١٠٩١ م) فيكون اذن من شعراء القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح

٤٢ ابن زطينا

﴿ نسبهُ زمانهُ دينهُ ﴾ وصفنا في المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٥٩١ــ٦٠٧) كتاباً مخطوطاً قديماً من اواخر القرن الثـــالث عشر او اوائل الرابع عشر ونقلنا عنهُ هناك شذراتٍ تاريخيَّة مهمَّة . ففي الصحيفة الثانية عشرة منهُ ورد ذكر ابن زطينــا فقــال المؤلف في تاريخ سنة ٦٢٦هـ (١٢٢٨ م) : «وفي هذه السنة توفي ابو الفضل جبريل بن زطينا كاتب الديوان كان اوَّلًا نصرانيًّا واسلم في ايام الخليفة الناصر لدين الله» . ومنهُ يتَّخذ انَّهُ عاش في اواخر القرن السادس للهجرة الى الربع الاوَّل من القرن السابع . وانهُ كان نصرانيًّا واَّما اسلامهُ فنعرف انهُ لم يكن اختياريا لِما صــار وقتئــذٍ من الضغط على النصارى كما ورد في الكتاب المذكور (ص٥٩٦ــ٥٩٧) عن ابن فضلان الذي كتب الى الخليفة الناصر لدين الله يحضُّهُ على مناهضة النصارى والضغط عليهم . ومن ثمَّ لا نرتاب في نظمه بين النصارى . ويؤخذ من شعرهِ انهُ عمَّر طويلًا

وقد ذكر المؤرخ المذكور الذي نقلنا عنهُ في تاريخ سنة ٦٣١هـ (١٢٣٢م ص ٧٩٥) انَّ هبة الله ابن زطينا خلف اباهُ جبريل في الديوان ورُتّب كاتب السكَّة وذاــك بايعاز ابن حاجب قيصر النصراني كما يلومهُ في ذلك ابن رضوان . وهو دليل على نصرانية هبة الله وعلى انَّ اسلام والدهِ كان تظاهرًا ليس حقيقيًّا

﴿ادبهُ وشعرهُ﴾ ورد ذلك في الكتاب المخطوط الذي اشرنا اليهِ فقال : وكان (ابن زطينا) ذا فضل وادب ولهُ نظمٌ ونثرٌ واشياء مستحسنةٌ ومن شعره قولــهُ

يحضّ على التوبة والصلاة والصوم (من السريع) :

إنْ سَهِرَتْ عينُك في طاعةٍ فذاك خيرٌ لك من نومِ
أمسُك قد فاتَ بعِلّاتهِ فاستدركِ الفائتَ في اليومِ
وان قسا القلبُ لأكداره فصَفّهِ بالذكرِ والصومِ

ولهُ في الاستغاثة بالله عند البليّة (من الوافر) :

اذا أعيا عليك الامرُ فارجعْ الى ربٍّ عوائدُهُ جميلَه
فكم من مَسلَكٍ معضِيقٍ سِلْكٍ تحلّى واستبانَ بغيرِ حيلَه

وقال يذكر ضعفهُ لتقدُّمهِ بالعمر (من السريع) :

أُريدُ من نفسي نشاطَ الشَّبابْ ودونَ ما أَبغيهِ شيبُ الغُرابْ
فكيفَ والسبعون جاوزتُها ومُذهِبُ العُمْرِ رُمي بالذَّهابْ
ومَطلَبي عَزَّ وما دونَهُ تأباهُ نفسي وأموري صِعابْ
وقد تحيّرتُ ولا غَرْوَ أنْ يَحارَ مَنْ يطلبُ ما لا يُصابْ

٤٣ صاعد بن عيسى بن سمّان

﴿زمنهُ دينهُ شعرهُ﴾ ورد ذكر صاعد في تاريخ كمال الدين ابن العديم الذي عنوانهُ بغية الطلب في تاريخ حلب (Ms de Paris nº 726, ancien fonds, ff. 18ʳ) فقال هناك يذكر ابن سهلون :

« اسرائيل بن سهلون ابو الحسن الطبيب الحلبي اظنُّهُ من نصارى حلب ظفرتُ لهُ ببيتٍ من الشعر قرأتهُ بخطّ بعض كتّاب حلب ممّا اختارهُ من شعر صاعد بن عيسى ابن سمّان الكاتب النصراني الحلبي . فكان صديقهُ ابو الحسن اسرائيل بن سهلون الطبيب عمل بيتاً وهو (من الطويل) :

أيا طَيفَ من أهوى تسربلتَ عِفَّةً واشبهتَ في الاحلام فِعلَك يَقظانا

فاجابه يعني صاعد بن عيسى :

ولكنَّنا مُتْنا من الوَجد قبل أنْ يُسلِّمَ دُجيًّا(١ بالسلام فأَحيانا
على مِثْل هذا الفعلِ كانت إمامةٌ تُواصِلُنا أَحيانًا وتهجرُ أَحيانا
اذا كنتُ لاأَلقاك في الدهرِ يقْظةً فيا ليت انّيَ ما عِشْتُ وَسْنانا

فمن ذكر صاعد في تاريخ كمال الدين يتعيَّن انهُ سبق هذا الكاتب المتوَفَّى سنة ٦٦٠ ﻫ (١٢٦١م) . وقد سها عن ذكره محمّد افندي راغب في كتابهِ اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء

٤٤ نصرالله الغِفاري

﴿زمنهُ شعرهُ﴾ ورد ايضاً ذكرهُ في احد مخطوطات لندن الذي عنوانهُ كتاب تذكرة العلماء والشعراء (Ms Br. Mas. 1108) للمملوك تاني بك الخزندار فنظم بين شعراء القرن الثالث عشر الميلاد نصرالله بن هبة الله الغِفاري الكاتب الشاعر النصراني وروى لهُ من الشعر قولهُ في توبتهِ عن شُرب المدام (من الخفيف) :

أيُّها الخِلُّ خلّني وهمومي شغلَتْني ندامتي عن نَديمي
عَدِّ عنّي كأسَ المُدامِ فاني تائبٌ عن وِصال بنتِ الكرومِ
ختَمَ اللهُ لي بخَيرٍ فما لي اربٌ في رَحيقها المختومِ
انا لا اسمعُ الغناءَ فما لي ولثاني الثقيلِ والمزمومِ(٢

قال ومن شعرهِ ايضاً قولهُ في كذب المنجمين (من الوافر) :

اذا حكَمَ المُنَجِّمُ في القضايا بحُكْمٍ . جازمٍ فأَرْدُدْ عليهِ
فليس بعالمٍ ما اللهُ قاضٍ فقَلِّدْني ولا ترْكَنْ اليهِ

---

١) الدُجّي نسبة الى الدُّجَّة وهي شدَّة الظلام
٢) ثاني الثقيل والمزمومُ من الاصوات المعروفة عند المغنين وارباب الموسيقى



بشعراء النصرانيّة بعد الاسلام

القسم الاول

ننشر هنا فوائد شتى من زيادات وتنقيحات على الاجزاء الثلاثة السابقة من كتاب شعراء النصرانية بعد الاسلام. والاعداد تشير الى هذه الطبعة المفردة

ملحق بالشعراء المخضرمين

٢ الحارث بن كَلَدة (ص ٤—٧)

ورد في العقد الفريد لابن عبد ربّه (ج٣ ص٤١٤ — ٤١٦) حديثٌ للحارث بن كلدة مع كسرى انو شروان الفارسيّ رواهُ بعده ببعض التصرُّف ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطبّاء (١: ١١٠—١١٢) وفيه دلالة على عقلـهِ وادبهِ ومعرفتهِ بالطبّ كانت خاتمتهُ كما جاء في العقد اذ قال كسرى: «لله درُّك من عربيّ لقد أُعطيتَ علماً وُخصصتَ بهِ من بين الحمقى وفطنةً وفهماً» ثمَّ امر باعطائهِ وصِلَتهِ وقضاء حوائجهِ

وقد ورد للحارث في رسالة الغفران لابي العلاء المعرّي (ص ١٦) قولهُ في صديق (من الوافر):

فما عسلٌ ببارِدِ ماء مُزْنٍ … على ظَمَـإٍ لِشارِبِهِ يُشَابُ

بـأَشهى من لِقِيِّكُمُ الينـا … فكيفَ لنا بهِ ومتى الإِيابُ

الصفحة ٥ السطر ١٤ــ٢٠) هذه الابيات البائيّة المنقولة عن الحماسة البصريّة المتضمنة الطف عتاب ذُكرت في شواهد الكشاف للزمخشري وفيها بعض روايات كما ترى: البيت ٢ «وأَعتَبهم غِضابُ» ــ ٤ «أُعيّرهم تَنَاءٍ» اي تباعُد ــ ٥ «لا يدوم لهُ وصالٌ» ــ وقد روى الزمخشري للحارث هذا البيت (ص١١٧):

نَقَبوا في البلاد من حذَرِ المو ت وجالوا في الارض كلَّ مجالِ

الصفحة ٦ س ٤ــ٥ روى صاحب الحماسة البصريّة هذين البيتين للحارث بن كَلَدة وقدّم عليهما بيتين آخرَين:

انَّ اختيارك لا عن خِبْرةٍ سلفَتْ إلّا الرجاءَ ومما يُخطئ البصرُ

كالمستغيث ببطن السَّيْل تحسَبُهُ جزرًا يبادرُهُ اذ بلَّهُ المطرُ

وهو يقدّم البيت الرابع «ان السعيد» على الثالث «لا اعرفنَّك» وقد روى «إذ ارسلتَ . . إذْ لا تنفع»

ومما رُوي للحارث ايضاً قولهُ يذكر الزَّبابة وهي الفارة البرّيّة الصمَّاء يشبّه بها الرجل الجاهل (كتاب الحيوان للدميري ٢ : ٤ــ٥) من (مجزوء الكامل):

ولقد رأيتُ معاشرًا جمعوا لهم مالًا ووُلْدا
وهمُ زَبابٌ حائرٌ لا تسمعُ الآذانُ رعدا

٤ اكثم بن صيفي (ص ١٠-١٤)

روى لهُ الجاحظ في كتاب الحيوان (٣ : ١٥) قولهُ (من المتقارب):

نُربّي ويَهلِكُ آباؤنا وبين نُربّي بنينا فَنيِنا

٥ عبد المسيح بن بُقَيْلَة (ص ١٣-٢٠)

ص ١٥ س ١٩ الخ (اصمُّ ام يسمع) لهذه الابيات روايات مختلفة . وقد رُويت

على غير ترتيبها . البيت ١ رواهُ النويري في نهاية الارب (٣: ١٢٩): « فأزلَمَّ بهِ » — ٣ رُوي فيهِ: « آل ذنب بن حَجَنْ »

الصفحة ١٦ س ٢ فيهِ: « يسري بالوسن . . . يجوب في الارض على ذات شجن » — س ٣ فيهِ: ترتعني — س ٤ فيهِ: « قافةٌ » بالفاء — س ١٣ روى المرتضي في اماليهِ (١: ١٨٩) انباء عِلَّات . . . فمجفوٌ ومحفور — س ١٤ فيه « فمجفوٌّ ومحقورٌ »

ص ١٨ س ١ (لقد بنيت . . . حصناً) روى المرتضي في اماليهِ (١: ١٨٩): بنيتُ . . . قصراً — ٢ روى: به انينُ

ص ١٩ س ٩ (تُروَّح بالخورنق) روى السيّد المرتضي في امالـيهِ (١: ١٨٩): تَرُوح الى الخورنق

ص ٢٠ س ٨ (نلت بُلَغ المزيـد) روى في المرصَّع لابن الاثير (ص ٤١): فوق المزيد — س ١٠ (انال بالشرف) روى: انالُ في الشرف

٦ الحُرَقة هند بنت النعمان (ص ٢٠ — ٢٩)

ص ٢٤ س ١٩ — ٢٠ (قصَّة هند والحجَّاج) رُويت هذه القصة مع تفاصيل اخرى في احد مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة كتاب الحكايات والعتاب (ص ١١١ — ١١٢)

ص ٢٦ س ١٢ (صـان لي ذمَّتي) يروى البيت: حـاط لي ذمَّتي . . . الكريمُ الكريما

ص ٢٧ س ٢٢ (قصَّة الحرقة مع سعد بن وقَّاص) رواها الشحري (شرح شواهد للغني للسيوطي ١: ٢٤٦) مع المغيرة بن شعبة ويدعو الحرقة هناك « الخُرقة » بالخاء

ص ٢٩ س ٩ — ١٣ (اعدَّاء الخ) تروي هذه الابيات في حماسة ابي تمام (ص ٤٠٢) لعُتَيّ بن مالـك العقبلي وروى البيت الخامس: « ولم تُلقِ رحالنا . . جوز الليل » قال « جوز الليل وقت ميلهِ وجنوفهِ الى المغيب

— س ١٣ (ولم تلوِ رَحْلينا) ويروى: ولم تُلق رَحلينا واملَّها الرواية الصحيحة

٧ الزبرقان (ص ٢٩—٣٧)

ورد في نقائض الفرزدق وجرير (ص ٩٠٥—٩٠٦ ed. Bervan) عن زوجة الفرزدق الملقَّبة بذات الخمار قال: «هي هُنَيدة بنت صعصعة عمّة الفرزدق اخوها غالب ابو الفرزدق وخالها الاقرع بن حابس بن عقال المجاشعي وزوجها الزبرقان بن بدر» وقال ابن الاثير في كتاب المرصَّع (ص ٩١—٩٢ ed. Seybold): «سُمّيت بذات الخمار لوَضعها خِمارَها بحضرة ابيها واخيها وخالها وزوجها. فقالوا لها: ما عهدناكِ متبرّجة. فقالت: دخلتني الخُيلاء حين رأيتكم. فمن جاءت من نساء باربعة يحلّ لها ان تضع خمارها كاربعة جئتُ بهم فصُرْمتي (١ لها: ابي صعصعة بن ناجية واخي غالب ابن صعصعة وخالي الاقرع بن حابس وزوجي الزبرقان بن بَدْر

ومما رواه الثعالبي للزبرقان في كتابهِ احوال العالم في مخطوطات مكتبتنا الشرقية (ص١٣) قولهُ (من الطويل):

اخوكَ الذي لاينقُض الدهرَعهدَهُ ... ولاعن صروفِ الدهر يَزْوَرُّ جانبُهْ

وليس الذي يلقاكَ بالبِشْر والرضى ... وان غِبتَ عنهُ تابعتْك عقارِبُهْ

فخذمن اخيك العَفو واغفرْ ذنوبَهُ ... ولا تكُ في كل الامور تُحاسِبُهْ

ثمَّ أَلحق هذه الابيات بثلاثة اخرى تُروى في الاغاني (٣: ٢٧) وفي حماسة البحتري (العدد ٣٣٦) وفي غيرهما لبشَّار بن بُرْد من قصيدة شهيرة قالها في مديح عُمر بن هبيرة. وروى الدميري في حياة الحيوان للزبرقان قوله (من البسيط):

تعدو الذئابُ على من لا كلابَ لهُ ... وتتّقي مَربضَ المستأسِدِ الضاري

ص ٣٠ س٢٢ (نحن الكرام..) يروى البيت ايضاً: فلا حيٌّ يقاومنا فينا العلاء..

---

١) قال الصرمة خمسون ناقة وقيل مائة

الصفحة ٣٢ س ١٥ــ١٦ (الطبري ٣ : ١٩٢٤) يُصلح العدد: الطبري ١ : ١٩٦٤

ص ٣٤ س ٣ــ١١ (قال دثار بن شيبان) الابيات الآتية رواها في نقائض جرير والفرزدق (ص ٧١٤) ونسبها الى شيبان بن دثار النَمَري. روى البيت الثاني : «بما اجترمت» ولم يروِ البيت الاخير

ص ٣٤ س ١٢ (عامر بن بَهْدلة) وفي نقائض جرير والفرزدق يدعى عامر بن أُحَيمر بن بهدلة

٨ عدي بن حاتم (٣٧ــ٤١)

لعدي بن حاتم الطائي اخبار كثيرة متفرّقة في كتب الادب وقد ذكرنا منها ما هو أثبت واصدق. راجع ايضاً العقد الفريد لابن عبد ربهِ (٣ : ١٤٨) ونهاية الارب للنويري (٣ : ١٥٨) وكتاب حسن الصحابة في اشعار الصحابة (ص ٣٨ــ٤٢)

ص ٣٩ س ١٢ــ١٧ (اجيبوا يا بني ثُعَل) هذه الابيات قد شرحها محمد موستارلي جابي زاده في حسن الصحابة (ص ٤٠ــ٤٢). وقد روى في البيت الثاني: من بعد النِقاء. قال: النقاء بالكسر واصلهُ مقصور. وهو مخّ العظام وشحمها من السِمَن

ص ٤٠ س ١٧ (كرم عديّ) ما رويناهُ هنا عن كرم عديّ نقلًا عن ابن قتيبة ذكرهُ ايضاً ابن عبد ربّهِ مرّتين في العقد في الجزء الاوّل (ص ١١٧) وفي الجزء الثالث (ص ١٣١). وقد روى البيت الثاني (١ : ٤١) : كنصل السيف سُلّ من الخلل. وروى البيت الثالث في الجزء الاوّل : «ليس تُعذَرُ بالعِلَلْ» وفي الجزء الثالث: ليس تعذر بالعذل. وروى البيت الرابع: «فان تفعلوا شرًّا»

١٠ النجاشي الحارثي (٤٣ــ٥١)

قد وقفنا للنجاشي على مقاطيع اخرى غير التي ذكرناها. فمن ذلك ما ورد لهُ في نقائض جرير والاخطل (ص ١٢٩) يهجو بني العَجْلان (من الطويل) :

اذا اللهُ عادى اهلَ لؤمٍ ورقَّةٍ فعادى بني العجلانِ رَهطَ ابن مُقبِلِ
قُبَيِّلةٌ لا يَغدِرونَ بذمَّةٍ ولا يَظلِمون الناسَ حبَّةَ خردلِ
وما سُمِّي العُجلانَ إلّا لقولهم خُذِ الصَّحْنَ فاحلُبْ ايها العبدُ واعجَلِ (١

وروى لهُ الجاحظ في البيان والتبيين (٢ : ٧٤) قولهُ لام كثير ابنة الصلت (من الطويل) :

ولستُ بهنديٍّ ولكنْ ضَيْقَهُ على رجلٍ لو تعلمينَ مُزيرِ (٢
وأعجَبني للسَّوْط والنَّوْط والعصا ولم تُعجبيني خلَّةَ لأميرِ

وفي الاخبار الطوال المدينوري ما رواه للنجاشي (ص ١٨٥) يذكر قتالًا جرى بين جَعْدة بن هبيرة وعتبة بن ابي سفيان في صفّين فانهزم عتبة وقال النجاشي (من البسيط) :

انَّ شَتْمَ الكريمِ يا عُتْبَ خَطْبٌ فاعلَمَنْهُ من الخطوبِ عظيمُ
أمُّهُ امُّ هانئٍ وابوهُ من لُؤَيِّ بن غالبٍ لَعَميمُ
انَّهُ للْهُبَيْرَةُ بن ابي وَهْبٍ أقرَّت بفضلهِ مخزومُ

وقال ايضاً (من البسيط) :

ما زلتَ تنظرُ في عِطفَيكَ أبهَةً لا يرفعُ الطَّرفَ عنك التِّيهُ والصَّلَفُ
لمَّا رأيتهمُ صُبحاً حسبتهمُ أُسدَ العرينِ حمى أشبالَها الغَرَفُ (٣
ناديتَ خيلَكَ اذ عضَّ السيوفُ بها عُوجي اليَّ فما عاجوا وما وقفوا
هلّا عطفتَ الى قتلى مصرَّعةٍ منها السَّكونُ ومنها الأَزدُ والصَّدَفُ

١) ويروى . لقيلهم . خذ القَعْبِ
٢) الضَّيِّق الشكّ . والمُزير الدافع على الزيارة ٣) الغَرَف انواع من الشجر

قد كنتُ في منظرٍ عن ذا ومُستَمعٍ   يا عُتْبَ لولا سَفاهُ الرأي والتَرَفُ

وروى لهُ الدينوري ايضاً (ص ١٩٨) قولهُ يمدح الاشتر لمّا قاتل اهل الشام وردّ لواءهم (من المتقارب):

رأيتُ اللواءَ كظِلِّ العُقابِ   يُقحِمهُ الشَّامِيُّ الاخْزَرُ

دَعَوْنا لهُ الكبشَ كَبْشَ العِراقِ   وقد خالط العسكرَ العسكرُ

فردَّ اللواءَ على عَقْبِهِ   وفازَ بحُظْوَتِها (١ الأشترُ

وجاء في كتاب وقعة صفّين بعد البيت الاوَّل:

كليثِ العَرين خِلالَ العَجاج   وأَقْبَلَ في خيلهِ الأبترُ

ثم زاد في آخرها:

كما كان يفعلُ في مثلها   اذا ثابَ مُعْصَوصِبٌ مُنْكَرُ

فان يَدْفَعِ اللهُ عن نفسهِ   فحظُّ العراقِ بها الأَوْفَرُ

اذا الأَشْترُ الخيرُ خَلَّى العراق   فقد ذهب العُرْفُ والمُنكَرُ

وتلك العراقُ ومن قد عرفتَ   كفَقْعٍ تبيَّنهُ القَرْقَرُ

الصفحة ٤٤ س ١٧ (تعاف الكلاب) روى الحصري في زهرة الآداب (هامش عقد الفريد ١ : ٢١) : «وتأ كلُ من عوفِ بن كعبِ بن نهشل

ص ٤٥ س ١٨ (يا أيُّها الملك) ورد في ديوان الاخطل (ص ١١٢) البيت الاخير من رائيتهِ منسوباً للنجاشي في هذه القصيدة وهو البيت الآتي:

قد أقسم المجدُ حقًّا لا يحالفهم   حتَّى يحالفَ بطْنَ الراحةِ الشعَرُ

ص ٤٨ س ١٥ (دعاً يا معاويَ) هذان البيتانِ اللذان نقلناهما عن المبرّد رواهما

١) ويروى: بخطوها

الدينوري في الاخبار الطوال (ص ١٧١) وقال انَّ النجاشي قالها ردًّا على ابيات كعب ابن جُعَيل ثمَّ ألحقها بخمسة ابيات أُخر وهي:

يَرَوْنَ الطعانَ خلالَ العَجاجِ وضَرْبَ القَوانسِ في النَّقْعِ دِينا
همُ هزَموا جَمْعَ جَمْعِ الزُّبَيْرِ وطَلْحَةَ والمَعْشَرِ الناكثينا
فان يكرَهِ القومُ مُلْكَ العراقِ فقدماً رَضِينا الذي تكرهونا
فقولوا لِكَعْبٍ اخي وائلٍ ومَن جعل الغَثَّ يوماً سَمينا
جَعلتُم عليًّا وأَشياعَهُ نظيرَ ابن هندٍ أما تستحونا

ومما يروى للنجاشي ايضاً ما قالهُ يوم صفّين لما عزل عليٌّ الاشعثَ بن قيس واقام في مقامه حسَّان بن مخدوج (راجع كتاب وقعة صفّين (ص ١٠٠) من الطويل):

رَضينا بما يَرْضى عليٌّ لنا بهِ وان كان فيما يأتِ جَدْعُ المناخرِ
وصيُّ رسولِ اللهِ من دون اهلهِ ووارثهِ بعد العمومِ الاكابرِ
رَضي بابن مخدوجٍ فقُلْنا الرِضى بهِ رضاكَ وحسَّان الرِضى للعشائرِ
وللأَشعثِ الكنديِ في الناس فضلُهُ توارَثَهُ من كابرٍ بعد كابرِ
متوَّجُ آباءٍ كرامٍ اعزَّةٍ اذ المُلكُ في اولاد عمروِ بن عامرِ
فلولا اميرُ المؤمنين وفضلُهُ علينا لَأَشجَيْنا حُرَيثَ بن جابرِ
فلا تطلبنَّا يا حُرَيْثُ فانَّنا لقومك دَرْءٌ في الامور الغوامرِ
وما بِأبنِ مخدوجٍ بن ذُهْلٍ نقيضَةٌ ولا قومُنا في وائلٍ بعَواثرِ
وليس لنا الّا الرضى بابنِ حُرَّةٍ أشمَّ طويلِ الساعدَيْن مُهاجرِ
على انَّ في تلك النفوسِ حزازةً وصدعاً يؤَابيهِ اكفُّ الجوابرِ (١

١) آباهُ يؤَابيهِ جعلهُ يمتنع عنهُ

الصفحة ٥٠ س ١ــ٧ (وماء كلون الغِسْل) هذه الابيات التي يخاطب فيها النجاشي الذئبَ تُروى في عدَّة كتب كالمحاضرات للراغب الاصفهاني (٢ : ٢٩٢) وكشرح شواهد المغني للسيوطي (ص ٢٣٩) وغيرهما . روى الراغب (ر) البيت الاوَّل : وماء كلون البَوْل . . . جاوَزْتُهُ مَحْلِ . ورواهُ السيوطي (س) :

وماء قديم العهد بالورْدِ آجنٍ يخالُ رضاباً او سلاقاً من الصل (كذا)

وروى س البيت الثاني : « لقيتُ . . . ضايعٌ » . وروى ر س البيت الثالث : « هل لكَ في اخٍ » ثمَّ روى ر « يؤاسي عليك بلا اثرٍ ولا نخلٍ » . وروى ر البيت الرابع : « لم يأتهِ تبعٌ » . وروى س البيت الخامس . « ولا مستطيفهُ » ثمَّ روى ر : « وهاكَ اسقني » . وروى ر البيت السادس : « من السَّجْل » . والصَّغْو الجانب والسَّجْل الدلو . وروى ر البيت السابع : « مُطْرب « فاستهوى . . وعدتُ وكلٌّ »

١١ جُحَيَّة بن المضرَّب (ص ٥١ــ٥٥)

قد التبس علينا وعلى غيرنا هذا الاسم فرويناهُ جُحَيَّة كما ورد في الاغاني الجزء الرابع (١١٨) وفي الجزء الحادي والعشرين (١٤ــ١٦) وفي فهارس الاغاني ولعلَّ الصواب حُجَيَّة بتقديم الجيم كما جاء في تاج العروس (١٠ : ٨٤)

ص ٥٤ س ١٨ــ١٩ (بمنتصحاتٍ) ويروى : بمنتضحاتٍ . «ولم يَدَعْ» والصواب : « ولم يَدَعِ »

ص ٥٥ س ٧ (يصونون احساباً) ويروى : إحساناً

١٢ امرؤ القيس بن عابس (ص ٥٦ــ٦٠)

ص ٥٩ س ١٨ــ١٩ (رُبَّ خِرقٍ) هذا البيت من الخفيف لا من الرمل وقد ورد في معجم البلدان لياقوت (٣ : ٨٢٩) ذكرهُ هناك مع بيتين آخرين هكذا :

رُبَّ مِزْقٍ مثل الهلال وبَيْضا ءَ حصانٍ بالجِزْع من عَمْواسِ

قد لقُوا اللهَ غيرَ باغٍ عليهم　　واقاموا في غير دار ائتناسِ
فصبرنا صبرًا كما عَلِمَ اللهُ م وكنَّا في الصبر أهلَ اياسِ

١٣ نائلة بنت الفرافصة (ص ٦٠—٦٣)

جاء في نقائض جرير والفرزدق (ص ١٩٠) «انَّ ليلى بنت الاحوص هي امُّ بسطام بن قيس واخت فرافصة الكلبي » فهي اذن عمّة نائلة بنت الفرافصة

الصفحة ٦٠ س ١١ (فتحنَّثت) قد اصلح ابن عبد ربهِ (٣ : ٢٧٢) رواية الطبري فرواها : فتحنفت

— س ٢٠ (تحت ركابهم) اصلح : تحتُ ركابَهم

ص ٦١ س ٢٢ (وتبكي قرابتي وقد غُيّبت) رواها ابن عبد ربهِ في العقد : « وتبكي صحابتي وقد ذهبت »

ص ٦٢ س ٢٢ (دعت بفهر فهتمت فاها) جاء في كتاب اخبار النساء لابن تيميَّة (ص ٧٠) :

« انهُ لما قُتل عثمان رضَ وقفت على قبره امرأتهُ نائلة بنت الفرافصة الكلبي فترحَّمت عليهِ ثمَّ انصرفت الى منزلها ثم قالت : اني رأيتُ الحزن يبلى كما يبلى الثوب وقد خشيتُ ان يبلى حزنُ عثمان من قلبي الخ . . . وخطبها معاوية فبعثت اليهِ اسنانها وقالت : أذات عروسٍ ترى . (وقالوا) لم يكن في النساء احسن منها مضحكًا »

١٤ مَيْسون الكلبيَّة (ص ٦٣—٦٤)

ص ٦٤ س ١ — ٩ (لَبيتٌ تخفق الارواح . .) رُوي البيت الاوَّل في غرر الخصائص (ص ٣٧) : « تخفقُ الارياحُ . ورُوي فيهِ البيت الخامس : « و بكرٌ يتبعُ الأَطلال . . من بغلٍ زَدوفِ » . ورُوي البيت السابع : « من عِلجٍ عنيفِ »

١٥ ابو زُبَيد الطائي (ص ٦٥—٩١)

ص ٦٧ س ١٧ (اعطيهمُ الودّ) رواهُ السيد المرتضى في اماليهِ (٤ : ١٩٤) :
« اعطيهمُ الجهدَ مني بَلْهَ ما أَسَعُ »

الصفحة ٦٨ س ٢ـ٣ (ابنَ عِريسةٌ الخ) روى السيد المرتضى هذين البيتين:

أَبَنٌ عِرِيسَةٍ عنّابها أَشِبٌ ودون غايته مُستَوِردٌ شَرِعُ
شاسي الهبوط زَنَاء الحاميَين متى تَنْشَع بوادرهُ يَحدُثْ لها فزَعُ

ص ٦٩ س ٦ـ٢٤ (تذكار الأسد . . . .) هذا الوصف للأسد لابي زُبيد الطائي ورد في تآليف عديدة غير التي ذكرناها كأمالي السيد المرتضى (٤ : ١٩٤ـ١٩٥) وكتاب الف باء البلوي (١ : ٣٨٥ـ٣٨٦) مع اختلافات في الروايات بعضها حسنٌ وبعضها تصحيف نكتفي بالاشارة

ص ٧١ س ٤ (كالحجر المُلَمْلَمِ) رواهُ البلوي: «كالحجر المثلَّم»

ـ س ١٣و١٧ (قُضاقِضٌ) رواهُ: «فُصاقصٌ» ـ س ١٥ (للاقران هطّام) رواه: «هضّام»

ص ٧٢ س ٥ (وعينانِ كالوَقبَيْن . .) رواهُ الجاحظ في كتاب الحيوان (٤ : ١٤٦) «في ملءِ صخرةٍ ترى . . تسَعَرُ»

ص ٧٦ س ١٦ـ٢٠ (يا ليت شعري) وجدنا في كتاب الحيوان للجاحظ (٤ : ١٤٦ و٥ : ٦٩) هذين البيتين لعلّهما من اصل هذه القصيدة وفيهما وصف الاسد وهما:

كأنَّ عينيهِ في وَقْبَين من حجَرٍ قِيضا اقتناصاً باطرافِ المناقيرِ
اذا تبهنَسَ يمشي خِلْتَهُ وَعِثاً وهتْ سواعِدُهُ من بعد تكسيرِ

ص ٧٨ س ٣ (واستظلَّ العصفور) روى الجاحظ في كتاب الحيوان (٥ : ٧٣): «واستكنَّ العصفور» ـ س ٥ (من سموم) روى الجاحظ: «كأنهـا نفحُ نارٍ سَجَرتها الهجيرةُ العمّاء»

ص ٨٠ س ٢ـ٣ (تذبُّ عنهُ . .) رواهُ الجاحظ في كتاب الحيوان (٣ : ٩٨): كذَوْدِ العُرْس» ـ وروى الشطر الاوّل من البيت التالي: «اذا وَنى ونيَةً دلَفْنَ لها»

ـ س ٦ـ٩ (ألا أَبلِغْ . .) هذه الابيات من بحر الوافر لا الطويل. روى الشريشي في شرح المقامات (١ : ٧٢) البيت التالي (س ٨):

فما انا بالضعيفِ فتظلموهُ ولا حظّي اللقاء ولا الخسيسُ

ومنها بيتان روى اوَّلهما الجاحظ في كتاب الحيوان (٤ : ٩٥) وثانيهما ابو العلاء المعري في كتاب الغفران (ص ١٠٨):

يُحَجِّنُ كالمحاجن في فتوحٍ يَقيها قصّةَ الارض الدخيسُ
فثار الزاجرون فزاد منهم تِقِرَّاباً وصادفَهُ ضَبيسُ

الصفحة ٨٢ س ١٥ الخ (خبرتنا الركبانُ) هذه الابيات ذُكرت في كتاب شواهد الكشاف (ك ص ١٠٠) وفي شرح شواهد المغني للسيوطي (ص ٢١٩). روى البيت الاوَّل في الكشاف: « خَبَّرَتْنا الركبانُ ان قد فخرتم وفرحتم »

ص ٨٣ س ٢ (هل علمتم) روى ك: « هل سَمِعتم من معشرٍ شافهونا »

— س ٥ (ثمَّ لما تشذَّرت وانافت) قال السيوطي في شرحهِ: « تشذَّرت رفعت الحرب ذَنَبها. وانافت رفعت رأسها

ص ٨٣ س ٨ (ولقد قاتلوا) جاء في شرح شواهد الكشاف بعد هذا قولهُ:

وحملناهمُ على صَعْبَةٍ زَوْ راءَ يَعلونها بغيرِ وِطاء

— س ١٣ (ما اطافَ المُبسُّ) روى ك: « ما اطافَ الخميسُ »

ص ٨٩ س ١٠ (من يَكِدْني ..) رُوي: « بشيء » وهو تصحيف. وهذا البيت يستشهد بهِ النحويون لبيان كون فعل الشرط يكون مضارعاً وجوابهُ ماضياً

انتهت الملحوظات على القسم الاوَّل من شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام



القسم الثاني

ملحق بالشعراء الامويين

١ هدبة بن الخشرم (٩٥–١١٣)

الصفحة ٩٦ س ٢٠—٢١ (زيادة بن زيد) صهر هُدبة بن الخشرم رُويت لهُ في كتابَ مجموعة المعاني (طبعة الجوائب ص ٤٢) ابيات عينية حسنة اوّلها:

وقد ابرزَتْ مني الحروبُ مجرّبًا   صليبًا على وقع الحروب مُشيّعا

ص ١٠١ س ٢—١٢ (ألا يا قومي) وردت هذه الابيات ايضاً في كتاب الالفاظ لابن السكيت (ص ٤٥٨) وفي شرح شواهد المغني السيوطي (س) (ص٩٦). س٤ (فلا تتقي) روى السيوطي الشطر الاوّل: «فلا ذارِجلالٍ هِبْنَهُ لجلالهِ — س٧ (عمدتُ) روى س: «لا يميّز . . ولا يُسَبُّ بهِ قبري» — س١١ (رَمَينا) روى س: «فصادَفَ سَهْمُنا منيّة نفسٍ» — س ١٢ (ووراءك من معدّى) روى س: من مَعْدِ

ص ١٠٤ س١ (يا ويل نفسي على غدٍ) روى س (ص٩٧): يا لهف نفسي — س ١٢ (لقد زعمت) ذكر ابن السكّيت في اصلاح المنطق اوّل هذه الابيات:

أَتَنْكرُ رسمَ الدارِ ام انتَ عارفُ   أَلَا لا بلِ العرفانُ فالدمع ذارِفُ

وفيها:

ترى وَرَقَ الفتيانِ فينا كأنّهم   دراهمُ منها جائزاتٌ وزائفُ (١

١) قال في شرحهِ ورَقُ القوم أحداثهم. والورق المال والدراهم ايضاً

راجع ايضاً ابن السكيت في تهذيب الالفاظ (ص١٢١)

الصفحة ١٠٤ س ١٦ (هدبة بعث الى عائشة) وفي شرح شواهد المغني للسيوطي (ص٩٧): «بعث الى امّ سلمة»

ص ١٠٥ س٣ (ابن امّ كلاب) قال ابن الاثير في المرصّع (ص ١٨٨—١٨٩): ابن امّ كلاب هو رجل من المدينة عشقتهُ حُبّى المدنيّة فتزوّجتهُ على كبر سنّها فضُرب بها المثل

ص ١٠٦ س١٤ (وليس اخو الحرب..) رواهُ الاصبهاني في الراغب (٢: ١٠٣): «اخو الحرب الغليظة... اذا زيّنتهُ الحربُ...»

ص١٠٧ س١٧ (انّ حزناً ازبدا بادئ شرّ) رُوي: «انّ حزناً منكما اليوم يسرّ»

ص ١٠٩ س١٧ (طربتُ...) وردت ابيات من هذه القصيدة في العقد الفريد لابن عبد ربه (٣: ١٨٢)

ص ١١٠ س٣ (فيأمن خائف) رواهُ في العقد: «ويأتي اهلهُ النائي الغريبُ

ص ١١١ س ١٤ (وبعض رجاء المرء) رُوي البيت في نهاية الارب للنويري (٣: ١١١) لهرمة بن الخشرم بتصحيف اسم هُدبة وهو يروي: «ليس نائلًا عَناء وبعضُ اليأس اعفى»

٢ موسى بن جابر (ص ١١٣—١١٨)

في كتاب محاضرات الراغب الاصبهاني (١: ١٥٧) ورد ذكر عمرو بن جابر الحنفي اخي موسى وروى لهُ بيتاً في وصف عدوّ يكاشر عدوّه اذا حضرهُ (من الوافر):

يكاشرني وأعلَمُ أنْ كلانا (كذا) على ما ساء صاحبَهُ حريصُ

٣ شمعلة التغلبي (ص ١١٨—١٢١)

ص ١١٩ س ٢٠ (روى المبرّد هذا الخبر ونسبهُ الى عبد الملك) وهكذا وجدناه منسوباً الى عبد الملك في كتاب الوزراء والكتّاب للجهشياري المطبوع حديثاً (ص

١٨٩) وروى البيت الاوَّل لشمعلة: «وضربةٍ بالرجــل متى تهافتت... ولا نـكر» وروى البيت الثاني: «وانَّ امير المؤمنين وفعلهُ»

٤ اعشى بني تغلب (ص ١٢٢–١٢٩)

ذُكر في لسان العرب (١٧: ٨٠ في مادَّة نوم) بيت لعمرو بن الأَيهم وهو

نَعَمَاني بشربةٍ من طِلاءٍ   نِعمَتِ النِّيمُ من شبا الزمهرير

قال المصحح في الهامش: «قولهُ الايهم في التكملة في مادَّة هيم ما نصَّهُ: واعشى بني تغلب اسمهُ عمرو بن الاهيم» قلنا: لم نجد في غير هذا المكان ما يؤيد زعم المصحح. راجع ما قلناهُ عن اسم الاعشى التغلبي ونسبهِ (ص ١٢٢)

ومما يروى للتغلبي في الصحاح وفي اللسان في مادَّة «غا» قولهُ (من الوافر):

وقافيةٍ كأنَّ السمَّ فيهـا   وليس سليمُها ابـدًا بنـامي

صرفتُ بهـا لسانَ القومِ عنكم   فخرَّت للسنابك والحَوامي

قال: النامي الناجي. وروى لهُ النويري في نهاية الارب (٢: ٥) (من الطويل):

وكانوا أناساً ينفحون فـأصبحوا   واكثرُ ما يعطونك النظرُ الشَّزْرُ

٥ . اعشى بني ابي ربيعة (ص ١٢٩–١٣٥)

الصفحة ١٣٠ س٣ (دخل على عبدالله) والصواب: على عبدالملك بن مروان الخليفة الاموي. وقد كنَّى الخليفةُ الاعشى بابي عبدالله

ـــ س١٨ (قدم اعشى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان) زاد ابن عبد ربهِ في العقد الفريد (١: ١١٨): وعن يمينهِ الوليد وعن يساره سليمان فقال لهُ عبد الملك: ماذا بقي يا ابا المغيرة؟ قال: مضى ما مضى وبقي. وانشأ يقول...

ـــ س٢٠ (وما انا في امري) روى في العقد الفريد: «وما انا في حقي»

ص ١٣١ س ١ ـــ ٤ (ولا مسلمٍ مولاي) روى في العقد: «من سوء ما جنى.. من سوء ما اجني» ـــ س٢ روى في العقد: «وانَّ فؤادي» ـــ س ٣ وروى الشطر الاوَّل:

« وفضليَ في الاقوام والشعر انني» — س٤ روى: « واني وان فضّلتُ» ثم روى قول عبد الملك لولديهِ الوليد وسليمان: «أتلوماني على هذا ؟»

١٠ القطاميّ التغلبي (ص ١٩١—٢٠٣)

الصفحة ٢٠٠ س ٤—١٤ (واني وان كان المسافر) وردت هذه الابيات في زهر الاداب للحصري (الطبعة الجديدة ٣ : ٧١—٧٢). روى البيت الثاني: « يخمر ما رأى» وهو تصحيف — س ٦ روى الحصري: « يُخبركَ الأَنباء — س ٧ روى: «تلَفَّتُ في ظلّ » — س٩ (تصلَّى) روى بعد هذا البيت:

فجئتُ اليها مِن دلاصٍ مُناخةٍ ومن رَجُلٍ عاري الاشاجع شاحبِ
سرى في جليد الليل حتى كأنَّما تخرَّمَ بالاطرافِ شوكُ العقاربِ
تقول وقد قرَّبتُ كُوري وناقتي اليك فلا تُذعِرْ عليَّ ركائبي

ص ٢٠١ س ١—٣) (من المشتري القدّ) روى الحصري: من المشترين القَدْر — س٢ روى: عليَّ مَبيت السوء

١٣ العجّاج بن رؤبة (ص ٢٢٨—٢٣٨)

ص ٢٣٠ س٢ (الحمد لله الذي اعطى الشبر) هو البيت الذي استندنا اليهِ قولنا بانَّ العجاج كان يدين بالنصرانيَّة في اوائل حياتهِ. وقد اعترض علينا السيد المغربي في جريدة الف باء الشاميَّة (عدد ٩ حزيران ١٩٢٥) فأجبنا على اعتراضهِ وبيَّنَّا لجنابهِ الاسباب الاربعة التي حملتنا على نظمهِ بين شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام (في المشرق ٢٣ [١٩٢٥]: ٥٥٨) ثم فيه ٢٤ [١٩٢٦]: ٨٠)

ص ٢٤٨ س ٧ (فا فُجع الاقوام من رزئها الك) هذا تصحيف والصواب: من رُزْء هالكٍ »

القسم الثالث

ملحق بشعراء الدولة العباسية

٥ الموصلي النصراني (ص٢٥٤)

ص ٢٥٤ س ١٣ــ١٦ (عديٌّ ونعيمٌ) هذه الابيات التي رواها البيهقي للموصلي النصراني وجدناها في نفح الطيّب للمقّري (١ :٥١٣) منسوبة الى شاعرة نصرانيَّة قال: « انشدنا الامام اللغوي رضيُّ الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الانصاري الشاطيّ لزينب بنت اسحاق النصراني الرَّسْعَنيّ »نذكرها هنا بحرفها ويا ليتهُ زادنا علماً عن زينب النصرانية المذكورة :

عَديٌّ وتَيْمٌ لا أُحاوِلُ ذِكْرَهم   بسُوء ولكني مُحبٌّ لهاشمِ
ومـا يعتريني في عليّ ورهطِهِ   اذا ذُكِروا في اللهِ لومةُ لائمِ
يقولون: ما بالُ النصارى تحبُّهم   واهلُ النُّهى من أَعْرُبٍ وأَعاجمِ
فقلتُ لهم: اني لَأَحسَبُ حبَّهم   سرى في قلوب الخَلْقِ حتى البهائمِ

٦ بشر بن هارون (ص ٢٦٢—٢٦٣)

جاء في كتاب جامع التواريخ لابي علي المحسن التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ ﻫ (٩٩٤م) (في الصفحة ٥٢ ed. Margoliouth): أَنشدني ابو نصر بشر بن هارون الكاتب النصراني البغدادي لنفسهِ في ابي رفاعة بن كامل احد خلفاء القضاة ببغداد على سوادها (من الوافر):

قضى شعري على القاضي بحُكمٍ   اجاب اليهِ مصفوعاً مُذالا
ولو لم يَستجبْ لنَتفتُ منه   سِبالًا ان وجدتُ لهُ سبالا
ونتفُ سبالهِ شيءٌ مُحالٌ   لأنَّ الخَلْقَ صيَّرهُ مُحالا

قال: وانشدني انفسهِ في شعبان سنة ٣٥٩هـ (٩٧٠م) في رئيسين صُرف احدهما بالآخر (من الوافر):

مضى من كان يُعْطينا قليلًا واوفى من يَشِحُّ على القليلِ
واحسَبُ ان سيَمْلكنا مُكدٍّ متى اطَّردَ القياسُ على الدليلِ
فقل للفاطميِّ لقد تمادَتْ اناتُك في الحلول وفي الرحيلِ
فحُثَّ السَّيْر علَّ الله يَهْدي شِفاءً منك للبلدِ العليلِ

١٠ عيسى بن فرُّخنشاه (ص ٢٦٣—٢٦٦)

ص٢٦٤ س٢٢ (ذكر لهُ الصابيُّ) والصواب: ذكر لهُ الصولي. وقد جاء في كتاب الاعجاز والايجاز للثعالبي (طبعة مصر ١٨٩٧ ص ١٣): عيسى بن فرُّخنشاه وزير المعتزّ كان يقول: القلمُ الرديءُ كالولد العاقّ. قال ابن عبَّاد: وكالاخ المُشاقّ. وكان عيسى يقول لا اشكر لحظهُ واشكو لفظهُ

١٢ ابن بطلان المتطبّب (ص ٢٦٦—٢٧٧)

ذكر محمَّد افندي راغب الطبَّاخ في تاريخ حلب (٤: ١٩٤—١٩٦) فصلًا في عناية ابن بطلان ببناء البيمارستانات بانطاكية وحلب

ص ٣٧٠س٩ (وفاة ابن بطلان) ذكرنا اختلاف الكتبة في تعيين سنة وفاة ابن بطلان بين السنة ٤٤٤و٤٦٣هـ (١٠٥٢—١٠٧٠م). وذكر الطبَّاخ في تاريخ حلب (٤: ١٩٦) انَّ ابن بطلان توفي بانطاكية يوم الجمعة ٨ شوَّال سنة ٤٥٨ (١٠٦٦م) والله اعلم

ومن الشعر المنسوب الى ابن بطلان ميميَّة في وصايا طبيَّة اوَّلها:

احفظ بنيَّ وصيَّتي واعمل بها فالطبُّ مجموعٌ بنصّ كلامي

رواها ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (١: ٢٩١) قال انها نسبت الى الرئيس ابن سينا والى ابن بطلان والصحيح انها لمحمد بن محليّ بن الصائغ العنتري

١٤ عون الراهب (ص ٢٧٨–٢٧٩)

وردت في كتاب ادب الكاتب للصولي (ص٨١) ابيات في اقلام انشدها عون ولعلّهُ عون الراهب المذكور هنا

١٩ امين الدولة ابن موصلايا (ص ٢٨٣–٢٨٠)

هذا ما كتبهُ ابن الميسّر في آخر الجزء الثاني من اخبار مصر (ص ٩٩ .ed : Massé)

« امين الدولة ابو سعد العلاء بن ابي علي الحسن بن وهب بن الموصلايا كاتب الانشاء بدار الخلافة ببغداد. كتب للقائم والمقتدي والمستظهر (أصلح: وللمقتدي والمستظهر) خمساً وستين سنة وكان ابتداء خبره منه في ايّام القائم سنة ٤٣٢ ومات في ١٨ جمادى الاولى سنة ٤٩٩ ه (١١٠٦م) بعد ما أُخر وكان عَمِي (عُمِّي) على ابن اخيهِ ابي نصر وكان نصرانياً فاسلم في ايام المقتدي على يدهِ ولم يزل موقّرًا وناب في الوزارة ولهُ شعر وكان قد جمع من (بين) حسن الخطّ والبلاغة ولد ليلة السبت ١٦ شوّال سنة ٤١٢ه (١٠٢١م)

٢١ ابو غالب ابن الاصباغي (٢٩١–٢٩٢)

اسمهُ عبيد الله بن هبة الله كما جاء في وفيات الاعيان لابن خلكان (٢ : ١٧) الصفحة ٢٩١ س ٢١ (عقرتهم معقورةٌ) ذكر المقري في نفح الطيب (١ : ٤٤٦) ابياتاً لابي بكر محمّد بن زهر في وصف الخمرة :

ومُوسّدين على الأكُفّ خدودَهم ... قد غالهم نوم الصباح وغالني
ما زلتُ اسقيهم واشربُ فَضْلهم ... حتَّى سكرتُ ونالهم ما نالني
والخمرُ تعلمُ كيف تأخذُ ثأرها ... اني أَمَلْتُ إناءها فأمالني

ثمَّ قال «وزعم ابن خلكان (٢ : ١١) انَّ ابن زهر ألمَّ في الابيات المذكورة

يقول الرئيس ابي غالب عُبيد الله بن هبة الله» ثمّ ذكر الابيات وروى البيت الاوّل: «عاقرتهم مشمولةً» وروى البيت الثاني: «ذكرتُ حفائدَها»

٢٨ ابو الفرج يحيى ابن التلميذ (ص ٣١٠—٣١٤)

وصف ياقوت في معجم الادباء أبا الفرج بن التلميذ فقال (٧: ٢٨٢): كان اديباً شاعرًا وكان مقيماً باصبهان مقرَّباً عند الامراء والاعيان وقصدهُ الشريف ابن الهبَّاريّة الاديب الشاعر فأكرمهُ وحباهُ وحصل لهُ بواسطتهِ من الامراء والاكابر مالٌ عظيم فمدحهُ بعدَّة قصائد. توفي ابو الفرج معتمد الملك سنة ٥٥٩ (١١٦٤ م)

ص ٣١١ س١٣ (فما ان تُفارِقُ) روى في معجم الادباء «فما ان تفارقهُ» (كذا) وقد روى لهُ ياقوت هناك هذين البيتين (من السريع):

ما هذه الدنيا لطالبها إلّا بلاءٌ وهو لا يدري
اذا اقبلَتْ فسدَتْ امانتُهُ او ادبرَتْ شغلَتْهُ بالفكرِ

٢٩ هبة الله بن التلميذ (ص ٣١٥—٣٣٤)

وصفهُ ياقوت في معجم الادباء (٧ : ٢٤٣) وصفاً جميلًا فذكر معرفتــه باللغات الفارسيَّة واليونانيَّة والسريانيَّة وتضلُّعَهُ بالعربيَّة وذكر نظمهُ الفائق وتقدُّمهُ عند الخلفاء وعلوّ مكانتهِ لديهم وانهُ «عُمِّر طويلًا نبيه الذكر جليل القدر وانهُ كان مقدَّم النصارى في بغداد ورأسهم ورئيسهم وقسيسهم وكان حسن العشرة كريم الاخلاق ذا مروءة وسخاء حلو الشمائل كثير النادرة وكان يميل الى صناعة الموسيقى ويقرّب اهلها» وذكر لهُ شعرًا (٢٤٦ـــ٢٤٧)

٣٤ يحيى بن ماري (ص٣٤٧—٣٥١)

ذكرهُ ياقوت في معجم الادباء (٧: ٢٩٥) وقال فيهِ انهُ توفي بالبصرة ثمّ روى لهُ في الاقتصاد (من الكامل):

نعمَ المعينُ على المروءة للفتى   مـالٌ يصونُ عن التبـذّلِ نفسهُ
لا شيءَ انفعُ للفتى من مـالـهِ   يقضي حوائجـهُ ويجـلبُ أُنسَهُ
واذا رمَتْـهُ يـدُ الزمان بسهمـهِ   غدتِ الدراهمُ دون ذلك تُرْسَهُ

(قال) ولهُ ايضاً (من الكامل):

لاموا على صَبِّ الدموع كأنّهم   لا يعرفون صبـابتي وولوعي
كُفُّوا فقد وعَدَ الحبيبُ بزورةٍ   ولـذا غسلتُ طريقـهُ بدموعي

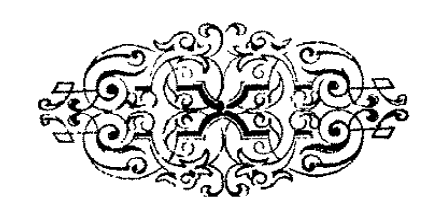
وروى ايضاً (من الخفيف):

نفرَتْ هندُ من طـلائعِ شيبي   واعترَتْهـا شآمـةٌ من وُجومي
هكذا عـادةُ الشيـاطين يَنفُرْ   نَ اذا مـا بدَتْ نجومُ الرُّجومِ

٣٥ · بنو ممّاتي النصارى الاقباط (ص ٣٥١ - ٣٥٩)

ذكر محمّد افندي راغب الطبّاخ في تاريخ حلب (٤: ٣٢٢) اسعدَ بن مماتي واتسع في ذكره وروى شيئاً من شعرهِ في وصف الثلج (ص ٣٢٧—٣٢٨)

انتهى



فهرس

القسم الثالث من شعراء النصرانيَّة

شعراء الدولة العباسية

La collection de ces fragments forme un ensemble assez suggestif et nous fait connaître l'activité de ces poètes, qui se sont essayés dans tous les genres cultivés par leurs congénères : épîtres dédicatoires, odes diverses, élégies, satires, poésies morales ou badines, et cela parfois avec finesse et bonheur. C'est ce qui leur a valu l'honneur d'être cités par les auteurs musulmans, qui d'ordinaire n'ont de préférence que pour ceux de leur culte. Cela explique aussi pourquoi dans leur choix, ils ont omis tout ce qui porte une trace de Christianisme.

Nous avons aussi rangé parmi les chrétiens quelques poètes, contraints par des mesures vexatoires de passer à l'Islâm, de l'aveu même des historiens musulmans.

Ce fascicule se termine par un certain nombre d'additions, de notes et de rectifications, suggérées par des publications récentes ou de nouvelles recherches; elles embrassent les trois Périodes étudiées jusqu'ici, depuis l'hégire jusqu'à la fin de la Période Abbasside.

Les Poètes chrétiens des époques postérieures feront l'objet d'études subséquentes.

Beyrouth
3 *Décembre* 1926.



LES POÈTES ARABES CHRÉTIENS APRÈS L'ISLAM

3e FASCICULE

Période Abbasside



C'est un nouveau spécimen de Littérature arabe chrétienne que nous offrons à nos lecteurs d'Orient et aux Orientalistes d'Europe. Il fait suite aux deux fascicules précédents et contient les notices et les poésies de 44 auteurs chrétiens qui ont fleuri sous le règne des Califes abbassides en Syrie, en Egypte ou en Mésopotamie.

Sans doute beaucoup de ces poètes n'ont ni le renom, ni le génie poétique ou la fécondité de leurs contemporains de l'Islâm ; nous ne retrouvons parmi eux aucun poète de la valeur d'Ahtal ou de Qatàmi ; mais ils ne méritent pas moins la reconnaissance de la Littérature arabe classique, qu'ils ont cultivée avec soin, malgré le peu de moyens dont disposaient les chrétiens au Moyen-Age.

Je vais plus loin ; je dirai même qu'ils méritent d'autant plus notre reconnaissance, que leurs œuvres ne sont que les épaves d'un grand naufrage où ont péri de riches trésors littéraires soit à cause de l'état d'avilissement où s'est trouvé le Christianisme sous les dynasties musulmanes, soit par la négligence des chrétiens à recueillir les productions littéraires de leurs coreligionaires, soit surtout par la perte des bibliothèques chrétiennes, détruites par les guerres, le pillage, l'incendie des couvents et plus encore par le fanatisme religieux de leurs adversaires.

Ce qui est certain c'est que nous n'avons là que les faibles restes d'un héritage poétique aujourd'hui perdu. Ce sont de simples fragments éparpillés dans les ouvrages d'auteurs musulmans, noyés dans leurs récits et d'où il a fallu les extraire et non sans peine, comme des perles de leur nacre.